

السلوك لمعرفة دول الملوك

تأليف

تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق

محمد عبد القادر عطا

الجزء الرابع

سنة ٧٤٦ هـ - ٧٧٧ هـ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ست وأربعين وسبعمائة

فى المحرم: قدم كتاب أرتنا يتضمن اتضاع أمر أولاد دمرداش، ويغض من نائب حلب على ما فعله مع ابن دلغادر.

وفى عشريه: قدم محمل الحاج، فتحرك عزم السلطان للحج، وكتب إلى بلاد الشامية بابتياع ستة آلاف جمل وألفى رأس غنم، وجميع ما يحتاج إليه من العبى والأقتاب[1] ونحو ذلك. وتوجه الأمير طقتمر الصلاحى بسبب ذلك، وكتب إلى الكرك والبلقاء بحضور العربان بجمالهم، وأن يحمل إلى عقبة أيلة ألفا غرارة شعير، وما يناسب ذلك من الأصناف.

فقدمت طائفة من العربان، وقبضوا مالاً ليجهزوا جمالهم، إلى أن أهلّ ربيع الآخر تغير مزاج السلطان، ولزم الفراش؛ فلم يخرج للخدمة أيامًا. وكثرت القالة، وتعنت العامة فى الفلوس، وتحسن السعر.

وأرجف بالسلطان، فغلقت الأسواق، حتى ركب الوالى والمحتسب وضربوا جماعة وشهروهم. فاجتمع الأمراء، ودخلوا على السلطان، وتلطفوا به حتى أبطل الحركة للحج؛ وكتب بعود طقتمر من الشام، واستعادة المال من العربان. وما زال السلطان يتعلل إلى أن تحرك أخوه شعبان، واتفق مع عدة من المماليك؛ وقد انقطع خبر السلطان عن الأمراء. فكتب بالإفراج عن المسجونين بالأعمال، وفرقت صدقات كثيرة ورتب جماعة لقراءة صحيح البخارى؛ فقوى أمر شعبان، وعزم أن يقبض على الأمير الحاج آل ملك النائب، فتحرز منه.

وأخذ الأمراء والأكابر فى توزيع أموالهم وحرمهم فى عدة مواضع، ودخلوا على السلطان، وسألوه أن يعهد إلى أحد من إخوته. فطلب الأمير الحاج آل ملك النائب وبقية الأمراء، فلم يحضر إليه أحد منهم.

وقد اتفق الأمير أرغون العلائى مع جماعة على إقامة شعبان، فرق فيهم مالا كثيرا، فإنه كان ربيبه، اى ابن زوجته، وشقيق السلطان الصالح إسماعيل. وقام مع الأمير أرغون من الأمراء غرلو، وتمر الموساوى؛ وامتنع الأمير الحاج آل ملك النائب من إقامة شعبان. وصار الأمراء حزبين، فقام النائب فى الإنكار على الكلام فى هذا، وقد اجتمع

---

(١) القتب: الرحل الصغير على قدر سنام البعير، جمع أقتاب انظر المعجم الوسيط (قتب).

مع الأمراء بباب القلعة، وقبض على غرلو وسجنه، وتحالف هو والأمير أرغـون العلائى وبقية الأمراء على عمل مصالح المسلمين.

وتوفى السلطان فى ليلة الخميس رابع ربيع الآخر، فكتم موته. وقام شـعبان إلى أمـه، ومنع من إشاعة موت أخيـه، وخـرج إلى أصحابـه وقـرر معهـم أمـره. فخـرج طشتمر ورسلان بصل إلى منكلى بغا، ليسعوا عند الأمير أرقطاى والأمير أصلم.

وكان الأمير الحاج آل ملك النائب والأمراء قد علموا مـن بعـد العصـر أن السـلطان فى النزع، فاتفقوا علـى النـزول مـن القلعـة إلى بيوتهـم بالمدينـة. فدخـل الجماعـة علـى أرقطاى ليستميلوه لشعبان، فوعدهم بذلك، ثم دخلوا على أصلـم أجـابهم، وعـادوا إلى شعبان وقد ظنوا أن أمرهم قد تم.

فلما أصبح يوم الخميس خرج الأمـير أرغـون العلائـى، والأمـير ملكتمـر الحجـازى، والأمير تمر الموسـاوى، والأمـير طشـتمر طلليـه، والأمـير منكلـى بغـا الفخـرى، والأمـير أسندمر. وجلسوا بباب القلـة، فأتـاهم الأمـيران أرقطـاى وأصلـم، والوزيـر نجـم الديـن محمود، والأمير قمارى أستادر؛ وطلبوا الأمير الحاج آل ملك النائب، فلم يحضـر إليهـم؛ فمضوا كلهم إلى عنده، واسـتدعوا الأمـير جنكلـى بـن البابـا، واشـتوروا فيمـن يولونـه السلطنة فأشار جنكلى بأن يرسل إلى المماليك السلطانية، ويسـألهم مـن يختارونـه، «فـإن من اختاروه رضيناه» فعاد جوابهم مـع الحـاجب أنهـم رضـوا بشـعبان سـلطانا، فقـاموا جميعا ومعهم الأمير الحاج آل ملك النائب إلى داخل باب القلة.

وكان شعبان قد تخيل من دخولهم عليـه، وجمـع المـماليك، وقـال: «مـن دخـل قتلتـه بسيفى هذا، وانا أجلس على الكرسى حتى أبصر من يقيمنى عنه» فسـير الأمـير أرغـون العلائى إليه، وبشـره وطيـب خـاطره. ودخـل الأمـراء عليـه، وسـلطنوه وانقضـت أيـام الصالح.

وكان السلطان الصالح[1] فى ابتداء دولته على دين وعفاف، إلا أنه كـان فـى أيامـه ما ذكر من قطع الأرزاق، وكثرة حركة عساكر مصـر والشـام فـى التجـاريد. وشـغف السلطان الصالح مع ذلك بالجوارى السود، وأفرط فى حب اتفاق، وأسرف فـى العطـاء

---

(١) (السلطان الصالح) هو إسماعيل بن محمد بن قلاوون، أبو الفداء، علاء الدين، والملقب بـالملك الصالح ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام وبويع بالسـلطنة بمصـر بعـد خلـع أخيه الناصر أحمد سنة ٧٤٣ هـ. انظر بدائع الزهور ١/ ١٨١ وروض المناظر –خ – والبداية والنهاية ٤: ٢٠٢ – ٢١٦ والنجوم الزاهرة ١/ ٧٨ والدرر الكامنة ١/ ٣٨ والأعلام ١/ ٣٢٤.

لها؛ وقرب أرباب الملاهى، وأعرض عن تدبير الملك بإقباله على النساء والمطربين، حتى إنه إذا ركب إلى سرحة سرياقوس[١] أو سرحة الأهرام ركبت أمه فى مائتى امرأة الأكاديش، بثياب الأطلس الملون، وعلى رءوسهن الطراطير الجلد البلغارى المرصع بالجواهر واللآلى، وبين أيديهن الخدام الطواشية، من القلعة إلى السرحة. ثم يركب حظاياه الخيول العربية، ويتسابقن؛ ويركبن تارة بالكامليات الحرير، ويلعبن بالكرة، وكانت لهن فى المواسم والأعياد وأوقات النزه والفرح أعمال لا يمكن حكايتها؛ وأكثرن من النزول إلى بيوت الكتاب ونحوهم.

واستولى الخدام الطواشية فى أيامه على أحوال الدولة، وعظم قدرهم بتحكم كبيرهم عنبر السحرتى اللالا فى السلطان؛ وركبوا الخيول الرائعة، ولبسوا الثياب الفاخرة، وأخذوا من الأراضى عدة رزق. واقتنى السحرتى البزاة والسناقر ونحوها من الطيور والجوارح، وصار يركب إلى المطعم، ويتصيد بثياب الحرير المزركشة؛ واتخذ له كفًا مرصعا بالجوهر، وعمل له خاصكية وخداما ومماليك تركب فى خدمته، حتى ثقل أمره، فإنه أكثر من شراء الأملاك، والتجارة فى البضائع، وأفرد له ميدانا يلعب فيه بالكرة، وتصدى لقضاء الأشغال. فصارت الإقطاعات والرزق لا تقضى إلا بالخدام والنساء، ولا يزال الأمير الحاج آل ملك النائب يشنع بذلك، وإذا أتاه أحد يطلب منه خبزا أو رزقة يقول له: «النائب ما له حكم، رح إلى باب الستارة، واسأل عن الطواشى فلان الدين والطواشى فلان الدين يقضوا لك حاجتك».

وكان متحصل الدولة مع هذا كله فى أيام السلطان الصالح إسماعيل قليلا، ومصروف العمارة لا يزال جملة مستكثرة فى كل يوم فأنفق السلطان على الدهيشة بالقلعة خمسمائة ألف درهم، سوى ما حمل إليه من بلاد الشام وغيرها، ثم عمل فيها من أوانى الذهب والفضة ومن الفرش ما يجل وصفه؛ ومنذ فرغت عمارتها لم ينتفع بها أحد، لشغفه بالغناء والجوارى، سيما اتفاق. ولما ولدت منه اتفاق ولدا ذكرا عمل لها مهما تناهى فيه، حتى بلغ الغاية التى لا توصف عظمة.

وكانت حياته منغصة وعيشته نكدة، لم يتم سروره بالدهيشة سوى ساعة واحدة. ثم قدم عليه منجك برأس أخيه أحمد من الكرك[٢] بعد قتله بها، فلما قدم بين يديه ورآه

---

(١) سرياقوس بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٩.

(٢) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٢٠٢، معجم البلدان ٤/ ٤٥٣.

بعد غسله، اهتز وتغير لونه وذعر، حتى إنه بات ليلته يراه فى نومه، ويفرغ فزعا شديدا.

وتعلل السلطان الصالح إسماعيل من رؤية رأس أحمد، وما برح يعتريه الأرق ورؤية الأحلام المفزعة، وتمادى مرضه وكثر إرجافه، وكثرت أفزاعه حتى اعتراه القولنج، ومات كما تقدم ذكره يوم الخميس، ودفن عند أبيه وجده بالقبة المنصورية، فى ليلة الجمعة.

وكان السلطان الصالح إسماعيل رقيق القلب، زائد الرأفة والشفقة، كريما جوادا، مائلا إلى الخير. وبلغ من العمر نحو العشرين سنة، منها مدة سلطنته ثلاث سنين وشهران وأحد عشر يوما.

* * *

السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون الألفى الصالحى(١)

لما اشتد مرض أخيه شقيقه السلطان الملك الصالح عماد الدين، ودخل، عليه الأمير أرغون العلائى فى عدة من الأمراء، ليعهد بالسلطنة من بعده إلى أحد، كان الأمير أرغون العلائى غرضه فى أن يعهد لشعبان، من أجل أن أمه كانت زوجته. فلم يحب الأمير آل ملك النائب وجماعة من الأمراء إلى الدخول على السلطان الصالح إسماعيل كراهة منهم فى شعبان، لما كان قد اشتهر عنه من المظالم. فقال الصالح إسماعيل بعدما بكى وأبكى الأمراء: «سلموا على النائب والأمراء، وعرفوهم أنى إن مت يولوا أخى شعبان» فلما مات الصالح، واقتضى رأى الأمراء أن يعرفوا رأى المماليك السلطانية، وكان جوابهم إقامة شعبان، حضر الأمراء إلى باب القلة، واستدعوا شعبان، وأركبوه بشعار السلطنة، ومشوا فى ركابه، والجاويشية تصيح على العادة، حتى إذا قرب من الإيوان لعب الفرس تحته وجَفَل من تصايح الناس، فنزل عنه ومشى خطوات بسرعة إلى أن طلع الإيوان؛ فتفاءل الناس عن فرسه أنه لا يقيم فى السلطنة إلا يسيرا.

ولما طلع السلطان شعبان الإيوان والأمراء بين يديه، جلس على كرسى السلطنة وباس الأمراء له الأرض، وأحضروا المصحف ليحلفوا، فحلف لهم أولا أنه لا يؤذيهم، ثم حلفوا بعده؛ وذلك فى يوم الخميس رابع ربيع الآخر، سنة ست وأربعين وسبعمائة.

---

(١) شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبو المعالى، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى. انظر الدرر الكامنة ٢/١٩٠ والبداية والنهاية ٤/ ٣٠٢، ٣٢٤ والأعلام ٣/ ١٦٤.

ولقب بالملك الكامل، ودقت البشائر، ونودى بسلطنته فى القاهرة ومصر، وخطب له فى الغد على منابر ديار مصر، وكتب بذلك إلى الأقطار مصرا وشاما.

وفى يوم الإثنين ثامنه: جلس السلطان شعبان بدار العدل من القلعة، وجدد له العهد من الخليفة، بحضرة القضاة والأمراء، وخلع على الخليفة والأمراء والقضاة.

وفيه كتب بطلب الأمير آقسنقر الناصرى من طرابلس[١]، فسأل الأمير قمارى الأستادار أن يستقر عوضه فى نيابة طرابلس، وتشفع بالأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى. فأجيب إلى ذلك، وخلع عليه فى يوم الخميس حادى عشره، وخرج من فوره على البريد.

وفيه خلع على الأمير أرقطاى، واستقر فى نيابة حلب[٢] عوضا عن يلبغا اليحياوى، وخرج على البريد.

وفيه طلب الأمير الحاج آل ملك النائب الإعفاء من نيابة السلطنة، وقبل الأرض، وسأل نيابة الشام، عوضا عن الأمير طقزدمر، وأن ينقل طقزدمر إلى مصر فأجيب ذلك، وكتب بإحضار طقزدمر.

وفى يوم السبت ثالث عشره: خلع على الأمير الحاج آل ملك النائب، واستقر فى نيابة الشام عوضا عن طقزدمر. وأخرج من يومه على البريد، فلم يدخل غزة حتى لحقه البريد بتقليده نيابة صفد، وأن يكون ولده وابن أخيه الفارس بحلب. وسبب ذلك أن الأمير أرغون العلائى لما قام فى سلطنة شعبان هذا، قال له الأمير الحاج آل ملك: «بشرط ألا يلعب بالحمام»؛ فلما بلغ السلطان شعبان ذلك نقم عليه.

وفيه رسم بطلب شجاع الدين غرلو من دمياط[٣]، فقدم فى يومه. وخلع عليه شاد الدواوين. فنزل غرلو إلى دار الولاية، وقبض بيده على أطواق الأمير جمال الدين يوسف

---

(١) طرابلس: من مدن إفريقية وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر. وهو من حجر جليل وقيل وتفسير طرابلس ثلاث مدن، وقيل مدينة الناس. وطرابلس أيضًا مدينة بالشام عظيمة عليها سور صخر منيع. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٣٨٩، ٣٩٠ والاستبصار ١١٠ والإدريسى ١٢١/ ٨٩ ونزهة المشتاق ١١٧ ومعجم البلدان ٤/ ٢٥.

(٢) حلب: مدينة بالشام بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلا، وهى مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض. انظر صبح الأعشى ٤/ ١١٦ والروض المعطار فى خبر الأقطار ١٩٦، ١٩٧ ومعجم البلدان ٢/ ٢٨٢.

(٣) دمياط مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بحر الروم المالح والنيل. انظر معجم البلدان ٢٠/ ٤٧٢.

والى القاهرة، وأقامه من مجلس حكمه، وأخرجه من داره، وأركبه حمارا إلى القلعة. وسبب ذلك أنه لما قبض على غرلو تقدم يوسف هذا وأمسك سيفه، وقطعه من وسطه، فكافأه غرلو على ذلك. وقبض غرلو معه على ابن أخيه والى الجيزة، فما زالا يحملان المال حتى بلغ حملها خمسين ألف درهم، سوى عدد سلاح وغير ذلك، فأفرج عنهما بعد أيام، وبعد شفاعة جماعة من الأمراء.

وفيه كتب بنقل الأمير يلبغا اليحياوى من نيابة حلب إلى نيابة دمشق، فدخلها يوم السبت ثانى عشر جمادى الأولى، وباشر نيابتها.

وفيه رسم السلطان الكامل شعبان بعرض أحوال الدولة للنظر فى تدبيرها فترك ما استجد من المصروف فى العمائر بالقلعة والقاهرة، ورسم أن تسلم الأغنام التى استجدها أخوه الملك الصالح لجماعة المتعاملين فى اللحم وبتثمينها عليهم، فكانت عدتها تسعة عشر ألف رأس ونيف؛ وضبط السلطان أحوال المملكة.

وفيه رسم بسفر الأمير طرنطاى البشمقدار نائبا بحمص، وأنعم بتقدمته على بيبغا ططر.

وفيه أنعم بإقطاع الأمير أرقطاى المستقر فى نيابة حلب على أرغون شاه، وخلع عليه، واستقر أستادار عوضا عن قمارى المستقر فى نيابة طرابلس.

وفيه أخرج أحمد شاد الشراب خاناه هو وإخوته إلى صفد، من أجل أنهم كانوا ممن قام مع الأمير الحاج آل ملك النائب وقمارى الأستادار فى منع شعبان من السلطنة.

وفيه خلع على علم الدين عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن زنبور، واستقر فى نظر الخاص عوضا عن الموفق عبد الله بن إبراهيم وخلع على كاتبه فخر الدين بن السعيد، واستقر عوضه فى استيفاء الصحبة؛ وعنى الأمير أرغون العلائى بالموفق حتى ترك بغير مصادرة.

وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحى من الشام بالمال الذى فرق على العرب، وبسبب حمل الغلال إلى مكة، وهو مبلغ مائتى ألف درهم.

وفيه رسم بعزل تقى الدين سليمان بن على بن عبد الرحيم بن سالم بن مراجل من نظر درهم، واستقر عوضه بهاء الدين بن أبو بكر بن شكر.

وفيه قدم الأمير آقسنقر الناصرى من طرابلس، وخلع عليه؛ وسئل نيابة السلطنة بديار مصر، فامتنع أشد الامتناع، وحلف أيمانًا مغلظة ألا يليها.

وفيه خطب السلطان الكامل شعبان ابنة الأمير بكتمر الساقى، فامتنعت أمها من إجابته، واحتجت عليه بأن أختها تحته، ولا يجمع بين أختين، وأنه بتقدير أن يفارقها، فإنه شغف باتفاق حظية أخيه الصالح إسماعيل شغفًا زائدًا. ثم قالت أمها: «ومع ذلك فقد تغير حال المخطوبة من شدة الحزن، فإن أول من أعرس عليها آنوك بن السلطان الناصر محمد، فمات عنها وهى بكر لم يمسها؛ فتزوجها بعده أخوه السلطان المنصور أبو بكر، وقُتل؛ ثم تزوجها بعد المنصور أبو بكر أخوه السلطان الملك الصالح إسماعيل، ومات عنها أيضًا؛ فحصل لها حزن شديد من كونه تغير عليها عدة أزوج فى مدة يسيرة». فلم يلتفت السلطان الكامل شعبان إلى هذه الكلام، وطلق أختها، وأخرج جميع ما كان لها فى ليلته، ثم عقد عليها ودخل بها.

وفيه كتب بالإفراج عن أحمد بن مهنا، وعن أبن أخيه سليمان من قلعة دمشق.

وفيه أنعم السلطان على ابن طشتمر حمص أخضر بتقدمة ألف، وعلى ابن أصلم بإمرية طبلخاناه.

وفى مستهل جمادى الأولى: خلع السلطان الكامل شعبان على الأمراء المقدمين والطبلخاناه، وأنعم على ستين مملوك بستين قباء بطرز زركش وستين حياصة ذهب؛ وفرق الخيول على الأمراء برسم الميدان.

وفيه قدم أحمد بن مهنا وابن أخيه، فخلع عليهما، وأعيد أحمد إلى إمرية العرب فقدم حاجب سيف بن فضل يخبر بأنه وصل إلى غزة بقوده؛ فكتب بقدومه سريعا، فقدم ومعه مائة فرس مثمنة سوى الهجن وغيرها. فخلع عليه، ولم ينعم له بالإمرية، ولا أنصف فى أثمان خيوله.

وفيه رسم السلطان الكامل شعبان أن يتوفر إقطاع النيابة للخاص.

وفيه خلع السلطان على الأمير بيغرا، واستقر حاجبًا كبيرًا ليحكم بين الناس. ورسم له السلطان أن يجلس بين يديه موقعين لكتابة الكتب للولاة، وهما رضى الدين بن الموصلى وابن عبد الظاهر.

وفيه قبض على جمال الدين يوسف والى القاهرة، وعلى أبن أخيه ونائبه حمود، بسعَاية غرلو شاد الدواوين. وكشف غرلو رءوسهم، وضرب حمودًا بالمقارع ضربًا مبرحًا، فوعد بأن يحضر له مالا قد دفنه بالجيزة، فسيره صحبة أعوانه ليأتيه بالمال فلما ركب حمود النيل وتوسطه، وألقى بنفسه فيه، فغرق. فرسم بالإفراج عن جمال الدين وابن أخيه، بعناية الأمراء به.

وفى يوم السبت: نزل السلطان إلى الميدان على العادة فى كل سنة، فكان يومًا مشهودًا.

وفيه خلع السلطان على الشريف عجلان(١) بن رميثة بن أبى نمى الحسنى، واستقر أمير مكه.

وفيه عاد السلطان من آخر النهار على العادة إلى القلعة.

واستدعى السلطان فى يوم الإثنين غرلو شاد الدواوين، بحضرة الأمراء والوزير، ورسم له أن يرتب بلاد الخاص، ويخرج من إقطاع النيابة وغيره بلاد المماليك السلطانية أرباب الجوامك الكبار، لتتوافر جوامكهم. فأفردت خمس نواح أقطعت لمائة مملوك، وطلبوا حتى فرقت عليهم المثالات، فردوها من الغد على السلطان، وقد وقفوا جميعًا. فاشتد غضبه، وطلب الطواشى المقدم وأهانه، ورسم له بضربهم وطردهم؛ فما زال به الأمراء حتى رُسم أن الطواشى يضرب منهم جماعة، وأن يفرق النواحى على ثمانين منهم، وأنعم على العشرين بإقطاعات أخر. فأقاموا مدة على الامتناع جتى ضرب منهم جماعة كثيرة، وأنزلوا من القلعة إلى القاهرة، وقطع جميع راتبهم من لحم وغيره.

ورفع غرلو على الحاج على الطباخ المعروف بإخوان سلار أنه يأكل كثيرًا مما فى المطبخ السلطانى، وأن له فى كل يوم على المسلمين خمسمائة درهم، ولولده أحمد ثلاثمائة درهم، سوى الأطعمة وغيرها. فرسم السلطان للأمير أرغون شاه أستادار بمصادرته، فأوقع الحوطة على موجوده، وأهانه. وكان المذكور قد خدم السلطان الناصر محمد(٢) فى الكرك، فلما عاد إلى السلطنة أقامه إخوان سلار، وسلم له المطبخ؛ فنال سعادة جليلة، لاسيما فى المهمات والأفراح التى كان السلطان الناصر محمد يعملها لأولاده ومماليكه وحواشيه، طول تلك المدة. فكان أقل ما يحصل له فى كل مهم ما ينيف على عشرة آلاف درهم، مع كثرت تلك المهمات. ولما عمل مهم ابن

---

(١) عجلان بن رميثة بن أبى نمى: شريف الحسنى من أمراء مكة مولده وفاته فيها نزل له أبوه عن إمارتها فى أواخر حياته [٧٤٥ هـ] وبعد وفاة أبيه سنة ٧٤٦هـ. انظر الجداول المرضية ١٤٦ - والدرر الكامنة ٢: ٤٥٣ وخلاصة الكلام ١٣ والأعلام ٤/ ٢١٦.

(٢) الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى، أبو الفتح من كبار ملوك الدولة القلاوونية. له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ وهو صبى وخلع منها لحداثته ٦٩٤هـ فأرسل إلى الكرك وأعيد للسلطنة بمصر ٦٩٨هـ. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٤٤ وفوات الوفيات ٢/ ٢٦٣ وابن إياس ١/ ١٢٩ والدرر الكامنة ٤/ ١٤٤ والنجوم الزاهرة ٨/ ٤١، ١١٥ والأعلام ٧/ ١١.

بكتمر الساقى على بنت تنكز نائب الشام، طلب السلطان الناصر محمد الحاج على هـذا فى آخر المهم، وقال له: «يا حاج على! رح الساعة اعمل لى خروف رميس[1] فى لـون كذا»، فولى عنه وهو متنكر قد عبـس وجهـه. فصـاح بـه السـلطان ليرجع، وقـال لـه: «مالك معبس الوجه؟» فقـال: «كيـف مـا أعبـس وقـد أحرمتنـى السـاعة عشـرين ألـف درهم؟» قال: «كيف أحرمتك؟» قال: «عندى رءوس وأكارع وكروش وأعضاد، وكـل ما سرقته من هذا المهم، أريـد أن أقعـد أبيعـه. فقلـت لى: رح اطبـخ، فيتلفـوا الجميـع». فتبسم له السلطان، وقـال: «لا رح اطبـخ، وضمـانهم علـى». فلمـا ذهـب الحـاج علـى طَلَب السلطان والى مصر ووالى القاهرة، وأمرهمـا بطلـب الزفوريـة إلى القلعـة، وتفرقـة تلك الأسقاط فيهم، فبلغ ثمنها ثلاثة وعشرين ألف درهم. فهذا أعزك الله متحصل مهـم واحد من آلاف، سوى ما له فى كل يوم من جهة المطبـخ، وهـو خمسـمائة درهـم، فـى مدة بضع وثلاثين سنة؛ كم أراد النشو أن يتمكن منه، والسلطان الناصر محمد يمنعه.

ولما قبض عليه وجد له خمسة وعشرون ملكا؛ فـأخذت أم السـلطان داره التـى علـى البحر، وكانت من الدور العظيمة، وأخـذت اتفـاق داره التـى بالمحموديـة مـن القـاهرة. وإليه ينسب جامع الطباخ، على بركة السقاف بخط بـاب اللوق؛ فتعطـل الجـامع أيامًـا مدة القبض عليه، فإنه كان يقوم به من غير أن يفرد لـه وقفًـا. وأخـذت أملاكـه كلهـا؛ وضرب ابنه أحمد، وألزم ببيع موجوده، وحَمَل وهو وأبوه ماهم إلى بيت المال، ثم شـفع فيه الأمير ملكتمر الحجازى، فأفرج عنه ولزم بيته بطالا.

وفى هذا الشهر صـودر جماعـة مـن أهـل قـوص اتهمـوا بـأنهم وجـدوا خبيـة مـال، وأخذت أملاكهم وغيرهـا. وصـودر الجماعـة الذيـن كتبـوا فـى محضـر وفـاة السـلطان المنصور أبى بكر أنه مات بقضاء الله وقدره، وأخذ جميع موجودهـم؛ فـأقروا أن المحضـر زور، وأنهم أكرهوا حتى كتبوا ما لم يعاينوه.

وفيه وشى بابنة الملك المظفـر بيـبرس الجاشـنكير أن فـى دارهـا بالقـاهرة خَبِيّـة مـال، فحفر فيها نحو قامة، فلم يوجد شىء.

وفى يوم السبت خامس عشريه: قـدم الأمـير طقزدمـر مـن دمشـق فـى محفـة وهـو مريض، بعدما خرج الأمير أرغون العلائـى إلى القائـه، فوجـده غـير واعٍ؛ ودخـل عليـه الأمراء وهو قد أشفى على الموت. ولما دخـل طقزدمـر القـاهرة علـى تلـك الحـال أخـذ

---

(١) رميس: لفظ رميس اسم للواحد من صغار الغنم، غير أن هـذا اللفـظ هنـا صفـة وليـس اسمًـا ويستعمله أهل العراق حتى العصر الحاضر صفة الدلالة على خروف مشوى بأكمله.

أولاده فى تجهيز تقدمة جليلة للسلطان، تشتمل على خيول وتحف وجواهر؛ فقبلها السلطان، ووعدهم بخير.

وفيه أنعم السلطان الكامل شعبان على الأمير أرغون الصالحى بتقدمة ألف، ورسم أن يقال له أرغون الكاملى، ووهب له فى أسبوع واحد ثلاثمائة ألف درهم وعشرة آلاف أردب من الأهراء. ورسم له بدر شاد الشرابخاناه، وأن يعمر له من مال السلطان بجواره قصر على بركة الفيل، ويطل على الشارع؛ وأقام السلطان الأمير آقْجُبَا شاد العمائر على عمارته.

وفى هذا الشهر: شرع الأمير غرلو شاد الدواوين يستخدم الولاة والكتاب على مال يحمل لبيت المال، فلم يل أحد بعد ذلك إلا بمال. واستجد غرلو أيضا مالا فى المقايضات والنزولات عن الإقطاعات، يحمل لبيت المال. وجعل على عبرة الدينار دينارًا، فإذا كان الإقطاع عبرة مائة دينار حمل عنه لبيت المال مائة دينار؛ و لم يلتفت السلطان لقول الأمراء، وأجابهم بأن هذا كان يأخذه ديوان الجيش.

وفى يوم الخميس مستهل جمادى الآخر: ركب السلطان إلى السرحة بسرياقوس، ومعه حريمه. فنصبت لهن الخيم فى البساتين، وأخليت المناظر التى للأمراء حتى نزل أكثرهن بها.

وفى يوم الجمعه: قدم أولاد الأمير طقزدمر إلى سرياقوس بخبر وفاة أبيهم، فلم يمكن السلطان الأمراء من العود إلى القاهرة للصلاة عليه؛ فدفن بخانكاته بالقرافة. وأخذت خيله وجماله وهجنه إلى الإصطبل السلطانى، وقيدت إلى سرياقوس على العادة. ورسم السلطان أن تعمل أوراق بمتوفر إقطاع طقزدمر وما عليه من حقوق القنود، وسائر ما سومح به مما عليه للديوان فى حياته من جميع الأصناف؛ فلم تزل أولاده تقدم التقادم الجليلة حتى وعدوا بتقدمة سلطانية.

وفيه خلع على الأمير رسلان بصل، واستقر حاجبًا ثانيا مع بيغرا؛ ورسم له أن يحكم بين الناس.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقر فى نيابة الكرك؛ وأنعم بإقطاعه على الأمير طشتمر طلليه، وأنعم بإقطاع طشتمر على الأمير قبلاى.

وفيه طلب السلطان العربان الذين اتهموا بقتل ابن الردينى، وأخذ منهم مائة ألف درهم مصادرة.

وفيه مات الأشرف كجك، عن اثنتى عشرة سنة. واتهم السلطان أنه بعث من سرياقوس من قتله فى مضجعه، على يد أربعة خدام طواشية.

وفيه قدم طُلب الأمير آقسنقر طرابلس، فسار السلطان من سرياقوس حتى لقيه على بلبيس[١]، ومنع الخدام أن تُعَرَّف زوجته أم كجك بوفاته. واختار الأمير آقسنقر من طلبه عدة خيول وجمال بخاتى وهجن، وقدمها للسلطان مع جواهر سنية وتحف بديعة؛ فخلع عليه السلطان، وأنعم على ولد ابن أخيه بطبلخاناه أبيه، وعمره أربع سنين.

وفيه عاد السلطان من سرياقوس إلى القلعة، بعدما تهتكت المماليك السلطانية بشرب الخمر والإعلان بالفواحش، وركبوا فى الليل وقطعوا الطريق على المسافرين، واغتصبوا حريم الناس، وصارت سرياقوس حانة.

وفيه عزل تاج الدين ابن الصاحب أمين الدين بن الغنام، من نظر البيوت. وذلك أنه علم باجتهاد السلطان فى تحصيل المال فضبط البيوت، ووفر فيها عشرين ألف درهم، وأعلم السلطان بها من غير علم أرغون شاه الأستادار. فتنكر عليه أرغون شاه فضربه، فسعى عليه أفلاطون كاتب سنجر الجمقدار عند غرلو بألفى دينار، فولاه عوضه، وولى أيضًا ابن وجه الطوبة نظر الأوقاف الصالحية إسماعيل، بعدما حمل لبيت المال خمسمائة دينار.

وفيه طولب الموفق عبد الله بن إبراهيم بحمل مائة ألف درهم. وسبب ذلك أنه عثر على أنه باع من أراضى الخاص إلى طغيتمر الدوادار بمائة ألف درهم، فباعها طغيتمر لابن زعازع بالبهنساوية؛ وألزم كل من طغيتمر وابن زعازع أيضًا بحمل مائة ألف درهم. وفيه عقد لابنة بكتمر مطلقة السلطان شعبان على أرغون شاه أستادار، وعقد لزوجة أرغون شاه ابنة آقبغا - وقد بانت منه من مدة - على بيبغا روس.

وفيه رسم بإبطال المقايضات والنزولات عن الإقطاعات، بقيام الأمراء فى ذلك مع السلطان، لكثرة ما فيه من المفاسد. وكتب إلى البلاد الشامية أنْ مَن مات من الأجناد أو أرباب المراتب يطالع بوفاته، ليخرج السلطان إقطاعه أو مرتبه، فامتثل ذلك.

وفيه ألزم من بيده رزقه من أرض مصر، أو أرض استأجرها، أن يقوم عن كل فدان بمائة وخمسين درهما. فأخذ من ذلك مال كثير، قام غرلو باستخراجه. فازدادت مكانته عند السلطان، وعظم قدره بين الناس، وانتمى إليه جماعة، وصاروا يغرونه بأرباب

---

(١) بلبيس مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر ياقوت معجم البلدان ٢/ ٤٧٩.

الأموال، ويفتحون له أبواب المظالم. واستدعى غرلو طغيتمر متولى البهنسى، وألزمه بحمل أربعمائة ألف درهم، وأخرق به.

وقدم جمال الدين سليمان بن ريان من حلب، وبذل فى نظر الجيش بها ألف دينار حملت إلى بيت المال، ووعد بمائتى إكديش. فخلع عليه، وتوجه معه بريد لإحضار الخيل.

وفيه رسم بقطع جميع ما هو مرتب على الحوائج خاناه من التوابل للأمراء والكتاب وغيرهم. وطُلب عدة من مباشرى الوجه القبلى والوجه البحرى، سلموا إلى غرلو فصادرهم.

وفيه قدم البريد من حلب بوقوع الحرب بين الشيخ حسن صاحب بغداد وبين سلطان شاه وأولاد دمرداش، انتصر فيها الشيخ حسن. والتجأ سلطان شاه إلى ماردين، فحصره الشيخ حسن بها أياما، وأفسد ضياعها، ثم سار عنها بغير طائل.

وفيه هم السلطان أن ينعم على غرلو بإمرة مائة، وتولية الوزارة ونيابة دار العدل؛ فلم يوافقه الأمير أرغون العلائى على ذلك، وأبطل أمره.

وفيه عمل السلطان داير بيت حرير مزركش، عمل فيه مبلغ أربعين ألف دينار وعمل أيضًا لحريمه عشرين بغلوطاق صدر، فى كل بغلوطاق ألف دينار زركش.

وفى عشرى رجب: خلع على فخر الدين بن السعيد، واستقر فى نظر الخاص، عوضا عن علم الدين بن زنبور. وخلع على ابن زنبور، واستقر كما كان فى استيفاء الصحبة؛ فكانت مدة مباشرة ابن زنبور نظر الخاص نيفا وثمانين يوما.

وفيه عزم على إنشاء مدرسة موضع خان الزكاة، ونزل الأمير أرغون العلائى والوزير لنظره. وكان الناصر محمد قد وقفه، فلم يوافق القضاة على حله.

وفى مستهل شعبان: استقر تاج الدين محمد بن المزين خضر بن عبد الرحمن فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن بدر الدين محمد بن فضل الله.

وفيه كان عرس السلطان على بنت طقزدمر، وعمل لها مهمًّا مدة سبعة أيام بلياليها، اجتمع فيه نساء الأمراء جميعًا. وكانت فيه عدة جوق مغانى، حصل لهن من الذهب والفضة وتفاصيل الحرير شىء يجل وصفه؛ وبلغ نصيب ضامنة المغانى بمفردها ثمانين ألف درهم، سوى بقية المغانى.

وفيه استقر تقى الدين سليمان بن مراجل ناظر دمشق، عوضا عن بهاء الدين أبى بكر ابن سكرة، بعد موته. وكان ذلك بعناية الأمير أرغون العلائى، فإنه كان بعد عزله من نظر الدولة ولاه نظر الخاص بدمشق، ثم انتقض أمره.

وفى مستهل شهر رمضان: خلع على قشتمر والى الجيزة، واستقر شاد الدواوين رفيقا للأمير غرلو.

وفيه خلع على نجم الدين داود بن أبى بكر بن محمد بن الزبيق، بولاية الجيزة.

وفيه استقر الشيخ شمس الدين محمد بن اللبان فى تدريس المدرسة الناصرية، بجوار قبة الشافعى بالقرافة، عوضا عن ضياء الدين محمد بن إبراهيم المناوى، بعد وفاته. وكان ذلك بعناية الأمير جنكلى بن البابا، والأمير آقسنقر، بعدما استقر فيه تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى بسفارة قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة فنزل ابن اللبان ودرَّس، ومعه الأمير أرغون الكاملى وعدة أمراء، وجماعة القضاة والفقهاء. وكان ناصر الدين فاز السقوف محتسب مصر مقيما بقاعة التدريس، فأخرجه ابن اللبان منها، وطالبه بأجرتها مدة سكنه. فرتب ناصر الدين على ابن اللبان فتيا نسبه فيها إلى قوادح، وأراد الدعوى عليه، فلم يتمكن من ذلك.

وفيه قدم الشريف من مكة يريد أن يستقر شريكا لأخيه عجلان فى إمرة مكه. وأحضر ثقبة قودا فيه عدة خيول، فوعد بخير.

وفيه قدمت رسل خليل بن دلغادر بتقدمته وكتابه، وقد عاد إلى الطاعة بحسن سياسة الأمير أرقطاى نائب حلب؛ فخلع على رسله، وجهز له تشريف.

وفيه أخذت أم السلطان من أولاد الأمير طقزدمر خمسمائة فدان بناحية بوتيج ودولابها.

وفيه قدمت الحرة من بلاد الغرب بهدية سنية تريد الحج، فرسم بتجهيزها.

وفيه أخذ السلطان من وزير بغداد دولابين، جعلهما باسم اتفاق، وعوضه عنهما ما ابتاعهما به، وهو مبلغ ثمانية وعشرين ألف درهم. وتبرع وزير بغداد للسلطان بما أنفقه عليهما، وهو مائة ألف درهم.

وفيه قدم الخبر من حلب بوقعة كانت بين ابن دلغادر وبين أمير يقال له طرفوش، أقامه الأمير يلبغا اليحياوى ضدًّا لابن دلغادر، وأغراه به ووعده بإمرته على التركمان واقتتل طرفوش وابن دلغادر، فانتصر ابن دلغادر بعد عدة وقائع قتل فيها من الفريقين

خلائق. فلما قدم الأمير أرقطاى إلى حلب تلطف بابن دلغادر حتى أعاده إلى الطاعة، وما زال يجهد حتى أصلح بينه وبين طرفوش.

ثم التفت الأمير أرقطاى إلى جهة الأمير فياض بن مهنا، وقد كثر عبثه وفساده وأخذه قفول التجار. وبذل الأمير أرقطاى جهده حتى قدم عليه فياض بن مهنا بظاهر حلب فتلقاه وأنزله، وبالغ فى إكرامه، وأخذ عليه العهود والمواثيق بالإقامة على الطاعة، ثم جهزه إلى بلاده. وكتب الأمير أرقطاى بذلك إلى السلطان، فسر به سرورا زائدا، فإنه كان فى قلق من أخبار فياض، وعلى عزم أن يجرد العسكر إليه ويُورِى بقصد سيس. وأخذ فياض فى تجهيز القود إلى السلطان، وسَيَّره، فقدم وفيه سبعون فرسًا قامت عليه بألف ألف درهم، وخمسون هجينا وعشر مهريات، وعِبِّى وغير ذلك. ثم قدم فياض عقيب قوده، فأكرمه السلطان وأحسن إليه، وأنزله.

وفى هذا الشهر: أمسكت امرأة حرامية من حمام الأيدمرى، فى يوم السبت سابع عشريه. فضربها الأمير نجم الدين أيوب أستادار الأكر وَوَالى القاهرة بالمقارع على ساقيها، ثم قطع يدها فى باب زويلة.

وفى مستهل شوال: رُسم للأمير أرغون الكاملى بزيارة القدس، وأنعم عليه بمائة ألف درهم. وكتب إلى نواب الشام بالركوب إلى خدمته، وحمل التقادم له، وتجهيز الإقامات فى المنازل إلى حين عوده. ورسم أن يُنادى بمدينة بلبيس وأعمالها أنه من قال عنه أرغون الصغير شُنِق، وألا يقال إلا أرغون الكاملى. فشهر النداء بذلك فى الأعمال الشرقية، فامتثل الناس ذلك؛ وتوجه الأمير علاء الدين على بن ملغريل فى خدمته.

وفيه ركب حريم السلطان إلى ناحية الجيزة[1] للنزهة، وصحبتهم الأمير آقسنقر. فأقام بهم حتى خرج محمل الحاج صحبة مغلطاى أمير شكار، ثم عادوا.

وحج فى هذه السنة عدة من نساء الأمراء، وبالغن فى زينة محفاتهن ومحايرهن وألبسوا جمالهن الحرير والقلائد المرصعة والمقاود الحرير المزركشه، وفى أيدهن خلاخل الذهب، وعليهن العبى الحرير والأجلة الزركش، حتى خرجن فى ذلك عن الحد. وتفاخرن فيما أبدعن، وتناظرن، وصارت كل واحدة تريد أن تفوق على صاحبتها،

---

(١) الجيزة بليدة فى غربى الفسطاط مصر قبالتها ولها كوة كبيرة وواسعة اختطها بمصر عمرو بن العاص فى زمن عمر بن الخطاب، والجيزة قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٨٣، وصبح الأعشى ٣/ ٣٩٢، وخطط المقريزى ١/ ٢٠٥ ومعجم البلدان ٢/ ٢٠٠.

وتشبه بهن غيرهن من النساء. و لم يعهد أن عمل مثل هذا ولا قريب منه فيما تقدم، فإنهن خلعن على الهجانة والسقائين الأقبية الطرد وحش. فأنكر فعلهن الناس، وذكره قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة فى خطبة العيد بالقلعة وصرح بالإنكار، وصدع بالوعظ.

وفيه قدم تقى الدين سليمان بن مراجل من دمشق، وابن قرناص من حلب فبَذَل ابن قرناص فى نظر حلب نحو ألفى دينار حتى رسم له به، عوضا عن ابن الموصلى. فبعث ابن الموصلى ابنه بهدية سنية فيها جوارى حسان، وزوج بسط حرير؛ فقام غُرْلُو معه وأوصله بالسلطان، فقبل هديته، وبسط الحرير بالدهيشة، وأقر ابن الموصلى على حاله؛ فكانت مدة ابن قرناص عشرين يوما بألفى دينار.

وقام الأمير أرغون العلائى فى حق ابن مراجل حتى خلع عليه، واستقر فى نظر الدولة، وأجلسه السلطان بين يديه، وغُرْلُو قائم على قدميه. فتفاوضا فى الكلام، بحيث قال الأمير أرغون العلائى لغرلو: «أنت شاد بعصاتك، إذا عينتُ لك سالا للسلطان تستخرجه» وانصرفا من المجلس، وكل منهما يترفع على الآخر.

فاشتد ابن مراجل على الكتاب، وألزمهم بعمل الحساب، ورسم عليهم؛ وكتب بطلب مباشر الشام. فلما كان بعد ثلاثة أيام تكاشف هو غرلو، وترافعا إلى السلطان؛ فأخرق السلطان بغرلو، وألزمه أن يمتثل ما يرسم له به ابن مراجل، ولا يتعداه.

وفيه قدم من دمشق علاء الدين الفرع وتوصل إلى السلطان، وقدم له تقديمة جليلة، وسأله فى قضاء دمشق، عوضا عن تقى الدين السبكى؛ فرسم له به، فقام الأمير جنكلى ابن البابا مع السلطان فى استقرار السبكى على عادته حتى أجابه، وعُوِّق توقيع الفرع، وعُوّض عن تقدمته الأوقاف بدمشق.

وفيه قدم الخبر بأن قاصد نائب حلب توجه إلى سيس[١] بطلب الحمل، وقد كان تكفور كتب فى الأيام الصالحية بأن بلاده خربت، فسومح بنصف الخراج. فلما وصل إليه قاصد نائب حلب جهز الحمل، وحضر كبير دولته ليحلفوه أنه ما بقى أسير من المسلمين فى مملكته، كما جرت العادة فى كل سنة بتحليفه على ذلك. وكان فى أيديهم عدة من المسلمين أسرى، فبيت مع أصحابه قتلهم فى الليلة التى تكون حلفه فى صحبيتها، فقتل كل أحد أسيره فى أول الليل. فما هو إلا أن مضى ثلثا الليل خرجت

(١) سيس أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر ياقوت، معجم البلدان ٢٩٧/٣.

فى الثلث الأخير من تلك الليلة ريح سوداء، معها رعد وبرق أرعب القلوب. وكان من جملة الأسرى عجوز من أهل حلب فى أسر المنجنيقى، ذبحها عند المنجنيق، وهى تقول: «اللهم خذ الحق منهم» فقام المنجنيقى يشرب الخمر مع أهله بعد ذبحها، حتى غلبهم السكر وغابوا عن حسهم. فسقطت الشمعة وأحرقت ما حولها، حتى هبَّت الريح تطاير شرر مَا احترق من البيت حتى اشتعل بما فيه، وتعلقت النيران مما حوله حتى بلغت موضع تكفور، ففر بنفسه. واستمرت النار مدة اثنى عشر يوما، فاحترق أكثر القلعة؛ وتلف المنجنيق كله بالنار، وكان هو حصن سيس، ولم يعمل مثله. واحترق المنجنيقى وأولاده الستة وزوجته، واثنى عشر رجلا من أقاربه. وخربت سيس، وهدم سورها ومساكنها، وهلك كثير من أهلها، وعجز تكفور عن بنائها.

وفيه نافقت العربان بالوجه القبلى والفيوم،وكثرت حروبهم وقطعهم الطرقات؛ فلم يمكن خروج العسكر إليهم، فإنه كان أوان المغل، خوفا عليه.

وفى مستهل ذى القعدة: قدم علاء الدين الحرانى من دمشق باستدعاء، وخلع عليه بنظر الشام. وفيه قدم الخبر بأنه ثارث ريح زرقاء شديدة فى بلاد برقة، وأعقبها مطر عظيم جدا يوما كاملا. ثم نزل بَرَد قدر بيض الحمام بجوف وبعضه مثقوب من وسطه. وتمادى حتى وصل إلى الإسكندرية والبحيرة والغربية والمنوفية والشرقية، وأفسد من الدور والزروع شيئًا كثيرًا سيما الفول، فإنه تلف عن آخره؛ ونزلت صاعقة فأحرقت نخلة فى دار.

وقدم الخبر أن الأمير أرغون الكاملى لعب بالكرة فى ميدان غزة[1] وتوجه بعد أيام إلى القدس. فقدم عليه نائب الشام بتقدمته، ثم تواردت تقادم النواب من حلب إلى غزة ثم خرج الأمير أرغون الكاملى من القدس، فكتب بسرعة قدومه، فلما وصل قطيا خرج السلطان إلى لقائه بسرياقوس، ولعب معه فى الميدان بالكرة، وقد سر بقدومه؛ ثم سار به السلطان إلى القلعة.

وفيه خلع على الأمير قبلاى، واستقر فى نيابة الكرك، عوضا عن ملكتمر السرجوانى لشدة مرضه؛ وكتب بإحضاره.

---

(١) غزة: موضع بديار جذام من مشارف الشام على ساحل البجر وبها قبر هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر يرثبه:

ميت بردمان وميت بسلـ ... مان وميت عند غزات

انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٢٨، ومعجم البلدان ٤/ ٢٠٢.

وفيه كثر لعب الناس بالحمام، وكثر جرى السعاة، وتظاهر أرباب الملعوب بفنون لعبهم. وتزايد شلاق[١] الزعر، وسلط عبيد الخدام الطواشية وغلمانهم وعبيد الكتاب على الناس، وصاروا كل يوم يقفون للضراب، فتسفك بينهم دماء كثيرة، وتنهب الحوانيت بالصليبية خارج القاهرة وإذا ركب إليهم والى القاهرة لا يعبئون به، فإن قبض على أحد منهم أخذ من يده سريعًا؛ فاشتد قلق الناس من ذلك، ولم يجسر أحد ينكر شيئًا من هذا.

وفيه أعرس بعض الطواشية ببعض سرارى السلطان بعد عقده عليها، فعمل له السلطان مهما حضره جميع جوارى بيت السلطان. وجلبت العروس على الطواشى، ونثر السلطان عليها وقت الجلا الذهب بيده؛ فكان أمرا شنيعا.

وفى مستهل ذى الحجة: قدم البريد من دمشق بوفاة الأمير ألماس الحاجب، وعلاء الدين بن سعيد فكتب باستقرار الأمير بدر الدين أمير مسعود بن خطير حاجبا عوضا عن ألماس، وأنعم على مملوك ابن سعيد بطبلخاناه، بعد بذل نحو ستة آلاف دينار.

وفيه اشتهر أخذ البراطيل للسلطان، فقصده كل أحد لطلب الإقطاعات والرزق والرواتب.

وفيه قدم ابن سالم قاضى القدس، وقد عزله السبكى وأثبت عليه محصرا أنه باع أيتاما من يتامى المسلمين الأحرار للنصارى. وما زال ابن سالم يسعى بالخدام حتى كتب له توقيع بقضاء القدس، على ألف وخمسمائة دينار حملها للسلطان، ومثلها لمن سعى له.

وفيه كثرت الإشاعة باتفاق الحاج الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير يلبغا نائب الشام على المخامرة؛ فجهز الأمير الحاج آل ملك محضرا ثابتا على قاضى صفد بالبراءة مما رمى به، فأنكر السلطان عليه هذا. وجهز منجك السلاح دار للكشف عما ذكره فاتفق قدوم بعض مماليك الأمير الحاج آل ملك فارا منه، خوفا أن يضربه على شربه الخمر، وذكر عنه للسلطان أنه يريد التوجه إلى بلاد العدو. فزاد هذا السلطان كراهة فيه، وأخرج منجك على البريد إليه. فلما قدم عليه حلف أنه برىء مما قيل عنه وأنعم على منجك بألفى دينار سوى الخيل والقماش.

وفيه نودى بالقاهرة ومصر ألاّ يعارض أحد من لعاب الحمام وأرباب الملاعيب والسعاة، فتزايد الفساد وشنع الحال.

---

(١) شلقه: شلقا ضربه بالسوط أو نحوه وشلق الأذن أو الأنف: خرقه طولاً. انظر المعجم الوسيط. وهنا معناه الزعر الذى تسببه هذه الجماعة.

وفيه ركب الأمير طقتمر الصلاحى البريد، ليوقع الحوطة على جميع أرباب المعاملات وأصحاب الرزق والرواتب بالبلاد الشامية من الفرات إلى غزة، وألا يصرف لأحد منهم شيئًا، وأن يستخرج منهم ومن الأوقاف وأرباب الجوامك ألف ألف درهم، برسم سفر السلطان للحجاز، ويشترى بذلك الجمال ونحوها، مما يحتاج إليه السلطان فى سفره فمنعت الرواتب من الفقراء وغيرهم لم يصرف لأحد منهم الدرهم الفرد؛ فكثر ابتهالهم وتضرعهم إلى الله تعالى فى الدعاء على من قطع أرزاقهم.

وفيه كتب بعد موت الأمير جنكلى بن البابا بقدوم الأمير الحاج آل ملك إلى القاهرة من صفد، ليستقر على إقطاع جنكلى؛ وتوجه إليه منجك لإحضاره.

وفى يوم السبت تاسع عشريه: أمسك الأمير أينبك أخو قمارى، ثم أفرج عنه من يومه.

وفيه استقر نجم الدين إبراهيم بن العماد على بن أحمد بن عبد الواحد الطرسوسى[1] فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن أبيه.

وفيه كتب باستقرار الأمير سيف الدين أراق الفتاح نائب غزة فى نيابة صفد، عوضا عن الأمير الحاج آل ملك.

ومات فيها من الأعيان فخر الدين أحمد بن الحسن بن الجار بردى[2]، شارح البيضاوى.

ومات الأمير ألماس الناصرى الحاجب، بدمشق.

ومات بهاء الدين أبو بكر بن موسى بن سكرة ناظر الدواوين بدمشق، فى عاشر شعبان بها، عن ستين سنة.

---

(١) إبراهيم بن على بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم الطرسوسى نجم الدين قاضى مصنف. ولد ومات فى دمشق وولى قضاءها بعد والده سنة ٧٤٦هـ وأفتى ودرس وألف كتبا منها «الإشارات فى ضبط المشكلات». انظر الدرر الكامنة ١: ٤٣ والنجوم الزاهرة ١: ٣٢٦ وسماه صاحب الجواهر المضية ١: ٨١ والكشاف لطلس ٢٣٥ ومخطوطات الرياض عن المدينة الختم الأول صـ ٣٤ والأعلام ١/ ٥١.

(٢) أحمد بن الحسن بن يوسف، فخر الدين الجاربردى فقيه شافعى اشتهر وتوفى فى تبريز له «شرح منهاج البيضاوى» و«أصول الفقه» و«شرح الحاوى الصغير» لم يكمل و«شرح شافية ابن الحاجب – ح» فى الأزهرية والدار وجامعة الرياض (٢٢٢) انظر البدر الطالع ١: ٤٧ والدرر الكامنة ١: ١٢٣ والخزانة التيمورية ١: ١٩٧ وطبقات الشافعية ٥: ١٦٩ وشذرات الذهب ٦: ١٤٨ وانفراد الشوكانى من البدر الطالع ١: ٤٧.

وتوفى الملك الأشرف كجك بن محمد بن قلاوون[١].

ومات الأمير طقزدمر الحموى، وأصله من مماليك المؤيد إسماعيل بن على[٢] صاحب حماة، بعثه للناصر محمد وهو شاب، فخظى عنه ورقاه حتى صار أمير مجلس، وزوجه بابنته. ثم ولى نيابة السلطنة فى أيام المنصور أبى بكر، وولى نيابة حلب ودمشق، ثم قدم إلى القاهرة، ومات بها مستهل جمادى الآخرة؛ وله تنسب خانكاه طقزدمر بالقرافة.

وتوفى بدر الدين محمد بن محيى الدين بن فضل الله العمرى الدمشقى كاتب السر، بدمشق فى سادس عشرى رجب.

وتوفى تاج الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى بكر الأردبيلى[٣] الشافعى، مدرس المدرسة الحسامية طرنطاى بالقرافة. وكان إماما فى الفقه والعربية والأصول، والجدول والحساب والمنطق؛ وقد اشتد صممه، وانتفع بالقراة عليه جماعة.

وتوفى القاضى ضياء الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن[٤] المناوى الشافعى، أحد نواب الحكم عند قاضى القضاة الشافعية، بالقاهرة فى يوم السبت سادس رمضان، وتجاوز تسعين سنة.

---

(١) كجك بن محمد بن قلاوون علاء الدين، الملك الأشرف ابن الملك الناصر من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام نصبه الأتابكى «قوصون» بعد أن قتل أخاه المنصور أبا بكر (سنة ٧٤٢ هـ). انظر ابن إياس ١/ ١٧٧ الدرر الكامنة ٣: ٢٦٥ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٢، ١٩٤ والنجوم الزاهرة ١/ ٢١، ١٢٢ والأعلام ٥/ ٢٢٠.

(٢) إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب: الملك المؤيد، صاحب حماة – مؤرخ جغرافى قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين واطلع على كتب كثيرة فى الفلسفة والطب وله «تقويم البلدان –ط». انظر الدرر الكامنة ١: ٣٧١ والبداية والنهاية ٤: ١٥٨ وفوات الوفيات ١: ١٦ روض المناظر وآداب اللغة ٣: ١٨٧ وطبقات السبكى ٦: ٨٤ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٣٨٦ والأعلام ١/ ٣١٩.

(٣) على بن عبد الله بن الحسين بن أبى بكر الأردبيلى التبريزى، أبو الحسن تاج الدين: باحث من علماء الشافعية ولد فى أردبيل (بأذربيجان) وسكن تبريز ورحل إلى بغداد فمكة حاجًا. أنظر الدرر الكامنة ٣: ٧٣ وعلماء بغداد ١٤٦ ومعجم الأطباء ٣٠٧ ودار الكتب ٢: ١٥٦ والأعلام ٤/ ٣٠٦.

(٤) محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد العزيز الجزرى الدمشقى قاضى من علماء الشافعية. مصرى، من أهل منية القائد بجيرة القاهرة ولى القضار الغربية عدة سنين وتاب فى الحكم بالقاهرة وتوفى بها و له «الواضح النية –ح» تسعة مجلدات. انظر طبقات الإسنوى ٢: ٤٦٦ والدرر الكامنة ٣: ٢٨٥ الترجمة ٧٥٠ وكشف ٤٩١ ودار الكتب ١: ٥٤٦ والأعلام ٥/ ٢٩٨.

ومات الأمير بيبرس الأحمدى أحد المماليك المنصورية البرجية، فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى المحرم، وهو فى عشر الثمانين. وكان جركسى الجنس، تنقل حتى صار من أمراء الألوف فى وظيفة أمير جاندار، ثم ولى نيابة صفد وطرابلس؛ وكان كريما شجاعا قوى النفس دينا، لم يركب قط فرسا إلا فحلا، ولم يركب حجرة قط.

ومات الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا العجلى، أتابك العساكر، فى يوم الإثنين سابع عشرى ذى الحجة. قدم القاهرة سنة ثلاث وسبعمائة، وتنقل حتى صار رأس الميمنة. وله حفدة كبيرة، ولم يُرَ أعف منه فى الأمراء، مع الصدق فى الديانة والحلم، والوقار وكثرة الصدقات. فكان يخرج كل سنة ثمانية آلاف أردب من القمح، ومبلغ ثمانين ألف درهم، فى وجوه البر، سِوَى زكاة ماله.

وتوفى تقى الدين محمد بن همام بن راجى الشافعى، إمام جامع الصالح خارج باب زويلة؛ وهو مصنف كتاب سلاح المؤمن وغيره.

وفيه ضربت عنق ششلم وعنق رفيقه، وفى يوم الإثنين عاشر رجب.

ومات الشريف رميثة بن أبى نمى بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة أمير مكة، يوم الجمعة ثامن ذى القعدة بمكة.

* * *

سنة سبع وأربعين وسبعمائة

يوم الإثنين أول المحرم: قدم منجك مدينة صفد، بكتاب السلطان يستدعى الأمير الحاج آل ملك، فسار معه إلى غزة، فقبض عليه بها وقيد. وقيل كان القبض عليه يوم الخميس عشرى ذى الحجة، بغزة.

وفى أوله أيضًا قدم الأمير ملكتمر السرجوانى من الكرك وهو مريض، فمات عند مسجد تبر ظاهر القاهرة؛ ودخل إليها ميتا، فدفن بتربته.

وفيه أيضًا قدم الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الحاج آل ملك من صفد؛ فأمسك من ساعته، وسجن.

وفيه أيضًا خلع علىالأمير أسندمر العمرى، واستقر فى نيابة طرابلس.

وفى يوم السبت سادسه: قدم الأمير الحاج آل ملك نائب صفد، والأمير قمارة نائب طرابلس، مقيدين إلى قليوب. وركبا النيل إلى الإسكندرية، واعتقلا بها. وكان الأمير طقتمر الصلاح قد قبض على قمارى بطرابلس، وقيده وبعثه على البريد، وأوقع الحوطة على موجوده.

وفيه قبض على آينبك أخى قمارى، وعلى نصرات وغلبك وحواشيهم، وأحيط بموجودهم.

وفيه ركب مغلطاى الأستادار إلى صفد لإيقاع الحوطة على موجود الأمير الحاج آل ملك، وركب الطواشى مقبل التقوى لإحضار موجود قمارى من طرابلس وألزم مباشروهما بحمل جميع أموالهما، فوجد لآل ملك قريب ثلاثين ألف أردب غلة وألزم ولده بمائة ألف درهم، وأخذ لزوجته خبية غُمِزَ عليها فيها أشياء جليلة وأخذ لزوجة قمارى صندوق فيه مال جزيل.

وفيه استقر الأمير رسلان بَصَل فى نيابة حماة عوضا عن طقتمر الصلاحى، ونقل طقتمر من نيابة حماة إلى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أرقطاى. وكتب بقدوم أرقطاى، وتوجه فى ذلك الأمير قطلوبغا الكركى، ومعه التقليد فأنعم عليه أرقطاى بمائة ألف درهم، وأنعم عليه طقتمر بألف وخمسمائة دينار، وعشرة آلاف درهم، ومائتى قطعة قماش، وعشرة أرؤس من الخيل، وخلعة السلطان، وخمسمائة أردب غلة من مصر، قيمتها مائة ألف درهم.

وفى عشريه: قدم الأمير أرقطاى من حلب، فخلع عليه، واستقر عوضا عن الأمير جنكلى بن البابا رأس الميمنة.

وفيه خلع السلطان على أرغون العلائى زوج أمه، واستقر فى نظر المارستان المنصورى، عوضا عن الأمير جنكلى بن البابا. فنزل إليه أرغون، وأعاد جماعة ممن قطعهم ابن الأطروش بعد موت الأمير جنكلى. وأنشأ أرغون بجوار باب المارستان سبيل ماء ومكتب سبيل لقراءة أيتام المسلمين القرآن الكريم، ووقف عليه وقفا بناحية من الضواحى.

وفيه أنعم السلطان على طغريل بتقدمة ألف، وعزل تقى الدين سليمان بن مراجل من نظر الدولة، وقد كرهه الناس.

وفيه خلع على الأمير نجم الدين محمود بن شروين وزير بغداد، وأعيد إلى الوزارة، وكانت شاغرة.

وفيه خلع على علم الدين عبد الله بن زنبور، واستقر فى نظر الدولة، عوضا عن ابن مراجل. وعزل جميع من ولاه ابن مراجل من الشاميين وغيرهم، وأهينوا، وألزموا بحمل ما أخذوا من المعاليم، ونزعت أخفافهم. وألزم ابن مراجل بحمل جميع ما استأداه من المعلوم، وبثمن الخلعة والبغلة والدواة، وقُومت عليه بأزيد قيمة؛ وأرادوا أهانته بكل طريق.

وفيه استقر ابن سهلول فى الاستيفاء، كما كان أولا. واستقر النشو بن ريشة مستوفيا.

وفيه قدم الأمير مغلطاى بما وجد للأمير الحاج آل ملك، وهو مبلغ خمسة وسبعون ألف درهم، وأربعة آلاف دينار.ووجد له أيضًا ثمن غلة مبتاعة بمكة نحو مائة ألف وثلاثين ألف أردب، ونحو عشرين ألف جلد حبشى. ووجد له عشرون فرسا، سوى ما أرصده للتقدمة، وعدتها سبعون فرسا، سوى الهجن والبخاتى، ونحو عشرين بقجة قماش. ووجد له أربعة عشر قطار بخاتى، أنعم بها على أربعة عشر خادما فشق ذلك على الأمراء.

وفيه قدم مقبل من طرابلس بجميع قماش نساء الأمير قمارى، وما وجده له، وفيه زنة سبعين مثقال من الجواهر، فرقه السلطان على اتفاق وغيرها، وفيه مبلغ أربعين ألف درهم، وثلاثة آلاف دينار، وزركش بنحو مائتى ألف درهم.

وفى مستهل صفر: قدم ابن زعازع من البهنسا، وسعى ببعض الكتاب حتى سلم إليه على مائة ألف درهم، فعاقبه حتى مات. فاتهم ابن زعازع بأنه أخذ له مالا كبيرًا، وخرج الأمير مغلطاى إلى البهنسا[1] وقبض عليه، وأخذ منه ألفى ألف ومائة وستين ألف درهم، ومائتى جارية، وستين عبدا وستين فرسًا، وألفا وثمانمائة فدان على سبيل الرزق، سوى القنود والأعمال والمعاصر؛ ثم سمره مغلطاى وشهره فى النواحى.

وفيه قدم طُلب الأمير الحاج آل ملك؛ ففرقت مماليكه على الأمراء، ونزل بعضهم فى البحرية.

وفيه أخرج مماليك قمارى من الحلقة.

وفيه انتهت عمارة قصر الأمير أرغون الكاملى وإصطبله الأعظم، وأُنفق فيه مال عظيم، وأخذ فيه من بركة النيل نحو العشرين ذراعا. فلما عزم أرغون الكاملى على النزول إليه مرض، فقلق السلطان لمرضه، فبعث له فرسا وثلاثين ألف درهم تصدق بها عنه. وأخرج الأمير أرغون العلائى أيضًا عشرة آلاف درهم تصدق بها عنه، وأفرج عن أهل السجون، وركب السلطان لعيادته بالميدان.

وفيه اهتم السلطان بالسفر إلى الحجاز، ورسم بحمل مائة ألف وخمسين ألف أردب شعير وندب لها الأمير عز الدين أزدمر الكاشف فألزم الأمير عز الدين أزدمر الفلاحين بالوجه البحرى عن آخرهم بحمل شعير على حساب كل أردب بسبعة دراهم، وكتب لآل مهنا بالشام أن يسيروا الهجن المخبورة، فقدم حيار بن مهنا ومعه قود جليل، فقبل منه، وقومت خيوله بمائتى ألف درهم. ثم قدم أحمد بن مهنا[2] أيضًا، بقود غير طائل.

وفى يوم الجمعة رابع عشريه: ولد للسلطان ولد ذكر من ابنة الأمير بكتمر الساقى.

وفى يوم السبت خامس عشريه: أفرج عن الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الحاج آل ملك، وعن أخيه قمارى، وألزما بيوتهما.

---

(١) البهنسا: مدينة بصعيد مصر فى الجهة الغربية من الخليج الخارج من معظم النيل وهى عامرة بالناس جامعة لأمم شتى ومن هذه المدينة إلى مصر سبعة أيام وبهذه المدينة تعمل الستور البهنسية. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١١٤ والإدريسى ٥٠ وحنى الأزهار ١٠ ومعجم البلدان ٥١٧/١.

(٢) أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن حديثه الطائى ثم التعلى أمير عرب الفضل فى بادية الشام وكانت لهم البادية من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة أخذه على سقى الفرات وأطراف العراق انظر الدرر الكامنة ١/ ٣٢١ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٧ والعبر لابن خلدون ٥/ ٤٣٩ و الأعلام ١/ ٢١٦.

وفى مستهل ربيع الأول: قدم البريد بانتشار الجراد بأعمل دمشق والبلقاء، ورعيه زروعهم وقد أدرك الشعير، وأنه عم البلد حتى وصل إلى الرمل وقرب من الصالحية؛ فهلك الشعير عن آخره.

وفيه تحسن سعر الغلة، حتى أبيع الأردب القمح بثلاثين درهما.

وفيه توجه السلطان إلى سرياقوس، وأحضر عنده الأوباش، فلعبوا باللبخة، وهى عصِى كبار حدث اللعب فى هذه الدولة، وقتل فى اللعب بها جماعة. فلعبوا بها بين يديه، وقتل رجل رفيقه، فخلع على بعضهم، وأنعم على كبيرهم بخبز فى الحلقة واستمر السلطان بلعب الكرة فى كل يوم، وأعرض عن تدبير الأمور. فتمردت المماليك، وأخذوا حرم الناس، وقطعوا الطريق، وفسدت عدة من الجوارى. وكثرت الفتن بسبب ذلك حتى بلغ السلطان، فلم يعبأ بهذا، وقال: «خلوا كل أحد يعمل ما يريد».

فلما فحش الأمر قام الأمير أرغون العلائى فيه مع السلطان، حتى عاد إلى القلعة وقد تظاهر الناس بكل قبيح، ونصبوا أخصاصا فى جزيرة بولاق[1] والجزيرة الوسطانية التى سموها حليمة، بلغ مصروف كل خص فيها من ألفين إلى ثلاثة آلاف درهم. وعمل كل خص بالرخام والدهان البديع، وزرع حوله المقاثى والرياحين، وأقام بها معظم الناس من الباعة والتجارة وغيرهم، وكشفوا ستر الحياء، وبالغوا فى التهتك بما تهوى أنفسهم فى حليمة، وفى الطمية[2] وتنافسوا فى أرضها حتى كانت كل قصبة قياس تؤجر بعشرين درهما، فيبلغ الفدان الواحد منها بثمانية آلاف درهم، ويعمل فيها ضامن يستأجر منها الأخصاص. فأقاموا على ذلك ستة أشهر حتى زاد الماء، وغرقت الجزيرة فاجتمع فيها من البغايا والأحدا وأنواع المسكرات ما لا يمكن حكايته، وأنفق الناس بها أموالا تخرج عن الحد فى الكثرة. وكانت الأمراء والأعيان تسير إليها ليلا، إلى أن قام الأمير أرغون العلائى فى أمرها قياما عظيما، وأحرق الأخصاص على حين غفلة، وضرب جماعة وشهرهم، فتلف بها مال عظيم جدا.

وفى هذه الأيام: قل ماء النيل حتى صار ما بين المقياس ومصر يخاض، وصار من بولاق إلى منشأة المهرانى ومن جزيرة الفيل إلى بولاق ومنها إلى المنية طريقا واحدًا. وبَعُد على السقائين طريق الماء، فإنهم صاروا يأخذون الماء من قريب ناحية منبابة

(١) جزيرة بولاق وقد حدده المرحوم ابن تغرى بردى أنه تجاه بولاق. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٢٩.

(٢) الطمية اسم جزيرة أخرى وهى معروف باسم جزيرة دير الطين. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٢٩.

وبلغت الراوية الماء إلى درهمين، بعد نصف وربع درهم؛ فشكا الناس ذلك إلى الأمير أرغون العلائى. فبلغ السلطان غلاء الماء بالمدينة، وانكشاف ما تحت بيوت البحر من الماء، فركب ومعه الأمراء وكثير من أرباب الهندسة حتى كشف ذلك، فوجد الوقت فيه قد فات بزيادة النيل واقتضى الرأى أن ينقل التراب والشقف من مطابخ السكر بمدينة مصر، ويرمى من بر الجيزة إلى المقياس، حتى يصير جسرا يعمل عليه، ويدفع الماء إلى الجهة التى انحسر عنها. فنقلت الأتربة فى المراكب، والقيت هناك إلى أن بقى جسرا ظاهرا، وتراجع الماء قليلا إلى بر مصر؛ فلما قويت الزيادة علا الماء على هذا الجسر.

وفيه لعب السلطان مع الأمراء بالكرة فى الميدان من القلعة، فاصطدم الأمير بيبغا الصلاحى مع آخر سقطا معًا عن فرسيهما إلى الأرض. ووقع فرس بيبغا على صدره، فانقطع نخاعه، ومات لوقته؛ فأنعم بإقطاعه على قطلوبغا الكركى.

وفيه قدم الشريف عجلان بن رميثة من مكة وصحبته القود؛ فمنع من الإنعام عليه بعادته عند قدومه بقوده، وهى أربعة آلاف درهم. وكتب إلى أخيه ثقبة ألا يعارض وأن يحضر إلى القاهرة.

وفيه كتب إلى نائب حماة بإيقاع الحوطة على الأملاك والأراضى التى تقدم بيعها من الملك المؤيد إسماعيل ومن ولده، فإنها أبيعت بدون القيمة، فقام أربابها بقيمة المثل وحصل منهم ثلاثمائة ألف درهم.

وفيه قدم علاء الدين بن الحرانى ناظر دمشق، وشكا من قطع طقتمر الصلاحى مرتبات الناس ببلاد الشام. فلم تسمع شكواه، ورسم له ألا يصرف لأحد مرتبا ولا حوالة يحال بها على مال الشام، بل يوفر الجميع لمهم السفر للحجاز. ثم عاد علاء الدين بن الحرانى إلى دمشق، وتوجه صحبته تقى الدين سليمان بن مراجل، بشفاعته له فى السفر.

وفيه قدمت رسل ابن دلغادر بكتاب يتضمن أنه أخذ قلعة كانت بيد الأرمن، واحتوى على ما فيها وقتل أهلها؛ فأنعم عليه بها.

وفيه أخرج الأمير أيتمش عبد الغنى أحد الطلبخاناه على البريد، منفيا إلى الشام.

وفيه ولد السلطان ولد ذكر من ابنة الأمير تنكز، فدقت البشائر. ونزل الأمير قطلوبغا الكركى إلى الأمراء يبشرهم، فلبس من أربعة وعشرين أميرًا مقدما أربعة وعشرين تشريفا أطلس بحوائصها، سوى الذهب والفضة والخيل والتفاصيل. وأعفى

قطلوبغا مقدمين من الأخذ منهما، وهما علاء الدين على بن طغريل وبهادر العقيلى، من أجل أنهما أخذا الإمرة عن قريب. وأنعم عليه السلطان مع ذلك من الأمراء بخمسة عشر ألف أردب غلة، فاشتد حد المماليك له على ما ناله من السعادة فلم يطل عمر هذا المولود، ومات.

وفيه اشتدت المطالبة على أهل النواحى بالجمال والشعير والأعدال والأخراج والعبى، بسبب سفر السلطان للحجاز. وكثرت مغارم أهل النواحى للولاة والرقاصين، وشكا أرباب الإقطاعات ضرر بلادهم للسلطان، فلم يلتفت لهم. وقام فى ذلك الأمير أرغون شاه أستادار مع الأمير أرغون العلائى، فى التحدث مع السلطان فى إبطال حركة السفر، حتى تفاوضا بسببه وتنافرا. فحدث الأمير أرغون العلائى السلطان فى تركه السفر، فلم يصغ لقوله، وكتب باستعجال العرب بالجمال، واستحثاث طقتمر الصلاحى فيما هو بصدده من ذلك.

وفيه أوقع السلطان الحوطة على أموال الطواشى عرفات، وأخرج إلى الشام. وقصد السلطان أخذ أموال الطواشى كافور الهندى، فشفعت فيه خوند طغاى، فأخرج إلى القدس. وكان عرفات وكافور من خواص السلطان الملك الناصر محمد ونالا سعادة عظيمة؛ وبنى كافور تربة عظيمة بالقرافة.

وفيه نفى أيضًا ياقوت الكبير، وكافور المحرم، وسرور الدمامينى.

وفى ثامن عشره: نفى أيضا من الطواشية دينار الصواف، ومختص الخطائى.

وأهل ربيع الآخر: ففيه قدم الخبر بموت تاج الدين محمد بن الزين خضر بن محمد ابن عبد الرحمن كاتب السر بدمشق، فرسم أن يستقر عوضه فى كتابة السر بدمشق ناصر الدين محمد بن يعقوب عبد الكريم بن أبى المعالى، وأن يستقر جمال الدين إبراهيم ابن الشهاب محمود كاتب السر بحلب، على عادته.

وفيه اشتد فساد العربان بالصعيد والفيوم والإطفيحية، فأخرج الأمير غُرْلُو إلى إطفيح فأمَّن غرلو شيخ العربان مغنى، وأخذ فى التحيل على نمى حتى قبض عليه، وسلمه لمغنى، فعذبه عذابا شديدًا. فثارت أصحابه، وكبسوا الحى وتلك النواحى، وكسروا عرب المغنى، قتلوا منهم ثلاثمائة رجل وستين امرأة، وذبحوا الأطفال، ونهبوا الأجران وهدموا البيوت، ولحقوا بعربان الصعيد والفيوم[1] فكانت عدة من قتل منهم

---

(١) الفيوم : من البلاد المصرية وفيها قرى كثيرة ويقال إن فيها من القرى عدد ما فى قطر مصر كلها من القرى. ويقال أيضًا أن بالفيوم ثلاثمائة قرية على عدد أيام السنة لا تقصر عن الرى أبدا=

فى هذه السنة نحو الألفى إنسان، لم يفكر أحد فى أمرهم، ولا فيما أفسدوه.

وفيه مات ولد السلطان من ابنة الأمير تنكز؛ فولد له فى يومه ولد ذكر من حظيته اتفاق سماه شاهنشاه، وسر به سرورا زائدا، وقصد أن يعمل له مهما وتدق البشائر فمنعه الأمير أرغون العلائى من ذلك، فعمل فرحا مدة سبعة أيام. وكان السلطان قد عمل لاتفاق على ولادتها بشخاناه وداير بيت، وغشاء مهد الولد وقماطه، عمل فيهم مبلغ ستة وثمانين ألف دينار. وحصل لأرباب الملهى أيام الفرح من خَلْع الخوانين عليهم البغالطيق بداير زركش، وباولى وطرازات زركش وغير ذلك، ما يعظم قدره. ومع ذلك مات الولد يوم سابعه.

وفيه مات يوسف بن السلطان الناصر محمد، واتهم السلطان بقتله.

وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحى من الشام، ومعه مبلغ ألف ألف درهم، لتتمة جملة ما حمل من الشام ألف ألف وستمائة ألف درهم، مما توفر من المرتبات التى اقتطعت وجىء من الأعمال بالصنف، وذلك سوى الأصناف المستعملة برسم السفر.

وفيه ورد كتاب الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام يتضمن خراب بلاد الشام، مما اتفق بها من أخذ الأموال وانقطاع الجالب إليها، وأن الرأى تأخير السفر إلى الحجاز فى هذه السنة فقام الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازة فى تصويب رأى نائب الشام، وذكرا ما حدث ببلاد مصر من نفاق العربان، وضرر الزرع، وكثرة مغارم البلاد. وما زالا حتى رجع السلطان عن السفر، وكتب لنائب الشام بقبول رأيه فى ذلك، وكتب إلى الأعمال باسترجاع ما قبضه العرب من كرى الجمال ورمى البشماط الذى عمل على الباعة.

فلم يوافق هذا غرض نساء الساطان ووالدته؛ وأخذت والدته فى تقوية عزمه على السفر حتى قوى، وكتب لنائب الشام وحلب وغيرهما أنه لابد من السفر للحجاز، وأمرهم بحمل ما يحتاج إليه. واشترى السلطان الجمال، وطلب الكاشف، ورسم له بطلب عربان مصر وتفرقة المال عليهم، لكرى أحمال الشعير والدقيق والبشماط.

فتجدد الطلب على الناس، وحملت الغلال إلى الطحانين لعمل البشماط والدقيق، واستعيد ما رمى من ذلك. فتحسن سعر الغلة، واختلت النواحى من العنف فى الطلب،

=وقيل سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار كل يوم. وبينها وبين الفسطاط أربعة أيام . انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤١٥ والاستبصار ٩٠ والأدريسى ١٤٦ وخطط المقريزى ١/٢٤٥ وابن الوردى ٢٣ وصبح الأعشى ٣/ ٢٩٧ ومعجم البلدان ٤٠/ ٢٨٦.

ورفعت أجرة الجمل إلى العقبة عشرة دراهم، وإلى ينبع ثلاثين درهما، وإلى مكة خمسين درهما واشتغل الناس بهذا المهم، وتوقفت أحوال أرباب المعايش، وقل الواصل من كل شىء.

وأخذ الأمراء فى أهبة السفر، وقلقوا لذلك، وسألوا الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى فى الكلام مع السلطان فى إبطال سفره، وتعريفه رقة حالهم من حين تجاريدهم إلى الكرك فى نوبة الناصر أحمد، ومن خراب بلادهم لطلب الكشاف والولاة فلاحيها بالشعير وغيره فكلما السلطان بذلك، فاشتد غضبه وأطلق لسانه؛ فما زالا به حتى سكن غضبه؛ فرُسم من الغد الحج لجميع الأمراء بالتأهب للسفر، ومن عجز عن السفر يقيم بالقاهرة. فاشتد الأمر على الناس بديار مصر وبلاد الشام، وكثر دعاؤهم لماهم فيه من السخر والمغارم. وتنكرت قلوب الأمراء، وكثرت الإشاعة بتنكر السلطان على الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، وأنه يريد مسكه حتى بلغه ذلك فاحترز على نفسه.

وبلغ الأمير يلبغا اليحياوى قتل يوسف أخى السلطان، وقوة عزم السلطان على سفر الحجاز موافق لأغراض نسائه؛ فجمع أمراء دمشق، وحلفهم على القيام معه، وبرز إلى ظاهر دمشق فى نصف جمادى الأولى وأقام هناك وحضر إليه الأمير طرنطاى البشمقدار نائب حمص،والأمير أراق الفتاح نائب صفد، والأمير أستدمر نائب حماة، والأمير بيدمر البدرى نائب طرابلس. فاجتمعوا جميعا ظاهر دمشق مع عسكرها، وكتبوا بخلع الملك الكامل، وظاهروا بالخروج عن طاعته. وكتب الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام إلى السلطان: «إنى أحد الأوصياء عليك، وإن مما قاله الشهيد رحمه الله لى وللأمراء فى وصيته، إذا أقمتم أحدا من أولادى ولم ترتضوا سيرته جروه برجله، وأخرجوه، وأقيموا غيره. وأنت أفسدت المملكة، وأفقرت الأمراء والأجناد، وقتلت أخاك، وقبضت على أكابر أمراء السلطان الشهيد. واشتغلت عن الملك، والتهيت بالنساء وشرب الخمر، وصرت تبيع أخبار الأجناد بالفضة» وذكر الأمير يلبغا اليحياوى له أمورًا فاحشة عملها، فقدم كتابه فى يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى. فلما قرأه السلطان الكامل[1] تغير تغيرًا زائدًا، وأوقف عليه الأمير أرغون العلائى بمفرده، فقال له: «والله

---

(١) الملك الكامل شعبان الكامل بن محمد الناصر بن قلاوون: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة بالقاهرة بعد وفاة أخيه الصالح إسماعيل. انظر ابن إياس ١: ١٨٣ والبداية والنهاية ١٤: ٢١٦، ٢١٩ والدرر الكامنة ٢: ١٩١ وشذرات الذهب ٦: ١٥٠ والنجوم الزاهرة ١٠: ١١٦، ١٤٠ والأعلام ٣/ ١٦٤.

لقد كنت أحسب هذا، وقلت لك فلم تسمع قولى»، وأشار عليه بكتمان هذا. وكتب السلطان الكامل الجواب يتضمن التلطف فى القول، وأخرج الأمير منجك على البريد إلى الأمير يلبغا اليحياوى فى ثانى عشريه، ليرجعه عما عزم عليه، ويكشف أحوال الأمراء؛ وكتب السلطان إلى أعمال مصر بإطال السفر.

فكثرت القالة بين الناس بخروج نائب الشام عن الطاعة حتى بلغ الأمراء، والمماليك، فأشار الأمير أرغون العلائى على السلطان بإعلام الأمراء الخبر. فطلبوا إلى القلعة، وأخذ رأيهم، فوقع الاتفاق على خروج العسكر إلى الشام مع الأمير أرقطاى، ومعه من الأمراء منكلى بغا الفخرى أمير جاندار، وآقسنقر الناصرى، وطيبغا المجدى، وأرغون الكاملى، وأمير على بن طغريل النوغاى، وابن طقزدمر، وابن طشتمر، وأربعين أمير طبلخاناه، وعشرين أمير عشرة، وأربعين مقدم حلقة. وحملت النفقة إليهم: لكل مقدم الف دينار، ماعدا ثلاثة مقدمين لكل مقدم ثلاثة آلاف دينار؛ وكتب بإحضار الأجناد من البلاد.

فقدم كتب منجك من الغور بموافقة النواب لنائب الشام، وأن التجريدة إليه لا تفيد، فإنه يقول إن أمراء مصر معه. وقدم كتاب نائب الشام أيضًا - وفيه خط أمير مسعود بن خطير، وأمير على بن قراسنقر، وقلاوون، وحسام الدين البقشمدار - يتضمن: «إنك لا تصلح للملك، وإنك إنما أخذته بالغلبة من غير رضى الأمراء»، وعدد ما فعله. ثم قال: «ونحن ما بقينا نصلح لك، وأنت فما تصلح لنا. والمصلحة أن تعزل نفسك».

فاستدعى السلطان الكامل الأمراء، وحلفهم على طاعته، ثم أمرهم بالسفر إلى الشام، فخرجوا من الغد، وخرج طُلب منكلى بغا الفخرى، وبعده أرغون الكاملى. وعندما وصل أرغون الكاملى تحت القلعة خرجت ريح شديدة ألقت شاليشه إلى الأرض، فصاحت العامة: «راحت عليكم ياكاملية»، وتطيروا بأنهم غير منصورين. وأخذ المجردون فى الخروج شيئًا بعد شىء، وتقدم حلاوة الأوجاقى يوم الخميس عشريه، وأخبر بأن منجك ساعة وصوله دمشق قبض عليه يلبغا اليحياوى نائب الشام، وسجنه بالقلعة. فبعث السلطان الطواشى سرور الزينى لإحضار أخويه أمير حاجى وأمير حسين؛ فاعتذر بوعكهما، وبعثت أمهاتهما إلى الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى يسألانهما فى التلطف مع السلطان فى أمرهما.

فبلغت الأمير أرغون بعض جوارى زوجته، أم السلطان الكامل، أنها سمعت

السلطان وقد سكر وكشف رأسه وقال: «إلهى أعطيتنى الملك، ومكنتنى من آل ملك وقمارى، وبقى العلائى والحجازى، فمكنى منهما حتى أبلغ غرضى فيهما»؛ فأقلقه ذلك. ثم دخل الأمير أرغون العلائى على السلطان فى خلوة، فإذا هو متغير الوجه مفكر. فبدره السلطان بأن قال له: «من جاءك من جهة إخوتى أنت والحجازى»؟ فعرفه أن النساء دخلن عليهما، وطلبن أن يكون السلطان طيب الخاطر على أخويه ويؤمنهما فإنهما خائفان. فرد عليه السلطان جوابا جافيا، ووضع يده فى السيف ليضربه به، فقام عنه لينجو بنفسه.

وعرف الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى بما جرى له، وشكا من فساد السلطنة. فتوحش خاطر كل منهما، وانقطع العلائى عن الخدمة وتعلل. وأخذت المماليك أيضًا فى التنكر على السلطان، وكاتب بعضهم الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، واتفقوا بأجمعهم حتى اشتهر أمرهم وتحدثت به العامة؛ ووافقهم الأمير قراسنقر.

فألح السلطان فى طلب أخويه، وبعث قطلوبغا الكركى فى جماعة حتى هجموا عليهما ليلا؛ فقامت النساء ومنعوهما منهم. فهم السلطان أن يقوم بنفسه حتى يأخذهما، فجىء بهما إليه وقت الظهر من يوم السبت تاسع عشريه، فأدخل بهما إلى موضع، ووكل بهما؛ وقام العزاء فى الدور عليهما. وهمت المماليك بالثورة والركوب للحرب.

وفى يوم الإثنين مستهل جمادى الآخر: خرج الأمير أرقطاى بطُلبه، حتى وصل طُلبه إلى باب زويلة، ووقف مع الأمراء فى الموكب تحت القلعة، وإذا بالناس قد اضطربوا. ونزل الأمير ملكتمر الحجازى سائقا يريد إصطبله، وتبعه الأمير أرغون شاه أيضًا إلى جهة إصطبله. وسبب ذلك أن السلطان جلس بالإيوان على العادة، وقد بيت مع ثقاته القبض على الأمير ملكتمر الحجازى والأمير أرغون شاه إذا دخلا، وكانا جالسين ينتظران الإذن على العادة. فخرج طغيتمر الدوادار ليأذن لهما، فأشار لهما بعينه أن يذهبا وكان قد بلغهما التنكر عليهما، فقاما من فورهما ونزلا إلى خيولهما، فلبسا وسارًا إلى قبة النصر، وبعث الأمير ملكتمر الحجازى يستدعى آقسنقر من سرياقوس، فما تضحى النهار حتى اجتمعت أطلاب الأمراء بقبة النصر.

وطلب السلطان الأمير أرغون العلائى واستشاره، فأشار عليه بأن يركب بنفسه إليهم، فركب ومعه الأمير أرغون العلائى وقطلوبغا الكركى وتمر الموساوى، وعدة من المماليك. وأمر السلطان فدقت الكوسات حربيا، ودارت النقباء على أجناد الحلقة والمماليك ليركبوا، فركب بعضهم.

هذا وقد قَدم آقسنقر إلى قبة النصر، وصار السلطان فى جميع كبير من العامة، وهو يسألهم الدعاء، فنظروا إليه وأسمعوه ما لا يليق. وسار السلطان فى ألف فارس حتى قابل الأمراء، فانسل عنه أصحابه، وبقى فى أربعمائة فارس. فبز له آقسنقر ووقف معه، وأشار عليه أن ينخلع من السلطنة، فأجابه إلى ذلك وبكى. فتركه آقسنقر وعاد إلى الأمراء، وعرفهم ذلك. فلم يرض أرغون شاه، وبَدَر ومعه قرابغا وصمغار وبزلار وغُرْلو فى أصحابهم حتى وصلوا إلى السلطان؛ وسيروا إلى الأمير أرغون العلائى أن يأتيهم، ليأخذوه إلى عند الأمراء. فلم يوافق الأمير أرغون العلائى على ذلك، فهجموا عليه، وفرقوا من معه، وضربوه بدبوس حتى سقط إلى الأرض؛ فضربه يلبغا أروس بسيف قطع خده، وأخذ أسيرًا، فسُجن فى خزانة شمايل وفر السلطان الكامل شعبان إلى القلعة، واختفى عند أمه زوجة الأمير أرغون العلائى.

وسار الأمراء إلى القلعة، وأخرجوا أمير حاجى وأمير حسين من سجنهما؛ وقبلوا يد أمير حاجى، وخاطبوه بالسلطنة. وطلبوا الكامل شعبان وسجنوه، حيث كان أخويه مسجونين؛ ووكل به قرابغا القاسمى وصمغار.

ومن غرائب الاتفاق أنه كان قد عمل طعام لأمير حاجى وأمير حسين حتى كان يكون غداءهما، وعمل سماط السلطان على العادة. فوقعت الضجة، وقد مد السماط فركب السلطان شعبان من غير أكل. فلما انهزم شعبان وقبض عليه، وأقيم أخوه أمير حاجى بدله، مد السماط[1] بعينه له، فأكل معه حاجى؛ وأدخل بطعامه وطعام أمير حسين إلى شعبان الكامل، فأكله فى السجن.

ثم قُتل شعبان فى يوم الأربعاء ثالثه وقت الظهر، ودفن عند أخيه يوسف، ليلة الخميس. فكانت مدته سنة وثمانية وخمسين يومًا، وكثر التظاهر فيها بالمنكرات، لشغفه باللهو، وعكوفه على معاقرة الخمر، وسماع الأغانى واللعب، وبيعه الإقطاعات والولايات حتى إن الإقطاع كان يخرج عن صاحبه وهو حى بمال لآخر، فإذا وقف من أخرج إقطاعه قيل له: «نعوض عليك».

وأخذ الأمراء على شعبان تمكينه الخدام والنساء من التصرف فى المملكة، والتهتك فى النزه والصيد، واللعب بالكرة بالهيئات الجميلة، وركوب الخيل المسومة، وعدم الاحتشام من فعل المنكرات، حتى إن حريمه إذا نزلن إلى نزهة تبلغ عندهن الجرة الخمر

---

(١) السماط ما يمد ليوضع عليه الطعام فى المأدب. انظر المعجم الوسيط ٤٦٦/١، الوجيز ٣٢١.

إلى ثلاثين درهما وشره حريم شعبان فيما فى أيدى الناس من الدواليب والأحجار، والبساتين والدور، ونحوها. فأخذت أمه معصرة وزير بغداد، وأخذت إتفاق أربعة أحجار وأخذت أمه أيضا من وزير بغداد منظرة على بركة الفيل.

وحدث فى أيامه أخذ خراج الرزق، وزيادة القانون، ونقص الأجاير؛ وأعيد ضمان أرباب الملاعيب. ولم يوجد له من المال سوى مبلغ ثمانين ألف دينار، وخمسمائة ألف درهم. وكان مع ذلك مهابا سيوسا، متفقدًا لأحوال المملكة، لا يشغله لهوه عن الجلوس للخدمة؛ وكان حازما ذا رأى واحتياط ومحبة لجمع المال، وفيه قيل:

بيت قلاوون سعاداته ... فى عاجل كانت بلا آجل
حل على أملاكه للردى ... دين قد استوفاه بالكامل

* * *

السلطان الملك المظفر زين الدين حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحى الألفى[1]

سجنه أخوه شعبان الكامل كما تقدم، ومعه أخوه حسين. فلما انهزم شعبان من الأمراء مرَّ وهو سائق فى أربعة مماليك إلى باب السر، فوجده مغلقًا والمماليك بأعلاه، فتلطف بهم حتى فتح له أحدهم؛ ودخل ليقتل أخويه، فلم يفتح الخدام له الباب، فمضى إلى أمه.

وصعد الأمراء إلى القلعة، وقد قبضوا على الأمير أرغون العلائى، وعلى الطواشى جوهر السحرتى اللالا، وأسندمر الكاملى، وقطلوبغا الكركى، وجماعة ودخل بزلار وصمغار راكبين إلى باب الستارة، وطلبا أمير حاجى، فأدخلهما الخدام إلى الدهيشة حتى أخرجوه وأخاه من سجنهما. وبشرا حاجى بالظفر. ثم دخل الأمير أرغون شاه إلى حاجى،وقبل له الأرض،وقال له: «باسم الله، اخرج أنت سلطاننا»، وسار به وبحسين إلى الرحبة، وأجلسه على باب الستارة.

ثم طلب الأمير أرغون شاه شعبان الكامل حتى وحده قائما بين الأزيار، وقد اتسخت ثيابه؛ فأخرجه إلى الرحبة، وأدخله إلى الدهيشة حتى سجنه بها، حيث كان حاجى.

---

(١) حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحى سيف الدين الملقب بالملك المظفر من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى بالقاهرة بعد مقتل أخيه الكامل شعبان سنة ٧٤٧هـ وشغل باللهو، واللعب بالحمام، لصغر سنه وساءت سيرته فقتله بعض القواد. انظر الدرر الكامنة ٢: ٣ والبداية والنهاية ١٤: ٢١٩ والنجوم الزاهرة ١٠: ١٤٨ - ١٧٤ والأعلام ٢/ ١٥٣.

وطلب الأمير أرغون شاه الخليفة والقضاة، وأركب حاجى من باب الستارة إلى الإيوان. وحمل المماليك أمير حسين على أكتافهم حتى جلس حاجى على سرير الملك، فى يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة. ولقب حاجى بالملك المظفر، له من العمر خمس عشرة سنة. وقبل الأمراء الأرض بين يديه، وحلف لهم أولا أنه لا يؤذى أحدًا منهم، ولا يخرب بيت أحد؛ وحلفوا له على طاعته. وركب الأمير بيغرا البريد ليبشر الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، ويحلفه وأمراء الشام.

وفيه كتب إلى ولاة الأعمال بإعفاء النواحى من المغارم، ورماية الشعير والبرسيم.

وفيه حمل الأمير أرغون العلائى إلى الإسكندرية.

وفى يوم الأربعاء ثالثه: قبض على الشيخ على الدوادار، وعلى عشرة من الخدام الكاملية، وسلموا إلى شاد الدواوين. وسلم له أيضًا الطواشى جوهر السحرتى وقطلوبغا الكركى ومقبل الرومى، وألزموا بحمل الأموال التى أخذوها من الناس على قضاء الأشغال؛ فعذبوا بأنواع العذاب، ووقعت الحوطة على موجودهم.

وفيه قبض على الأمير تمر الموساوى، وأخرج إلى الشام.

وفيه أمر بأم الكامل وزوجاته، فأنزلن من القلعة إلى القاهرة. وعرضت جوارى دار السلطان، فبلغت عدتهن خمسمائة جارية، فرقن على الأمراء.

وفيه أحيط بموجود إتفاق، وأنزلت من القلعة. وكانت سوداء حالكة السواد اشترتها ضامنة المغانى بدون الأربعمائة درهم من ضامنة المغانى بمدينة بلبيس، وعلمتها الضرب بالعود عَلى عبْد عَلِى العواد، فمهرت فيه. وكانت إتفاق حسنة الصوت جيدة الغناء، قدمتها ضامنة المغانى لبيت السلطان، فاشتهرت فيه، حتى شغف بها الصالح إسماعيل وتزوج بها. ثم لما تسلطن شعبان الكامل باتت عنده من ليلته، لما كان فى نفسه منها أيام أخيه، ونالت من الحظوة والسعادة ما لا عرف فى زمانها لامرأة غيرها، حتى إنه عمل لها داير بيت طوله اثنان وأربعون ذراعا، وعرضه ستة أذرع، فيه خمسة وتسعون ألف دينار مصرية سوى البشخاناه والمخاد والمساند. وكان لها أربعون بذلة ثياب مرصعة بالجوهر، وست عشرة بدلة بداير زركش، وثمانون مقنعة فيها ما قيمته عشرون ألف درهم، وأقلها بخمسة آلاف درهم، إلى غير ذلك مما يجل وصفه.

وفيه وُفِّر من مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم أربعة آلاف درهم.

وفيه رسم بإعادة الأملاك التى أخذها حريم الكامل لأربابها؛ فاستعاد الوزير نجم الدين معصرته، وأخذ من اتفاق وغيرها ما أخذته من الناس.

وفيه نودى فى القاهرة ومصر برفع الظلامات، ومنع أرباب الملاعيب جميعهم.

وفى عاشره: وجد صندوق مفتاحه تحت يد الشيخ على الدوادار، فيه بَرَانى[1] فضة مختومة، وأحقاق فتحت بحضرة الأطباء، فإذا هى سموم قاتله. فعرض العذاب على الشيخ على حتى اعترف أن المزين المغربى الذى أقامه الكامل رئيس الجرائحية ركب ذلك. فاحترق بالنار قدام الإيوان وكان هذا المغربى تعرَّف بأولاد السلطان وهم بقوص، وقدم معهم؛ فلما تسلطن شعبان الكامل تقرب إليه بعمل السموم وصناعة الكيمياء.

وكان قد قدم فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون تاجر فرنجى بهدية إلى ملكتمر، الحجازى فأعجبته مصر وأسلم، وعرف بآقسنقر الرومى. وأنعم عليه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإمرة عشرة، وما زال بمصر إلى أيام شعبان الكامل فتقرب إليه آقسنقر الرومى بعمل الفلك والشعبذة، واختص به، وقام مع المغربى فى عمل السموم؛ وخرج على البريد مرارًا لإحضار الحشائش القاتلة من بلاد الشام، حتى ركبت بين يدى الكامل.

وفيه نقل علم الدين عبد الله بن زنبور من نظر الدولة إلى نظر الخاص، عوضا عن فخر الدين بن السعيد.

وفيه قبض على ابن السعيد، وألزم بحمل مال.

وفيه خلع على موفق الدين عبد الله بن إبراهيم، واستقر فى نظر الدولة وخلع على سعد الدين بن جرباش، واستقر فى الاستيفاء، عوضا عن ابن ريشة.

وفيه قبض على أقطوان متولى الأهراء، والصناعة، وشد الأوقاف الصلاحية، ونظر الحرمين، وسلم لشاد الدواوين، فإنه كان تجاه أستاذه الطواشى شجاع الدين اللالا، واجتمع له خمس عشرة وظيفة، وبعد صيته واشتدت حرمته.

وفيه قدم بيغرا من الشام، وقد لقى الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، وقد برز خارج دمشق يريد المسير إلى مصر بالعساكر فسر الأمير يلبغا اليحياوى سرورًا زائدًا بإزالة الكامل وإقامة أخيه المظفر حاجى، وعاد إلى دمشق، وحلف الأمراء على العادة.

---

(١) برانى مفرد هذا اللفظ برنية: شبه فخارة ضخمة خضراء، وربما كانت من القوارير الثخان الواسعة الأفواه، غيره: والبرنية إناء من خزف كالجرة أو القارورة انظر لسان العرب ٢٧٠، والمعجم الوسيط ٥٤/١، محيط المحيط (مادة برن).

وأقام يلبغا اليحياوى الخطبة، وضرب السكة باسم السلطان حاجى وسير دنانير ودراهم منها، وكتب يهنئ السلطان حاجى بجلوسه على تخت الملك.

وشكا الأمير يلبغا اليحياوى من نائب حلب، ونائب غزة ونائب قلعة دمشق مغلطاى المرتينى، ومن نائب قلعة صفد قرمجى، من أجل أنهم لم يوافقوه على خروجه عن طاعة شعبان الكامل. فرُسم بعزل طقتمر الأحمدى نائب حلب، وقدومه إلى مصر، واستقرار الأمير بيدمر البدرى نائب طرابلس عوضه فى نيابة حلب، واستقرار الأمير أسندمر العمرى نائب حماة فى نيابة طرابلس، والقبض على مغلطاى المرتينى نائب قلعة دمشق، وعلى قرمجى نائب قلعة صفد، وعزل نائب غزة، وأن يحضر الأمير أيتمش عبد الغنى وقطليجا الحموى إلى مصر، واستقرار أمير مسعود بن خطير فى نيابة غزة، واستقرار طقتمر الصلاحى فى نيابة حمص.

وكان الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام لما عاد إلى دمشق، عمر قبة عند مسجد القدم حيث كان قد برز، وسماها قبة النصر؛ وهى التى تعرف بقبة يلبغا.

وفى رابع عشره: خلع على عنبر السحرتى؛ واستقر مقدم المماليك، عوضًا عن محسن الشهابى.

وفيه خلع على مختص الرسولى، واستقر زمام الدور، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

وفيه قبض على ممدود بن الكورانى أمير طَبَر، وعلى أخيه علاء الدين على بن الكورانى. واستقر جمال الدين يوسف والى الجيزة عوضه أمير طبر، وعزل علاء الدين على بن الكورانى من كشف الوجه القبلى.

وفيه أنعم بإقطاع الأمير أرغون العلائى على الأمير أرغون شاه.

وفيه أنعم على كل من الأمير أصلم والأمير أرقطاى بزيادة إقطاعه.

وفيه استقر علاء الدين بن الأطروش فى حسبة دمشق، وتدريس الخاتونية.

وفيه أنعم على ابن الأمير تنكز بإمرة طبلخاناه، وعلى أخيه بإمرة عشرة.

وفيه أنعم على ابن الأمير ألطنبغا نائب حلب، بإمرة عشرة فى دمشق.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: أمَّر السلطان ثمانية عشر أميرًا، فكان يومًا مشهودًا كثر فيه جميع الناس عند نزولهم إلى القبة المنصورية على العادة.

وفى سابع عشره: أخرج آقجُبَاى إلى حماة.

وفى يوم الخميس ثالث شهر رجب: خلع على الأمير أرقطاى، واستقر نائب السلطان باتفاق الأمراء عليه، بعدما تمنع من ذلك تمنعًا كثيرًا، حتى قام الحجازى بنفسه وأخذ السيف، وأخذ أرغون شاه الخلعة، ودارت الأمراء حوله وألبسوه على كره منه. فخرج الأمير أرقطاى فى موكب عظيم حتى جلس فى شباك دار النيابة، وحكم بين الناس؛ فرسم له بزيادة ناحيتى المطرية والخصوص لأجل سماط النيابة.

وفيه توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة.

وفيه خرج الأمير بيدمر البدرى إلى نيابة حلب.

وفى يوم الإثنين ثامن عشريه: خلع على الأمير قطليجا، واستقر فى ولاية القاهرة.

وفيه نقل من تسليم شاد الدواوين إلى تسليم والى القاهرة ستة خدام، وهم نصر الهندى، وأنس، وفاتن الصالحى، وسرور الزينى، وعنبر سيغا، وجوهر السحرتى اللالا، ومعهم المزين المغربى، ونصرانى راهب. ورسم بتسميرهم جَميعًا، فأخرجوا من الغد ليسمروا بسوق الخيل تحت القلعة، وأقعدوا على الجمل وربطوا. فشفع فيهم الأمراء، فأنزلوا ومضوا بهم ماشين إلى خزانة شمايل؛ ثم أفرج عنهم فى بقية يومهم، ونفوا من مصر.

وكان القمح قد تحسن فى الدولة الكاملية من أول السنة، هو وجميع الغلال، وبلغ خمسة وخمسين درهما الأردب، وبلغ الشعير اثنين وعشرين درهما الأردب، والفول عشرين درهما. فانحطّ سعر القمح فى الأيام المظفرية إلى خمسة وثلاثين درهما، ونقص من بقية الغلال ثلث سعرها، فتيامن الناس به.

وفيه أخذت الباعة تتعنت فى الفلوس، وترد الصالحية والكاملية حتى توقفت الأحوال؛ وعاد سعر الغلال إلى ما كان عليه، فنودى برد القصوص من الفلوس، ورد الرصاص والنحاس الأصفر منها، وألا يؤخذ إلا ما عليه سكة. وترافقوا بالناس، ولم يضرب أحد منهم بسبب ذلك، فمشت الأحوال.

وفيه قدم الأمير أيتمش عبد الغنى، والأمير قطليجا الحموى. فرسم لأرغون الكاملى بلزوم بيته، وأخرجت تقدمته، وعُوّض عنها بطبلخاناه يأكلها وهو فى بيته.

وفى مستهل شعبان: ابتدأ مرض الأمير بهاء الدين أصلم، فأقام أياما ومات؛ فانعم بإمرته على طغيتمر النجمى الدوادار. وأخذ إقطاعه - وهو عَبَرة مائة ألف وأربعين ألف دينار - فسلخ منه مبلغ أربعين ألف دينار، وأضيفت لديوان الخاص.

وفيه قدم الأمير سيف بن فضل، فخلع عليه، ووعد بإمرة العرب، وقبلت خيوله التى قدمها وصار للسلطان به أنس.

وفيه خلع على الأمير تمربغا العقيلى، واستقر فى نيابة الكرك عوضا عن الأمير قبلاى باستعفائه.

وفيه قدم نغيه مملوك المحسنى، من برقة فارًّا. وكان قد ورد فى الأيام الكاملية أن قايد شيخ برقة مات، بعدما خالف عليه أقاربه. فسمى نغيه فى إقطاعه وأن يكون أمير برقة، ويأخذ العداد على العادة، ويقوم بخمسين فرسا. فأنعم عليه بذلك، وتوجه إلى برقة، وأخذ عداد الأغنام بالعسف، حتى جمع منها شيئًا كثيرا، واقتنى الجمال والخيل. فلما بلغ أهل بر قة قتل الملك الكامل شعبان ثاروا به، وقتلوا من أجناده ثلاثين رجلا، وفر بنفسه إلى القاهرة.

وفيه رسم بإزالة ما أحدثه غرلو والى القاهرة على باب زويلة. وذلك أنه نصب خشبتين، وعمل فيهما بكرتين، وأرخى فيهما سَلَبًا، ليرتفع فيهما المجرمين حتى يهلكا؛ فأزيلتا. ورُسم أن يكون توسيط من يوسط أو شنقه على كيمان البرقية، خارج سور القاهرة.

وفيه أخرج الأمير بيغرا لكشف الجسور بالوجه القبلى، والأمير أرلان لكشف الجسور بالوجه البحرى.

وفى يوم الإثنين خامس عشريه: خرج الأمير أرغون شاه أستادار على البريد، لنيابة صفد. وسبب ذلك تكبره وتعاظمه فى نفسه، وتحكمه على السلطان فيما يرسم به، ومعارضته لأغراضه، وفحشه فى مخاطبة السلطان والأمراء، حتى كرهته النفوس. وعزم السلطان على مسكة، فتلطف به النائب الأمير أرقطاى حتى تركه، وخلع عليه بنيابة صفد، وأخرجه من وقته خشية من فتنة يثيرها، فإنه كان قد اتفق مع عدة من المماليك على المخامرة. وأنعم بإقطاعه على الأمير ملكتمر الحجازى، وأعطى ناحية بوتيج زيادة عليه.

وفيه استقر الصاحب تقى الدين أحمد بن الجمال سليمان بن محمد بن هلال فى الشام، عوضا عن ابن الحرانى؛ وكان بمصر من الأيام الكاملية شعبان.

وفيه قدم أحمد بن مهنا فى طلب إمرة العرب، فلم يقبل السلطان عليه.

وفى يوم الأحد أول شوال: تزوج السلطان بابنة الأمير تنكز زوجة أخيه.

وفى آخره طُلِبت إتفاق إلى القلعة، فطلعت بجواريها مع الخدام، وتزوج بها السلطان خفية، وعقد له عليها شهاب الدين أحمد بن يحيى الجوجرى[1] شاهد الخزانة. وبنى السلطان عليها من ليلته، بعدما جليت عليه، وفرش تحت رجليها ستون شقة أطلس، ونثر عليها الذهب. ثم ضربت بعودها وغنت، فأنعم عليها السلطان بأربعة فصوص وست لؤلؤات، ثمنها أربعمائة ألف درهم.

وفى ثامنه: أنعم السلطان على طنيرق أحد مماليك أخيه يوسف بتقدمة ألف، ونقله من الجندية إلى التقدمة لجماله وحسنه؛ فكثر كلام المماليك بسبب ذلك.

وفيه رسم بإعادة ما خرج عن إتفاق وخدامها وجواريها من الرواتب، وطلب عبد على العواد معلم إتفاق إلى القلعة، فغنى للسلطان، فأنعم عليه بإقطاع فى الحلقة زيادة على ما بيده، وأعطاه مائتى دينار وكاملية حرير بفرو سمور.

وانهمك السلطان فى اللهو، وشغف باتفاق حتى أشغلة عن غيرها، وملكت قلبه بفرط حبه لها. فشق ذلك على الأمراء والمماليك، وأكثروا من الكلام حتى بلغ السلطان، وعزم على مسك جماعة منهم، فمازال به الأمير أرقطاى النائب حتى رجع عن ذلك.

ورسم السلطان فى يوم الجمعة سادسه بعد الصلاة أن يخلع على قطليجا الحموى، واستقراره فى نيابة حماة، عوضا عن طيبغا المجدى؛ وخلع أيضا على أيتمش عبد الغنى، فاستقر فى نيابة غزة؛ وخرجا من وقتها على البريد.

وفيها جلس السلطان والأمير أرقطاى النائب لعرض المماليك، وانتقى من كل عشرة اثنين وزاد إقطاعاتهم وأكرمهم، وقدم منهم جماعة. وقصد السلطان عرض أجناد الحلقة، فتلطف به الأمير أرقطاى النائب حتى كف عن عرضهم.

وفيه قدم الخبر بغلاء الأسعار بدمشق، حتى أبيع الخبز كل رطلين بدرهم، والقمح كل غرارة بمائة وسبعين، وفيه تأخر المطر بعامة بلاد الشام.

وتوقفت أحوال الدولة، من كثرة رواتب الخدام والقهرمانات والعبيد والغلمان، وزيادتها عما كانت عليه فى الأيام الكاملية. فأشار غرلو بأن توزع على المباشرين

---

(١) أحمد بن يحيى بن فضل الله الفزشى شهاب الدين المؤرخ حجة فى معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم وله النبذة الكافية فى معرفة الكتابة والقافية خ. انظر فوات الوفيات ١: ٧ والسحب الوالة وابن الوردى ٢/ ٣٥٤ والدرر الكامنة ١/ ٣٣١ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٣٤ وادب اللغة ٣/ ٢٢٦ والأعلام ١/ ٢٦٨.

جامكية شهرين يقبضها المعاملون، فوزعت عليهم، واحتال بها المعاملون؛ فمشت الأحوال قليلا. وكان غرلو قد تمكن من السلطان، وصار يدخل مع الخاصكية، فإذا أشار بشيء قبل قوله.

وفيه قدم رسول ابن دلغادر بهديته، فخلع عليه؛ وجهزت له خلعة مع بريدى، فأخذها نائب الشام، ومنع من حملها إليه، فإنه كان يكرهه، ويريد إقامة غيره والقبض عليه.

وفى ذى القعدة: توجه أحمد بن مهنا عائدًا إلى بلاده، من غير طائل.

وفيه دخل السلطان على زوجته بنت تنكز، وعمل المهم سبعة أيام جمعت سائر أرباب الملهى؛ فخص كل جوقة خمسة آلاف درهم. ونثر السلطان على العروس عند جلائها الذهب، وصبحها من الغد بألفى دينار، بعدما زاد لها فى جهازها بمبلغ ستين ألف دينار.

وفيه خلع على سيف بن فضل بإمرة العرب، وأنعم عليه بزيادة ثلاثمائة ألف درهم فى السنة من إقطاع أحمد بن مهنا؛ وأعيد إلى بلاده، فسار إليها.

وفى مستهل ذى الحجة: توجه الأمير ملكتمر الحجازى للصيد، وصحبته خمسة عشر أميرا.

وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحى من حلب، فلم تطل إقامته حتى مات.

وفيه قتل قرمجى بن أقطوان نائب قلعة صفد، بدمشق فى شعبان؛ وأخذ ماله.

وفيه قدم حمل سيس، بحق النصف.

وخرجت هذه السنة وقد مر بالناس فيها شدائد من غلاء الأسعار لغلال مصر والشام، ونفاق العربان، وتوقف النيل، واختلاف الدولة.

* * *

ومات فيها من الأعيان

الأمير بهاء الدين بن أصلم، أحد المماليك المنصورية قلاوون، فى يوم السبت عاشر شعبان؛ وإليه ينسب جامع أصلم خارج القاهرة.

ومات الأمير بيدمر الأشرفى، أحد أمراء دمشق.

ومات الأمير الحاج آل ملك الجوكندار، مقتولا بالإسكندرية في الأيام الكاملية؛ وأحضر ميتا إلى القاهرة، في يوم الجمعة تاسع عشرى جمادى الآخر. وأصله من كسب الأبلستين في الأيام الظاهرية بيبرس، سنة ست وسبعين وستمائة، فاشتراه قلاوون وهو أمير، ومعه سلار. وأهدى قلاوون سلارًا لولده على، وآل ملك للسعيد بركة بن الظاهر زوج ابنته. فأعطاه الملك السعيد لكوندك، ثم صار بعده لعلى بن قلاوون، وترقى حتى صار نائب السلطنة زمن السلطان عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد. وله تنسب مدرسة آل ملك بالقاهرة، وجامع آل ملك بالحسينية؛ وكان خيرا دينا.

وتوفى تاج الدين محمد بن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان بن أحمد بن على المصرى كاتب السر بدمشق، في ليلة الجمعة تاسع ربيع الآخر، وقد أناف على الستين.

ومات الأمير قمارى أخو بكتمر الساقى مقتولا، وقد ولى أستادارا، وعمل نائب طرابلس؛ وذكر أنه كان في بلاده راعى غنم.

ومات الأمير ملكتمر السرجوانى نائب الكرك، في يوم الإثنين مستهل المحرم خارج القاهرة، وقد قدم مريضا.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن نمير بن السراج المقرئ الكاتب، في يوم الخميس نصف شعبان.

ومات الشيخ ركن الدين عمر بن الشيخ إبراهيم الجعبرى، يوم الخميس سلخ ذى الحجة.

ومات الشيخ عبد الله بن على بن سليمان بن فلاح عفيف الدين بن عبد الرحمن اليافعى اليمنى الشافعى، في ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة بمكة.

ومات ملك تونس أبو بكر بن محمد بن عبد الواحد بن أبى حفص، في ليلة الأربعاء ثانى رجب، بعد ما ملك ثلاثين سنة تنقص شهرا وسبعة أيام؛ وأقيم بعده ابنه أبو حفص عمر.

ومات الأمير طقتمر الصلاحى أحد خواص شعبان الكاملى؛ وكان من أعيان أمراء مصر، ثم أخرج لنيابة حمص، فمات بها.

* * *

سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

يوم الثلاثاء أول المحرم: ركب السلطان فى أمرائه الخاصكية، ولعب بالكرة فى الميدان تحت القلعة، فغلب الأمير ملكتمر الحجازى، فلزم بعمل وليمة فى سرياقوس للسلطان، ذبح فيها خمسمائة رأس غنم، وعشرة أفراس، وعمل أحواضا مملوءة بالسكر المذاب، وجمع سائر أرباب الملهى؛ وحضر إليه السلطان والأمراء.

وفيه قدم كتاب أسندمر العمرى نائب طرابلس يسأل الإعفاء، فأجيب إلى ذلك. وخلع على الأمير منكلى بغا الفخرى أمير جاندار، واستقر فى نيابة طرابلس، وسار فى يوم الإثنين حادى عشريه.

وفى هذا الشهر: وقف جماعة للسلطان، وشكوا من بعد الماء وانحساره عن بر مصر والقاهرة حتى غلت رَوَايَا الماء فرسم بنزول المهندسين لكشف ذلك، فكتب تقدير ما يصرف على الجسر مبلغ مائة ألف وعشرين ألف درهم، جبيت من أرباب الأملاك المطلة على النيل، حسابا عن كل ذراع خمسة عشر درهما، فبلغ قياسها سبعة آلاف ذراع وستمائة ذراع. وقام باستخراج ذلك وقياسه محتسب القاهرة ضياء الدين يوسف ابن خطيب بيت الآبار.

وفيه توقفت أحوال الدولة من كثرة رواتب الخدام والعجائز والجوارى، وأخذهم الرزق بأرض بهيتت من الضواحى، وبأرض الجيزة وغيرها، بحيث أخذ مقبل الرومى عشرة آلاف فدان من شاسع البحيرة، قام السلطان والأجناد بكلفة جسورها.

وفيه فرق السلطان نصف إقطاع منكلى بغا الفخرى، وتأخر نصفه.

وفيه قدم الأمير بيغرا من كشف الجسور؛ فخلع عليه، واستقر أمير جاندار عوضا عن منكلى بغا الفخرى.

وفيه قدم الأمير أسندمر العمرى من طرابلس، فأنعم عليه ببقية إقطاع مكلى بغا الفخرى.

وفى خامس عشريه: قدم الحاج، وأخبروا برخاء أسعار مكة، وحسن سيرة الشريف عجلان.

وفيه قدم تجار اليمن والهند، وكان الفلفل قد عز وجوده بالقاهرة حتى بلغ الرطل

ستة وأربعين درهما؛ ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف، فأبيع عند قدوم الحاج بخمسة دراهم الرطل.

ووقع اختلاف فى أمر الوقوف بعرفة، فإن الوقفة كانت عند أهل مكة يوم الجمعة، على ما ثبت بمكة على قاضيها، بحضور قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وغيره من حجاج مصر والشام والعراق. وكان يوم عرفة بمصر والإسكندرية يوم الخميس، فقام الشيخ علاء الدين على بن عثمان[1] التركمانى الحنفى فى الإنكار على ابن جماعة، وأفتى أن حج الناس فاسد، ويلزم من وقف بالناس يوم الجمعة بعرفة جميع ما أنفقه الحجاج من الأموال، وأنه يجب على الحجاج كلهم أن يقيموا محرمين لا يَطئوا نساءهم ولا يمسوا طيبا حتى يقفوا بعرفة مرة أخرى. وشنع بذلك عند الأمراء، وأظهر الحزن على الناس، والأسف على ما أنفقوه من أموالهم. فشق ذلك على الأمير طغيتمر الدوادار، من أجل أن زوجته حجت فيمن حج، وأخذ خط ابن التركمان بما تقدم ذكره. فغضب الشافعية، وأنكروا مقالته وردوها. وقصد ابن جماعة أن يعقد مجلسا فى ذلك، ويطلب ابن التركمانى ويدعى عليه بما أفتى به، مما لا يوجد فى كتب الحنفية؛ فراجعه الناس عن ذلك مخافة الشناعة.

وفيه رسم لمقبل الرومى أن يخرج إتفاقًا وسلمى والكركية حظايا السلطان من القلعة، بما عليهن من الثياب، من غير أن يحملن شيئًا من الجوهر والزركش، وأن يقلع عصابة إتفاق عن رأسها ويدعها عنده. وكانت هذه العصابة قد اشتهرت عند الأمراء وشنعت قالتها، فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك: الصالح إسماعيل، والكامل شعبان والمظفر حاجى؛ وتنافسوا فيها، واعتنوا بجواهرها، حتى بلغت قيمتها زيادة على مائة ألف دينار مصرية.

وسبب ذلك أن الأمراء الخاصكية قرابغا وصمغار وغيرهما بلغهم إنكار الأمراء الكبار والمماليك على السلطان شدة شغفه بالنسوة الثلاث المذكورات، وانهماكه على اللهو بهن، وانقطاعه إليهن بالدهيشة عن الأمراء، وإتلافه الأموال العظيمة فى العطاء لهن ولأمثالهن؛ فعرفا السلطان إنكار الأمراء عليه إعراضه عن تدبير الملك، وخوفوه عاقبة ذلك؛ فتلطف به، وصوب ما أشاروا به عليه من الإقلاع عن اللهو بالنساء وأخرجهن وفى نفسه حزازات لفراقهن، تمنعه من الهدوء والصبر عنهم؛ فأحب أن

---

(١) على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني أبو الحسن بن التركمان قاضى حنفى من علماء الحديث واللغة من أهل مصر له كتب منها (المنتخب) فى علم الحديث. انظر لحظ الألحاظ والفوائد البهية ١٢٣ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٤٦ والأعلام ٤/ ٣١١.

يتعوض عنهن بما يلهيه ويسليه، واختار صنف الحمام، وأنشأ حضيرا[1] بأعلى الدهيشة، ركبه على صوار وأخشاب عالية، وملأه بأنواع الحمام؛ فبلغ مصروف الحضير خاصة سبعين ألف درهم.

وقدم البريد من حلب بأن صاحب سيس جهز مائتى أرمنى إلى ناحية أياس، فلما قربوا من كوار ليهجموا على قلعتها قاتلهم أربعون من المسلمين؛ فنصرهم الله على الأرمن، وقتلوا منهم خمسين، وأسروا ثلاثين، وهزموا باقيهم. فقتل بكوار عدة ممن أسر، وحمل بقيتهم إلى حلب؛ فكتب بالإحسان إلى أهل كوار والإنعام عليهم.

واتفق بمدينة حلب أن الأمير بيدمر البدرى لما قدمها ترفع على الأمراء، وعزل الولاة والمباشرين، بعدما أخذ تقادمهم، واستبدل بهم غيرهم بمال قاموا له به؛ واشتدت وطأة حاشيته على الناس بظلمهم وسوء معاملتهم. ثم بلغه أن رجلا من الأعيان مات عن ابنة وترك مالا جزيلا، وأوصى أن تتزوج ابنته بابن عمها. فرغب بعض الناس فى زواجها، وبذل لأوليائها مالا كثيرًا حتى زوجوها منه بغير رضاها فلم ترض به، وكرهته كراهة زائدة، حتى قالت لأهلها: «إن لم تطلقونى منه وإلا كفرت»؛ فأحضروها إلى بعض القضاة، وجددوا إسلامها. فطلب الأمير بيدمر ابن عمها، وضربه بالمقارع ضربا مبرحا، وضرب المرأة أيضًا ضربا شنيعا، وقطع أنفها وأذنيها، وشهرها بحلب؛ فتألم الناس لها ألما كبيرًا، ووصل خبرها إلى أمراء مصر، فقام صمغار وقرابغا وأصحابهما قياما كبيرًا فى الإنكار على بيدمر.

وصادف مع ذلك ورود كتاب الأمير أرغون شاه نائب صفد، يتضمن أن ابن طشتمر كاتب أرتنا نائب الروم بأن يتوجه إليه، وأن يقيم عنده. فظفر الأمير أرغون شاه بقاصده، وأخذ منه الكتاب، وقبض على ابن طشتمر وسجنه بالقلعة؛ فأجيب بالشكر والثناء. وكتب إليه أصحابه بأن يبعث تقدمة للسلطان حتى يتهيأ نقلته إلى غير صفد، فبعث سبعة أفراس وعقد جوهر بمائة ألف درهم، وغير ذلك من الأصناف؛ فأعجبت السلطان، وشكره. فأخذ صمغار وقرابغا وأصحابهما فى ذكر بيدمر نائب حلب وكراهة الناس له، وما فعله بالمرأة وابن عمها، وتحسين ولاية أرغون شاه عوضه؛ فإنه سار فى أهل صفد سيرة جميلة، ولم يقبل لأحد تقدمة، وجلس للحكم بين الناس، وأنصف فى حكمه حتى أحبه أهل صفد. فرُسم بقدوم أرغون شاه ليستقر فى نيابة

---

(١) حضيرًا صيغة عامية فيما يبدو لفظ حظيرة أو حضيرة. انظر محيط المحيط وهو مكان بأعلى الدار من الدور لتربية الدواجن ولايزال هذا اللفظ مستعملا بالتذكير وبالتأنيث فى اللغة العامية فى مصر.

حلب، وحضور الأمير بيدمر من حلب فقدم أرغون شاه صحبة طنيرق، فأكرمه السلطان، وخلع عليه يوم الإثنين تاسع عشرى صفر بنيابة حلب، عوضا عن بيدمر البدرى؛ ورُسم ألا يكون لنائب الشام عليه حكم، وأن تكون مكاتباته للسلطان؛ وكتب لنائب الشام بذلك.

وتوجه الأمير أرغون شاه إلى حلب فى يوم الخميس ثالث ربيع الأول، فقدم دمشق على البريد فى سادس عشره، ونزل قصر معين الدين حتى قدم طُلبه من صفد فى أبهة زائدة، وخيوله بسروج ذهب مرصعة وكنابيش ذهب، وقلائد مرصعة.

وكان بيدمر قد رأى فى منامه المرأة التى فعل بها ما فعل، وهى تقوله له: «أخرج عنا»، وكررت ذلك ثلاث مرات، وقالت له: «قد شكوتك إلى الله تعالى، فعزلك» فانتبه مرعوبا، وبعث إليها لتحالله، وبذل لها مالا فلم تقبله، وامتنعت من محاللته. فقدم خبر عزله بعد ثلاثة أيام من رؤياه، وقدم إلى القاهرة صحبة طنيرق؛ وقد أوصل طنيرق الأمير أرغون شاه إلى حلب، وسر به أهل حلب سرورا كبيرًا.

وفيه ارتفعت الأسعار بالشام، فبلغت الغرارة بدمشق مائتين وخمسين درهما؛ وذلك أن الجراد انتشر من بعلبك إلى البلقاء، ورعى الزروع.

وفيه كثر عبث العربان بأرض مصر، وكثر سفكهم للدماء، ونهب الغلال من الأجران، مع هيف الغلة.

وفيه اشتد احتراق النيل، وقل ماؤه حتى تأخر حمل الغلال فى المراكب فارتفع السعر من ثلاثين درهما الأردب من القمح إلى خمسة وخمسين، وبلغ الشعير خمسة وعشرين درهما الأردب، والفول عشرين درهما.

وفيه استقر أمير على بن طغربل حاجبا بدمشق عوضا عن أياس؛ واستقر أياس فى نيابة صفد.

وفيه ورد الخبر باختلال مراكز البريد بطريق الشام، فأخذ من كل أمير مقدم ألف أربعة أفراس، ومن كل أمير طبلخاناه فرسان، ومن كل أمير عشرة فرس واحد وكشف عن البلاد المرصدة برسم البريد، فوجدت ثلاث بلاد منها وَقَفَ إسماعيل بعضها، وأخرج باقيها إقطاعات، فأخرج السلطان عن عيسى بن حسن الهجان بلدا تعمل فى كل سنة عشرين ألف درهم، وثلاثة آلاف أردب غلة؛ وجعلها مرصدة لمراكز البريد.

وفيه قدم الخبر بأن أرتنا نائب الروم بعث يستدعى أحمد بن مهنا، وأرسل إليه هدية، فأبى أن يجيب.

واتفق أن أخا سيف بن فضل قصد فياض بن مهنا، وقد سار إليه من دمشق بمبلغ

ثمانين ألف درهم ثمن خيول قدمها للسلطان، فأخذه منه وقصد قتله. فركب فياض لما بلغه ذلك، وأغار على جمال سيف وآل فضل وساقها، وهى نحو خمسة عشر ألف بعير. فبعث سيف يطلب من نائبى دمشق وحلب عسكرا يقاتل آل مهنا فلم ينجداه.

وفيه كتب الأمير أرغون شاه نائب حلب فى حق سيف، فإنه لا طاقة له بآل مهنا. فرسم بقدوم سيف وآل مرا، وقدوم أحمد بن مهنا؛ ووعد أحمد بالإمرة، وخرج الأمير قطلوبغا الذهبى لذلك.

وفيه قدم ابن الأطروش من دمشق، وقد عزل من الحسبة؛ وكتب نائب الشام يذم فيه.

وفى عصر يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر: قُتل الأمير آقسنقر الناصرى، والأمير ملكتمر الحجازى؛ وأمسك الأمير بزلار،والأمير صغار، والأمير أيتمش عبد الغنى.

وسبب ذلك أن السلطان لما أخرج إتفاق وغيرها من عنده، وتشاغل عنهن بالحمام، صار يحضر إلى الدهيشة والأوباش، وتلعب بالعصا لعب صباح؛ ويحضر الشيخ على بن الكسيح مع حظاياه، فيسخر له، وينقل إليه أخبار الناس. فشق ذلك على الأمراء، وحدثوا ألجيبغا وطنيرق، وكانا عمدة السلطان وخاصكيته فيما يفعله السلطان، وأن الحال قد فسد فعرفا السلطان ذلك، فاشتد حنقه وأطلق لسانه، وقام إلى السطح وذبح بيده الحمام بحضرتهما، وقال: «وا لله لأذبحنكم كما ذبحت هذه الطيور»، وأغلق باب الدهيشة؛ وأقام غضبانا يومه وليلته. وكان الأمير غرلو قد تمكن منه، فأعلمه بما وقع، فوقع فى الأمراء وهونهم عليه، وجسره على الفتك بهم، والقبض على الأمير آقسنقر الناصرى النائب. فأخذ السلطان فى تدبير ما يفعله، وقرر ذلك مع غرلو. ثم بعث السلطان بعد أيام طنيرق إلى الأمير آقسنقر الناصرى النائب، فى يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الآخر، ويعرفه أن قرابغا القاسمى وصمغار وبزلار وأيتمش عبدالغنى قد اتفقوا على عمل الفتنة، «وعزمى أن أقبض عليهم»، فوعد برد الجواب غدًا على السلطان فى الخدمة، وأشار عليه من الغد بالتثبت فى أمرهم حتى يصح له ما قيل عنهم فعرفه السلطان من الغد يوم الجمعة بأنه صح له بإخبار بيبغاروس، وبين له أنهم تحالفوا على قتله؛ فأشار عليه أن يجمع بينهم وبين بيبغاروس؛ حتى يحاققهم بحضرة الأمراء يوم الأحد.

وكان الأمر على خلاف هذا، فإنه اتفق مع غُرْلو، وعنبر السحرتى مقدم المماليك، على مسك الأمير آقسنقر الناصرى، والأمير ملكتمر الحجازى يوم الأحد، وأظهر للنائب أنه يريد القبض على قرابغا وصمغار وبزلار وأيتمش.

فلما كان يوم الأحد تاسع عشره: حضر الأمراء والنائب إلى الخدمة بعد العصر، ومُدَّ السماط، وإذا بالقصر قد ملئ بسيوف مسللة من خلف آقسنقر والحجازى، وأحيط بهما وبقرابغا، وأخذوا إلى قاعة هناك فُضرب الحجازى بالسيوف، وبُضِّع هو وآقسنقر وفَرَّ صمغار وأيتمش عبد الغنى، فركب صمغار فرسه من باب القلعة ومر، واختفى أيتمش عند زوجته. فخرجت الخيل وراء صمغار، حتى أدركوه خارج القاهرة؛ وأخذ أيتمش من داره فارتجت القاهرة، وغلقت الأسواق وأبواب القلعة. وكثر الإرجاف إلى أن خرج النائب أرقطاى والوزير نجم الدين محمود بن شروين قريب المغرب، فاشتهر ما جرى.

وفيه رسم بالقبض على مرزه على، وعلى محمد بن بكتمر الحاجب وأخيه، وأولاد أيدغمش، وأولاد قمارى. وأخرجوا إلى الإسكندرية، وهم وبزلار وأيتمش وصمغار، لأنهم من ألزام الحجازى ومعاشريه، فسجنوا بها.

وفيه أخرج آقسنقر والحجازى فى ليلة الإثنين عشريه على جَنَويَّات، فدفنا بالقرافة وأصبح الأمير شجاع الدين غرلو وقد جلس فى دست عظيم، ثم ركب وأوقع الحوطة على بيوت الأمراء المقتولين والممسوكين وأموالهم، وطلع بجميع خيولهم إلى الإصطبل السلطانى، ونزل ومعه ناظر الخاص حتى أخرج حواصلهم. وضرب غرلو عبد العزيز الجوهرى صاحب آقسنقر، وعبد المؤمن أستاداره بالمقارع، وأخذ منهما مالا جزيلا. فخلع عليه السلطان قباء من ملابس آقسنقر بطراز زركش عريض، وأركبه حصان الحجازى بسرج ذهب. وخلا به يأخذ رأيه فيما يفعله. فأشار عليه بأن يكتب إلى نواب الشام بما جرى، ويعدد لهم ذنوبًا كثيرة على الأمراء الذين قبض عليهم. فكتب السلطان إلى الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، على يد الأمير آقسنقر المظفرى أمير جاندار. وقدم آقسنقر المظفر على الأمير يلبغا اليحياوى فى ثامن عشريه، فكتب يلبغا بتصويب رأى السلطان فيما فعله، وهو فى الباطن غير ذلك. وعظُم على الأمير يلبغا قتل ملكتمر الحجازى وآقسنقر الناصرى، وتوحش خاطره، وجمع الأمراء بعد يومين بدار السعاده، وأعلمهم بما ورد عليه. وكتب يلبغا إلى النواب بذلك، فبعث الأمير ملك آص إلى حمص وحلب، وبعث الأمير طيبغا القاسمى إلى طرابلس؛ فجاءه ليلة الجمعة مستهل جمادى الأولى من زاده وحشه، فلم يصبح له بدار السعادة أثر غير نسائه. وانتقل يلبغا يوم الجمعة إلى القصر، فنزل به، وشرع فى الاستعداد للخروج عن طاعة السلطان، ونزل ألزامه حوله بالميدان.

وأخذ السلطان المظفر حاجى يستميل المماليك بتفرقة المال فيهم، وأمَّر جماعة وأنعم على غرلو بإقطاع أيتمش عبد الغنى وتقدمته، وأصبح هو المشار إليه فى الدولة، وعظمت نفسه إلى الغاية.

وفيه أخرج ابن طقزدمر على إمرة طبلخاناه بحلب، لكثرة لعبه؛ وأنعم بتقدمته على الأمير طاز.

وفيه تولى غرلو مبيع قمش الأمراء وسائر موجودهم.

وفيه قدم الخبر بكثرة حشود العربان بالصعيد وبلاد الفيوم، وشدة فسادهم، وتعذر السفر من قطعهم الطرقات على المسافرين. فلم يعبأ السلطان بذلك، لاشتغاله بلهوه، وتلفته إلى أخبار نواب الشام، لتخوفه من خروجهم عن طاعته للقبض على الأمراء وقتلهم فقدمت أجوبتهم بما يظهر منه تصويب رأى السلطان فيما فعله، فلم يطمئن لذلك؛ ورسم بخروج العسكر إليه.

وفيه رسم السلطان بخروج العسكر إلى البلاد الشامية ورسم فى عاشر جمادى الأولى بسفر سبعة أمراء مقدمين، وهم طيبغا المجدى، وملك الجمدار، والوزير نجم الدين محمود بن شروين، وطنغرا، وأيتمش الناصرى الحاجب، وكوكاى، والزراق، ومعهم مضافوهم من الأجناد. وكتب بطلب الأجناد من النواحى، وكان وقت إدراك المغل؛ فصعب ذلك على الأمراء، وارتجت القاهرة بأهلها لطلب السلاح وآلات للسفر.

وكتب السلطان إلى أمراء دمشق ملطفات على أيدى النجابة بالتيقظ لحركات الأمير يلبغا اليحياوى، فأشار الأمير أرقطاى؟ النائب بطلب يلبغا ليكون بمصر، فإن أجاب وإلا أعلم بأنه قد عزل من نيابة الشام بأرغون شاه نائب حلب. فكتب بطلبه على يد الأمير سيف الدين أراى أمير آخور؛ وعند سفر أراى قدمت كتب نائب حماة ونائب طرابلس ونائب صفد بأن يلبغا دعاهم للقيام معه على السلطان لقتله الأمراء، وبعثوا للسلطان بكتبه إليهم. فكتب السلطان لأرغون شاه نائب حلب أن يتقدم لعرب آل مهنا بمسك الطرقات على يلبغا، وأعلمه أنه ولاه نيابة الشام؛ فقام أرغون شاه فى ذلك أتم قيام، وأظهر ليلبغا أنه معه.

ولما وصل الأمير سيف الدين أراى إلى الأمير يلبغا اليحياوى، فى يوم الأربعاء سادس جمادى الأولى، إذا فى كتاب السلطان طلب يلبغا ليكون رأس أمراء المشورة، وأن نيابة الشام أنعم بها على أرغون شاه نائب حلب وظن الأمير يلبغا اليحياوى أن استدعاءه حقيقة، وقرأ كتاب السلطان، فأجاب بالسمع والطاعة، وأنه إذا وصل الأمير أرغون

شاه إلى دمشق توجه منها إلى مصر، وكتب الجواب بذلك، وأعاد الأمير سيف الدين أراى سريعا. فأتت قصاد أمراء دمشق إلى الأمير سيف الدين أراى فى عوده، لتعرف فيما جاء به عليهم، فأعلمهم بعزل يلبغا بأرغون شاه، فتحللت عزائم الأمراء عن يلبغا.

وتجهز يلبغا وبرز إلى الجسورة ظاهر دمشق، فى خامس عشره. وكانت ملطفات السلطان وردت إلى الأمراء فى عشية يوم الخميس بإمساكه فركبوا وقصدوه، ففر منهم بمماليكه وأهله، وهم فى أثره إلى خلف ضُمَيْر.

وأما الأمير سيف الدين أراى فإنه قدم إلى السلطان، فقدم الخبر فى غد قدومه بأن يلبغا جمع ثقاته من أمراء الشام وأغراهم بالساطان، وأنه إن مضى إليه قتله كما قتل الأمراء، وأنه جمع أمره على التوجه إلى أولاد دمرداش ببلاد الشرق.

وركب الأمير يلبغا فى يوم الجمعة خامس عشره، ومعه الأمير قلاوون، والأمير سيفه، والأمير محمد بن بك بن جمق، فى مماليكهم؛ وخرجوا بآلة الحرب، فاضطرب الناس بدمشق. وركب العسكر فى طُلبه، وقد سار نحو القريتين ودخل البرية حتى وصل حماة، بعد أربعة أيام وخمس ليالى. فركب الأمير قطليجا نائب حماة بعسكره، وتلقاه ودخل به إلى المدينة، وقبض عليه وعلى من معه؛ وكتب بذلك إلى السلطان فسر به سرورًا كبيرًا وأمر بإبطال التجريدة؛ وكتب بحمله إلى مصر.

ثم خرج الأمير منجك السلاح دار لقتله، فلقى آقجبا الحموى وصحبته يلبغا اليحياوى وأبوه، وقد نزل بقاقون. فصعد منجك مع يلبغا إلى قلعتها، وقتله فى يوم الجمعة عشريه وجهز رأسه إلى السلطان. وتوجه منجك إلى حماة، وجهز الأمير قراكر والأمير أسندمر أخوى يلبغا اليحياوى، والأمير طقطاى دواداره، والأمير جوبان مملوكه، إلى السلطان مقيدين؛ وكان أبوه الأمير طابطا حُمل مقيدا من فاقون إلى السلطان.

وفيه قدم الخبر بأن أحمد بن مهنا وفياضا وفوازا وقمارى كانوا بحلب لما قبض على يلبغا بحماة، فركبوا بجمعهم يريدون آل مرا، وقد نزلوا قريبًا من سيف بن فضل فركب سيف بآل مرا وآل على إلى لقائهم، فلم يطقهم وفرّ، فنهبوا أبياته، وأخذوا منها خمسمائة حمل دقيق، وساقوا خمسة عشر ألف بعير. ومرّ سيف على وجهه إلى القاهرة، فطلع إلى السلطان وبكى بين يديه بكاء كثيرًا؛ فتنكر السلطان على أولاد مهنا. فقدم كتاب الأمير أرغون بالثناء عليهم، لخدمتهم السلطان فى أمر يلبغا أتم الخدمة؛ وقدم أحمد بن مهنا عقيب ذلك، فلم ير من السلطان إقبالا.

وفى يوم الأحد خامس عشريه: أخرج بالوزير نجم الدين محمود، والأمير بيدمر

البدرى نائب حلب كان، والأمير طغيتمر الفخرى الدوادار، إلى الشام. وسببه أن غرلو لما كان شاد الدواوين حقد على الوزير نجم الدين وعلى طغيتمر الدوادار، فحسن للسلطان أخذ أموالهما. فذكر السلطان للنائب أرقطاى عنهما وعن بيدمر أنهم كانوا يكاتبون يلبغا اليحياوى، فأشار عليه بإبعادهم عنه، وأن يكون الوزير نائب غزة، وبيدمر نائب حمص، وطغيتمر بطرابلس؛ فاخرجهم أرقطاى على البريد. فلم يعجب غرلو ذلك، وأكثر من الوقيعة فى الأمير أرقطاى النائب حتى غير السلطان عليه، ومازال به حتى بعث أرغون الإسماعيلى نائب غزة بقتلهم. فدخل أرغون الإسماعيلى معهم إليها وقت العصر، فقتلوا ليلا؛ وتمكن غرلو من أموالهم.

وتزايد أمر غرلو، واشتدت وطأته؛ وكثر إنعام السلطان عليه حتى لم يكن يوم إلا وينعم عليه بشيء. وأخذ غرلو فى العمل على علم الدين بن زنبور ناظر الخاص وعلى علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر، وحسن للسلطان القبض عليهما وأخذ أموالهما؛ فتلطف الأمير أرقطاى النائب فى أمرهما حتى كف عنهما. فلم يبق أحد من أهل الدولة حتى خاف غرلو، ورجع يصانعه بالمال.

وفيه توجه مقبل الرومى لقتل المسجونين بالإسكندرية بإشارة غرلو، فقتل أرغون العلائى، وقرابغا القاسمى، وتمر الموساوى، وصمغار، وأيتمش عبد الغنى.

وفيه أفرج عن أولاد قمارى وأولاد أيدغمش؛ وأخرجوا إلى الشام.

وفيه قدم الأمير منكلى بغا الفخرى من طرابلس، وأنعم عليه بتقدمة ألف.

واستمر السلطان على الانهماك فى لهوه، وصار يلعب فى الميدان تحت القلعة بالكرة فى يومى الأحد والثلاثاء، ويركب إلى الميدان على النيل فى يوم السبت. فلما كان آخر ركوبه الميدان رسم بركوب الأمرء المقدمين بمضافيهم، ووقوفهم صفين من الصليبة إلى فوق الإصطبل، ليرى العسكر. فضاق الموضع عنهم، فوقف كل مقدم بخمسة من مضافيه وجمعت أرباب الملهى، ورتبوا فى عدة أماكن بالميدان؛ ونزلت أم السلطان فى جمعها، وأقبل الناس من كل جهة. فبلغ كراء كل طبقة فى ذلك اليوم مائة درهم، وكل بيت كبير لنساء الأمراء مائتى درهم، وكل حانوت خمسين درهما، وكل موضع إنسان بدرهمين؛ فكان يوما لم يعهد فى ركوب الميدان.

وفيه أخرج سيف بن فضل من القاهرة مرسّمًا عليه، لكلام نقله عن الأمير أرقطاى النائب.

وفى يوم الخميس سابع جمادى الآخر: وصل رأس يلبغا اليحياوى.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: قُبض على غرلو، وقُتل. وسبب ذلك شدة كراهة الأمراء أرباب الدولة لسوء أثره فيهم، فإنه كان يخلو بالسلطان ويشير عليه بما يمضيه، فلا يخالفه فى شيء. وعمله السلطان أمير سلاح، فخرج عن الحد فى التعاظم، وجسر السلطان على قتل الأمراء، وقام فى حق الأمير أرقطاى النائب يريد القبض عليه وقتله، وأخذ المماليك الناصرية والصالحية والكاملية بكمالهم، واستمالهم لتجديد دولة مظفرية. وقرر مع السلطان أن يفوض إليه أمور المملكة، ليقوم عنه بتدبيرها، ويتوفر السلطان على لذاته. وأغراه أيضًا بأجيبغا وطنيرق، وهما أخص الناس بالسلطان، حتى تغير عليهما. وبلغ ذلك أجيبغا، وتناقله المماليك، فتعصبوا عليه، وراسلوا الأمراء الكبار حتى حدثوا السلطان فى أمره، وخوفوه عاقبته، فلم يعبا السلطان بقولهم، فتنكروا بأجمعهم على السلطان، وصاروا إلبًا عليه بسبب غرلو، إلى أن بلغه ذلك عنهم من بعض ثقاته. فاستشار الأمير أرقطاى النائب فى أمر غرلو، وعرفه ما يخاف من غائلته، فلم يُشِر عليه بشى، وقال له: «لعل الرجل قد كثرت حساده على تقريب السلطان له، والمصلحة التثبت فى أمره» كان الأمير أرقطاى النائب عاقلا سيوسا، يخشى من معارضة غرض السلطان فيه. فاجتهد أجيبغا وعدة من الخاصكية فى التدبير على غرلو، وتخويف السلطان منه ومن عواقبه، حتى أثر قولهم فى نفسه. وأقاموا أحمد شاد الشرابخاناه - وكان مزاحًا - للوقيعة فيه فأخذ فى خلوته مع السلطان بذكر كراهة الأمراء لغرلو وموافقة المماليك لهم وأنه يريد أن يدبر الدولة ويكون نائب السلطان، وليتوثب بذلك على المملكة ويصير سلطانا، ويخرج قوله هذا فى صورة السخرية والضحك. وبالغ فى ذلك على عدة فنون من الهزؤ إلى أن قال: «وإن خلاه السلطان رحنا كلنا الحبوسات من بعده» فانفعل السلطان لكلامه، وقال: «أنا الساعة أخرجه وأعمله أمير آخور». ثم مضى أحمد إلى الأمير أرقطاى النائب، وعرفه ما كان منه، وما قاله السلطان، وجَسّره على الوقيعة فى غرلو. فاستشار السلطان الأمير أرقطاى النائب فى غرلو ثانيا، فأثنى عليه وشكره، فعرفه وقوع الخاصكية فيه، وأنه قصد أن يعمله أمير آخور، فقال أرقطاى: « غرلو شجاع جسور، لا يليق أن يكون أمير آخور». فكأنه أيقظ السلطان من رقدته، وأخذ معه فيما يوليه، فأشار بولايته غزة، فقبل السلطان ذلك وقام عنه فأصبح السلطان بكرة يوم الجمعة، وقد بعث طنيرق إلى الأمير أرقطاى النائب بأن يخرج غرلو إلى غزة. فلم يكن غير قليل حتى طلع غرلو على عادته إلى القلعة، وجلس على باب القلة، فبعث الأمير أرقطاى النائب بطلبه، فقال: «مالى عند النائب شغل وما لأحد معى حديث غير

أستاذى السلطان». وأرسل النائب يعرف السلطان جواب غرلو له بطلبه، فغضب السلطان، وقال لمغلطاى أمير شكار والأمراء أن يعرفوه عن السلطان بتوجهه إلى غزة، وإن امتنع يمسكوه. فلما صار غرلو داخل القصر لم يحدثوه بشىء، وقبضوا عليه وقيدوه، وسلموه لألجيبغا، فأدخله إلى بيته بالأشرفية فلما خرج السلطان لصلاة الجمعة على العادة، قتلوا غرلو، وهو فى الصلاة واخذ السلطان بعد عوده من الصلاة يسأل عنه، فقالوا عنه أنه قال: «ما أروح مكانا» فأراد سَل سَيفه وضرب الأمراء به، وأنهم تكاثروا عليه، فما سلّم نفسه حتى قتل. فعز قتله على السلطان، وحقد عليهم قتله، و لم يظهره لهم. وتقدم السلطان بإيقاع الحوطة على حواصله، فكان يوما عظيما بالقلعة والمدينة، وخرج معظم الناس إلى تحت القلعة، فشوهد يومئذ من اجتماعهم أمر مهول. وأخرج غرلو حتى دفن بباب القرافة، فأصبح وقد خرجت يده من الأرض، فأتاه الناس أفواجا ليروه، ونبشوا عليه، وجروه بحبل فى رجله إلى تحت القلعة. وأتوا بنار ليحرقوه، وصار لهم ضجيج عظيم. فبعث السلطان عدة من الأوجاقية قبضوا على كثير منهم، فضربهم الوالى بالمقارع، وأخذ منهم غرلو ودفن؛ و لم يظهر له كبير مال.

وفيه قدم الخبر بدخول الأمير أرغون شاه إلى دمشق، فى يوم الثلاثاء سابع عشره صحبة مُتَسَفِّرِهِ الأمير آقسنقر جاندار فعرض يوم دخوله أهل السجون، ووسط وسَّمر منهم عدة من أرباب الجرائم، وألزم جميع من له إقطاع بحلب أو حماة أو طرابلس أو صفد أو غيرها من البلاد الشامية أن يتوجه إلى محل خدمته، ولا يقيم بغيره، وأنعم الأمير أرغون شاه على متسفره بخمسة عشر فرسا، منها خمس عربيات مسرجات ملجمات، وأحد عشر إكديش، وجارية بخمسة آلاف درهم وأربعين ألف درهم، ومائة قطعة قماش، وتشريف النيابة بكماله وسيفه المحلى، وكتب له بألف أردب غلة من مصر، وكان الأمير أرغون شاه أعطاء بحلب ألف وخمسمائة دينار. فأقام آقسنقر بدمشق نحو ثلاثة أشهر، و لم يسأله فى ولاية ولا عزل إلا أجابه، فرجع بمال عظيم.

وفيه أفرج عن ابن طشتمر من صفد، وأنعم عليه بإمرة فى دمشق.

وفيه نقل أمير مسعود بن خطير من نيابة غزة إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير منكلى بغا الفخرى.

وفيه استقر الأمير فخر الدين أياس حاجب دمشق فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أرغون شاه.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس على العادة، فأقام أياما وعاد.

وفي يوم الإثنين سادس عشر رجب: أخرج لاجين أمير آخور إلى دمشق، على إقطاع قلاوون.

وفيه أخرج منجك السلاح دار واستقر حاجبا بدمشق، عوضا عن أمير على بن طغربل.

وفيه أنعم على اثنى عشر من المماليك بإمرات، ما بين طبلخاناه وعشرات بمصر والشام.

وفيه أعيد الأطروش إلى الحسبة، عوضا عن الضياء، ورتب للضياء ما يقوم به.

وفيه عمل الإستيمار بما على الدولة من الكلف، وما يتحصل. فوجدت الكلف ثلاثة أمثال ما كانت فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، ومرتب الحوائج خاناه فى كل يوم مقدار اثنين وعشرين ألف رطل لحم، ونفقات المماليك مبلغ مائتين وعشرين ألف درهم، بعدما كانت تسعين ألف درهم. فرسم السلطان بقطع ما استجد من الرواتب بعد موت السلطان الناصر محمد، فمازال به الأمير أرقطاى النائب يخوفه سوء عاقبة قطع الأرزاق، ويعرفه أن أحدا من الملوك ما قُرئ عليه الإستيمار وقطع شيئًا إلا وأصابه ما يكره فى دولته، حتى رسم باستمرار الرواتب على حالها.

وفيه وزع على مباشرى الجهات مبلغ ستمائة ألف درهم، خص مقدمى الدولة منها مائة ألف درهم.

وفيه رسم أن يكون فى كل معاملة شاهد وكاتب؛ واستقر قطلوابغا شاد الجهات بالقاهرة، وابن المزوالى شادًا بجهات مصر.

وفيه قدم على بن طغربل من دمشق.

وفيه أنعم على الأمير بيبغا روس عند قدومه من سرحة العباسة بألفى دينار، ومائة قطعة قماش، وأربعة أرؤس خيل بسروج ذهب.

وفى مستهل شعبان: خرج الأمير طيبغا المجدى، والأمير أسندمر العمرى، والأمير أرغون الكاملى، والأمير بيبغا روس، والأمير بيبغا ططر، إلى الصيد؛ ثم خرج الأمير أرقطاى النائب بعدهم إلى الوجه القبلى بطيور السلطان. ورسم السلطان لهم ألا يحضروا إلى العشر الأخير من رمضان.

فخلا الجو للسلطان، وأعاد حضير الحمام، وأحضر إليه عدة من عبيده، وأعاد

أرباب الملاعيب من الصراع، والثقاف، والشباك وجرى السعاة، والنطاح بالكباش، ومناقرة الديوك والقمارى[١]، وغير ذلك من أنواع الفساد؛ ونودى بإطلاق اللعب بذلك فى القاهرة ومصر. فصار للسلطان اجتماعات بالأوباش وأراذل الطوائف، من الفراشين، والبابية[٢]، ومطيرى الحمام؛ فكان يقف معهم ويراهن على الطير الفلانى والطيرة الفلانية.

وبينا هو ذات يوم معهم عند حضير الحمام وقد سيبها، إذ أذن العصر بالقلعة والقرافة، فجفلت الحمام على مقاصيرها وتطايرت. فحَرِد السلطان، وبعث إلى المؤذنين يأمرهم أنهم إذا رأوا الحمام لا يرفعون أصواتهم.

وكان السلطان أيضا يلعب مع العوام، ويلبس تِبَّان جلد، ويتعرى من ثيابه كلها ويصارعهم، ثم يلعب معهم بالعصى، ويلعب بالرمح وبالكرة. فيظل نهاره مع الغلمان والعبيد فىالدهيشة، ويحضر فى الليل على العواد، ويأخذ عنه الضرب بالعود، ويتجاهر بما لا يحمد.

وشغف السلطان بكيدا حتى كان لا يكاد يفارقها، واشترى لها أملاك النشو وأخيه رزق الله وصهره المخلص بخط الزربية، فاشتراها لها بمائة ألف درهم. وكانت هذه الزربية فى غاية الحسن، قد أنفق عليها النشو أموالا عظيمة، وصارت بعد النشو إلى امراة الأمير بكتمر الساقى، اشتراها لها الأمير بشتاك بنحو الألف درهم، إلى أن طلبتها كيدا، فأرسل السلطان إليها يستوهبها منها، فتركتها له؛ فرسم لها بمائة ألف درهم، وكاتبها على الأملاك باسم كيدا فلم يهن بها، ووقعت نار فى دار رزق الله جعلتها دكا.

وفيه ارتفع سعر القمح من أربعين درهما للأردب إلى خمسين، وغلا اللحم وعامة الأصناف المأكولة حتى بلغت مثلى ثمنها. وتوقفت الأحوال، وقلت الغلال، وكثر السؤال من كثرة قدوم أهل النواحى إلى القاهرة حتى ضاقت بهم فكانوا كذلك مدة سنة، مع كثرة المناسر فى البلاد والقاهرة، وقوة المفسدين وقطاع الطريق بأرض مصر وبلاد القدس ونابلس، وفتنة العشير بعضهم مع بعض.

---

(١) القمارى المقصود بذلك نوع من الحمام يستخدمه الغواة فى المناقرة والمراهنة على أن المقريزى جمع هنا أنواع الملعوب فى عصر سلاطين المماليك

(٢) البابية اسم عام لجميع العمال القائمين بغسل الملابس وصقلها فى الطشخاناه السلطانية. القلقشندى: صبح الأعشى ٥/ ٤٧٠.

وفى نصفه: توجه ألجيبغا وأحمد شاد الشرابخاناه إلى الصيد، فأخذ السلطان فى التدبير على أخيه حسين ليقتله، وأرصد له عدة خدام ليهجموا عليه عند إمكان الفرصة ويغتالوه؛ فتمارض واحترس على نفسه، فلم يجدوا منه غفلة.

وفى سابع عشره: استقر فى الخلافة أبو بكر بن أبى الربيع سليمان[1]، ونُعت بالمستعصم با لله أبى الفتح، بعد موت أبيه.

وفى أخريات شعبان: قدم الأمراء والأمير أرقطاى النائب قبل أوانهم من الصيد شيئًا بعد شىء، وقد بلغهم ما كان من أفعال السلطان فى غيبتهم.

وفى يوم السبت رابع رمضان: زلزلت القاهرة مرتين فى ساعة واحدة.

وفيه قدم ابن الحرانى من دمشق بمال يلبغا اليحياوى، فتسلمه الخدام وأنعم السلطان من ليلته على كيدا حظيته بعشرين ألف منه سوى الجواهر واللآلى، ونثر الذهب على الخدام والجوارى، فاختطفوه، وهو يضحك منهم، وفرق السلطان على لعاب الحمام والفراشين والعبيد الذهب واللؤلؤ، وصار يحذفه لهم، وهم يترامون عليه ويأخذونه، بحيث لم يدع منه شيئًا سوى القماش والتفاصيل والآنية والعدد، فإنها صارت إلى الخزانة. فكانت جملة ما فرقه السلطان ثلاثين ألف دينار وثلاثمائة ألف درهم، وجواهر وحليًا، وزركشًا ومصاغًا، قيمته زيادة على ثمانين ألف دينار.

فعظم ذلك على الأمراء، وأخذ ألجيبغا وطنيرق يعرفان السلطان ما ينكره عليه الأمراء من اللعب بالحمام وتقريب الأوباش، وخوفاه فساد الأمر. فغضب السلطان، وأمر آقجبا شاد العمائر بخراب حضير الحمام، وأحضر الحمام وذبحها واحدًا واحدًا بيده، وقال لألجيبغا وطنيرق: «وا لله لأذبحنكم كلكم كما ذبحت هذا الحمام»، وتركهم وقام. فبات ليلته وأصبح ففرق جماعة من خشداشية ألجيبغا وطنيرق فى البلاد الشامية واستمر على إعراضه عن الجميع؛ وقال لحظاياه وعنده معهن الشيخ على الكسيح: «وا لله ما بقى هنا لى عيش وهذان الكذا وكذا بالحياة، يعنى ألجيبغا وطنيرق، فقد أفسدا على ما كان فيه سرور، واتفقا على، ولابد من ذبحهما». فنقل ذلك الشيخ على الكسيح لألجيبغا، فإنه الذى كان أوصله بالسلطان، وقال له مع ذلك: «خذ لنفسك،

---

(١) أبو بكر بن سليمان بن أحمد العباس أبو الفتح، المعتضد با لله من خلفاء العباسيين بمصر. هو ابن المستكفى با لله ابن الحاكم بأمر ا لله كان مقيمًا فى جملة بنى العباس بالقاهرة وولى الخلافة بها بعد وفاة أخيه الحاكم بأمر ا لله أحمد بن سليمان . انظر تاريخ الخميس ٢/ ٣٢٨ وشذرات الذهب ٦/ ١٩٧ وبدائع الزهور ١/ ٢٠٠، ٢١١، والأعلام ٢/ ٦٤.

فوا الله لا يرجع عنك ولا عن طنيرق». فطلب ألجيبغا صاحبه طنيرق حتى عرفه ذلك، فأخذا فى التدبير على السلطان، وأخذ السلطان فى التدبير عليهما.

وفيه أخرج السلطان الأمير بيبغا روس للصيد بالعباسة، فإنه كان صديقا لألجيبغا؛ وتنمَّر السلطان على طنيرق واشتد عليه، وبالغ فى تهديده. فبعث طنيرق وألجيبغا إلى طشتمر طلليه، وما زالا به حتى وافقهما. ودار طنيرق على الأمراء، وما منهم إلا من نفرت نفسه من السلطان، وتوقع منه أن يفتك به. وأغراهم طنيرق بالسلطان، فصاروا معه يدا واحدة، وكلموا الأمير أرقطاى النائب فى موافقتهم، وأعلموه أنه يريد القبض عليه، وأكثروا من تشجيعه إلى أن أجابهم؛ وتواعدوا جميعا فى يوم الخميس تاسع رمضان على الركوب فى يوم الأحد ثانى عشره.

فبعث السلطان فى يوم السبت يطلب الأمير بيبغا روس من العباسة، وقرر مع الطواشى عنبر مقدم المماليك أن يعرف المماليك السلاح دارية أن يقفوا متأهبين، فإذا دخل بيبغا روس وقبل الأرض ضربوه بسيوفهم، وقطعوه قطعا. فعلم بذلك ألجيبغا، فبعث إلى بيبغا يعلمه بما دبره السلطان من قتله، ويعرفه بما وقع من اتفاق الأمراء عليه، وأنه يوافيهم بكرة يوم الأحد على قبة النصر. واستعدوا ليلتهم، ونزل ألجيبغا أولهم من القلعة وتلاه بقية الأمراء فكان آخرهم ركوبا الأمير أرقطاى النائب. وتوافوا بأجمعهم عند مطعم الطير، وإذا بيبغا قد وصل إليهم، فأحضروا مماليكهم وأطلابهم، وبعثوا فى طلب بقية الأمراء، فما ارتفع النهار حتى وقفوا بأجمعهم لابسين آلة الحرب، عند قبة النصر.

فأمر السلطان بدق الكوسات، وبعث الأوجاقية فى طلب الأمراء، وجمع عليه طنيرق وشيخو وأرغون الكاملى وطاز، ونحوهم من الخاصكية؛ فحضر إليه أجناد الحلقة ومقدموها، وعدة من الأمراء. وأرسل السلطان يعتب الأمير أرقطاى النائب على ركوبه، فرد جوابه بأن «مملوكك الذى ربيته ركب عليك، وأعلمنا فساد نيتك، وقد قتلت مماليك أبيك، وأخذت أموالهم، وهتكت حريمهم بغير موجب، وعزمت على الفتك بمن بقى، وأنت أول من حلف ألا تخون الأمراء، ولا تخرب بيت أحد» فرد السلطان الرسول إليه يستخبره عما يريدونه منه حتى يفعله لهم، فأعادوا جوابه أنهم لابد أن يسلطنوا غيره، فقال: «ما أموت إلا على ظهر فرسى» فقبضوا على رسوله، وهموا بالزحف عليه، فمنعهم الأمير أرقطاى النائب.

فبادر السلطان بالركوب إليهم، وأقام أرغون الكاملى وشيخو فى الميسرة، وأقام

عدة أمراء فى الميمنة، وسار بمماليكه حتى وصل إلى قريب قبة النصر. فكان أول من تركه الأمير أرغون الكاملى و الأمير ملكتمر السعيدى، ثم الأمير شيخو. وأتوا الأمير أرقطاى النائب والأمراء، وتلاهم بقيتهم، حتى جاء الأمير طنيرق، والأمير لاجين أمير جاندار صهر السلطان آخرهم.

وبقى السلطان فى نحو عشرين فارسا، فبرز له الأمير بيبغا روس والأمير ألجيبغا، فولى فرسه وانهزم عنهم، فأدركوه وأحاطوا به. فتقدم إليه بيبغا روس، فضربه السلطان بطبر، فأخذ الضربة بترسه، وحمل عليه بالرمح. وتكاثروا عليه حتى قلعوه من سرجه فكان بيبغا روس هو الذى أرداه؛ وضربه طنيرق جَرَح وجهه وأصابعه. وساروا به على فرس إلى تربة آقسنقر الرومى تحت الجبل، وذبحوه من ساعته قبل العصر. ولما أنزلوه وأرادوا ذبحه توسل إلى الأمراء، وهو يقول: «بالله لا تستعجلوا على قتلى، وخلونى ساعة»، فقالوا: «فكيف استعجلت على قتل الناس، لو صبرت عليهم صبرنا عليك».

وصعد الأمراء إلى القلعة فى يومهم، ونادوا فى القاهرة بالأمان والاطمئنان، وباتوا بها ليلة الإثنين، وقد اتفقوا على مكاتبة الأمير أرغون شاه نائب الشام بما وقع، وأن يأخذوا رأيه فيمن يقيمونه سلطانا. فأصبحوا وقد اجتمع المماليك على إقامة حسين بن الناصر محمد بن قلاوون فى السلطنة، ووقعت بينه وبينهم مراسلات. فقبض الأمراء على عدة من المماليك، ووكلوا الأمير طاز بباب حسين، حتى لا يجتمع به أحد، وغلقوا باب القلعة، وهم بآلة الحرب يومهم وليلة الثلاثاء. وقصد المماليك إقامة الفتنة فخاف الأمراء تأخير السلطنة حتى يستشيروا نائب الشام أن يقع من المماليك ما لا يدرك فارطه، فوقع اتفاقهم عند ذلك على حسن بن الناصر محد بن قلاوون، فتم أمره.

فكانت مدة المظفر حاجى سنة وثلاثة أشهر واثنى عشر يوما، وعمره نحو عشرين سنة وكان شجاعا جريئًا على الدنيا، منهمكا فى الفساد، كثير الإتلاف للمال.

* * *

السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى الحسن بن محمد بن قلاوون الألفى[(١)]

(١) الحسن بن محمد بن قلاوون الألفى وهو الحسن الناصر بن محمد الناصر بن قلاوون، أبو المحاسن من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام بويع بمصر، صغيرًا بعد مقتل أخيه [حاجى المظفر] و كان اسمه (قمارى) فلما ولى السلطنة سمى (حسن) وقام بأمور الدولة الأمير بيبغا روس نائب السلطنة. انظر ابن إياس ١: ١٩ ٢٥ ووليم موير ١٠١ والبداية والنهاية ١٤: ٢٢٤ - ٢٧٨، ٢٧٩ والأعلام ٢/ ٢١٦.

أمه أمة تُدعى كدا، ماتت وهو صغير، فربته خوند أردو، ودعوه قمارى حتى كان من أمر أخيه حاجى ما كان. وطلب المماليك إقامة حسين فى السلطنة، وبات ليلة الثلاثاء أكثرهم بالمدينة ليخرجوا إلى قبة النصر. فقام الأمراء بسلطنة حسن هذا وأركبوه بشعار السلطنة، فى يوم الثلاثاء، رابع عشرى رمضان، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة؛ وأجلسوه على تخت الملك بالإيوان، لقبوه بالملك الناصر سيف الدين قمارى.

فقال السلطان للأمير أرقطاى نائب السلطنة: «يا بة! ما اسمى قمارى، إنما اسمى حسن»، فقال أرقطاى: «يا خوند! وا لله إن هذا اسم حسن على خيرة ا لله»؛ فاستقرت سلطنته، وحلف له الأمراء على العادة، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: اجتمع الأمراء، وأخرج لهم دينار الشبلى المال، فنقل إلى الخزانة.

وفيه طُلب خدام المظفر وعبيده، ومن كان يعاشره من الفراشين ومطيرى الحمام، وسُلِّموا لشاد الدواوين على حمل ما أخذوه من المال. فأقر الخدام أن الذى خص كيدا فى مدة شهرين نحو خمسة وثلاثين ألف دينار، ومائتين وعشرين ألف درهم؛ وخص عبد على العواد نحو ستين ألف درهم؛ وخص الإسكندر بن كتيلة الجنكى نحو الأربعين ألف درهم؛ وخص العبيد والفراشين ومطيرى الحمام نحو مائة ألف درهم. وأظهر بعض الخدام حاصلا تحت يده، فيه لؤلؤ وجوهر قيمته زيادة على مائة ألف دينار، وفيه تحف وتفاصيل وزركش وبدلات ثياب بنحو مائة ألف دينار.

وفى يوم الخميس سادس عشره: قبض على الأمير أيدمر الزراق، والأمير قطز أمير آخور، والأمير ملك؛ وأخرج قطز لنيابة صفد.

وفيه قطعت أخباز عشرين خادما، وخبز عبد على العواد، وإسكندر بن كتيلة الجنكى.

وفيه طلبت دبيقة مغنية عرب الجيزة، وكانت تخايل بالقلعة؛ وطلبت ضامنة المغانى أيضا؛ وألزمتا بمال فى نظير ما حصل لهما من بيت المال.

وفى يوم الأحد تاسع عشره: عرضت جميع الجوارى اللاتى بالقلعة، ورُسم بتزوج من أعتق منهن، وفُرِّقَ باقيهن.

وفيه قبض على الطواشى عنبر السحرتى، وعلى الأمير آقسنقر أمير جاندار زوج أم المظفر.

وفيه عرضت المماليك أرباب الوظائف، وأخرج منهم جماعة.

وفيه أحيط بأموال كيدا، وأموال بقية الحظايا، وأنزلن من القلعة.

وفيه كتبت أوراق بمرتبات الخدام والعبيد والجوارى، وقطعت كلها.

وكان أمراء المشورة والتدبير تسعة، وهم بيبغا روس القاسمى، بألجيبغا المظفرى، ومنكلى بغا الفخرى، وطشتمر طلليه، وأرقطاى النائب، وطاز، وأحمد شاد الشرابخاناه، وأرغون الإسماعيلى فاستقر شيخو العمرى رأس نوبة كبير وشارك الأمراء فى تدبير أمور المملكة.

وفيه استقر مغلطاى أمير آخور، عوضا عن قطز.

وفيه أفرج عن بزلار.

وفيه أنعم على فارس الدين قريب آل ملك بإمرة طبلخاناه.

وفيه جهزت التشاريف لنواب الشام، وكتب إليهم بما وقع.

وفيه وقع الاتفاق على تخفيف الكلف السلطانية، وتقليل المصروف بسائر الجهات؛ وكتبت أوراق بما على الدولة من الكلف.

وفيه أخذ الأمراء فى تتبع طائفة الجراكسية من المماليك، وقد كان المظفر قربهم إليه بسفارة غرلو، فإنه كان جركسى الجنس. وجلبهم المظفر من كل مكان حتى عرفوا بين الأمراء، وقوى أمرهم، وصار منهم أمراء وأصحاب أخباز وتميزوا بكبر عمائمهم، وعملوا كلفتاه خارجة عن الحد. فطُلبوا الجميع، وأخرجوهم منفيين خروجا فاحشا.

وفى يوم الإثنين ثانى شوال: ركب الأمراء وأهل الدولة إلى الخدمة، وكتبت أوراق من ديوان الجيش بأسماء الذين اشتروا الإقطاعات فى الحلقة من أرباب الصنائع، ورسم بقطع أخبازهم فشفع الأمراء فى كثير منهم، ولم يقطع غير عشرين جنديا.

وفيه قدم جواب الأمير أرغون شاه نائب الشام بموافقته، ورضاه بما وقع، وَغَضَّ من فخر الدين أياس نائب حلب. وكان الأمير أرقطاى نائب السلطنة قد أراد من الأمراء أن يعفوه من النيابة، ويولوه بلدا من البلاد، فلم يوافقوا على ذلك. فلما ورد كتاب الأمير أرغون شاه نائب الشام يذكر فيه أن أياس يصغر عن نيابة حلب، فإنه لا يصلح لها إلا رجل شيخ كبير القدر له ذكر وشهرة، وطلب الأمير أرقطاى نيابة حلب فأجال الأمراء الرأى فى ذلك إلى أن اتفقوا عليه. فلما كان يوم الخميس خامسه واجتمعوا بالخدمة، خُلِع على الأمير بيبغا روس القاسمى واستقر فى نيابة السلطنة، عوضا عن أرقطاى، وخلع على أمير أرقطاى واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن فخر الدين أياس؛

وخرجا بتشريفهما. فجلس بيبغا روس فى دست النيابة، وجلس أرقطاى دونه، بعدما كان قبل ذلك بساعة أرقطاى فى دست النيابة وبيبغا جالس دونه.

وفى يوم السبت سابعه: قدم أمير منجك اليوسفى السلحدار أخو النائب بيبغا روس من الشام، فرُسم له بتقدمة ألف، وخلع عليه، واستقر وزيرا وأستادارا. وخرج فى موكب عظيم، والأمراء فى خدمته؛ فصار حكم مصر للأخوين بيبغا روس ومنجك السلاح دار.

وفى يوم الثلاثاء عاشره: سار أرقطاى متوجها إلى حلب، وصحبته الأمير كشلى الإدريسى متسفرا.

وكان قد رسم بنقل الأمراء المقتولين بالإسكندرية، فنقلوا إلى القاهرة. ودفن الأمير قمار بخانكاة أخيه الأمير بكتمر الساقى، قبلى القرافة. ودفن الأمير أرغون العلائى بخانكاته من القرافة. ودفن الأمير قوصون بخانكاته داخل باب القرافة. ودفن الأمير بشتاك بتربة الجاولى، فوق جبل الكبش. ودفن الأمير ملكتمر الحجازى فى يوم الإثنين سابع عشرى رمضان، بموضع من قصر الزمرد عند رحبة باب العيد من القاهرة، أنشأته له زوجته، ثم عملته مدرسة تعرف اليوم بالحجازية. ودُفن الملك الأشرف كجك بجماع آقسنقر من التبانة قريبا من القلعة، بجوار قبر زوج أمه آقسنقر. وأخرج يوسف وشعبان ورمضان أولاد الناصر محمد، ودفنوا بمواضع أخرى. وسلم الأمير تمر الموساوى لأهله، فدفنوه بتربتهم. ونقل جماعة كثير سواهم، ولم يعهد مثل ذلك فى الدولة التركية.

وفيه خلع على الشيخ علاء الدين على بن الفخر عثمان بن إبراهيم الماردينى، المعروف بابن التركمانى الحنفى، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية بمصر، عوضا عن زين الدين عمر بن عبد الرحمن البسطائى.

وفيه رُسم بكتابة أوراق بكلف الدولة، وُفّر منها مبلغ ستين ألف درهم فى كل شهر من جامكية المماليك. وقُطعت جوامك الخدم والجوارى والبيوتات، ووُفّر كثير من رواتب الدولة لزوجات السلطان وكيدا واتفاق، وقُطعت رواتب المغانى. وقطِع من الاصطبل السلطانى جماعة، ما بين أمير آخورية وسر آخورية وسياس وغلمان، ووُفّر من رواتب عليق الخيول نحو خمسين أردبا فى اليوم. وقطعت الكلابزية، وكانوا خمسين جوقة كلاب، فاستقروا جوقتين. وقطعت رواتب كثير من الأسرى والعتالين والمستخدمين فى العمائر، وأبطلوا العمائر من بيت السلطان. واستقر مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم ثمانية عشر ألف درهم، بعدما كان أحدا وعشرين ألف درهم، فتوفر

منه ثلاثة آلاف درهم.

وفيه رُسم ألا يستقر فى كل جهة إلا شاد وعامل وشاهد واحد.

واشتد الوزير منجك على أرباب الدواوين، وتكلم فيهم حتى خافوه بأسرهم، وقاموا له بتقادم تليق به؛ فلم يمضى شهر حتى أنس بهم، واعتمد عليهم في أموره كلها.

واستدعى الوزير منجك أيضا ولاة الأقاليم، وألزم آقبغا والى المحلة بمائة ألف درهم، وولى أسندمر القلنجيقى الغربية، ثم عزله وولى قطليجا مملوك بكتمر؛ وولى أسندمر القاهرة، وأضاف له الجهات يتحدث فيها.

وفيه أنعم على أمير أرغون الكاملى بتقدمة ألف، وأنعم بإقطاعه على يلجك ابن أخت قوصون.

وفيه قدم سيف فخر الدين أياس نائب حلب على يد عمر شاه. وقد قبض عمر شاه على أياس، وأحضره إلى القاهرة، فحمل إلى الإسكندرية.

وفيه قدم الخبر بكثرة فساد العربان بالصعيد والفيوم، فخرج ابن طقزدمر ومعه خمسة أمراء طبلخاناه إلى الوجه القبلى، وخرج بكلمش أمير شكار فى عدة أمراء إلى الفيوم.

وفيه استقر طغيه فى ولاية قوص، عوضا عن إسماعيل الوافدى(١)، وقد فر بأمواله من قوص. ثم نقل طغيه إلى كاشف الوجه القبلى، عوضا عن علاء الدين على بن الكوارنى؛ واستقر ابن المزوّق فى ولاية قوص. واستقر مجد الدين موسى الهذبانى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن ابن الزركشى. واستقر قطلومش فى ولاية الجيزة.

فتسامع الناس بولاية الوزير منجك الأعمال بالمال، وأنه قد انفتح باب الأخذ والعطاء، فهرعوا إليه من حلب ودمشق وسائر النواحى؛ ورتب الوزير ببابه جماعة لاستقضاء الناس وقضاء أشغالهم.

وفى أول ذى القعدة: قدم الخبر بأن الأمراء المجردين أوقعوا بالعرب، وقتلوا منهم جماعة، ونهبوا ما وجدوه، فانهزم باقيهم إلى جهة الواحات.

وفيه توقفت أحوال الدولة وتحسن السعر، فاتفق الأمراء ورتبوا لنفقة السلطان فى كل

---

(١) الوافدى لفظ جرى استعماله فى عصر سلاطين المماليك للدلالة على الأفراد الذين هاجر معظمهم من بلاد المغول إلى مصر.

يوم مائة درهم تكون بيده. فكان خادمه يحضر فى كل يوم إلى علم الدين بن زنبور ناظر الخزانة، وهو جالس بخزانة الخاص من القلعة، يطالبه بمائة درهم، فيكتب لمباشرى الخزانة بصرف جامكية السلطان وصلا يأخذه صيرفى الخزانة عنده، ويزن للخادم المائة درهم، فيدخل بها إلى السلطان ليتوسّع بها فيما يعن له. وكان هذا راتبه كل يوم ولم يسمع بمثل ذلك أن يكون ملك يجلس على تخت الملك، ويصرف الأمور بالعزل والولاية، وتحمل إليه أموال مصر والشام، ولا يتصرف منها فى شىء.

وذلك أن الأمراء تحالفوا - بعد خروج الأمير أرقطاى النائب إلى حلب - أن يكونوا يدًا واحدة وكلمتهم واحدة، ولا يدخل بينهم غريب، وأن يكون الأمير شيخو إليه أمر خزانة الخاص، ويراجعه على الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص ويتصرف بأمره، وأن يكون الأمير بيبغا روس يتحدث فى المملكة، فيخرج الإقطاعات للأجناد والإمرات للأمراء بمصر والشام، وإليه يرجع أمر نواب الشام أيضا، وأنهم يجتمعون للمشورة بين يدى السلطان فيما يتجدد، وألا يَدَعوا السلطان يتصرف فى المال، ولا ينعم على أحد، ولا يمكن من شىء يطلبه؛ فمشت الأمور على هذا.

وفيه وقف نحو المائتين ممن كان بخدمة الأمراء للنائب بيبغا روس يشكون البطالة ففرقوا على كل أمير مائة ثلاثة نفر، وعلى كل أمير طبلخاناه اثنين، وعلى كل أمير عشرة واحدًا، ومن لم يكن من الأمراء عنده إقطاع محلول يرتب للواحد منهم مائة درهم وأردبين غلة فى الشهر. فمن الأمراء من قَبِل، ومنهم من أبى أن يقبل منهم أحدا.

وفيه تراسل المماليك الجراكسة والأمير حسين بن الناصر محمد على أن يقيموه سلطانا، فقبض على أربعين من الجراكسة، وأخرجوا على الهجن مفرقين إلى البلاد الشامية ثم قُبض على ستة، وضربوا قدام الإيوان بالقلعة ضربًا مبرحًا، وقُيدوا وحُبسوا بخزانة شمايل.

ثم عملت الخدمة بالإيوان، وتم الاتفاق على أن الأمراء إذا انفضَّوا من خدمة الإيوان دخل أمراء المشورة المقدمين إلى القصر، دون من عداهم من بقية الأمراء، ونفذوا الأمور على اختيارهم، من غير أن يشاركهم أحد من الأمراء فى ذلك. وكانوا إذا حضروا الخدمة بالإيوان خرج الأمير منكلى بغا الفخرى، والأمير بيغرا، والأمير بيبغا ططر، والأمير طيبغا المجدى، والأمير أرلان، وسائر الأمراء، فيمضون لحالهم إلا أمراء المشورة والتدبير، وهم الأمير بيبغا النائب والأمير شيخو العُمَرى، والوزير منجك، والأمير أجيبغا المظفرى، والأمير طاز، والأمير طنيرق، فإنهم يدخلون إلى القصر

وينفذون أحوال الدولة بين يدى السلطان، بمقتضى علمهم وحسب اختيارهم؛ فتمضى الأمور على ذلك، ولا يشاركهم أحد فى شىء من أحوال الدولة.

وفيه قدم الأمير كشلى الإدريسى من حلب، فى تاسع عشره، بكتاب الأمير أرقطاى نائب حلب أنه قدمها فى ثانيه؛ فكانت جملة ما أنعم به عليه من ذهب وخيل وقماش نحو مائة ألف درهم.

وفيه كُتب لنائب الشام أرغون شاه أن يعمل برأيه فى نيابة دمشق، ويتحكم فى جميع الأحوال من غير مشاورة.

وفى مستهل ذى الحجة: قدم الأمراء المجردون من الوجه القبلى، وقد أثروا آثارا قبيحة من سفك الدماء ونهب الأموال بغير حق، فإن أرباب الجرائم فروا فى البرية فأوقعوا بأصحاب الزروع.

وفيه كتب لطغيه كاشف الوجه القبلى برمى الشعير على بلاد الأمراء والأجناد، وجباية عشرة آلاف أردب منها بسعر عشرة دراهم الأردب؛ فطلب طغيه مقطعى البلاد، وفرّق فيهم المال، و لم يعف أحدا.

واتفق فى هذه السنة حدوث حر شديد لم يعهد مثل بأرض مصر مدة أيام، ثم أعقب الحر ريح من جهة برقة مرت ببلاد البحيرة والغربية تحمل ترابا أصفر بلون الزعفران لبس الزرع لبسا حتى أيس الناس منه. فبعث الله مطرا مدة يوم وليلة غسلت ذلك التراب كله فأصبح من غد يوم المطر وقد جاء تراب أصفر أشد من الأول والزرع مبتل، فلصق بالزروع واستمر عليها. وقد خامر اليأس من الزروع قلوب الناس، وتيقنوا الهلاك، فتدارك الله الناس بلطفه، وبعث ندًا كثيرًا فى الأسحار، فانحل التراب عن آخره، ولما أدركت الغلال لحقها بعض الهيف.

وفيه قدم كثير من أهل دمشق للسعى من باب الوزير منجك فى المباشرات، منهم ابن السلعوس، وصلاح الدين بن المؤيد، وابن الأجل، وابن عبد الحق، فولى ابن الأجل نظر الشام وتوجه إلى دمشق، فضربه الأمير أرغون شاه نائب الشام ضربا مؤلما، وأخذ خلعته، وكتب بسببه إلى مصر يغض منه؛ فرسم أنّ مَن طلب وظيفة بغير كتاب نائب الشام شنق وأخذ ماله.

وفيه استقر جمال الدين محمد بن زين الدين عبد الرحيم المسلاتى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن شرف الدين محمد بن أبى بكر بن ظافر بعد وفاته.

وفى هذه السنة: استجد بمدينة حلب قاضٍ مالكى وقاضٍ حنبلى، فولى قضاء المالكية بها شهاب الدين أحمد بن ياسين الرُباحى، وولى قضاء الحنابلة بها شرف الدين أبو البركات موسى بن فياض؛ ولم يكن بها قبل ذلك مالكى ولا حنبلى، فاكتمل بها أربعة قضاة.

وفيها كان الغلاء بأرض مصر والشام، حتى بيعت غرارة القمح فى دمشق بثلاثمائة درهم؛ ثم انحط السعر.

وفيها توقف النيل فى أوائل أيام الزيادة، فارتفع سعر الغلال. ثم توالت الزيادة حتى كان الوفاء فى رابع جمادى الأولى، وهو تاسع مسرى؛ وانتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعا واثنين وعشرين إصبعا. ثم تناقص النيل نحو سبع أصابع إلى عيد الصليب، فرد نقصه وزاد حتى بلغ سبعة عشر وخمس أصابع. هذا وسعر الغلة يتزايد إلى أن بلغ الأردب ستين درهم، ثم تناقص حتى بيع بعشرين درهما.

ومات فيها من الأعيان تقى الدين أحمد بن الجمال سليمان بن محمد بن هلال الدمشقى، بها فى ليلة الجمعة سادس رجب. وقد ولى بدمشق وكالة بيت المال والحسبة وتوقيع الدست، ثم نظر النظار؛ وقدم القاهرة غير مرة.

ومات الأمير آقسنقر الناصرى مقتولا، فى يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر وكان السلطان الناصر محمد قد اختص به، وزوجه ابنته، وجعله أمير شكار، ثم نائب غزة. وأعيد بعده فى أيام الصالح إسماعيل إلى مصر، وعُمل أمير آخور. ثم استقر فى نيابة طرابلس مدة، وأحضر إلى مصر فى أيام شعبان الكاملى، وعظم قدره ودبر الدولة فى أيام المظفر حاجى حتى قتله. وكان كريما شجاعا، وإليه ينسب جامع آقسنقر بخط التبانة قريبا مكن القلعة.

ومات الأمير بيدمر البدرى مقتولا بغزة، فى أوائل جمادى الآخر. وهو أحد المماليك الناصرية، وولى نيابة حلب، وإليه تنسب المدرسة الأيدمرية بالقاهرة قريبا من المشهد الحسينى.

وتوفى قاضى الحنفية بدمشق عماد الدين على بن محيى الدين أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم بن عبد الصمد الطرسوسى، عن تسع وسبعين سنة، بعدما ترك القضاء لولده وانقطع بداره.

ومات أمير على بن الأمير قراسنقر.

وتوفى قاضى المالكية وشيخ الشيوخ بدمشق شرف الدين محمد بن أبى بكر بن ظافر عبد الوهاب الهمدانى، فى ثالث المحرم عن ثلاث وسبعين سنة.

وتوفى الحافظ شمس الدين بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى(١)، صاحب التصانيف الكثيرة فى الحديث والتاريخ وغير ذلك، فى ثالث ذى القعدة؛ ومولده فى ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

ومات الأمير الوزير نجم الدين بن على بن شروين، المعروف بوزير بغداد، مقتولا بغزة فى أوائل جمادى الآخر. قدم من بغداد إلى القاهرة، وولى الوزارة ثلاث مرات فشكرت سيرته،وعرف بالمكارم. وله خانكاه بالقرافة، بجوار تربة كافور الهندى.

ومات قوام الدين مسعود بن محمد بن سهل، الكرمانى(٢) الحنفى بدمشق، وقد جاوز الثمانين سنة؛ وكان بارعا فى الفقه والنحو والأصول، وله شعر.

ومات الأمير نجم الدين داود بن أبى بكر بن محمد بن الزيبق، بدمشق فى سادس رجب؛ وتنقل فى ولايات مصر والشام.

ومات أمير بنى عقبة بدر الدين شطى بن عبية، ليلة عيد الأضحى؛ وأنعم على ولديه أحمد ونصير بإمرته.

ومات الأمير طرنطاى البشمقدار، فى شعبان.

ومات الأمير ملكتمر الحجازى مقتولا، فى تاسع عشر ربيع الآخر. وكان من مماليك شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن عمر الشهرزورى، فبذل له فيه السلطان الناصر محمد زيادة على مائة ألف درهم، حتى ابتاعه له منه المجد السلامى بمكة، لما حج ابن الشهرزورى. وقدم به المجد السلامى إلى السلطان الناصر محمد فلم ير بمصر أحسن منه ولا أظرف، فعرف بالحجازى، وحظى عند السلطان حتى زوجه بابنته، وكان مدمن

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى، شمس الدين، أبو عبد الله حافظ، مؤرخ علامة محقق تركمانى الأصل، من أهل ميافارقين مولده ووفاته فى دمشق رحل إلى القاهرة وطاف كثيرًا من البلدان وله [دول الإسلام – ط] و[المشتبه فى الأسماء والأنساب]، [والكنى والألقاب –ط]. انظر فوات الوفيات ٢: ١٨٣ ونكت الهيمان ٢٤١ وذيل تذكره الحافظ ٣٤ و٣٤٧ وطبقات السبكى ٥: ٢١٦ والتعبى ١: ٧٨ والشذرات ٦: ١٥٣ وغاية النهاية ٢: ٧١ والدرر الكامنة ٣: ٣٣٦ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٨٢ والأعلام ٥/ ٣٢٦.

(٢) مسعود بن محمد (أو إبراهيم بن محمد بن سهل الكرماتى، أبو محمد قوام الدين: أديب، من فقهاء الحنفية تعلم فى بلاده ومهر فى الفقه والأصول والعربية قال ابن العماد: له النظم الرائق والعبارة الفصيحة وله (شرح الكنز). انظر النجوام الزاهرة ١: ١٨٣ وشذرات الذهب ٦/ ١٥٧ والدرر الكامنة ٤: ٣٥١.

الخمر مرتبه منه فى كل يوم زنة خمسين رطلا. لم تسمع منه كلمة فحش قط، ولا توسط بسوء أبدًا، مع سخاء النفس وعدم الشر.

ومات الأمير طغيتمر النجمى الدوادار، صاحب الخانكاه النجمية خارج باب المحروق.

ومات الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام قتلا، بقاقون وهو من المماليك الناصرية الذين شغف بهم السلطان الناصر محمد، وعمر له الدار العظيمة التى موضعها الآن مدرسة السلطان حسن، وولى نيابة حلب، ثم نيابة دمشق، وعمر بها الجامع المعروف بجامع يلبغا بسوق الخيل، ولم يكمله، فكمل بعد موته. وكان كريما، يبلغ إنعامه فى كل سنة على مماليكه مائة وعشرين فرسا وثمانين حياصة ذهب.

ومات إسماعيل وأولاده قتلا بالإسكندرية.

ومات الأمير أرغون العلائى أحد المماليك الناصرية. رقاه السلطان الملك الناصر محمد، وزوجه أم ابنيه شعبان وإسماعيل، وعمله لالا أولاده فدبر الدولة فى أيام ربيبه الصالح إسماعيل، وشكرت سيرته، ثم قام بدولة شعبان الكامل حتى قتل، وإليه تنسب خانكاه العلائى بالقرافة. وكان كريما، ينعم فى السنة بمائتين وثلاثين فرسًا، ومبلغ أربعين ألف دينار، على الأمراء، وغيرهم.

وقتل أيتمش عبد الغنى،وتمر وقراجا، وصمغار.

وقتل بقلعة الجبل الأمير شجاع الدين غرلو، فى خامس عشر جمادى الآخرة. وكان من أرمن قلعة الروم، ويدعى أنه جركسى الجنس. وقدم مصر، وخدم فى جملة أوجاقية الأمير بهادر المغربى، وصار بعده أوجاقيا عند الأمير بكتمر الساقى، ثم عمله أمير آخور حتى مات بكتمر ثم خدم الأمير بشتاك، ثم تنكر عليه بشتاك، وضربه لتحامقه، وأخرجه فولى ولاية أشمون، ثم استقرّ فى ولاية القاهرة، وانتقل إلى وظيفة شاد الدواوين، وأحدث مظالم كثيرة. وجمع الجراكسة على المظفر حاجى، لأنهم من جنسة وعظم فى الدولة المظفرية حتى قتل كما تقدم.

وقَتل السلطان المظفر حاجى فى مدة أربعين يوما أحدا وثلاثين أمير، منهم أحد عشر أمراء ألوف.

وقتل متملك تونس أبو حفص عمر بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حقص، فى جمادى الآخرة؛ فكانت مدته نحوا من أحد عشر شهرا.

وكان قد بويع أخوه العباس أحمد، فى تاسع رمضان سنة سبع وأربعين، ثم قُتل بعد سبعة أيام.

ومات الشيخ حسن بن النوين أرتنا ملك الروم، فى شوال.

* * *

سنة تسع وأربعين وسبعمائة

أهلت بيوم الثلاثاء، وهو الخامس من برمودة، والشمس فى الدرجة التاسعة عشر من برج الحمل، أول برج فصل الربيع.

فى يوم الثلاثاء أول المحرم: قدم الخبر بقتل إسماعيل الوافدى والى قوص، بعد فراره منها. وقد جمع عليه عدة من الوافدية يريد تملك بلاد السوادن، فحاربوه وقتلوه ومن معه بأسرهم، وأخذوا منهم مالا كبيرا.

وفيه خلع على الأمير علاء الدين على بن الكورانى، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن أسندمر القلنجقى بعد موته. وأخرج ابن الكورانى من السجن أربعين مسجونًا، وفعل بهم من القتل والقطع ما توجبه جرائمهم شرعا.

وفيه قبض على الشيخ على الكسيح نديم المظفر حاجى، وضرب بالمقارع والكسارات ضربا عظيما، وقلعت أضراسه وأسنانه شيئًا بعد شىء فى عدة أيام، ونُوِّع له العذاب أنواعا حتى هلك. وكان شنع المنظر، له حدبة فى ظهره وحدبة فى صدره، كسيحا لا يستطيع القيام، إنما يُحمل على ظهر غلامه. وكان يلوذ بألجيبغا المظفرى وهو مملوك، فعرَّف به ألجيبغا الملك المظفر حاجى، فصار يضحكه. وصار المظفر يخرج حرمه عليه، ويعاقره الشراب، فتهبه الحظايا شيئًا كثيرا. ثم زوجه المظفر حاجى بإحدى حظاياه، وصار يسأله عن الناس، فينقل له أخبارهم على ما يريد، وداخله فى قضاء الأشغال فخافه الأمراء وغيرهم خشية لسانه، وصانعوه بالمال حتى كثرت أمواله، بحيث إنه إذا دخل خزانة الخاص لابد أن يعطيه ناظر الخزانة منها شيئًا له قدر، ويدخل عليه ناظر الخاص حتى يقبله منه. وإذا دخل إلى النائب أرقطاى استعاذ من شره، ثم قام له وترحب به وسقاه مشروبا، وقضى شغله الذى جاء بسببه، وأعطاه ألف درهم من يده، واعتذر إليه فيقول للنائب: «ها أنا أدخل على ابنى السلطان، فأعرفه أحسانك». فلما زالت دولة المظفر حاجى عنى به ألجيبغا، إلى أن شكاه عبد العزيز العجمى - أحد أصحاب الأمير قراسنقر - على مال أخذه منه لما قبض عليه غرلو بعد قتل قراسنقر حتى خلصه منه فتذكره أهل الدولة،وسلّموه إلى الوالى فعاقبه، واشتد عليه الوزير منجك حتى أهلكه.

وفيه رجمت العامة ابن الأطروش المحتسب. وسببه أن السعر لما تحسن بلغ الخبز ستة

أرطال وسبعة أرطال بدرهم؛ عمل بعض الخبازين خبزا، ونادى عليه ثمانية أرطال بدرهم، فطلبه المحتسب وضربه، فثارت العامه به، ورجموا بابه حتى ركب الوالى وضرب منهم جماعة.

وفيه توحش ما بين الأمير شيخو والأمير بيبغا روس نائب السلطان. وسببه أن نفقة السلطان المائة درهم دخلت إليه على العادة، فطلب منه أحد المماليك ثلاثمائة درهم، فبعث إلى الأمير شيخو يطلب منه ذلك، فقال لقاصده: «أيش تعمل بالدراهم؟ وأيش له حاجة بها؟ وما ثم هذا الوقت شيء». فعز عليه ذلك لما بلغه، وأرسل يطلب هذا المبلغ من النائب بيبغا روس، فبعث إليه ثلاثة آلاف درهم. فقامت قيامة شيخو وأقام أياما لا يحدث النائب بيبغا روس، حتى دخل بينهما الوزير منجك، وسأل عن سبب الغضب على النائب. فقال له شيخو: «أنا ما كان عندى دراهم أسيرها للسلطان! لكن حفظت ما اتفقنا عليه، فعمل النائب وجهه أبيض عند السلطان، وسوَّد وجهى»؛ فما زال به الوزير منجك حتى رضى.

وفيه قدم الخبر بوقوع الحرب بين سيف بن فضل[1] وعمر بن موسى بن مهنا[2]، أسر فيها سيف، وقتل أخوه وجماعة من أصحابه.

وفيه توقف أمر الدولة على الوزير منجك[3] فقطع ستين من السواقين[4] ووفر لحمهم ومعلومهم وكسوتهم وعليقهم؛ وقطع كثيرًا من الركابين والنجابة؛ وقطع كثيرًا من المباشرين، حتى وفر فى كل يوم أحد عشر ألف درهم. وفتح ابن منجك باب

---

(١) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا هو سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا أمير عرب الفضل، من بادية الشام كان شجاعا جوادً ولى إمرة قومه عدة مرات أولها بعد موت أخيه عيسى (سنة ٧٤٤ هـ) ومات قتيلا. انظر ابن خلدوان ٥: ٤٣٩ والنجوم الزاهرة ١٠: ٣٣٠ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٧ والدرر الكامنة ١٨٣/٢ والأعلام ٣/ ١٥٠

(٢) موسى بن مهنا هو موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل فضل أمراء بادية الشام يلقب مظفر الدين ولى الإمارة بعد موت أبيه [٧٣٤ هـ] واستمر إلى أن توفى بتدمر قال ابن تغرى بردى كان من أحل ملوك العرب. انظر ابن خلدوان ٥: ٤٣٩ والبداية والنهاية ١٤: ١٩٣ والنجام الزاهرة ١: ٧٦ والأعلام ٧/ ٣٣٩.

(٣) منجك بن عبد الله سيف الدين اليوسفى الناصرى أمير داهية جبار يعرف بمنجك الكبير كان فى خدمة الناصر محمد بن قلاوون ثم كان هو الذى رأس ابنه أحمد (الناصر بن الناصر) وولى الوزارة بمصر ٧٤٨هـ وصرف عنها وأعيد إليها بعد أربعين يومًا وبنى جامع منجك بالقاهرة سنة ٧٥١ هـ انظر خطط المقريزى ٢/ ٣٢ والدرر الكامنة ٤/ ٢٣٠ والأعلام ٧/ ٢٩١

(٤) السواقين جمع السواق وهو الشخص المكلف بإدارة ساقية الماء فى حامع من الجوامع.

المفايضات بالأخباز والنزولات عنها، وأخذ من ذلك مالا كثيرًا، وحكم على أخيه الأمير بيبغا روس النائب بتمشية هذا، فاشترى الإقطاعات كثير من العامة.

وفيه قدم خبر من طرابلس بأن قبرص وقع بها فناء عظيم، هلك فيه خلق كثير.

وفيه مات ثلاثة ملوك فى شهر واحد، وأن جماعة منهم ركبوا البحر إلى بعض الجزائر، فهلكوا عن آخرهم.

وفى رابع عشريه: قدم الحاج.

وفى خامس عشريه: قبض على الطواشى عنبر السحرتى مقدم المماليك فى الدولة المظفرية؛ وكان قد أخرج إلى المقدس، وحج منه بغير إذن، وقدم القاهرة. فأنكر عليه حجه بغير إذن، وأخذت أمواله؛ ثم أخرج إلى القدس.

وفى يوم الإثنين ثالث ربيع الأول: عزل الأمير منجك من الوزارة. وسبب ذلك أن علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص قدم من الإسكندرية بالحمل على العادة، فوقع الاتفاق على تفرقته فى الأمراء، فحمل إلى الأمير بيبغا روس النائب منه ثلاثة آلاف دينار، وإلى الأمير شيخو ثلاه آلاف دينار، ولجماعة من الأمراء كل واحد ألف دينار ولجماعة أخرى منهم كل أمير ألف دينار فامتنع شيخو من الأخذ، وقال: «أنا ما يحل لى أن آخذ من هذا شيئًا». وقدم أيضًا حمل قطيا وهو مبلغ سبعين ألف درهم، وكانت قطيا قد أرصدت لنفقة المماليك فأخذ الوزير منجك من الحمل أربعين ألف، وزعم أنها كانت قرضًا فى نفقة المماليك. فوقف المماليك إلى الأمير شيخو، وشكوا الوزير بسببها فحدث الأمير شيخو الوزير فى الخدمة ليردها، فلم يفعل، وأخذ فى الحطّ على ابن زنبور ناظر الخاص، وأنه يأكل المال جميعه، وطلب إضافة نظر الخاص له مع الوزارة والأستادرية. وألح منجك فى ذلك عدة أيام، فمنعه شيخو من ذلك، وشد من أزر ابن زنبور، وقام بالمحاققة عنه، حتى غضب منجك بحضرة الأمراء فى الخدمة. فمنع الأمير بيبغا روس النائب الوزير منجك من التحدث فى الخاص، وانفض الجمع، وقد تنكر كل منهما على الآخر. فكثرت القالة بالركوب على النائب ومنجك حتى بلغهما ذلك، فطلب النائب الإعفاء من النيابة، وإخراج أخيه منجك من الوزارة، وأبدأ وأعاد حتى طال الكلام. ووقع الاتفاق على عزل منجك من الوزارة واستقراره أستادارًا وشادًا على عمل الجسور فى النيل.

وفيه طلب الأمير أسندمر العمرى المعروف برسلان بصل من كشف الجسور، ليتولى الوزارة. فخلع عليه فى يوم الإثنين رابع عشريه خلعة الوزارة، وخرج إلى قاعة

الصاحب، وجلس والموفق ناظر الدولة والمستوفون، وطلب جميع المشدين وأرباب الوظائف.

وفيه أخرج الأمير أحمد شاد الشربخاناه إلى نيابة صفد وسبب ذلك أنه كان قد كبر فى نفسه، وقام مع المماليك على المظفر حتى قتل. ثم أخذ فى تحريك الفتنة، واتفق مع ألجيبغا وطنبرق على الركوب. فبلغ الأمير بيبغا روس النائب الخبر، فطلب الإعفاء من النيابة وذكر ما بلغه. ورمى أحمد شاد الشرابخاناه بأنه صاحب فتن، ولابد من إخراجه من بينهم؛ فطلب أحمد وخلع عليه، وأخرج من يومه.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشريه: اجتمع القضاة الأربعة والفقهاء وكثير من الأمراء بالجامع الحاكمى، وقرأوا القرآن ودعوا الله. ثم اجتمعوا ثانيًا فى عصر النهار، فبعث الله مطرًا كثيرًا.

وفى يوم الأربعاء سادس عشريه: أنعم على الأمير منجك بتقدمة أحمد شاد الشرابخلناه.

وفى يوم الخميس سابع عشريه: امتنع النائب من الركوب فى الموكب، وأجاب بأنه ترك النيابة. فطلب إلى الخدمة، وسئل عن سبب تغيره، فذكر أن الأمراء المظفرية تريد إثارة الفتنة، وتبيت خيولهم فى كل ليلة مشدودة، وقد اتفقوا على مسكه، وأشار لألجيبغا وطنيرق. فأنكرا ما ذكر عنهما، فحاققهما الأمير أرغون الكاملى أن ألجيبغا واعده بالأمس علىالركوب فى الغد إلى الموكب، ومَسْكِ بيبغا روس النائب والوزير منجك فعوتب ألجيبغا على هذا، فاعتذر بعذر لم يقبل منه، وظهر صدق ما رُمى به؛ فخلع عليه بنيابة طرابلس، وعلى طنيرق بإمرة فى دمشق، وأخرجا من يومهما. فقام فى حق طنيرق صهره الأمير طشتمر طلليه حتى أعفى من السفر؛ وتوجه ألجيبغا لطرابلس، فى ثانى ربيع الآخر بعدما أمهل أيامًا؛ فأقام الأمراء على حذر وقلق مدة أيام.

وكان ماء النيل قد نشف فيما بين مدينة مصر ومنشأة المهرانى إلى زربية قوصون وفم الخور، وفيما بين الروضة والجزيرة الوسطى؛ وصار فى أيام احتراق النيل رمالا وكان قد ركب فى الأيام الماضية جماعة من الأمراء والمهندسين ورؤساء المراكب للكشف عن ذلك، وقاسوا ما بين الجيزة والمقياس ليعملوه جسرًا. فقال الريس يوسف: «ما يستد هذا البحر أبدًا، ومتى ما سدَّيتوه مَالَ على الجيزة وأخربها» ورأى الأمير طقزدمر النائب أن عمل هذا الجسر يدفع قوة الماء إلى بر مصر وبولاق، ويخرب ما هناك من الأملاك. فقام الأمير ملكتمر الحجازى فى شكر رجل عنده قد تكفل بسد

ذلك، وقام الأمير طغيتمر النجمى بشكر رجل آخر. فرُسم بإحضار الرجلين، ونزل النائب والوزير لعمل ذلك، وهما معهما فاستدعى صاحب الحجازى بالخشاب والصوارى الكبار والحلفاء، وطلب مراكب لتملأ بالحجارة حتى يغرقها من جهة المقياس ويعمله سدًّا، ثم يرجع إلى السد الثانى فيسده بالتراب؛ وطلب الأبقار والجراريف. فخالفه الآخر صاحب طغيتمر، وقال بل يسد من بستان الذهبى إلى رأس الجزيرة، والتزم أنه لا يصرف عليه سوى أربعة آلاف درهم فسخر منه جميع من حضر، وسأله النائب كيف يكون هذا، فذكر أنه يسده بالحلفاء والخوص فعادوا إلى السلطان المظفر حاجى، فالتزم له أن يسد الجسر بما تقدم ذكره، على أن يعطيه إقطاعًا، ويرتب له لحمًا وعليقًا، وإن لم يسده شنقه السلطان.

فرسم للأمير أسندمر الكاشف ولشاد العمائر بالوقوف معه فى العمل، فاستدعى الرجل بأخشاب وحلفاء وخوازيق، وطلب الرجال، وابتدأ العمل من موضع قليل الماء تجاه بستان الذهبى، ورمى فيه التراب والحلفاء ودكه بالرمال مدة أسبوع. وكلما سد موضعًا بالنهار قطعه الماء بالليل وعاد كما كان؛ فظهر جهله، وقصد السلطان تأديبه حتى شفع فيه النائب.

فقام صاحب الحجازى بالعمل، وكتب تقدير ما يحتاج إليه من صوارى وأخشاب وغيرها مائة وخمسين ألف درهم، وذلك عن ثمن خمسمائة صارى، وألف حسنية[١] وألف حجر عرض ذراعين فى مثلها، وخمسة آلاف شنف[٢]، وغير ذلك فرسم بجباية ذلك من الأملاك التى على شاطئ النيل من رأس الخليج إلى آخر بولاق، فاستخرج منها هو سبعين ألف درهم؛ وكان من انتقاض الدولة المظفرية ما كان.

فلما كان فى سنة تسع وأربعين هذه وقع الكلام فى ذلك، فأراد الأمير شيخو أن يكون عمله على الأمراء والأجناد وفلاحى البلاد، فلم يوافقه الأمير منجك، واحتج بقرب زيادة النيل، وأن الغلات قد تعطل حملها فى النيل من النواحى لقلة الماء فى مواضع الحمل؛ والتزم بعمله من غير أن يسخر فيه أحدًا. فركب الأمير بيبغا روس النائب والأمير شيخو والأمير منجك وعامة الأمراء إلى الجزيرة، وقاسوا منها إلى المقياس، ليعمل هناك جسر. فذكرت البحارة أن هذا الموضع لا يمكن سده لكثرة كلفه،

---

(١) حسنية نوع من البلح ويبدو مما هنا أن استعمال هذا اللفظ يمتد إلى الدلالة على خشب النخل المشهور بذلك النوع من البلح.انظر .

(٢) شنف حيث ورد أن الشنف نوع من الشبك يصنع أكياسًا لحمل القش أو التبن. انظر الوجيز.

وأنهم إن سدوه أضر ببلاد الجيزة، وقوى الماء على جهة مصر، وأضر وأتلف ما على النيل من الدور فسفّه الأمير منجك رأيهم، ورد قولهم، والتزم للأمراء بسده. فعادوا وقدروا مصروفه على الأمراء والأجناد والكتاب وأصحاب الأملاك، وسائر الناس؛ وكتب أوراق من ديوان الجيش بأسماء الأجناد والأمراء وَعِبَر إقطاعاتهم. وفُرض على كل مائة دينار درهم واحد، وفرض على كل أمير من أمراء الألوف ما بين أربعة آلاف درهم إلى خمسة آلاف درهم، وفرض على بقية الأمراء الطبلخاناه والعشرات بحسبهم. ورُسم أن يؤخذ من كل كاتب أمير مقدم مبلغ مائتى درهم، ومن كل كاتب أمير طبلخاناه مائة درهم. وفُرض على كل حانوت من حوانيت التجار والباعة درهم، وعلى كل دار بالقاهرة ومصر وظواهرهما درهمان، وعلى كل بستان عشرة دراهم الفدان، وبعضها أخذ منه عن كل فدان عشرون درهما، وعلى كل حجر من حجارة الطواحين خمسة دراهم. وجُبى من كل صهريج مَاء بتربة أو مدرسة ما بين عشر دراهم إلى خمسة دراهم، ومن كل تربة ما بين ثلاثة دراهم إلى درهمين وضقعت الأملاك التى استجدت من الدور والبساتين وغيرها، فيما بين بولاق إلى كوم الريش ومنية السيرج، والأحكار التى عمزت على الخليج الناصرى، وبركة الطوابين المعروفة ببركة الرطلى، وقنطرة الحاجب وأرض الطبالة، وجامع حكر أخى صاروجا وقيست كلها وأخذ عن كل ذراع خمسة عشر درهما؛ وأخذ من أقمنة الطوابين والفواخير. وطُلِب مباشرو أوقاف الشافعى وأوقاف المدارس الصالحية والظاهرية والمارستان وسائر الأوقاف، وألزموا بمال. وكتب بطلب الرهبان من الديارات بالأعمال، وقُرِّر على كل منهم ما بين المائتى درهم إلى المائة درهم، وأن يؤخذ عن كل نخلة ببلاد الصعيد درهم. وَجُبى من المتعيشين فى القاهرة ومصر ما بين درهم كل واحد إلى عشرة دراهم، ومن كل قاعة ثلاثة دراهم، ومن كل طبقة درهمان، ومن كل مخزن أو اسطبل درهم، ومن كل فندق وخان بحسبه. وقُرِّر على ضامنة المغانى خمسة آلاف درهم.

وُعمل موضع المستخرج من الناس خان مسرور بالقاهرة، وشاد المستخرج الأمير تلك. وعمل لكل جهة من هذا الجهات شاد وكاتب، وعدة أعوان من الرسل وصيرَفى.

فارتجت أحوال المدينتين وأعمالهما وبطلت الأسباب لسعى الناس فيما عليهم وتسلطت العرفاء والضمان وأصحاب الرباع والرسل على كل أحد، فلم يبق رجل ولا امرأة حتى جبوا منه، وكان الواحد منهم يغرم للرقاص والصيرفى والشاد، ويعطى أجرة الشهود الذين يشهدون عليه أنه قام بما عليه.

وشرع منجك فى جمع الأصناف المحتاج إليها، وضرب له خيامًا على جانب النيل بالروضة. ونودى فى الناس من أراد العمل فله درهم ونصف، وثلاثة أرغفة خبز؛ فاجتمع له خلائق، وعمل لهم موضعًا يستظلون فيه حر الشمس؛ ورفق منجك بهم فى العمل. وأقام منجك عدة من الحجارين لقطع الحجارة من الجبل، ونقلها إلى الساحل، وحملها فى المراكب لبر الجيزة، لعمل جسر من الجيزة إلى المقياس. ورتب منجك عمل جسر آخر من الروضة إلى الجزيرة الوسطى، وأقام الأخشاب بجانبى كل جسر منهما، وردم التراب والحجارة فى وسطه مع الحلفاء، ورتب جمال السلطان لقطع الطين من بر الروضة ورميه بوسط الجسر؛ وأقام على كل جهة شادين ومستحثين. وأقام منجك الصارم شاد العمائر على العمل، ورسم ألا يتأخر عنه صانع، وألزم تجار مصر وغيرهم بنقل التراب إلى الجسر؛ فكان الرجل منهم يغرم فى نقل التراب ما بين الخمسمائة إلى الأف درهم؛ ورميت عشر مراكب مملوءة حجارة فى وسط جسر المقياس. ولم يزل العمل مدة أربعة أشهر، أولها مستهل المحرم وآخرها سلخ ربيع الآخر.

وكان منجك قد حفر أيضًا خليجًا تحت الدور من موردة الحلفاء إلى بولاق فلما زاد النيل جرى الماء فيه، ودخلته المراكب الصغار. ففرح الناس به، وسُرّوا سرورًا زائدًا، ونسوا ما نزل بهم من الغرامة والمشقة.

غير أن الشناعة قامت على منجك، لكثرة ما جَبىَ من الأموال العظيمة، حتى أراد بيبغا روس النائب منعه من ذلك، فلم يقبل منه؛ ولم يتم من العمل سوى ثلثيه وقويت الزيادة، فبطل العمل.

وكان القاع فى هذه السنة أربعة أذرع، ونودى فى أول الزيادة بإصبعين، ثم بعشر أصابع، ثم بخمسة عشر إصبعًا، ثم بثمان، ثم بعشرين. ولم تزل الزيادة تقوى حتى غرقت المقاتى، وألتقى البحر برأس الخليج الذى استجد فيه الماء. ثم علا الماء على الجسر، وكاد يقطعه.

فركب منجك ومعه والى الجيزة وخلائق من العامة والأمراء، وردمه بالتراب، فاندفع الماء إلى جهة الميدان وزربية قوصن. فكان قياس جسر الجزيرة الوسطى مائتى قصبة فى عرض ثمانى قصبات، وأرتفاع أربع قصبات، وطول جسر المقياس مائتين وثلاثين قصبة، وعدة ما رمى فيه من المراكب الحجر اثنا عشر ألف مركب، سوى التراب والطين؛ وغرم عليه ما لا يمكن حصره. ويقال إنه جُبى من الناس بسببه زيادة على ثلاثمائة ألف دينار، فإن الرجل كان يُفرض عليه درهمان، فيغرم فيما تقدم ذكره عشرة دراهم.

وفى يوم الإثنين خامس عشر ربيع الآخر: أعيد الأمير منجك إلى الوزارة، باستعفاء أسندمر العمرى، لتوقف أحوال الدولة.

وفيه أخرج من الأمراء المظفرية لاجين العلائى، وطيبغا المظفرى، ومنكلى بغا المظفرى؛ وفُرِّقوا ببلاد الشام.

وفيه قدم من جهة أولاد جوبان قاصد بمال لعمارة عين جوبان بمكة، وإجراء الماء إليها وقد انقطع. فلم توافق الأمراء على ذلك، وعينوا فارس الدين قريب آل ملك لعمارتها، صحبة الرجبية. ورُسم لقاضى القضاة عز الدين بن جماعة بالإنفاق عليها من مال الحرمين فأخذ فى الاهتمام للسفر.

وفيه خلع على أيتمش الناصرى الحاجب، واستقر أمير جاندار.

وفيه خلع على الأمير جركتمر، واستقر نائب الكرك، بعد وفاة تمربغا العقيلى وفيه قدمت هدية الأمير شاه نائب الشام وقوده، بزيادة عما جرت به العادة، وهى مائة وأربعون فرسًا بعبى تدمرية، فوقها أجلة[1] أطلس، ومقاود سلاسلها فضة، ولواوين بحلق فضة، وأربعة قطر هجن سلاسل مقاردها الحرير من فضة وذهب، وأكوارها مغشاة بذهب، وأربعة كنافيش ذهب عليها ألقاب السلطان، وتعابى قماش مفتخر. ولم يدع الأمير أرغون شاه نائب الشام أحدًا من الأمراء المقدمين، ولا من أرباب الوظائف حتى الفراش ومقدم الاسطبل، ومقدم الطبلخاناه والطباخ،حتى بعث إليهم هدية. فخلع على مملوكه عدة خلع، وكُتب إليه بزيادة على إقطاعه، ورسم له بتفويض حكم الشام إليه، يعزل ويولى بحسب اختياره.

وفيه خلع على صدر الدين الكازاتى بمشيخة الشيوخ بخانكاه سرياقوس[2] عوضا عن الركن الملطى. وكان هذا الرجل قد ورد إلى مصر، وأقام بها لا يؤبه له حتى نيابة بيبغا روس ووزارة منجك، فتردد إليهما، وأظهر التزهد ومعرفة العلم، وصنف كتابًا على مذهب الحنفية بالتركى، وقدمه لهما، فراج به عندهما؛ وكان قد تحرك للحنفية حظ منذ أعوام. ثم سألهما صدر الدين هذا فى مشيخة الشيوخ، فجمع بيبغا روس النائب الشيخ شمس الدين محمد الأصفهانى وعامة صوفية الخوانك ومشايخها بجامع القلعة وعرفهما الأمير قبلاى الحاجب عن الأمير بيبغا روس النائب أن الركن الملطى له منذ غاب سبع سنين، وقد ثبتت عنده وفاته، وعين عوضه الكازاتى؛ فأنكروا بأجمعهم

---

(١) أجلة جمع جل وهو ما يغطى به ظهر الفرس قبل وضع السرج والبرذعة (محيط المحيط)

(٢) بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/ ٢١٩.

ولايته، ووضعوا منه فشق ذلك على الأمير بيبغا روس النائب ورسم بحضورهم بعد العصر فى الخدمة. فلما حضروا خلع بيبغا روس على الكازاتى، فلم يتكلم أحد منهم فنزل وهم معه.

وفيه أنعم على خليل بن قوصون بإمرة طبلخاناه، وعلى ابن المجدى بإمرة طبلخاناه أيضًا.

وفى جمادى الأولى: ركب السلطان إلى الميدان على العادة، ثم خرج إلى ناحية سرياقوس فى أول جماد الأولى، وأقام بها أيامًا. فكثر تسلط السُّراق على الناس؛ فوكل بهم الوزير منجك عرب بنى صبرة بإقطاعات، وندبهم للركوب فى الليل، ودرَّكهم تلك الأراضى.

وفى مستهل رجب: جهز لعمارة عين جوبان من مال الحرمين مبلغ مائتى ألف درهم.

وفيه قدم الخبر بوقعة كانت بين الشيخ حسن وأولاد دمرداش، وانتصر فيها أولاد دمرادش، وقتلوا كثيرًا من عسكر الشيخ حسن.

وفيه قدم أحمد بن مهنا، فخلع عليه، واستقر فى إمرة العرب، وتوجه إلى بلاده وهو مريض.

وفيه أنعم على الأمير أسندمر العمرى بإمرة كوكاى المنصورى، بعد موته؛ وأنعم بإمرة أسندمر على الأمير نوروز.

وفيه أخرجت ناحية بوصير عن الوزير منجك، وعُوِّض عنها ناحية برما، وهى مثلا بوصير.

وفيه أوقعت الحوطة على بقية موجود عنبر السحرتى، بعد موته.

وفيه ولى الوزير مازان الغربية، وولى ابن سلمان منوف عوضا عن مازان وولى صلاح الدين بن العنتابى البهنساوية؛ وكان جملة ما أخذ من المذكورين ستة آلاف دينار.

وفيه سار ركب الحجاج الرجبية على العادة.

وفيه أنعم على ابن الوزير منجك بإمرة مائة.

وفيه وُفِّر إقطاع الأمير قشتمر شاد الدواوين، وأقطع المماليك، وأنعم عليه بإقطاع الأمير جركتمر.

وفيه وُفِّرت جوامك جماعة ورواتبهم.

وفيه قصد عدة من أطراف الناس باب الوزير للسعى فى الوظائف بمال، فلم يرد أحدًا؛ وكثر طعن الأمراء فيه بسبب ذلك.

وفيه توجه الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه بألف عليقة.

وفيه توجه بيبغا روس النائب إلى العباسة، ثم توجه إلى الإسكندرية؛ فأنعم عليه من مالها بستة آلاف دينار، وأتته تقادم جليلة.

وفى هذا الأيام: كثر سقوط الدور التى على النيل، وذلك أن ماء النيل كثرت زيادته فى ابتداء أوانها حتى غرقت المقاتى كما تقدم ذكره، إلى أن كان الوفاء فى يوم الجمعة أول جمادى الأولى، وهو ثامن مسرى. ثم ولت زيادته، وتوقف أياما؛ ثم نقص إلى يوم عيد الصليب خمس أصابع، فقلق الناس قلقًا زائدًا. فمن الله بزيادته حتى رد ما نقصه؛ وثبت على سبعة عشر ذراعا وثمان عشرة إصبعا. فشمل الرى البلاد وانحط سعر الغلال.

فلما أخذ ماء النيل فى الهبوط تساقطت الدور المجاورة للماء شيئًا بعد شىء، ثم سقط أحد عشر بيتًا بناحية بولاق دفعة واحدة من شدة القلقيلة، فإن الماء لما عُمل الجسر الذى تقدم ذكره اندفع على ناحية بولاق، وقوى هناك حتى سقطت الدور المذكورة وسقط ما خلفها، وذهب فيها مال كبير للناس فى الغرق ونهب الأوباش. ثم خرب ربع السنافى، وقطعة من ربع الخطيرى، وعدة دور.

وفيه كثرت الأخبار بوقوع الوباء فى عامة أرض مصر، وتحسين جميع الأسعار، وكثرة أمراض الناس بالقاهرة ومصر؛ فخرج السلطان والأمراء إلى سرياقوس. فكثر الوباء حتى بلغ فى شعبان عدد من يموت فى كل يوم مائتى إنسان، فوقع الاتفاق على صوم السلطان شهر رمضان بسرياقوس.

وفيه قدم محضر ثابت على قاضى حلب بجماعة من القادمين إليها أنهم شاهدوا بوادٍ فى ناحية توريز أفاعى ذات خَلق عظيم من الطول والضخامة، وقد اجتمع منها عدد كثير جدًا. وصارت فرقتين، واقتتلت يوما كاملا حتى دخل الليل فافترقوا، ثم عادوا من الغد بكرة النهار إلى القتال، وأقاموا كذلك ثلاثة أيام. وفى اليوم الرابع قويت إحدى الفرقتين على الأخرى، وقتلت منها مقتلة عظيمة، وانهزم باقيها، فلم تدع فى هزيمتها حجرًا إلا قصمته، ولا شجرًا إلا قلعته من أصله، ولا حيوانًا إلا أتلفته؛ فكان منظرًا مهولا.

وفيه قدم فياض بن مهنا بقوده، وفيه اثنان وسبعون فرسا، أقلها بعشرة آلاف درهم، وأوسطها بعشرين ألفا، وأغلاها بثلاثين ألفا، سوى الهجن وغيرها. وقدم صحبته أحمد طظر أمير بنى كلاب، وندا أمير آل مرا؛ فأكرِم ندا وأحمد طظر، وأعيدا إلى بلادهما؛ وقبض على فياض، وأخذت خيوله ومامعه، وحمل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفيه قدم الخبر بقتل الأمير صعبه كاشف الوجه القبلى، فيما بين عرك وبنى هلال، وقتل كثير من أصحابه، وأخذ ما معهم. وشنّ العرب بعد قتله الغارات على البلاد، وأمعنوا فى نهب الغلال وقطع الطرقات، وذلك بعد دخولهم سيوط ونهبها. فعُيِّن عشرة أمراء للتجريدة، ثم تأخر سفرهم خوفًا على الزرع.

وفى ثالث ذى الحجة: أخرج الأمير طشبغا الدوادار إلى الشام. وسببه مفاوضة جرت له مع علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر؛ أفضت به إلى أن أخذ بأطواق كاتب السر، ودخلا على الأمير شيخو كذلك. فأنكر شيخو عليه ذلك، وبقى بطالا، وعمل قطليجا الأرغونى دوادارًا عوضه.

وفيه أنعم على جاورجى مملوك قوصون بإمرة عشرة، وعلى عرب بن ناصر الدين الشيخى بإمرة طبلخاناه.

وفيه قدم محمل سيس بحقّ النصف، لخراب البلاد من كثرة الفناء بها.

وفيه كتب بولاية حياد بن مهنا إمرة العرب.

وفيه قدم الخبر بخروج عشير الشام عن الطاعة، وكثرة الحروب بينهم، وقتل بعضهم بعضًا، ونهب الغرد[1] ونابلس، وكثرة فساد عرب الكرك وقطعهم الطرقات، وكسرهم الأمير جركتمر نائب الكرك.

وفيه أخرج يلجك قريب لنيابة غزة[2]، عوضا عن أحمد الساقى؛ وقدم أحمد الساقى إلى مصر.

وفيه انحلت إقطاعات كثيرة لموت الناس، فوفر الوزير جوامك الحاشية ورواتبها؛

---

(١) الغرد لم يذكر ياقوت بلدا بهذا الاسم قرب نابلس انظر: معجم البلدان ٢/ ٧٨٤.

(٢) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل وهى من نواحى فلسطين غربى عسقلان وكانت غزة صور الذى بن صور مدينة الساحل قريبة من البحر. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٠٢.

وقطعت مثالات لجميع أرباب الوظائف وأصحاب الأشغال، والمرتبين في الصدقات، والكتاب والموقعين، والمماليك السلطانية، على قدر ما بأسمائهم.

وفيه توقفت الأحوال بالقاهرة ومصر، وغلقت أكثر الحوانيت بسبب زغل الفلوس بالرصاص والنحاس. فنودى ألا يأخذ من الفلوس إلا ما عليه سِكّة، وبردّ الرصاص والنحاس الأصفر، فمشت الأحوال.

وفيه رسم أن يجلس الأمير بيغرا أمير جندار رأس الميسرة، واستقر الأمير أيتمش الناصرى عوضا أمير جندار، واستقر الأمير قبلاوى حاجب الحجَّاب عوضا عن أيتمش.

وفيه استقر ابن الأطروش فى قضاء العسكر على مذهب أبى حنيفة، ولم يعرف أحدًا قبله ولى هذا بمصر؛ واستقر تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى فى قضاء العسكر على مذهب الشافعى.

وفيه استقر خاص ترك بن طغيه الكاشف فى ولاية منفلوط، واستقر مجد الدين موسى بن الهذبانى والى الأشمونين فى كشف الوجه القبلى، بعد قتل طغيه؛ ونقل محمد ابن أياس الدويدارى من ولاية أشموم إلى ولاية البهنساوية.

وفيه استقر نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف فى قضاء الشافعية بحلب عوضا عن نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن الصابغ، بعد وفاته. واستقر زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن أبى السفاح كاتب السر بحلب، عوضًا عن جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود.

وفيها وُجِد للشيخ حسن متولى بغداد بدار الخلافة دفينًا فى خربَة مبلغ نحو عشرة قناطير دمشقية ذهبًا.

فكانت سنة كثيرة الفساد فى عامة أرض مصر والشام، من كثرة النفاق، وقطع الطريق، وولاية الوزير منجك جميع أعمال المملكة بالمال، وانفراده وأخيه الأمير بيبغا روس النائب بالتدبير، دون كل أحد.

ومع ذلك فكان فيها الوباء الذى لم يعهد فى الإسلام مثله، فإنه ابتدأ بأرض مصر آخر أيام التخضير وذلك فى فصل الخريف فى أثناء سنة ثمان وأربعين. وما أهل محرم سنة تسع وأربعين حتى انتشر الوباء فى الإقليم بأسره، واشتد بديار مصر فى شعبان ورمضان وشوال، وارتفع فى نصف ذى القعدة.

وكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف إلى عشرين

ألف نفس فى كل يوم. وعملت الناس التوابيت والدكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجره، وحمل أكثر الموتى على ألواح الخشب وعلى السَّلالم والأبواب، وحفرت الحفائر وألقوا فيها. وكانت الحفرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون، وأكثر. وكان الموت بالطاعون يبصق الإنسان دمًا، ثم يصيح ويموت؛ وعَمّ مع ذلك الغلاء الدنيا جميعها.

ولم يكن هذا الوباء كما عُهد فى إقليم دون إقليم، بل عَمّ أقاليم الأرض شرقًا وغربًا وشمالا وجنوبا جميع أجناس بنى آدم، وغيرهم حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر.

وأول ابتدائه من بلاد القان الكبير حيث الإقليم الأول، وبعدها من توريز إلى آخرها ستة أشهر، وهى بلاد الخطا والمغل، وأهلها يعبدون النار والشمس والقمر، وتزيد عدتهم على ثلاثمائة جنس. فهلكوا بأجمعهم من غير علة، فى مشاتيهم ومصايفهم، وفى مراعيهم، وعلى ظهور خيولهم، وماتت خيولهم، وصاروا كلهم جيفا مرمية فوق الأرض؛ وذلك فى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، على ما وصلت به الأخبار من بلاد أزبك[١].

ثم حملت الريح نَتْنَهم إلى البلاد، فما مرت على بلد ولا خركاه ولا أرض، إلا وساعة يشمها إنسان أو حيوان مات لوقته وساعته. فهلك من زوق القان الكبير خلائق لا يحصى عددها إلا الله، ومات القان وأولاده الستة، ولم يبق بذاك الإقليم من يحكمه.

ثم اتصل الوباء ببلاد الشرق جميعها، وبلاد أزبك وبلاد اسطنبول وقيصرية الروم؛ ودخل إلى أنطاكية حتى باد أهلها. وخرج جماعة من جبال أنطاكية فارين من الموت، فماتوا بأجمعهم فى طريقهم؛ وبدت فرس منهم بعد موتهم عائدة إلى جبالهم، فأخذ بقية من تأخر بها فى تتبع آثارهم حتى تَعَرّف خبرهم، فأخذوا ما تركوا من المال وعادوا؛ فأخذهم الموت أيضًا فى طريقهم، ولم يرجع إلى الجبل إلا القليل، فماتوا مع أهاليهم جميعًا إلا قليلا نجوا إلى بلاد الروم، فأصابهم الوباء.

وعم الوباء بلاد قرمان وقيصرية وجميع جبالها وأعمالها، ففنى أهلها ودوابهم ومواشيهم. فرحلت الأكراد خوفا من الموت، فلم يجدوا أرضًا إلا وفيها الموتى، فعادوا إلى أرضهم، وماتوا جميعًا.

وعظم الموتان ببلاد سيس، ومات من أهل تكفور فى يوم واحد بموضع واحد مائة وثمانون نفسا؛ وخلت سيس وبلادها.

---

(١) بلاد أزبك بلاد القبائل النهبية المغول وهى شمالى البحر الأسود وبحر قزوين وحوض الفولى.

ووقع فى بلاد الخطا مطر لم يعهد مثله فى غير أوانه، فماتت دوابهم ومواشيهم عقيب ذلك المطر حتى فنيت، ثم مات الناس والطيور والوحوش حتى خلت بلاد الخطا؛ وهلك ستة عشر ملكا فى مدة ثلاثة أشهر. وباد أهل الصين، ولم يبق منهم إلا القليل؛ وكان الفناء ببلاد الهند أقل منه ببلاد الصين.

ووقع الوباء ببغداد أيضًا، وكان الإنسان يصبح وقد وجد بوجهه طُلُوعا(١)، فما هو إلا أن يمر بيده عليه مات فجأة. وكان أولاد دمرداش قد حصروا الشيخ حسن بها، ففجأهم الموت فى عسكرهم من وقت المغرب إلى باكر النهار من الغد، حتى مات عدد كثير فرحلوا وقد مات منهم ستة أمراء ونحو ألف ومائتا رجل. ودواب كثيرة؛ فكتب الشيخ حسن بذلك إلى سلطان مصر.

وفى أول جمادى الأولى: ابتدأ الوباء بأرض حلب، فعم جميع بلاد الشام وبلاد ماردين وجبالها، وَبَادَ أهل الغور وسواحل عكا وصفد، وبلاد القدس ونابلس والكرك، وعربان البوادى وسكان الجبال والضياع. ولم يبق فى بلدة جينين سوى عجوز واحدة خرجت منها فارة. ولم يبق بمدينة لدّ أحد، ولا بالرملة؛ وصارت الخانات وغيرها ملآنة بجيف الموتى. ولم يدخل الوباء معرة النعمان من بلاد الشام، ولا بلد شيزر، ولا حارم.

وأول ما بدأ الوباء بدمشق كان يخرج خلف أذن الإنسان بَثرَة(٢) فيخر صريعا ثم صار يخرج بالإنسان كبة تحت إبطه، فلا يلبث ويموت سريعًا. ثم خرجت بالناس خيارة، فقتلت قتلا كثيرًا. وأقاموا على ذلك مدة، ثم بصقوا الدم، فاشتد الهول من كثرة الموت حتى أنه أكثر من كان يعيش بعد نفث الدم نحو خمسين ساعة.

وبلغ عدد من يموت بحلب فى كل يوم خمسمائة إنسان، ومات بغزة من ثانى المحرم إلى رابع صفر - على ما ورد فى كتاب نائبها - زيادة على اثنين وعشرين ألف إنسان، حتى لقت أسواقها.

وشمل الموت أهل الضياع بأرض غزة، وكان أواخر زمان الحرث. فكان الرجل يوجد ميتا والمحراث فى يده، ويوجد آخر قد مات وفى يده ما يبذره، وماتت أبقارهم. وخرج رجل بعشرين نَفَرًا لإصلاح أرضه، فماتوا واحدا بعد واحد، وهو يراهم يتساقطون قدامه. فعاد إلى غزة، وسار منها إلى القاهرة. ودخل ستة نَفَرٍ لسرقة دار بغزة فأخذوا ما فى الدار ليخرجوا به فماتوا كلهم. وفر نائبها إلى ناحية بدعرش، وترك غزة خالية.

---

(١) طلوعا عند الطلعه خُرَّاج عظيم فى البدن [محيط المحيط].

(٢) البثرة خراج صغير [محيط المحيط].

ومات أهل قطيا، وصارت جثثهم تحت النخيل وعلى الحوانيت، حتى لم يبق بها سوى الوالى وغلامين من أصحابه وجارية عجوز. وبعث الوالى يستعفى، فولى الوزير عوضه مبارك أستادار طغجى.

وعم الوباء بلاد الفرنج، وابتدأ فى الدواب، ثم الأطفال والشباب. فلما شنع الموت فيهم جمع أهل قبرص من فى أيديهم من الأسرى المسلمين، وقتلوهم جميعا من بعد العصر إلى المغرب، خوفًا أن يُبيد الموتُ الفرنج، فتملكُ المسلمون قبرص. فلما كان بعد عشاء الآخرة هبت ريح شديدة، وحدثت زلزلة عظيمة، وامتد البحر من المينة نحو مائة قصبة فغرق كثير من مراكبهم وتكسَّرت. فظن أهل قبرص أن الساعة قامت، فخرجوا حيارى لا يدرون ما يصنعون، ثم عادوا إلى منازلهم، فإذا أهاليهم قد ماتوا؛ وهلك لهم ثلاثة ملوك واستمر الوباء فيهم مدة أسبوع، فركب فيهم ملكهم الذى ملكوه عليهم رابعا بجماعته فى مركب يريدون جزيرة بقرب منهم، فلم يمض عليهم فى البحر سوى يوم وليلة حتى مات أكثرهم فى المركب؛ ووصل باقيهم إلى الجزيرة، فماتوا بها عن آخرهم. ووافى هذه الجزيرة بعد موتهم مركب فيها تجار، فماتوا كلهم وتجارتهم إلا ثلاثة عشر رجلا، فمروا إلى قبرص وقد بقوا أربعة نفر، فلم يجدوا بها أحدا؛ فساروا إلى طرابلس الغرب، وحدثوا بذلك، فلم تطل إقامتهم بها وماتوا.

وكانت المراكب إذا مرت بجزائر الفرنج لا تجد ركّابُها بها أحدًا، وإن صدفت أحدًا فى بعضها يدعوهم أن يأخذوا من أصناف البضائع بالصبر بغير ثمن؛ لكثرة من كان يموت عندهم صاروا يلقون فى البحر. وكان سبب الموت عندهم ريح تمر على البحر، فساعة يشمها الإنسان سقط، ولا يزال يضرب برأسه الأرض حتى يموت.

وقدمت مركب إلى الإسكندرية فيها اثنان وثلاثون تاجرًا وثلاثون رجل، ما بين تجار وعبيد؛ فماتوا كلهم، ولم يبق منهم غير أربعة من التجار وعبد واحد، ونحو أربعين من البحارة؛ فماتوا جميعًا بالثغر.

وعم الموت أهل جزيرة الأندلس، إلا مدينة غرناطة، فإنه لم يصب أهلها منه شىء وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم. فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها، مرت بهم ريح، فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة. ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، وأموالهم ليس لها من يحفظها؛ فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى. فنجا من بقى منهم بنفسه، وعادوا إلى بلادهم، وقد هلك أكثرهم؛ والموت قد فشا بأرضهم، بحيث مات منهم فى ليلة واحدة عدد عظيم، وماتت مواشيهم ودوابهم كلها.

وعم الموتان إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى، وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها. ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاه إذا ذبحت وجد لحمها منتنًا قد اسود. وتغير أيضًا ريح السمن واللبن، وماتت المواشى بأسرها.

وشمل الوباء أيضًا أرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت بها فى كل يوم مائة. ثم مات بالإسكندرية فى اليوم مائتان، وشنع ذلك حتى أنه صلى فى يوم الجمعة بالجامع الإسكندرى دفعة واحدة على سبعمائة جنازة. وصار يحملون الموتى على الجنويات والألواح. وغلقت دار الطراز لعدم الصناع، وغلقت دار الوكالة لعدم الواصل إليها، وغلقت الأسواق وديوان الخمس؛ وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة دينار. وقدمها مركب فيه إفرنج، فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير يحوم فى غاية الكثرة، فقصدوه فإذا جميع من فيه من الناس موتى، والطير تأكلهم، وقد مات من الطير أيضًا شىء كثير، فتركوهم ومروا، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم.

وفشى الموت بمدينة دمنهور، وتروجه، والبحيرة كلها حتى عم أهلها؛ وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحرى سائر الضمانات، والموجبات السلطانية.

وشمل الموت أهل البرلس ونَسْتَراوَه، وتعطل الصيد من البحيرة لموت الصيادين. وكان يخرج بها فى المراكب عدة من الصيادين لصيد الحوت، فيموت أكثرهم فى المراكب ويعود من بقى منهم فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله. ووجد فى حيتان البطارخ شىء منتن، وفيه على رأس البطرخة كبه قدر البندقة قد اسودت. ووُجد فى جميع زراعات البرلس وبلحها وقثائها دود، وتلف أكثر ثمر النخل عندهم.

وصارت الأموات على الأرض فى جميع الوجه البحرى، ولا يوجد من يدفنها وعظم الوباء بالمحلة حتى أن الوالى كان لا يجد من يشكو إليه؛ وكان القاضى إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحدًا إلا بعد عناء لقلتهم؛ وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها.

وعم الوباء جميع تلك الأراضى، ومات الفلاحون بأسرهم، فلم يوجد من يضمّ الزرع وزهد أرباب الأموال فى أموالهم، وبذلوها للفقراء. فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين مستوفى الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة فى جماعة، فدخلوا سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه[١] ونحوها من البلاد، وأخذوا مالا كثير لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم.

---

(١) أبشيه بلاد وقرى معروفة بمدينة الغربية الحالية انظر ياقوت معجم البلدان ١/ ٨٥.

وعجز أهل بلبيس وسائر البلاد الشرقية عن ضم الزرع، لكثرة موت الفلاحين. وكان ابتداء الوباء من أول فصل الصيف، وذلك فى أثناء ربيع الآخر. فجافت الطرقات بالموتى، ومات سكان بيوت الشعر ودوابهم وكلابهم وتعطلت سواقى الحنا، وماتت الدواب والمواشى وأكثر هجن السلطان والأمراء. وامتلأت مساجد بلبيس وفنادقها وحوانيتها بالموتى، ولم يجدوا من يدفنهم، وجافت سوقها فلم يقدر أحد على القعود فيه؛ وخرج من بقى من باعتها إلى ما بين البساتين. ولم يبق بها مؤذن، وطرحت الموتى بجامعها، وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى، ورحل كثير من أهلها إلى القاهرة.

وتعطلت بساتين دمياط وسواقيها،وجفت أشجارها، لكثرة موت أهلها ودوابهم، وصارت حوانيتها مفتحة والمعايش بها لا يقربها أحد، وغلقت دورها. وبقيت المراكب فى البحيرة، وقد مات الصيادون فيها والشباك بأيديهم مملوءة سمكا ميتا، فكان يوجد فى السمكة كبة. وهلكت الأبقار الخيسية[1] والجاموس فى المراحات والجزائر، ووجد فيها أيضا الكبة.

وقدم الخبر من دمشق بأن الوباء كان بها أخف مما كان بطرابلس وحماة وحلب، فلما دخل شهر رجب والشمس فى برج الميزان أوائل فصل الخريف هبت ريح فى نصف الليل شديدة جدا، واستمرت حتى مضى من النهار قدر ساعتين، واشتدت الظلمة حتى كان الرجل لا يرى مَن بجانبه؛ ثم انجلت، وقد علت وجوه الناس صفرة ظاهرة فى وادى دمشق كله. وأخذ فيهم الموت منه شهر رجب، فبلغ فى اليوم ألفا ومائتى إنسان. وبطل إطلاق الموتى من الديوان، فصارت الأموات مطروحة فى البساتين وعلى الطرقات. فقدم على قاضى دمشق تقى الدين السبكى رجل من جبال الروم، وأخبره أنه لما وقع الفناء ببلاد الروم رأى رسول ﷺ، فشكا إليه ما نزل بالناس من الفناء، فأمره ﷺ أن يقول لهم: «اقرأوا سورة نوح ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستين مرة، واسألوا الله أن يرفع عنكم ما أنتم فيه»؛ فعرفهم قاضى دمشق ذلك. فاجتمع الناس فى المساجد، وفعلوا ما ذكر لهم، وتضرعوا إلى الله، وتابوا من ذنوبهم، وذبحوا أبقارًا وأغناما كثيرة للفقراء مدة سبعة أيام، والفناء يتناقص كل يوم حتى زال. فنودى فى دمشق باجتماع الناس بالجامع الأموى، فصاروا إليه جميعا، وقرأوا به صحيح البخارى فى ثلاثة أيام وثلاث ليال؛ ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى، وكشفوا رءوسهم وضجوا بالدعاء، وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام، فتناقص الوباء حتى ذهب بالجملة.

---

(١) الخيسية نسبة إلى بلدة خيس التى اشتهرت فيما يبدو بنوع خاص من الأبقار لإنتاج اللبن.

وابتدأ الوباء فى القاهرة ومصر بالنساء والأطفال، ثـم فـى الباعـة، حتـى كـثر عـدد الأموات. فركب السلطان إلى سرياقوس، وأقـام بهـا مـن أول رجـب إلى العشـرين منـه وقصد العود إلى القلعـة، وأشـير عليـه بالإقامـة بسـرياقوس وصـوم شـهر رمضـان بهـا. فبلغت عدة من يموت ثلاثمائة نفر كل يوم بالطاعون موتـا وجبًا فـى يـوم أو ليلـة، فمـا فرغ شهر رجب حتى بلغت العدة زيادة على الألف فى كل يوم. وصار إقطـاع الحلقـة ينتقل إلى ستة أنفس فى أقل من أسبوع؛ فشرع الناس فى فعل الخير، وتوهـم كـل أحـد أنه ميت.

وقدم كتب نائب حلب بأن بعض أكـابر الصلحـاء بحلـب رأى النبـى ﷺ فـى نومـه، وشكا إليه ما نزل بالناس من الوباء، فأمره ﷺ أن يأمرهم بالتوبة والدعـاء وهـو: «اللهـم سكن هيبة صدمى قهرمان الحروب، بألطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت، حتـى نتشبث بأذيال لطفك، و نعتصم بك عـن إنـزال قهـرك. يـاذا القـوة والعظمـة الشـاملة، والقدرة الكاملة، يا ذا الجلال والإكرام»، وأنه كتب بها عدة نسـخ بعـث بهـا إلى حمـاة وطرابلس ودمشق.

وفى شعبان: تزايد الوباء فى القاهرة، وعظم فى رمضـان، وقـد دخـل فصـل الشـتاء فرسم بالاجتماع فى الجوامع للدعاء.

وفـى يـوم الجمعـة سـادس رمضـان نـودى أن يجتمـع النـاس بالصنـاجق الخليفيـة، والمصـاحف عنـد قبـة النصـر، فـاجتمع النـاس بعامـة جوامـع مصـر والقـاهرة، وخـرج المصريون إلى مصلى خولان بالقرافة، واستمرت قراءة البخـارى بالجـامع الأزهـر وغيره عدة أيام، والناس يدعون الله تعالى ويُقْنتون فى صلواتهـم، ثـم خرجـوا إلى قبـة النصـر، وفيهم الأمير شيخو والوزير منجك والأمراء، بملابسهم الفاخرة من الذهب ونحـوه، فـى يوم الأحد ثامنه.

وفيه مات الرجل الصالح عبد الله المنوفى، فصَلّـى عليـه ذلـك الجمـع العظيـم. وعـاد الأمراء إلى سرياقوس، وانفض الجمع. واشتد الوباء بعد ذلك حتى عجز الناس عن حصر الأموات. فلما انقضى شهر رمضان قدم السـلطان مـن سـرياقوس؛ وحـدث فـى شـوال بالناس نفث الدم، فكان الإنسان يحس فى بدنه بحرارة، ويجد فـى نفسـه غثيـان، فيبصـق دما ويموت عقيبه، ويتبعه أهل الدار واحد بعد واحد حتى يفنوا جميعا بعد ليلة أو ليلتين؛ فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء. واستعد الناس جميعا، وأكثروا من الصدقات، وتحاللوا وأقبلوا على العبادة.

ولم يحتج أحد فى هذا الوبـاء إلى أشربة ولا أدويـة ولا أطباء، لسرعة المـوت. فمـا تنصف شوال إلا والطرقات والأسوق قد امتلأت بالأموات، وانتدبت جماعة لمواراتهـم، وانقطع جماعة للصلاة عليهم فى جميع مصليات القاهرة ومصر. وخرج الأمر عن الحـد، ووقع العجز عن العدو، وهلك أكثر أجناد الحلقة؛ وخلـت أطباق القلعـة مـن الممـاليك السلطانية لموتهم.

وما أهل ذو القعدة: إلا القاهرة خالية مقفرة، لا يوجد فى شوارعها مار، بحيث إنـه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه، لكثرة الموتـى والاشتغال بهم وعلت الأتربة على الطرقات، وتنكرت وجوه الناس، وامتلأت الأمـاكن بالصيـاح، فلا تجد بيتًا إلا وفيه صبحـة، ولا تمـر بشـارع إلا وفيـه عـدة أموات وصـارت النعـوش لكثرتها تصطدم، والأموات تختلط.

وصل فى يوم الجمعـة بعـد الصـلاة علـى الأمـوات بالجـامع الحـاكمى مـن القـاهرة، فصُفّت التوابيت اثنين اثنين من باب مقصورة الخطابة إلى البـاب الكبـير. ووقـف الإمـام على العتبة، والناس خلفه خارج الجامع.

وخلت أزقة كثيرة وحـارات عديـدة، وصـارت حـارة برجـوان اثنـين وأربعـين دارًا خالية. وبقيت الأزقة والدروب بما فيها من الدور المتعددة خالية، وصارت أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها، وإذا ورث إنسان شيئا انتقل فى يوم واحد عنه إلى رابع وخامس.

وحُصرت عدة من صُلّى عليه بالمصليات خـارج بـاب النصـر وخـارج بـاب زويلـة، وخارج باب المحروق وتحت القلعة، ومصلى قتال السبع تجاه بـاب جـامع قوصـون، فـى يومين، فبلغت ثلاثة عشر ألفا وثمانمائة، سوى من مات فى الأسواق والأحكار، وخارج باب البحر وعلى الدكاكين، وفى الحسينية وجـامع ابـن طولـون، ومـن تـأخر دفنـه فـى البيوت ويقال بلغت عدة الأموات فى يوم واحد عشرين ألفا، وأحصيت الجنائز بالقاهرة فقط فى مدة شـعبان ورمضـان تسـعمائة ألـف، سـوى مـن مـات بالأحكـار والحسينية والصليبية وباقى الخطط خارج القاهرة، وهم أضعاف ذلك. وعدمـت النعـوش، وبلغـت عدتها ألفا وأربعمائة نعش. فحملت الأموات على الأقفاص ودراريب الحوانيت وألـواح الخشب؛ وصار يحمل الاثنان والثلاثة فى نعش واحد على لوح واحد.

وطُلبت القراء إلى الأموات، فأبطل كثير من الناس صناعاتهم، وانتدبـوا للقـراءة أمـام الجنائز. وعمل جماعـة مـن النـاس مـدراء، وجماعـة تصـدوا لتغسـيل الأمـوات، وجماعـة لحملهم؛ فنالوا بذلك سعادة وافرة. وصار المقرئ يأخذ عشرة دراهـم وإذا وصـل الميـت إلى المصلى تركه وانصرف لآخر. وصار الحمال يأخذ ستة دراهم بعـد الدخلـة عليـه إذا وجد، ويأخذ الحفار أجرة القبر خمسين درهما؛ فلم يُمَتّع أكثرهم بذلك، وماتوا.

ودخلت غاسلة مرة لتغسل امرأة، فلما جردتها من ثيابها، ومرت بيدها على موضع الكبة صاحت وسقطت ميته؛ فوُجد فى بعض أصابعها كبة بقدر الفولة.

وامتلأت المقابر من باب النصر إلى قبة النصر طولا، وإلى الجبل عرضا. وامتلأت مقابر الحسينية إلى الريدانية، ومقابر خارج باب المحروق والقرافة. وصار الناس يبيتون بموتاهم على الترب، لعجزهم عن تَوَاريهم. وكان أهل البيت يموتون جميعا وهم عشرات، فما يوجد لهم سوى نعش واحد، ينقلون فيه شيئا بعد شيء. وأخذ كثير من الناس دورًا وأثاثا وأموالا من غير استحقاق، لموت مستحقيها؛ فلم يتمل أكثرهم بما أخذ ومات، ومن عاش منهم استغنى به.

وأخذ كثير من العامة إقطاعات الحلقة، وقام الأمير شيخو والأمير مغلطاى أمير آخور بتغسيل الناس وتكفينهم ودفنهم.

وبطلت الأفراح والأعراس من بين الناس، فلم يعرف أن أحدًا عمل فرحًا فى مدة الوباء، ولا سُمع صوت غناء. وتعطل الأذان من عدة مواضع، وبقى فى الموضع المشهور بأذان واحد.

وبطلت أكثر طبلخاناه الأمراء، وصار فى طبلخاناه المقدم ثلاثة نفر، بعدما كانوا خمسة عشر.

وغلقت أكثر المساجد والزوايا. واستقر أنه ما ولد أحد فى هذا الوباء إلا ومات بعد يوم أو يومين، ولحقته أمه.

وشمل فى آخر السنة الفناء بلاد الصعيد بأسرها، وتعطلت دواليبها. ولم يدخل الوباء ثغر أسوان، فلم يمت به سوى أحد عشر إنسانا. وطُلب بناحية بهجورة شاهد فلم يوجد، وخرج من مدينة أخميم شاهد مساحة مع قاضيها بقياسين، لقياس بعض الأراضى؛ فعندما وضعت القصبة للقياس سقط أحد القياسين؛ فحمله رفيقه إلى البلد، فسقط بجنبه ومات؛ وأخذت الشاهد الحمى.

واجتمع ثلاثة بناحية إبيار،وكتبوا أوراقا بأسمائهم ومن يموت منهم قبل صاحبه؛ فطلعت الأوراق بموت واحد بعد آخر، فمات الثلاثة على ما طلع فى الأوراق؛ وكتب بذلك محضر ثابت قدم إلى القاهرة.

وكانت البزدارية إذا رمت طيرًا من الجوارح على طائر ليصيده، وُجد الصيد وفيه كبة كالبندقة؛ ولم تذبح أوزة ولا شيء من الطيور إلا وُجد فيه كبة. ووُجدت طيور

كثيرة فى الزروع ميتة، ما بين غربان وحدأة وغيرها من سائر أصناف الطيور؛ فكانت إذا نتفت وُجد فيها أثر الكبة. وماتت القطاط حتى قل وجودها.

وتواترت الأخبار من الغور وبيسان وغير ذلك من النواحى أنهم كانوا يجدون الأسود والذئاب والأرانب والإبل وحمر الوحش والخنازير وغيرها من الوحوش ميتة، وفيها أثر الكبة.

وكانت العادة إذا خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس يقلق الناس من كثرة الحدأة والغربان، وتحليقها على ما هناك من اللحوم الكثيرة؛ فلم يشاهد منها شىء مدة شهر رمضان، والسلطان هناك، لفنائها.

وكانت بحيرات السمك بدمياط ونستراوة وسخا[1] توجد أسماكها الكثيرة طافية على الماء، وفيها الكبة. وكذلك كلما يصطاد منها، بحيث امتنع الناس من أكله. وكثر عناء الأجناد وغيرهم فى أمر الزرع، فإن الوباء ابتدأ فى آخر أيام التخضير، فكان الحراث يمر ببقره وهى تحرث فى أراضى الرملة وغزة والساحل، وإذا به يخر ميتًا والمحراث فى يده، ويبقى بقره بلا صاحب.

ثم كان الحال كذلك بأراضى مصر، فما جاء أوان الحصاد حتى فنى الفلاحون، ولم يبقى منهم إلا القليل فخرج الأجناد وغلمانهم لتحصد، ونادوا من يحصد ويأخذ نصف ما يحصده. فلم يجدوا من يساعدهم على ضم الزروع، ودرسوا غلالهم على خيوهم، وذروها بأيديهم؛ وعجزوا عن كثير من الزرع، فتركوه.

وكانت الإقطاعات قد كثر تنقلها من كثرة موت الأجناد، بحيث كان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى آخر حتى يأخذه السابع والثامن. فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الخياطين والأسكافية والمنادمين، وركبوا الخيول، ولبسوا الكلفتاه والقباء.

ولم يتناول أحد من إقطاعه مغلا كاملا، وكثير منهم لم يحصل له شىء. فلما كان أيام النيل، وجاء أوان التخضير تعذر وجود الرجال، فلم يخضر إلا نصف الأراضى. ولم يوجد أحد يشترى القرط الأخضر، ولا من يربط عليه خيوله فانكسرت بلاد الملك من ضواحى القاهرة، مثل المطرية والخصوص وسرياقوس وبهتيت. وتركت ألف وخمسمائة فدان براسيم بناحية ناى وطنان، فلم يوجد من يشتريها لرعى دوابه، ولا من يعملها دريسًا.

---

(١) سخا كورة بمصر وقصبتها سخا بأسفل مصر وهى الآن قصبة كورة الغربية ودار الوالى بها. انظر معجم البلدان ٣/ ١٩٦.

وخلت بلاد الصعيد مع اتساع أرضها، بحيث كانت مكلفة مساحى أرض سيوط تشتمل على سته آلاف نفر يجئ منهم الخراج، فصارت فى سنة الوباء هذه تشتمل على مائة وستة عشر نفرًا؛ ومع ذلك فكان سعر القمح لا يتجاوز خمسة عشر درهما الأردب.

وتعطلت أكثر الصنائع، وعمل كثير من أرباب الصنائع أشغال الموتى، وتصدى كثير منهم للنداء على الأمتعة. وانحط سعر القماش ونحوه، حتى أبيع بخمس ثمنه وأقل ولم يوجد من يشتريه وصارت كتب العلم ينادى عليها بالأحمال، فيباع الحمل منها بأبخس ثمن.

واتضعت أسعار المبيعات كلها، حتى كانت الفضة النقرة التى يقال لها بمصر الفضة الحجر، تباع العشرة منها بتسعة دراهم كاملية. ويبقى الدينار بخمسة عشر درهما، بعدما كان بعشرين.

وعدمت جميع الصنائع، فلم يوجد سقاء ولا بابا، ولا غلام. وبلغت جامكية غلام الخيل ثمانين درهما فى كل شهر، بعد ثلاثين درهما. فنودى بالقاهرة من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته، وضُرب جماعة منهم. وبلغ ثمن راوية الماء إلى ثمانية دراهم، لقلة الرجال والجمال؛ وبلغت أجرة طحن الأردب القمح خمسة عشر درهما.

ويقال إن هذا الوباء أقام على أهل الأرض مدة خمس عشرة سنة، وقد أكثر الناس من ذكره فى أشعارهم، فقال الأديب زين الدين عمر بن الوردى من مقامة عملها:

إسكندرية ذا الوبا ... سبع يمدّ إليك ضبعه
صبرًا لقسمتك التى تركت ... من السبعين سبعه

وقال:

أصلح الله دمشقًا ... وَحَماها عن مسبَّه
نفسُها خَسّت إلى أن ... تقتل النفس بحبه

وقال:

إن الوبا قد غلبا ... وقد بدا فى حلبا
قالوا له عى الورى ... كافٌ وَرَا قلت وبا

وقال:

الله أكبر من وباء قد سبا ... ويصول فى العقلاء كالمجنون

سُنِّت أسنته لكل مدينة ... فعجبت للمكروه فى المسنون

وقال:

حُلبٌ وا لله يكفى ... شرها أرض مشقه
أصبحت حبة سوء ... تقتل الناس ببزقه

وقال:

قالوا فساد الهواء يُردى ... فقلت يردى هَوَى الفسَادِ
كم سيئاتٍ وكم خطايا ... نادى عليكم بها المنادى

وقال:

فهذا يوصّى بأولاده ... وهذا يودّع إخوانه
وهذا يهيئ أشغاله ... وهذا يجهّز أكفانه
وهذا يصالح أعداءه ... وهذا يلاطف جيرانه
وهذا يوَسع إنفاقه ... وهذا يُخالل من خانه
وهذا يحبِّس أملاكه ... وهذا يحرّر غلمانه
وهذا يغيّر أخلاقه ... وهذا يغيّر ميزانه
ألا إن هذا الوبا قد سبا ... وقد كاد يرسل طوفانه
ولا عاصم اليوم من أمره ... سوى رحمة ا لله عُبدانه

وقال الصلاح خليل بن أيبك الصفدى:

قد قلت الطاعون وهو بغزة ... قد جال من قطيا إلى بيروت
أخليت أرض الشام من سكانها ... وحكمت ياطاعون بالطاغوت

وقال:

لما افترستَ صحابى ... يا عام تسعٍ وَأربعينا
ما كنتَ وا لله تسعًا ... بل كنت سبعًا يقينا

وقال:

دارت من الطاعون كاس الفنا ... فالنفس من سكرته طافحه
قد خالف الشرع وأحكامه ... لأنه يثبت بالرائحه

وقال:

أسفى على أكناف جِلّق إذ غدا ... الطاعون فيها ذا زناد وَارِى

الموت أرخص ما يكون بحبة　　　والظلم زاد فصار بالقنطارِ

وقال:

أما دمشق فإنها قد أوحشت　　　من بعد ما شهد البرية أنسها
تاهت بعجب زائد حتى لقد　　　ضربت بطاعون عظيم نفسها

وقال:

تعجبت من طاعون جلّق إذ غدا　　　وما فاتت الآذان وقعة طعنه
فكم مؤمن تلقاه أذعن طائعا　　　على أنه قد مات من خلف أذنه

وقال:

رعى الرحمن دهرا قد تولى　　　يحاذى بالسلامة كل شرط
وكان الناس فى غفلات أمر　　　فجا طاعونهم من تحت إبط

وقال:

يا رحمتا لدمشق من طاعونها　　　فالكل مغتبق به أو مصطبح
كم هالك نفث الدما من حلقه　　　أوَ ما تراه بغير سكين ذُبح

وقال:

مصيبة الطاعون قد أصبحت　　　لم يخلُ منها فى الورى بقعه
يدخل فى المنزل لو أنه　　　مدينة أخلاه فى جُمعه

وقال الأديب بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبى:

إن هذا الطاعون يفتك فى العالم　　　فتك امرئُ ظلوم حقود
ويطوف البلد شرقا وغربا　　　ويسوق العباد نحو اللحود
قد أباح الدما وحرّم جمع الشـ　　　ـمل قهرًا وحلَّ نظم العُقود
كم طوى النشر من أخ عن أخيه　　　وَسَبا عقل والد بوليد

وقال:

أيتم الطفل أنكل الأم أبكى الـ　　　ـعين أجرى الدموع فوق الخدود
بسهام يرمى الأنام خفيّا　　　تِ تشقّ القلوب قبل الجلود
كما قلبُ زدتَ فى النقص أقصِرْ　　　وتَلَبَّثْ يقول هل من مزيد
إن أعش بعده فإنى شكور　　　مخلص الحمد للولىّ الحميد
وإذا مت هنئونى وقولوا　　　كم قتيل كما قُتِلْتُ شهيد

وقال الأديب جمال الدين محمد بن نباتة المصرى:

سِرْ بنا عن دمشق يا طالب العيش فما فى المقام للمرء رغبه
رخصت أنفس الخلائق بالطاعون فيها كل نفس بحبه

وقال الصلاح خليل بن أيبك الصفدى أيضًا:

قد نغّص الطاعون عيش الورى وأذهل الوالد والوالده
كم منزل كالشمع سكانه أطفأهم فى نفخة واحده

وقال:

لا تثق بالحياة طرفة عين فى زمان طاعونه مستطير
فكأن القبور شعلة شمع والبرايا لها فراش يطير

وقال الأديب إبراهيم المعمار:

يا طالب الموت أفق وانتبه هذا أوان الموت ما فاتا
قد رخص الموت على أهله ومات من لا عمره ماتا

وقال:

قبح الطاعون داء فقدت فيه الأحبة
بيعت الأنفس فيه كل نفس بحُبَيْبه

ومات فى هذه السنة خلائق من الأعيان، منهم برهان الدين إبراهيم بن لاجين بن عبد الله الرشيدى الشافعى، يوم الثلاثاء تاسع عشرى شوال؛ ومولده سنة ثلاث وسبعين وستمائة، أخذ القراءات على التقى الصائغ، وسمع الحديث من الأبرقوهى؛ وأخذ الفقه عن العلم العراقى، وبرع فيه، وفى الأصول والنحو وغيره؛ ودرس وأقرأ، وخطب بجامع أمير حسين، واشتهر بالصلاح.

وتوفى برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن على الحكرى، شيخ الإقراء، فى يوم عيد النحر. أخذ القراءات عن التقى الصائغ، ونور الدين على بن يوسف بن حرير الشنطوفى.

وتوفى الأديب إبراهيم بن على بن إبراهيم المعمار.

ومات شهاب الدين أحمد بن عز الدين أيبك بن عبد الله الحسامى المصرى الدمياطى، نسبة إلى جَدّه لأمه الشافعى الجندى.

ومات الأديب المادح شهاب الدين أحمد بن مسعود بن أحمد بن ممدود السنهورى أبو العباس الضرير؛ كانت له قدرة زائدة على النظم، وشعره كثير.

ومات الأمير أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل ابن ربيعة، أمير آل فضل بسلمية، عن نيف وخمسين سنة.

وتوفى كاتب السرّ بدمشق شهاب الدين أحمد بن محيى الدين بن فضل الله بن على العمرى، فى تاسع ذى الحجة بدمشق؛ ومولده بها فى ثالث شوال سنة سبعمائة. عَرَف الفقه على مذهب الشافعى، ودَرَس العربية؛ وبرع فى الإنشاء والتاريخ، وقال الشعر الجيد، وصنّف عدة كتب فى التاريخ والأدب، وباشر كتابة السرّ بديار مصر عن أبيه فى حياته، ثم استقل فى كتابة السرّ بدمشق.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن محمد بن قيس بن ظهير الأنصارى المصرى الشافعى، يوم عيد النحر بالقاهرة. دَرَّس بالخشابية والمشهد الحسينى، وبرع فى الفقه؛ وعظمت شهرته.

ومات أحمد بن الأمير آقبغا عبد الواحد.

ومات الأمير أحمد بن الأمير أصلم.

ومات شهاب الدين أحمد بن الوجيه المحدث.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن ميلق الشاذلى.

ومات الأمير أحمد بن الأمير جنكلى بن البابا، قريبا من عقبة أيلة، بعد عوده من الحج.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن الغزاوى، ناظر الأوقاف المارستان، بطريق الحجاز.

وتوفى المسند زين الدين أبو بكر بن قاسم بن أبى بكر الرحبى الحنبلى، بدمشق؛ ومولده سنة ست وستين وستمائة.

وتوفى الشيخ المعتقد أبو بكر بن النشاشيبى.

ومات الأمير آقبغا أخو الأمير طقزدمر الحموى.

ومات الأمير أسندمر القلنجقى، والى القاهرة.

ومات الأمير إسماعيل الوافدى، والى قوص، مقتولا.

ومات الأمير إلمش الجمدار، الحاجب بدمشق؛ وكان مشكورا.

ومات الأمير بلك المظفرى الجمدار، أحد أمراء الألوف، فى يوم الخميس رابع عشرى شوال.

ومات الأمير برلغى الصغير، قريب السلطان الملك المنصور قلاوون. قدم إلى القاهرة صحبة القازانية سنة أربع وسبعمائة، فأنعم عليه بإمرة، وتزوج ابنة الأمير بيبرس الجاشنكير قبل سلطنته، وعُمل له مهم عظيم، أشعل فيه ثلاثة آلاف شمعة. ثم قُبض عليه بعد زوال المظفر بيبرس، وامتحن، وحُبس عشرين سنة. ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بتقدمة ألف فمات بعد أيام.

ومات الأمير بلبان الحسينى أمير جاندار، وهو من المماليك المنصورية قلاوون؛ وقد أناف على الثمانين.

ومات الأمير بكتوت الفرمانى أحد المماليك المنصورية قلاوون؛ وكان أحد الأمراء البرجية، ثم ولى شد الدواوين بدمشق، وحُبس؛ ثم أنعم عليه بطبلخاناه في ديار مصر؛ وكانت به حدبة فاحشة، وولعٌ بتتبع المطالب وعمل الكيميا.

ومات الأمير تخمان.

ومات الأمير تمربغا العقيلى نائب الكرك، فى جمادى الآخرة؛ وكان مشكور السيرة.

وتوفى كمال الدين جعفر بن ثعلب بن جعفر بن على الإدفوى[1] الفقيه الشافعى الأديب الفاضل، له كتاب الطالع السعيد فى تاريخ الصعيد، وغيره؛ وشعره جيد.

ومات الأمير وداد بن الشيبانى، متولى إياس؛ وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير سنقر الرومى المستأمن. قدم رسولا من الفرنج فى الأيام الناصرية محمد قلاوون، فأسلم وأنعم عليه بإمرة عشرة. ثم اختص بالصالح إسماعيل وأخيه شعبان الكامل، واتهم بأنه رَكّبَ لهما السموم؛ فقُبض عليه بعد انقضاء أيام المظفر حاجى؛ ونُفى. ثم أحضر، وأنعم عليه بإمرة.

ومات الأمير ناصر الدين خليفة، وزير البلاد القانية على شاه، فى سادس عشرى جمادى الأولى، بدمشق؛ وكان قد قدم من بلاد المشرق، وأعطى إقطاعا.

وتوفى نجم الدين سعيد بن عبد الله الدهلى[2]، بكسر الدال المهملة، الفقيه الحنبلى

---

(١) جعفر بن ثعلب بن جعفر الإدفوى أبو الفضل كمال الدين مؤرخ، له علم بالأدب والفقه والفرائض والموسيقا ولد في إدفو (بصعيد مصر) وتعلم بقوص والقاهرة وتوفى بهذه بعد عودته من الحج. انظر (ديوان الإسلام – خ)، وآداب اللغة ٣: ١٦٠ وشذرات الذهب ٦: ١٥٣ والدرر الكامنة ١: ٥٣٥ والبدر الطالع ١: ١٨٢ والأعلام ٢/١٢٣.

(٢) سعيد بن عبد الله الحريرى الهندى الدهلى أبو الخير، نجم الدين حافظ، نشأ ببغداد وارتحل إلى مصر وأقام بدمشق إلى أن توفى. له تآليف منها [تفتت الأكبارد فى واقعة بغداد]. انظر شذرات الذهب ٦: ١٦٣ والدرر الكامنة ٢/ ١٣٤ والأعلام ٣/ ٩٨.

الحافظ، خامس عشرى ذى القعدة؛ وله كتاب تفتيت الأكباد فى واقعة بغداد. وُلد سنة سبع عشرة وسبعمائة، وقدم من بغداد إلى القاهرة، وسمع ودأب وصنف، فبرع فى الحديث ومعرفة التراجم.

وتوفى جمال الدين أبو الربيع سليمان بن أبى الحسن بن سليمان بن ريان الحلبى، ناظر الجيش بها وبدمشق.

ومات شيرين بن شيخ الخانكاه الركنية بيبرس، فولى بعده نجم الدين الملطى فمات عن قريب.

ومات الأمير طشتمر طلليه، أحد الأمراء المقدمين، فى شوال؛ وقيل له طلليه لأنه كان إذا تكلم قال فى آخر كلامه طلليه وهو من المماليك الناصرية.

ومات الأمير طغاى الكاشف مقتولا، فقدم الخبر بقتله يوم الخميس ثالث عشرى ذى القعدة.

وماتت خوند طغاى أم آنوك، وتركت مالا كبيرا وألف جارية وثمانين طواشيا؛ وأعتقت الجميع؛ ولها تنسب تربة خوند بالصحراء.

وتوفى الصفى عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم بن أحمد بن نصر بن أبى العزيز سرايا بن ناقا بن عبد الله السنبسى الحلى الأديب الشاعر، آخر يوم من ذى الحجة؛ ومولده خامس ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة؛ قدم القاهرة مرتين.

وتوفى تاج الدين عبد الرحيم بن قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن[١] ابن محمد بن أحمد بن محمد عبد الكريم القزوينى الشافعى، خطيب الجامع الأموى بدمشق؛ وتوفى معه أخوه صدر الدين عبد الكريم.

وتوفى الرجل الصالح عبد الله المنوفى المالكى، فى يوم الأحد ثامن رمضان، وقبره خارج القاهرة يقصد للتبرك به.

وتوفى المسند بهاء الدين على بن عمر بن أحمد المقدسى الصالحى الدمشقى وقد أناف على الثمانين؛ حدث عن ابن البخارى وغيره.

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى جلال الدين القزوينى الشافعى محمد المعروف بخطيب دمشق من أحفاد أبى دلف أحمد العجلى: قاضى من أدباء الفقهاء أصله من قزوين ومولده بالموصل ولى القضاء فى ناحية بالروم ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤ هـ فقضاء القضاة بمصر سنة ٧٢٧هـ ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨هـ وله كتب (تلخيص المفتاح -ط) فى المعانى والبيان و (الإيضاح - ط). انظر مفتاح السعادة ١: ١٦٨، وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٢: ٣٢٤ والبدر الطالع ٢/ ١٨٣ وكشف الظنون ٤٣٣و ١٠٠٩ والنجوم الزاهرة ٩/ ٣١٨ والدرر الكامنة ٤: ٣ و الأعلام ٦/ ١٩٢.

ومات أمير على بن طغريل الإيغانى، أحد أمراء الألوف.

ومات أمير على بن الأمير أرغون النائب.

وتوفى شيخ الشيوخ بدمشق علاء الدين على بن محمود بن حميد القونوى الحنفى، فى رابع رمضان.

وتوفى زين الدين عمر بن داود هارون بن يوسف بن على الحارثى الصفدى، أحد موقعى الدست - وقد أناف على الستين - بالقاهرة برع فى الفقه على مذهب الشافعى، وفى العربية والإنشاء، ونظم الشعر.

وتوفى زين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس بن على المغربى الحلبى، المعروف بابن الوردى، الفقيه الشافعى، وهو ناظم الحاوى؛ وقد جاوز الستين؛ وكانت وفاته بحلب، فى تاسع عشرى ذى الحجة.

وتوفى زين الدين عمر بن عامر بن الخضر بن عمر بن ربيع العامرى الغزّى الشافعى، بمدينة بلبيس، عن إحدى وسبعين؛ باشر بالكرك وعجلون وقوص وبلبيس، وبرع فى الفقه.

وتوفى زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم بن عبد الرزاق البلقيائى الشافعى، قاضى حلب وصفد، وبها مات عن نحو سبعين سنة.

ومات الأمير ركن الدين عمر بن طقصو؛ وكان فاضلا، صنف فى الموسيقا وغيره.

ومات الطواشى عنبر السحرتى اللالا مقدم المماليك، منفيا بالقدس.

ومات الأمير قطز أمير آخور ونائب صفد، وهو من جملة الأمراء بدمشق، يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة.

ومات الأمير قرونه من الأويراتية.

ومات الأمير قطليجا السيفى البكتمرى، متولى الإسكندرية، ووالى القاهرة.

ومات الأمير كوكاى السلاح دار المنصورى؛ وترك زيادة على أربعمائة ألف دينار.

وتوفى قاضى الشافعية بحلب نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر بن الصائغ الأنصارى، وقد أناف على السبعين.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان، الفقيه الشافعى[1] عن ست وثمانين سنة، بالقاهرة.

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين الكتانى فقيه شافعى مصرى. ناب فى الحكم عن ابن دقيق وأرسل إلى اليمن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون وله (شرح مختصر المزنى - خ). انظر طبقات الشافعية ٢١٤/٥ وهدية العارفين ٢: ١٥٦ والأعلام ٣٢٦/٥.

وتوفى شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان الأسعردى[١] الفقيه الشافعى، عن تسع وستين سنة.

وتوفى شمس الدين محمد المعروف بابن الكتانى الشافعى.

وتوفى عماد الدين محمد بن إسحاق بن محمد البلبيسى الشافعى، قاضى الإسكندرية فى الأيام الناصرية، وهو معزول، فى يوم الثلاثاء حادى عشر شعبان.

ومات شمس الدين محمد بن مسكين ناظر الأحباس.

ومات شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عمر الأسيوطى، وناظر بيت المال، وهو بانى جامع الأسيوطى بخط جزيرة الفيل.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد الأكفانى الحكيم، صاحب التصانيف، فى يوم الأربعاء ثالث عشرى شوال.

وتوفى شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير الطيب؛ وله شعر جيد.

ومات الشيخ شمس الدين محمود بن أبى القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن محمد[٢] بن أبى بكر الأصفهانى، الفقيه الشافعى ذو الفنون، بالقاهرة، فى ذى القعدة؛ ومولده سنة أربع وسبعين وستمائة.

ومات الأمير شرف الدين محمود بن خطير، أخو أمير مسعود.

ومات نكباى البريدى أحد المماليك المنصورية قلاوون؛ ولى قطيا وإسكندرية، ثم أنعم عليه بطبلخاناه، واستقر مهمندارًا، وإليه تنسب دار نكباى خارج مدينة مصر على النيل، وعنى بعمارتها، فلم يُمتَّع بها.

وتوفى الشيخ المعتقد يوسف المرحلى.

---

(١) محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الأسعردى الدمشقى، شمس الدين بن اللبان من علماء العربية ولد ونشأ بدمشق، واستقر وتوفى بمصر من كتبه (ألفية) فى النحو. انظر مرآة الجنان ٤/ ٣٣٣ (وغربال الزمان – خ) والدرر الكامنة ٣: ٣٢٠ ومعجم المطبوعات ٢٢٩ والبعثة المصرية ٢١ والشذرات ٦/ ١٦٣ والأعلام ٥/ ٣٢٧.

(٢) محمود بن عبد الرحمن (أبى القاسم) بن أحمد بن محمد أبو الثناء، شمس الدين الأصفهانى مفسر كان عالما بالعقليات. ولد وتعلم فى أصفهان ورحل إلى دمشق فأكرمه أهلها وأعجب به ابن تيمية. وانتقل إلى القاهرة فبنى له الأمير قوصون الخانقاه بالقرافة ورتبه شيخا فيها وله [التفسير –خ] فى صوفية. انظر الدرر الكامنة ٤/ ٣٢٧ وبغية الوعاة ٣٨٨ وشذرات الذهب ٦: ١٦٥ والبدر الطالع ٢: ٢٩٨ والأعلام ٧/ ١٧٦.

ومات نور الدين الفرج.

وتوفى نور الدين الفرج بن محمد بن أبى الفرج الأردبيلى الشافعى: شارح منهاج البيضاوى، فى ثالث عشر جمادى الآخرة، بدمشق.

* * *



سنة خمسين وسبعمائة

أهل شهر الله المحرم: وقد تناقص الوباء.

وفيه أخرج الأمير قبجق إلى دمشق، على إمرة طبلخاناه.

وفيه اجتمع رأى كثير من طائفة الفقهاء الحنفية على أن يكون قاضيهم جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة علاء الدين بن عثمان التركمانى، بعد موت والده فى تاسعه وطلبوا ذلك من الأمير شيخو وغيره، فأجيبوا إليه. وطُلب جمال الدين، وخُلع عليه، واستقر قاضى القضاة الحنفية، ونزل إلى المدرسة الصالحية؛ وعمره دون الثلاثين سنة.

وفيه قدم الحاج، وفهم قاضى القضاة زين الدين عمر البسطامى. فترك قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن التركمانى تدريس الحنفية بجامع أحمد بن طولون، فشكره الناس على هذا.

وفيه وقدم أيضًا قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، فزوج قاضى القضاة عز الدين بن جماعة جمال الدين عبد الله بن التركمانى بابنته.

وفيه وقدم أيضًا الأمير فارس الدين، وقد نازعه عرب بنى شعبة فى عمارة عين جوبان، فجمع لهم وقاتلهم، وقتل منهم جماعة، وجرح كثيرًا وهزمهم؛ وقتل له مملوكان؛ وأصلح الأمير فارس الدين العين حتى جرى ماؤها بقلة وكان الغلاء بمكة شديدًا بلغت الويبة من الشعير إلى سبعين درهما، فهلك كثير من الجمال؛ ووقع بمكة والمدينة وعامة بلاد الحجاز وبواديها وباء عظيم حتى جافت البوادى.

وفيه خلع على تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الأخنائى(١) واستقر فى قضاء القضاة المالكية، عوضا عن عمه تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الأخنائى، بعد موته.

وفيه تقدم الوزير منجك لعلاء الدين على بن الكورانى والى القاهرة بطلب الخفراء أصحاب الرباع، وإلزامهم بكتابة أملاك القاهرة ومصر وظواهرهما، وأسماء سكانها وملاكها؛ فكتبوا ذلك. وكان يوجد فى الزقاق الواحد من كل حارة وخط عدة دور

---

(١) محمد بن أبى بكر بن عيس الأخنائى [٦٥٨ - ٧٥٠ هـ = ١٢٦٠ - ١٣٤٩ م] أبو عبد الله قاضى القضاة المالكية بمصر له تأليف انتقد الإمام ابن تيمية. انظر الديباج ٣٢٧ والأعلام ٦/٥٦.

خالية، لا يعرف لها ملاك، فختم عليها. وتتبع الوالى الفنادق والمخازن ودار الوكالة والحواصل والشون وفعل فيها كذلك.

وفيه قدم الخبر بنفاق العشير وعرب الكرك، وذلك أن عشير بلاد الشام فرقتان - قيس، ويمن - لا ينفقان قط، وفى كل قليل يثور بعضهم على بعض ويكثر قتلاهم، فيأتى إليهم من السلطان من يجبيهم الأموال الكثيرة. فلما وقع الفناء فى الناس ثاروا على عادتهم، وطالت حروبهم لاشتغال الدولة عنهم، فعظم فسادهم وقطعهم الطرقات على المسافرين. فجرد إليهم النائب - أعنى الأمير أرغون شاه نائب الشام - ابن صبح مقدم الجبلية فى عدة من الأمراء، فلم يظفر بهم، وأقام بالعسكر على اللجون. وأخذ العشير فى الغارات على بلاد القدس والخليل ونابلس، فكتب لنائِب غزة بمساعدة العسكر.

وفيه اشتدت الفتنة أيضًا فى بلاد الكرك بين بنى نمير وبنى ربيعة، فإن الملك الناصر محمد بن قلاوون كان لما أعياه أمرهم وتحصنهم بجبالهم المنيعة أخذ فى الحيلة عليهم، وتقدم إلى شطى أمير بنى عقبة، وإلى نائب الشام ونائب غزة ونائب الكرك، بأن يدخلوا إلى البرية كأنهم يصطادون ويوقعون بهم؛ فقبضوا على كثير منهم، وقتلوا فى جبالهم خلقا كثيرًا منهم، وحبسوا باقيهم حتى ماتوا. فسكن الشر بتلك الجهات إلى أن كانت فتنة الناصر أحمد بالكرك، عاد بنو نمير وبنو ربيعة إلى ما كانوا عليه من الفساد، وقوى أمرهم. فركب إليهم الأمير جركتمر نائب الكرك، وطلع إليهم فقاتلوه، وقتلوا من أصحابه عشرة، وكسروه أقبح كسرة؛ فكُتب لنائب الشام الأمير أرغون شاه بتجهيز عسكر لقتالهم.

وفى صفر: أنعم على عرب بن ناصر الدين الشيخى بإمرة طبلخاناه، وعلى شاورشى دوادار قوصون بإمرة عشرة.

وفى أول ربيع الأول: قدم قود الأمير جبار بن مهنا، صحبة ولده نعير.

وفيه قدم البريد من غزة بركوب نائبها على العشير، وكبسِهم ليلا، وأسر أكثرهم، وقتل ستين منهم، وتوسيط الأسرى بغزة.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشريه: شنقت جارية رومية الجنس خارج بابِ النصر، عند مصلى الأموات. وسبب ذلك أنها كانت جارية أم الأمير يلبغا اليحياوى فاتفقت مع عدة من الجوارى على قتل سيدتها، وقتلوها ليلا بأن وضعن على وجهها مخدة، وخبس نفسها حتى ماتت، وأقمن من الغد عزاءها، وزعمن أنها ضربت بدم. فمشت حيلتهن

على الناس أياما، إلى أن تنافسن على قسمة المال الذى سرقنه، وتحدثن بما كان، وأعترفن على الجارية التى تولت القتل، فأخذت وشُنقت، وهى بإزارها ونقابها. وأخذ من الجوارى ما معهن من المال، وكان جملة كثيرة. ولم يعهد بمصر امرأة شنقت سوى هذه.

وقد وقع فى أيام المنصور قلاوون أن امرأة كانت تستميل النساء وترغبهن حتى تمضى بهن إلى موضع توهمن أن به من يعاشرهن بفاحشة، فإذا صارت المرأة إليها قبضها رجال قد أعدتهم، وقتلوها وأخذوا ثيابها. فاشتهر بالقاهرة خبرها، وعُرفت بالخناقة؛ فما زال بها الأمير علم الدين سنجر الخياط والى القاهرة حتى قبض عليها،وسمَّرها.

ووقع أيضًا فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أن امرأة بأرض الطبالة كانت عند طائفة البزادرية تفعل ذلك بالنساء، فقبض عليها، وسمروا وسمرت معهم؛ فكانت تقول - وهى مسمرة يطاف بها على الجمال فى القاهرة - إذا رأت النساء وهن يتفرجن عليها: «آه يا قحاب، لو عشت لكُنّ لأفنيتكن، ولكن ما عشت».

وفى يوم الأربعاء تاسع عشريه: قدم الخبر بقتل الأمير أرغون شاه نائب الشام، وكان شأنه مما يستغرب.

وذلك أنه لما كان نصف ليلة الخميس ثالث عشريه لم يشعر الأمير أرغون شاه، وقد نزل بالقصر الأبلق من الميدان خارج مدينة دمشق، ومعه أهله، وإذا بصوت قد وقع فى الناس بدخول العسكر، فثاروا بأجمهم. ودارت النقباء على الأمراء بالركوب ليقفوا على مرسوم السلطان. فركبوا جميعا إلى سوق الخيل تحت القلعة، فوجدوا الأمير ألجيبغا المظفرى نائب طرابلس، وإذا بالأمير أرغون شاه ماش، وعليه بغلوطاق صدر وتخفيفة على رأسه، وهو مكتف بين مماليك الأمير فخر الدين أياس.

وذلك أن ألجيبغا لما قدم من طرابلس سار حتى طرق دمشق على حين غفلة، وركب معه الأمير فخر الدين أياس السلاح دار، ثم ركب أياس بأصحابه، وأحاط بالقصرالأبلق، وطرق بابه وعلم الخدام بأنه قد حدث أمر مهم، فأيقظوا الأمير أرغون شاه؛ فقام من فرشه، وخرج إليهم، فقبضوا عليه؛ وقالوا حضر مرسوم السلطان بمسكه، والعسكر واقف. فلم يحسر أحد يدفع عنه، وأخذه أياس وأتى به ألجيبغا. فسلم أمراء دمشق على ألجيبغا، وسألوه عن الخبر،فذكر لهم أن مرسوم السلطان ورد عليه بركوبه إلى دمشق بعسكر طرابلس، وقبض أرغون شاه وقتله والحوطة على موجوده؛

وأخرج لهم كتاب السلطان بذلك؛ فأجابوا بالسمع والطاعة، وعادوا إلى منازلهم؛ ونزل ألجيبغا بالميدان.

وأصبح يوم الخميس: فأوقع ألجيبغا الحوطة على موجود أرغون شاه؛ وأصبح يوم الجمعة أرغون شاه مذبوحا. فكتب ألجيبغا محضرا بأنه وجد مذبوحا والسكين فى يده، فأنكر الأمراء ذلك عليه، و كونه لما قبض أموال أرغون شاه لم يرفعها إلى القلعة على العادة، واتهموه فيما فعل، وركبوا لحربه يوم الثلاثاء ثامن عشريه. فقاتلهم ألجيبغا، وجرح الأمير مسعود بن خطير، وقطعت يد الأمير ألجيبغا العادلى، وقد جاوز تسعين سنة.

وولى ألجيبغا نائب طرابلس، ومعه خيول أرغون شاه وأمواله؛ وتوجه نحو المزة، وصحبته الأمير أياس الذى كان نائب حلب، ومضى إلى طرابلس.

وسبب ذلك أن أياس لما عزل من نيابة حلب بأرغون شاه، وأخذت أمواله وسجن، ثم أفرج عنه واستقر من جملة أمراء دمشق وأرغون شاه نائبها. وكان أرغون شاه يهينه ويخرق به. واتفق أيضًا إخراج الجيبغا المظفرى من القاهرة إلى دمشق أميرا بها، فترفع عليه أرغون شاه وأذله، فاتفق مع أياس على مكيدة. وأخذ ألجيبغا فى السعى لخروجه من دمشق عند الأمراء، وبعث إلى الأمير بيبغا روس نائب السلطان وإلى أخيه الوزير منجك هدية سنية، فولوه طرابلس كما تقدم، وأقام بها إلى أن كتب يعرف السلطان والأمراء أن أكثر عسكر طرابلس مقيم بدمشق، وطلب أن يكتب لنائب الشام يردهم إلى طرابلس، فكتب له بذلك. فشق على أرغون شاه أن ألجيبغا لم يكتب إليه يسأله، وإنما كتب إلى السلطان والأمراء دونه، وكتب إلى ألجيبغا بالإنكار عليه، وأغلظ له فى القول، وحمل البريد إليه مشافهة شنيعة؛ فقامت قيامة ألجيبغا عند سماعها، وفعل ما فعل.

ولما قدم خبر قتل الأمير أرغون شاه ارتاع الأمراء، واتهم بعضهم بعضا. فخلف كل من شيخو والنائب بيبغا روس على البراءة من قتله، وكتبوا إلى ألجيبغا بأنه قتل أرغون بمرسوم مَنْ، وإعلامهم بمستنده فى ذلك؛ وكتب إلى أمراء دمشق بالفحص عن هذه الواقعة.

وكان ألجيبغا وأياس قد وصلا إلى طرابلس، وخيما بظاهرها فقدمت فى غد وصولهما كتب أمراء دمشق إلى أمراء طرابلس بالاحتراز على ألجيبغا حتى يرد مرسوم السلطان، فإنه فعل فعلته بغير مرسوم السلطان، «ومشت حليته علينا»؛ وكتبوا إلى نائب حماة ونائب حلب وإلى العربان بمسك الطرقات عليه. فركب عسكر طرابلس

بالسلاح، ووقفوا تجاه ألجيبغا، وأحاطوا به. فوافاهم كتاب السلطان بمسكه، وقد صار عن طرابلس، فساروا خلفه إلى نهر الكلب عند بيروت، فإذا أمراء العربان، وأهل بيروت واقفون فى وجهه. فوقف ألجيبغا نهاره، ثم كر راجعًا، فقابله عسكر طرابلس، فقبض عليه وفر أياس، فلم يقدر عليه. ووقعت الحوطة على مماليك ألجيبغا وأمواله، وأخذ الذى كتب الكتاب بقتل أرغون شاه، فاعتذر بأنه أكره على ذلك، وأنه غير الألقاب وكتب أوصال الكتاب مقلوبة حتى يعرف أنه مزور. وحُمل ألجيبغا مقيد إلى دمشق. فقبض نائب بعلبك على أياس، وقد حلق لحيته ورأسه واختفى عند بعض البصارى، وبعث إلى دمشق فحبسا بقلعتها، وكتب بذلك إلى السلطان والأمراء.

وكان قد ركب الأمير قجا السلاح دار البريد إلى دمشق بأمر السلطان، فأخرج أياس وألجيبغا ووسَّطهما، وعلقهما على الخشب يوم الخميس حادى عشرى ربيع الآخر. وكان عمر ألجيبغا نحو تسع عشرة سنة، وهو ما طُرّ شاربه.

وفيه كتب باستقرار الأمير أرقطاى نائب حلب فى نيابة الشام، عوضا عن أرغون شاه. واستقر الأمير قطليجا الحموى نائب حماة فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أرقطاى واستقر أمير مسعود بن خطير فى نيابة طرابلس، عوضا عن ألجيبغا المظفرى.

وفيه قدم طُلب أرغون شاه ومماليكه وموجوده، ثم وصل طُلب ألجيبغا ومماليكه وأمواله وأموال أياس؛ فتصرف الوزير منجك فى الجميع.

وفيه قدم الخبر بموت الأمير أرقطاى نائب الشام، فكتب باستقرار الأمير قطليجا نائب حلب فى نيابة الشام، وتوجه ملكتمر المحمدى بتقليده. فقدم الخبر بأن ملكتمر المحمدى قدم حلب وقطليجا متغير المزاج، فأخرج ثقله بريد دمشق، وأقام بظاهر حلب مدة أسبوع ومات، فأراد بيبغا روس النائب منجك إخراج الأمير طاز لنيابة الشام، والأمير مغلطاى أمير آخور لنيابة حلب؛ فلم يوافقا على ذلك، وكادت الفتنة أن تقع. فخلع على الأمير أيتمش الناصرى واستقر فى نيابة الشام، عوضا عن قطليجا، فى يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الأولى، وتوجه إليها وخرج الأمير قمارى الحموى إلى دمشق، وجمع أمراءها، وقبض على كثير منهم، وقيدهم وسجنهم.

وفى هذه الأيام: توقفت أحوال الدولة، وقُطعت مرتبات الناس من اللحم والشعير، وصُرف للمماليك السلطانية عن كل أردب شعير خمسة دراهم، وقيمته اثنا عشر درهما.

وفى عاشر جمادى الآخر: خرجت التجريدة إلى قتال العشير والعربان. وسببه كثرة فسادهم ببلاد القدس ونابلس. وكان قد قبض على أدى بن فضل أمير جرم، وسُجن

بقلعة الجبل، ثم أفرج عنه بعناية الوزير منجك. فجمع أدى وقاتل سنجر بن على أمير ثعلبة فمالت حارثة مع أدى، ومالت بنو كنانة مع سنجر، وجرت بينهم حروب كثيرة، قتل فيها خلائق، وفسدت الطرقات على المسافرين. فخرجت إليهم عساكر دمشق، فلم يعبئوا بهم. فلما ولى الأمير يلجك غزة استمال أدى بعد أيام، وعضده على ثعلبة؛ واشتدت الحروب بينهم، وفسدت أحوال الناس. فركب يلجك بعسكر غزة ليلا، وطرق ثعلبة، فقاتلوه وكسروه كسرة قبيحة، وألقوه عن فرسه إلى الأرض، وسحبوه إلى بيوتهم فقام سنجر بن على أمير ثعلبة عليهم حتى تركوا قتله، بعد أن سلبوا ما عليه، وبالغوا فى إهانته، ثم أفرجوا عنه بعد يومين فعاد يلجك إلى غزة، وقد اتضع قدره وتقوى العشير بما أخذوه من عسكره، وعز جانبهم، فقصدوا الغور، وكبسوا القصير المعينى، وقتلوا به جماعة كثيرة من الجبلية وعمال المعاصر، ونهبوا جميع ما فيه من القنود والأعمال والعسكر وغيره، وذبحوا الأطفال على صدر الأمهات. وقطعوا الطرقات، فلم يدعوا أحدًا يمر من الشام إلى مصر حتى أخذوه. وقصدوا القدس، فخلى الناس منه ومن الخيل ثم قصدوا الرملة ولُدّ فانتهبوها؛ وزادوا فى التعدى، وخرجوا عن الحد، والأخبار ترد بذلك.

فوقع الاتفاق على ولاية الأمير سيف الدين دلنجى نيابة غزة، وأبقى على إقطاعه بمصر، وخلع عليه وأخرج إليها وكتب بخروج ابن صبح من دمشق على ألفى فارس، وتجهز الوزير منجك ومعه ثلاثة أمراء من المقدمين، وهم المحمدى وأرغن الكاملى وطقتمر فسار قبلهم لاجين أمير آخور فى جماعة من طريق عقبة أيلة، فى يوم السبت رابع عشره.

وبينما الوزير ومن معه فى أهبة السفر إذ قدم الخبر أن الأمير قطيلجا توجه من حماه إلى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أرقطاى، فوجد طُلب أرقطاى وقد برز خارج حلب يريد القاهرة، فأعاقه لعمل محاسبة إقطاع النيابة بحلب، وركب بحلب موكبا. ثم ركب الأمير قطليجا الموكب الثانى، ونزل وفى بدنه تغير؛ فلزم الفراش أسبوعا ومات. فسأل أرغون الكاملى أن يستقر عوضه فى نيابة حلب، فأجيب إلى ذلك، وخلع عليه فى يوم الخميس؛ وأنعم بتقدمة على الأمير قطلوبغا الذهبى، ورسم بسفره فى يوم الخميس المذكور.

وخرج الوزير منجك فى تجمل عظيم، وقد كثرت القالة فى أنقضاء مدته ومدة أخيه الأمير بيبغا روس، وأن الأمير شيخو وطاز ومغلطاى وغيرهم من الأمراء قد اتفقوا عليهما حتى بلغهما ذلك، وأن الوزير منجك قصد إبطال التجريدة.

وهذا وقد قدم الوزير النجابة لكشف أخبار العشيرة، فلما رحل عن بلبيس عادت نجابته بأن ثعلبة ركبت بأجمعها، ودخلت برية الحجاز، لما بلغهم مسير العسكر إليهم، فنهب أدى كثيرا منهم، وانفرد فى البلاد بعشيرة. فعاد الوزير بمن معه، وعبر القاهرة فى ثانى عشريه بعد أربعة أيام. وكان قد حصل للوزير فى هذه الحركة من تقادم الكشاف والولاة والأمراء والمباشرين ما ينيف على مائة ألف دينار، فتلقته العامة بالشموع، وابتهجوا بقدومه، وأتته الضامنة بجميع أرباب الملاهى، وكان من الأيام المشهورة.

وفى مستهل رجب: قدم الخبر بأن الأمير دلنجى نائب غزة بلغه كثرة جميع العشير، وقصدهم نهب لد والرملة؛ فركب إليهم ولقيهم قريبا من لد، فنزل تجاههم، وما زال يراسلهم ويخدعهم حتى قدم إليه نحو المائتين من أكابرهم، فقبضهم وعاد إلى غزة، وقد تفرق جمعهم، فوسطهم كلهم.

وفيه توجه طلب الأمير أرغون الكاملى[١] إلى حلب.

وفيه قدم طلب الأمير أرقطاى مع ولده [٢].

وفى يوم الخميس مستهل شعبان:

خرج الأمير قبلاى الحاجب بمضافيه من الطبلخاناه والعشرات إلى غزة، لأحد شيوخ العشير.

وفى هذا الشهر: غير الوزير ولاة الوجه القبلى، وكتب بطلبهم، وعزل مازان من الغربية بابن الدوادارى.

وفيه أضيف كشف الجسور إلى ولاة الأقاليم.

وفيه أعيد فار السقوف إلى ضمان جهات القاهرة ومصر بأجمعها، وكان قد سجن فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، وكتب على قيده مُخَلَّد، بعد ما صودر وضرب بالمقارع لقبح سيرته. فلم يزل مسجونا إلى أن أفرج عن المحابيس فى أيام الصالح إسماعيل، فأفرج عنه فى جملتهم، وانقطع إلى أن اتصل بالوزير منجك واستماله، فسلمه الجهات بأسرها، وخلع عليه، ومنع مقدمى الدولة من مشاركته فى التكلم فى الجهات،

---

(١) انظر الأحداث التى شارك فيها. السلوك ٦٨٧/٢، ٦٩٦، ٦٩٣، ٦٩٥، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١٩، ٧٣٩، ٧٤٣، ٧٤٩، ٧٦١، ٨٠٤، ٨٠٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٧١/١٠

ونودى له فى القاهرة ومصر، فزاد فى المعاملات [١] ثلاثمائة ألف درهم فى السنة.

وفيه قدم الأمير قبلاى غزة، فاحتال على أدى حتى قدم عليه، فأكرمه وأنزله، ثم رده بزوادة إلى أهله فاطمأنت العشرات والعربان لذلك، وبقوا على ذلك إلى أن أهل رمضان. حضر أدى فى بنى عمه لتهنئة قبلاى بشهر الصوم فساعة وصوله إليه قبض عليه وعلى بنى عمه الأربعة، وقيدهم وسجنهم، وكتب إلى على بن سنجر: بأنى قد قبضت على عدوك ليكون لى عندك يد بيضاء، فسُرّ سنجر بذلك، وركب إلى قبلاى، فتلقاه وأكرمه، فضمن له سنجر درك البلاد. ورحل قبلاى من غده ومعه أدى وبنو عمه يريد القاهرة، فقدم فى يوم الإثنين حادى عشره، فضُربوا على باب القلة بالمقارع ضربا مبرحا وألزم أدى بألف جمل ومائتى ألف درهم، فبعث إلى قومه بإحضارها، فلما أخذت سُمِّر هو وبنو عمه فى يوم الإثنين خامس عشريه وقت العصر، وسُيِّروا إلى غزة صحبة جماعة من أجناد الحلقة، فوُسِّطوا بها. فثار أخو أدى، وقصد كبس غزة، فخرج إليه الأمير دلنجى ولقيه على ميل من غزة، وحاربه ثلاثة أيام، وقتله فى اليوم الرابع بسهم أصابه، وبعث دلنجى بذلك إلى القاهرة، فكتب بخروج نائب صفد ونائب الكرك لنجدته،

وفى مستهل شوال: توجه السلطان إلى الأهرام على العادة.

وفيه كثر الإنكار على الوزير منجك، فإنه أبطل سماط العيد، واحتج بأنه يقوم بجملة كبيرة تبلغ خمسين ألف درهم، وتنهبه الغلمان، وكان أيضا قد أبطل سماط شهر رمضان.

وفى هذا الشهر: فرغت القيسارية التى أنشأها تاج الدين المناوى، بجوار الجامع الطولونى، من مال وقفه، وتشتمل على ثلاثين حانوتا.

وفيه خرج ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير فارس الدين، ومعه عدة من مماليك الأمراء. وحمل الأمير فارس الدين معه مالاً من بيت المال، ومن مودع الحكم، لعمارة عين جوبان بمكة، ومبلغ عشرة آلاف درهم للعرب بسبب العين المذكورة، ورسم أن تكون مقررة لهم فى كل سنة. وخرج معه حاج كثير جدا، وحمل الأمراء من الغلال فى البحر إلى مكة عدة آلاف أردب.

وفى مستهل ذى القعدة: قدم كتاب الأمير دلنجى نائب غزة بتفرق العربان،

---

(١) انظر المواعظ والاعتبار ١/١٠٥.

ونزول أكثرهم بالشرقية والغربية من أرض مصر، لربط إبلهم على البرسيم. فكبست البلاد عليهم، وقبض على ثلاثمائة رجل، وأخذ لهم ثلاثة آلاف جمل. ووُجد عندهم كثير من ثياب الأجناد وسلاحهم وحوائصهم، فاستعمل الرجال فى العمائر حتى هلك أكثرهم.

وفى نصفه: خرج الأمراء لكشف الجسور، فتوجه الأمير أرنان للوجه القبلى، وتوجه أمير أحمد قريب السلطان للغربية، وتوجه الأمير آقجبا للمنوفية، وتوجه أراى أمير آخور للشرقية، وتوجه أحد أمراء العشرات لأشمون.

وفيه توقف حال الدولة، فكثر الكلام من الأمراء والمماليك السلطانية والمعاملين والخوشكاشية [١].

وفيه طلب الأمير مغلطاى أمير آخور زيادة على إقطاعه، فكشف عن بلاد الخاص، فدل ديوان الجيش على أنه لم يتأخر منها سوى الإسكندرية ودمياط وقوة وفارس كور، وخرج باقيها للأمراء، وخرج أيضا من الجيزة ما كان لديوان الخاص للأمراء. وشكا الوزير من كثرة الكلف والإنعامات، وأن الحوائج خاناه فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون مرتبها فى كل يوم ثلاثة عشر ألف درهم، وهو اليوم اثنان وعشرون ألف درهم. فرسم بكتابة أوراق بمتحصل الدولة ومصروفها، فبلغ المتحصل فى السنة عشرة آلاف ألف درهم، والمصروف بديوان الوزارة وديوان الخاص أربعة عشر ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم، وأن الذى خرج من بلاد الجيزة على سبيل الإنعام زيادة على إقطاعات الأمراء نحو ستين ألف دينار. فتغاضى الأمراء عند سماع ذلك إلا مغلطاى أمير آخور، فإنه غضب وقال: «من يحاقق الدواوين على قولهم؟».

وفيه قدم طلب الأمير قطليجا الحموى من حلب، فوضع الوزير منجك يده عليه، وتصرف بحكم أنه وصىّ.

وفيه قدم الأمير عز الدين أزدمر الزرّاق من حلب، باستدعائه، بعد ما أقام بها مدة سنة من جملة أمراء الألوف، فأجلس مع الأمراء الكبار فى الخدمة.

وفيه أخرج ابن طقزدمر [٢] إلى حلب؛ لكثرة فساده وسوء تصرفه.

وفيه خرج الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه من مال الإسكندرية بألفى دينار.

---

(١) على هامش ط: جمع خوشكاشة ويعنى امرأة من موظفات القصر السلطانى.

(٢) انظر الأحداث التى شارك فيها. السلوك ٧٠٩/٢، ٧٣١، ٧٤٩.

وخرج الأمير صرغتمش أيضا، فأنعم عليه منها بألف دينار.

ثم توجه الأمير بيبغا روس النائب للسرحة، وأنعم عليه بثلاثة آلاف دينار. وتوجه الأمير شيخو أيضا، ورسم له بثلاثة آلاف دينار.

وفيه أنعم على الأمير مغلطاى أمير آخور إرضاء لخاطره بناحية صهرجت [١] زيادة على إقطاعه، وعبرتها عشرون ألف دينار فى السنة.

فدخل الأمير شيخو فى سرحته إلى الإسكندرية، فتلقته الغزاة بآلات السلاح، ورموا بالجرخ بين يديه، ونصبوا المنجنيق ورموا به. ثم شكوا له ما عندهم من المظلمة، وهى أن التاج إسحاق [٢] ضمن دكاكين العطر، وأفرد دكانًا لبيع النشا فلا تباع بغيرها، وأفرد دكانا لبيع الأشربة فلا تباع بغيرها، وجعل ذلك وقفا على الخانكاه الناصرية بسرياقوس. فرسم بإبطال ذلك، وأطلق للناس البيع حيث أحبوا، وكتب مرسوم بإبطال ذلك.

وفى مستهل ذى الحجة: عوفى علم الدين عبد الله بن زنبور، وخُلع عليه، بعد ما أقام أربعين يوما مريضًا، تَصدق فيها بثلاثين ألف درهم، وأَفرج عن جماعة من المسجونين.

وفيه كتب الموفق ناظر الدولة أوراقا بما استجد على الدولة، من وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى المحرم سنة خمسين وسبعمائة، فكانت جملة ما أنعم به وأقطع - من بلاد الصعيد وبلاد الوجه البحرى وبلاد الفيوم، وبلاد الملك، وأراضى الرزق - للخدام والجوارى وغيرهن سبعمائة ألف ألف أردب، وألف ألف وستمائة ألف درهم، معينة بأسماء أربابها من الأمراء والخدام والنساء، وعبرة البلد ومتحصلها، وجملة عملها وقرئت على الأمراء، ومعظم ذلك بأسمائهم، فلم ينطق أحد منهم بشىء.

وفيه أبطل الوزير منجك سماط عيد النحر أيضًا.

وفيها أبطل ما أحدثه النساء من ملابسهن. وذلك أن الخواتين نساء السلطان وجواريهن أحدثن قمصانا طوالا تخبّ أذيالها على الأرض، بأكمام سعة الكم منها ثلاثة أذرع، فإذا أرختـه الواحدة منهن غطى رجلها، وعُرف القميص منها فيما بينهن

---

(١) صَهْرَجْتُ: قريتان بمصر متاخمتان لمنية غمر شمالى القاهرة معروفتان بكثرة زراعة السكر وتعرف بمدينة صهرجت بن زيد، وهى على شعبة النيل، بينها وبين بنها ثمانية أميال. انظر معجم البلدان ٣/٤٣٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩١.

بالبهطلة، ومبلغ مصروفه ألف درهم فما فوقها. وتشبه نساء القاهرة بهنّ فى ذلك، حتى لم يبق امرأة إلا وقميصها كذلك. فقام الوزير منجك فى إبطالها، وطلب والى القاهرة ورسم له بقطع أكمام النساء، وأخذ ما عليهن.

ثم تحدث منجك مع قضاة القضاة بدار العدل يوم الخدمة بحضرة السلطان والأمراء فيما أحدثه النساء من القمصان المذكورة، وأن القميص منها مبلغ مصروفه ألف درهم، وأنهن أبطلن لبس الإزار البغدادى، وأحدثن الإزار الحرير بألف درهم، وأن خفّ المرأة وسرموزتها بخمسمائة درهم. فأفتوه جميعهم بأن هذا من الأمور المحرمة التى يجب منعها، فقوى بفتواهم، ونزل إلى بيته، وبعث أعوانه إلى بيوت أرباب الملهى، حيث كان كثير من النساء، فهجموا عليهن، وأخذوا ما عندهن من ذلك.

وكبسوا مناشر الغسالين ودكاكين البابية، وأخذوا ما فيها من قمصان النساء، وقطعها الوزير منجك. ووكل الوزير مماليكه بالشوارع والطرقات، فقطّعوا أكمام النساء، ونادى فى القاهرة ومصر بمنع النساء من لبس ما تقدم ذكره، وأنه متى وجدت امرأة عليها شيء مما منع أخرق بها وأخذ ما عليها.

واشتدّ الأمر على النساء، وقبض على عدة منهن، وأخذت أقمصتهن. ونصبت أخشاب على سور القاهرة بباب زويلة وباب النصر وباب الفتوح، وعلق عليها تماثيل معمولة على صور النساء، وعليهن القمصان الطوال، إرهابًا لهنّ وتخويفًا.

وطُلبت الأساكفة، ومنعوا من بيع الأخفاف والسراميز المذكورة، وأن تعمل كما كانت أولا تعمل، ونودى من باع إزارا حريرا أخذ جميع ماله للسلطان. فانقطع خروج النساء إلى الأسواق، وركوبهن حمير المكارية، وإذا وجدت امرأة كشف عن ثيابها. وامتنع الأساكفة من عمل أخفاف النساء وسراميزهن المحدثة، وانكف التجار عن بيع الأزر الحرير وشرائها، حتى إنه نودى على إزار حرير بثمانين درهمًا فلم يلتفت له أحد، فكان هذا من خير ما عمل.

وفيه استقر جمال الدين يوسف المرداوى فى قضاء الحنابلة بدمشق، بعد وفاة علاء الدين على بن أبى البركات بن عثمان بن أسعد بن المنجا.

وفيه استقر نجم الدين محمد الأزرعى فى قضاء الشافعية بحلب، بعد وفاة نجم الدين عبد القاهر بن أبى السفاح.

وفيه توقف النيل، ثم زاد حتى كان الوفاء فى جمادى الآخرة. ثم نقص نحو ثلثى

ذراع، وبقى على النقص إلى النوروز، وهو ستة عشر ذراعا وإحدى وعشرين إصبعا. ثم ردّ النقص وزاد إصبعين، فبلغ ستة عشر ذراعا وثلاثا وعشرين إصبعا فى يوم عيد الصليب.

وفيه أضاع الولاة عمل الجسور، وباعوا الجراريف حتى غرق كثير من البلاد.

ومع ذلك امتدت أيديهم إلى الفلاحين، وغرموهم مالم تجر به عادة؛ فشكى من الولاة للوزير، فلم يُلتفت لمن شكاهم.

* * *

ومات فيها من الأعيان

شيخ الإقراء شهاب الدين أحمد بن موسى بن موسك بن جكو الهكارى بالقاهرة، عن ست وسبعين سنة، فى ثانى عشر جمادى الأولى. وكتب بخطه كثيرا، ودرس القراءات والحديث [١].

ومات النحوى شهاب الدين أحمد بن سعد بن محمد بن أحمد النشائى الأندرشى بدمشق، وله شرح سيبويه فى أربعة أسفار.

ومات مكين الدين إبراهيم بن قروينة بعد ما ولى استيفاء الصحبة ونظر البيوت، ثم ولى نظر الجيش مرتين، وصودر ثلاث مرات، وأقام بطالا حتى مات[٢].

ومات الأمير أرغون شاه الناصرى [٣] نائب الشام، مذبوحا، فى ليلة الخميس رابع عشرى ربيع الأول[٤]. رباه السلطان الناصر محمد بن قلاون حتى عمله أمير طبلخاناه رأس نوبة الجمدارية؛ ثم استقر بعد وفاته أستادارا أمير مائة مقدم ألف، فتحكم على المظفر شعبان حتى أخرجه لنيابة صفد؛ وولى بعدها نيابة حلب، ثم نيابة الشام. وكان جَفيفا [٥] قوى النفس شرس الأخلاق، مهابا جائرا فى أحكامه، سفاكا للدماء غليظا

---

(١) وكان : ما فى القراءت، تعدى بالإقراء عدة سنين وانتفع به الناس. انظر النجوم الزاهرة ١٩٤/١٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٩١/١٠

(٣) هو الأمير سيف الدين أرغون شاه بن عبدا لله الناصرى.

(٤) وقع فى النجوم «ليلة الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الأول» ١٩١/١٠

(٥) الجيف اليابس من النبات، وجاءت فى النجوم «خفيفا قوى لنفس» ١٩١/١٠ انظر محيط المحيط.

فحاشا كثير المال [١]. وأصله من بلاد الصين، حُمل إلى أبو سعيد بن خربندا، فأخذه دمشق خواجا بن جوبان، ثم ارتجعه أبو سعيد بعد قتل جربان، وبعث به إلى مصر هدية، ومعه ملكتمر السعيدى [٢].

ومات الأمير أرقطاى المنصورى [٣] بظاهر حلب، وهو متوجه إلى دمشق، عن نحو ثمانين سنة، فى يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى. وأصله من مماليك المنصور قلاوون، رباه الطواشى فاخر أحسن تربية، إلى أن توجه الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك كان معه. فلما عاد إليه ملكه جعله من جملة الأمراء، ثم سيره صحبة الأمير تنكز نائب الشام، وأوصاه ألا يخرج عن رأيه، وأقام عنده مدة. ثم تنكر عليه السلطان الناصر محمد، فولاه نيابة حمص مدة سنتين ونصف، ثم نقله لنيابة صفد، فأقام بها ثمانى عشر سنة. وقدم مصر، فأقام بها عدة سنين، وجُرِّد إلى أياس. ثم ولى نيابة طرابلس، ومات الناصر محمد وهو بها. ثم قدم مصر، وقبض عليه، ثم أفرج عنه، وأقام مدة. ثم ولى نيابة حلب، ثم طُلب إلى مصر، فصار رأس الميمنة. ثم ولى نيابة السلطنة نحو سنتين، ثم أخرج لنيابة حلب، فأقام بها مدة. ثم نقل لنيابة الشام، فمات فى طريقه لدمشق، فدفن بحلب، وكان مشكور السيرة [٤].

ومات الأمير ألجيبغا المظفرى [٥] نائب طرابلس، موسطا بدمشق، فى يوم الإثنين ثامن عشر ربيع الآخر.

وقُتل معه أيضًا الأمير أياس [٦] وأصله من الأرمن، أسلم على يد الناصر محمد بن قلاوون، فرقاه حتى عمله شاد العمائر، ثم أخرجه إلى الشام، ثم أحضره غرلو، وتنقل إلى أن صار شاد الدواوين. ثم صار حاجبا بدمشق، ثم نائبا بصفد، ثم نائبا بحلب، ثم أميرًا بدمشق، حتى كان من أمره ما تقدم ذكره [٧].

ومات بدمشق الأمير طقتمر الشريفى [٨] بعد ما عمى.

---

(١) زاد فى النجوم «والحشم» ١٠/١٩١.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩١،١٩٢.

(٣) هو الأمير الكبير سيف الدين أرقطاى بن عبدا الله المنصورى، نائب السلطنة بالديار المصرية.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٢.

(٥) هو الأمير سيف الدين ألجيبغا بن عبدا الله المظفرى .

(٦) هو الأمير فخر الدين إياس بن عبدا الله الناصرى .

(٧) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٢،١٩٣.

(٨) هو الأمير طُقْتَمُر بن عبدا الله الشريفى، وقد مات بعدما عمى ولزم داره، وكان من أعيان الأمراء. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

ومات قاضى الشافعية بحلب نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح.

وتوفى نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن على القرشى الأصْفونى الشافعى، بمنى فى ثالث عشر ذى الحجة. ودفن بالعلاء، وله مختصر الروضة وغيره (١).

وتوفىّ قاضى القضاة علاء الدين على بن الفخر عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردينى، المعروف بابن التركمانى الحنفى (٢)، فى يوم الثلاثاء عاشر المحرم بالقاهرة. وله كتاب الرد النقى فى الرد على البيهقى وغيره، وله شعر، وكان الناصر محمد بن قلاون يكره منه اجتماعه بالأمراء، وكان يغلو فى مذهبه غلوا زائدا.

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق، علاء الدين على بن الزبن أبى البركات بن عثمان ابن أسعد بن المنجا التنوخى، عن ثلاث وسبعين سنة.

ومات الأمير قطليجا الحموى أصله المملوك المؤيد صاحب حماة، فبعثه إلى الناصر محمد بن قلاون، وترقى صار من جملة الأمراء. ثم ولى نيابة حماة، ونقل إلى نيابة حلب، فأقام بها أياما ومات، وكان سيىء السيرة.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى الأخنائى المالكى، فى ليلة الثالث من صفر (٣).

ومات الأمير نوغيه البدرى والى الفيوم.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥.

(٢) كان مولده فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة؛ وهو أخو العلامة تاج الدين أحمد، ووالد الإمامين العالمين : عز الدين عبد العزيز وجمال الدين عبدا لله، وعم العلامة محمد بن أحمد . وكان قاضى القضاة علاء الدين إماما فقيها بارعا نحويا أصوليا لُغَويا . أفتى ودرس واشتغل وألف وصنف، وكان له معرفة تامة بالأدب وأنواعه، وله نظم ونثر . وكان إمام عهده بلا مدافعة، لاسيما فى العلوم العقلية والفقه أيضا والحديث، وتصدى للإقرار عدة سنين وتولى قضاء الحنفية بالديار المصرية فى شوال سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، عوضا عن قاضى القضاة زين الدين البسامى، وحسنت سيرته ودام قاضيا إلى أن مات. وتوفى عوضه ولده جمال الدين عبدا لله. ومن مصنفاته - رحمه الله - كتاب بهجة الآريب فى بيان ما فى كتاب الله العزيز من الغريب، ومات «المنتخب فى علوم الحديث» وكتاب «المؤتلف والمختلف» وكتاب «الضعفاء والمتروكون» و«الدر النقى فى الرد على البهيقى» وهو جليل فى معناه . يدل على علم غزير، و«اطلاع كثير» و«مختصر المحصل فى الكلام» و«مقدمة فى أموال الفقه» و«الكفاية فى مختصر الهداية» وغيرها. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٣، ١٩٤.

(٣) وكان مولده فى شهر رحب سنة أربع وستين وستمائة وكان فقيها فاضلا ممتازا بارعا. ولى شهادة الخزانة ثم تولى قضاء الإسكندرية، ثم نقل لقضاء دمشق بعد علاء الدين القونوى. وحسنت سيرته. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

وماتت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهى زوجة الأمير طاز. وتركت مالا عظيما، أبيع موجودها بباب القلة من القلعة بخمسمائة ألف درهم، من جملته فبقاب مرصع بأربعين ألف درهم، ثمنها ألف دينار مصرية.

ومات علم الدين بن سهلول. كان أبوه كاتبًا عند بعض الأمراء، فخدم بعده أمير حسين بن جندر، ثم ولى الاستيفاء ونظر الدولة، شركة للموفق. ثم صودر ولزم بيته، وعمر دارا جليلة بحارة زويلة من القاهرة[١].

وفيها قام بتونس أبو العباس الفضل بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن أبى حفص فى ذى القعدة، وكان قد قدم إلى تونس السلطان أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ملك بنى مرين صاحب فاس، ومَلَكَ تونس وإفريقية، ثم سار منها للنصف من شوال، واستخلف ابنه أبا العباس الفضل؛ فقام أبو العباس المذكور ومَلَكَ تونس مُلك أبيه.

* * *



سنة إحدى وخمسين وسبعمائة

أهل المحرم والناس في بلاد عظيم من فأر السقوف ضامن الجهات، فإنه أحدث حوادث قبيحة في دار البطيخ ودار السمك وسائر المعاملات، وزاد في ضرائب المكوس، وتمكن من الوزير منجك تمكنا زائدًا، حتى كان يقول: «هذا أخي» وكثرت الشكاية منه، ووقفت العامة فيه للسلطان، فلم يتغير الوزير عليه (١).

وفيه أوقع الأمير أرغون الكاملي نائب حلب بكاتب سرها زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح وضربه وسجنه. فاستقر عوضه في كتابة السرّ بحلب الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين، المعروف بابن قاضي العسكر.

وفيه أوقع الشيخ حسن نائب بغداد والأمير حيار بن مهنا بطائفة من العرب، وقتل منهم نحو المائتين، وأسر كثيرًا منهم، ففر عدة منهم إلى الرحبة. فطلب الأمير حيار من أزدمر النوري نائب الرحبة تمكينه منهم، فأبى عليه، فكتب فيه الأمير حيار إلى السلطان، فعزله.

وفيه اقتتل موسى بن مهنا وسيف بن فضل، فانهزم سيف، ونهبت أمواله.

وفيه ابتدأت الوحشة بين الأمير مغلطاى أمير آخور وبين الوزير منجك، بسبب الفار (٢) الضامن، وقد شكى منه. فطلبه مغلطاى من الوزير عندما احتمى به، فلم يمكنه منه (٣).

وفيه قدم صاحب حصن كيفا، والخواجا عمر بن مسافر، بعد غيبة طويلة. فسُرَّ به الأمير شيخو؛ لأنه هو الذى جلبه من بلاده، ونسب إليه، فقيل له شيخو العمرى. وأكرم صاحب حصن كيفا، وروعى فى متجره، وكان من جملته ثلاثمائة ألف جلد سنجاب. فقدم صاحب حصن كيفا عدة تقادم للأمراء، فبعثوا إليه بمال كثير، و بعث إليه الأمير شيخو ألف دينار، وتعبئة قماش؛ وبعث إليه الوزير منجم بألفى دينار وقماش

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧١،١٧٢.

(٢) هو ناصر الدين الملقب بفأر السقوف .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧١

كثير، وأنزله فى بيته، وبعث إليه الأمير بيبغا روس وغيره، ثم عاد بعد شهر إلى بلاده.

وفيه كمل صهريج الوزير منجك على الثغرة [١] تحت القلعة، واشترى لـه من بيت المال ناحية بلقينة من الغربية بخمسة وعشرين ألف دينار، أنعم عليه بها، ووقفها على صهريجه. وكانت بلقينة مرصدة لجوامك الحاشية، فُعوِّضوا عنها.

وفى رابع عشريه: قدم الأمير فارس الدين بالحجاج، وكانوا لما قدموا مكة نزلت ربهم شدة من غلاء الأسعاء وقلة الماء، بحيث أبيعت الراوية بعشرين درهما، حتى هموا بالخروج منها ونزول بطن مرو. فبعث الله فى تلك الليلة مطرًا استمر يومين وليلة، حتى امتلأت الآبار والبرك، وقدم عدة قوافل؛ فانحل السعر قليلا. وحصل لهم خوف من عبور المدينة النبوية؛ وذلك أن الشريف أدى لما عزل بالشريف سعد، جمع العربان، وهجم المدينة قبل قدوم سعد إليها، وأخذ أموال الخدام وودائع الشاميين وقناديل الحجرة الشريفة وأموال الأغنياء وغيرهم، وخرج.

وفيه أفرج عن عيسي بن حسن الهجان، وكان قد قبض عليه وسجن؛ بسبب أنه مالا هو وعربه جماعة العايد المفسدين من العربان، وأحيط بأمواله. وكان قد كثرت سعادته، فإنه كان مع الناصر محمد بن قلاوون فى الكرك، فلما عاد إليه ملكه سلمه الهجن وحكمه فيها، فطالت أيامه وكثرت أمواله. وتسلم بعده الهجن جمال الدين نفر، فقام الوزير حتى أفرج عنه، وردّ عليه إقطاعه، وأنعم على جماعة من عربه بإقطاعات.

وفى مستهل صفر: قدمت رسل أرتنا نائب الروم، وسأل أن يكتب له تقليد نيابة الروم على عادته، فكُتب له، وأكرم رسوله.

وفيه تنافس الوزير منجك والأمير مغلطاى، واستعد كل منهما بأصحابه للآخر، فقام الأمير شيخو حتى أخمد الفتنة.

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه: وقت الصلاة وقعت نار بخط البندقانيين من القاهرة، فأحرقت دار هناك. فركب الأمير علاء الدين على بن الكورانى لإطفائها على العادة، وكان الهواء شديدًا، والدور متلاصقة، فاشتدّ لهب النار بحيث رؤى من القلعة. فركب الوزير منجك، والأمير بيبغا روس النائب، والأمير شيخو، والأمير طاز، والأمير مغلطاى، والأمير قبلاى حاجب الحجاب، وغيرهم من الأمراء بمماليكهم، وأتوا إلى الحريق، ونزلوا عن خيولهم، ومنعوا العامة من النهب فامتدت النار من دكاكين [٢]

(١) يقع خارج باب الوزير. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٢٠.

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٣١ فى أخبار هذا الحريق.

البندقانيين إلى دكاكين الرسامين ودكاكين الفقاعين [١] والفندق المجاور لها، والربع علوة. وتعلقت بما تجاه ذلك من الدور المجاورة لبيت المظفر بيبرس الجاشنكير، فأحرقت الربع، واتصلت بزقاق الكنيسة إلى بيت كريم الدين بن الصاحب أمين الدين، إلى بير الدلاء التى كانت تعرف قديما ببئر زويلة فأحرقت النار الدكاكين والربع المجاور لدار الجوكندار، و لم يبق إلا أن تصل إلى دار علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر وعظم الأمر، والأمراء جميعهم على أرجلهم بمن معهم، والمقيدون بالمساحى بين أيديهم تهدم الدور وتطفى النار، والناس فى أمر مريج.

وبينا أصحاب الدار فى نقلة متاعهم خوفا من وصول النار إليهم، إذا بالنار قد ظهرت عندهم، فينجون بأنفسهم، ويتركون أموالهم، حتى شمل الهدم والحريق ما هنالك من العمائر. و لم يبق بالقاهرة سقاء إلا وأحضر لإطفاء الحريق، وكانت الجمال تحمل الروايا بالماء من باب زويلة إلى البندقانيين. واستمرت النار يومين وليلتين، وجميع الأمراء وقوف حتى خف اللهب. فوكل بالحريق بعض الأمراء مع الوالى، ومضى بقيتهم إلى بيوتهم، وبهم من التعب ما لا يوصف. فأقامت النار بعد انصرافهم ثلاثة أيام وهى تطفأ، فكان حريقا مهولا، ذهب فيه من الأموال ما لا ينحصر.

وامتد الحريق إلى قيسارية طشتمر وربع بكتمر، ثم صارت النار توجد بعد ذلك فى مواضع عديدة من القاهرة وظواهرها. ووُجد فى بعض المواضع التى بها الحريق كعكات زيت وقطران، ووُجِد فى بعضها نشابة فى وسطها نفط. وكان أكثر الأماكن تقع النار بسطحها، و لم يُعْرَفَ من فعل ذلك فنودى باحتراس الناس على أملاكهم من الحريق، فلم يَبق جليل ولا حقير حتى اتخذ عنده أوعية ملأها ماء. و لم يزل الحريق فى الأماكن إلى أثناء شهر ربيع الأول، فقُبض فى هذه المدة على كثير من أوباش العامة، وقيدوا ليكونوا عونا على إطفاء الحريق، ففرّ معظمهم من القاهرة. ثم نودى ألا يقيم بالقاهرة غريب، ورسم للخفراء تتبعهم وإحضارهم.

وتعب والى القاهرة فى مدة الحريق تعبًا لا يوصف، فإنه أقام مدة شهر لا يكاد ينام هو وحفدته، فإنه لا يخلو وقت من صيحة تقع بسبب الحريق، فذهبت دور كثيرة. ثم وقع بعد شهر بمصر حريق فى شونة حلفاء، بجوار مطابخ السلطان وبعدّة أماكن.

وفى يوم السبت حادى عشرى ربيع الأول: سُمِّر حمام وعبده الذى كان يحمل سلاحه، وثلاثة نفر. وكان قد عظم فساده، وكثر هجومه على الدور وأخذ ما فيها وقتلُ مَن يمنعه، وأعيا الولاة أمره حتى أوقعه الله وكفى شرّه.

---

(١) هو بائع الفقاع وهو شراب من الحبوب والأثمار. انظر محيط المحيط.

وفى أول ربيع الآخر: قُبض على أحمد بن أبى زيد، ومحمد بن يوسف، مقدمى الدولة. وسبب ذلك أن ابن يوسف حجّ فى السنة الماضية على ستة قطر جمال، وثلاثة قطر هجن بطبل وبيزه [١] كما حج الأمراء، بحيث كان معه نحو مائتى عليقة. ولما قدم ابن يوسف إلى القاهرة أهدى للوزير منجك، والنائب بيبغا روس، والأمير طاز والأمير صرغتمش، الهدايا الجليلة القدر؛ ولم يهد إلى الأمير شيخو، ولا إلى الأمير مغلطاى شيئًا. فعاب عليه الناس ترك مهاداة شيخو، فحمل إليه بعد مدة هدية سنية، فردّها عليه وقال: «هذا ماله حرام». ثم بعد أيام وقف جماعة من الأجناد، وشكوا فى الولاة طمعهم وفساد البلاد، فأنكر الأمراء على الوزير منجك سيرة ولاة الأعمال، وتعرضوا لهم بأنهم ولوا بالبراطيل، فاحتاجوا إلى نهب أموال الناس وأخذ الأمير شيخو فى الحط على مقدمى الدولة، وأنكر كثرة ما أنفقه ابن يوسف فى حجته، وأن ذلك جميعه من مال السلطان. فقام الأمراء فى مساعدة شيخو، وعدّدوا ما يشتمل عليه ابن يوسف من لعبه ولهوه وانهماكه فى اللذات، فلم يجد الوزير بدًا من موافقتهم على عزل الولاة، ومسك المقدمين أحمد بن أبى زيد ومحمد بن يوسف، فقبض عليهما، وألزما بحمل المال وطلب ابن سلمان متولى المنوفية، وألزم بمال، واستقر عوضه ابن قنغلى واستقر فى ولاية الشرقية ابن الجاكى، وعُزل أسندمر منها.

وفى يوم الخميس رابع عشريه: خرج إلى الأطفيحية سبعة أمراء ألوف، وعشرون أمير طبلخاناه، وقت العصر بأطلابهم، فيهم الوزير منجك والأمير طاز وسبب ذلك أن الأمير بيبغاروس فأمر بهم، فقيدوا وحبسوا وأعاده النائب إلى الأطفيحية، فقبض الأمير. عرب بن الشيخى كان بالإطفيحية مقيما بها، فاستمال العرب حتى وثقوا به، وأتاه منهم نحو عشرين رجلا، فقبض عليهم وركب بهم إلى القاهرة، وأوقفهم بين يدى النائب الأمير عرب بن الشيخى على خمسة أخر وقيدهم، فأتاهم ليلا عدة من العربان وفكوا قيودهم، وكبسوا خيمته، ففرّ إلى القاهرة، ومالوا على موجوده وانتهبوه. فعظم ذلك على الأمراء، وخرجوا إلى الأطفيحية. وقد بلغ العرب خبرهم، فارتفعوا إلى الجبال، فقبض الأمراء على نحو مائة من الأوباش وأهل البلاد، وقطعوا جميع ما هناك من شجر المغلّ، وخربوا السواقى، وعادوا بعد ثلاثة أيام، فى يوم الثلاثاء تاسع عشريه. فعادت العربان بعد رجوع العسكر، وأكثروا من قطع الطريق.

وفى نصف جمادى الأولى: وصلت أم الأمير بيبغا روس النائب، وأم الأمير أرغون

---

(١) قماش لتغطية المائدة.

الكاملى نائب حلب وأبوه، وعدة من أقاربهم. فركب النائب وتلقاهم من سرياقوس، وسرّ بهم.

وفيه أخرج أمير أحمد الساقى إلى حلب؛ لسوء سيرته فى كشف الجسور بالغربية.

وفيه قدم قود جبار بن مهنا، وقود سيف بن فضل صحبته. ثم قدم الأمير جبار بعده، فأقام أياما وعاد إلى بلاده.

وفيه قدم كتاب الملك الأشرف دمرداش بن جوبان صاحب توريز، يتضمن السلام والتودّد. فأكرم رسوله، وأعيد بالجواب، وأرسل السلطان بعده إليه والى الشيخ حسن صاحب بغداد رسولين.

وفيه قدم الخبر بأن الأمير أرغون الكاملى نائب حلب ركب إلى التركمان، وقد كثر فسادهم، فقبض على كثير منهم، وأتلفهم، وأوقع بالعرب حتى عظمت مهابته ثم بعث موسى الحاجب على ألفى فارس فى طلب نجمة أمير الأكراد، فلما قرب منه بعث صاحب ماردين يشير بعود العسكر، خوفا من كسر حرمة السلطنة. فعاد موسى الحاجب بهم إلى حلب، من غير لقاء. فتنكر الأمير أرغون على موسى الحاجب، وكتب يشكو منه وفيه قدم الخبر بأن الهذبانى الكاشف واقع عَرب عرك وبنى هلال، فهزموه أقبح هزيمة، وجرحوا فرسه، وقتلوا عدة من أصحابه، وأخذوا الطلب بما فيه من خيل وغيرها، وأنه نزل بسيوط، وطلب تجريد العسكر إليه؛ فاقتضى الرأى تأخير التجريدة حتى يفرغ تخضير الأراضى بالزرع.

وفى رجب: سار ركب الحجاج الرجبية، فلقوا الشريف عجلان بالعقبة، وقد أخرجه أخوه ثقبة من مكة. فقدم عجلان إلى القاهرة، ودخل على السلطان، وطلب منه تجريد عسكر معه فلم يجب إلى ذلك. ورسم له بشراء مماليك، واستخدام الأجناد البطالين، فشرع فى ذلك. وقدم كتاب أخيه ثقبة يشكو منه، فكتب لعجلان توقيع بإمرة مكة بمفردة، واشترى أربعين مملوكا، واستخدم عشرين جنديا، وأنفق فيهم خمسمائة درهم كل واحد، ثم استجد عجلان طائفة أخرى حتى صار فى مائة فارس. وحمل معه حملين نشابًا وقسيًا ونحوها، وسافر إلى مكة مستهل رمضان، فأخذ الأمير بيبغا روس والأمير طاز فى الحركة للحج.

وفيه توجه السلطان لسرحة سرياقوس.

وفيه أنعم على الأمير قطلوبغا الذهبى بإقطاع الأمير لاجين أمير آخور، بعد إمرته، وأنعم بإمرته وتقدمته على عمر بن أرغون النائب.

وفيه أخرج بكلمش أمير شكار لنيابة طرابلس، عوضا عن أمير مسعود بن خطير، وكتب بإحضار أمير مسعود.

وفيه هجم ابن معين بعربه على الأطفيحية، فقاتله أهلها، فكسرهم بعد أن قتل منهم عدة قتلى كبيرة تبلغ المائتى رجل.

وفيه قدم حمل سيس بحق النصف؛ لخراب بلادهم.

وفيه قدم كتاب الشريف ثقبة، وصحبته محضر ثابت يتضمن الشكر من سيرته، وتكذيب عجلان فيما نقل عنه، فكتب باستقراره شريكا لأخيه عجلان.

وفيه كتب بعود أمير مسعود إلى دمشق بطالا، حتى ينحل من الإقطاع ما يليق به. فعاد من الرملة إلى دمشق، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، ورسم بجلوسه فوق الأمراء المقدمين.

وفيه خلع على الأمير فارس الدين ألبكى، واستقر فى نيابة غزة، بعد موت دلنجى وأنعم بإمرته على أخيه، وأنعم على قطليجا الدوادار بإمرة طبلخاناه.

وفيه قدم قرا وأشقتمر المتوجهين إلى الشيخ حسن، وإلى الأشرف دمرداش بن جوبان، بكتابيهما. وذكر الشيخ حسن فى كتابه أن دمرداش إنما طلب الودّ مكرًا منه، فإن رسوله إنما قدم مصر لكشف أمر عسكرها، فإنه طمع فى أخذ البلاد.

وفيه توجه الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه بعشرة آلاف أردب شعير وخمسين ألف درهم بناحية طموه من الجيزية، زيادة على إقطاعه.

وفيه توجه السلطان إلى بَرّ الجيزة؛ ليتم صوم شهر رمضان بها.

وفيه تواردت تقادم نواب الشام والأمراء بديار مصر على الأمير بيبغا روس؛ لحركته للحج.

وفى شوال: قدم السلطان من برّ الجيزة إلى القلعة.

وفى خامس عشره: خرج محمل الحجاج إلى بركة الحاج، صحبة الأمير بُزْلار أمير سلاح [(١)].

وخرج طُلب الأمير بيبغاروس النائب بتجمل زائد، وفيه مائة وخمسون مملوكا معدة بالسلاح، وخرج طُلب الأمير طاز، وفيه ستون فارسًا. فرحل النائب قبل طاز بيومين، ثم رحل الأمير طاز بعده، ثم رحل بزلار بالحجاج ركبًا ثالثًا فى عشريه [(٢)].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٢.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٢، ١٧٣.

وفى يوم السبت رابع عشره: عزل الأمير منجك من الوزارة، وكان الأمير شيخو قد خرج إلى العباسة. وذلك أن السلطان بعد توجه الأمير شيخو طلب القضاة والأمراء، فلما اجتمعوا بالخدمة قال لهم: «يا أمراء! هل لأحد على ولاية حجر، أو أنا حاكم نفسي؟». فقال الجميع: «يا خوند ما ثم أحد يحكم على مولانا السلطان، وهو مالك رقابنا». فقال «إذا قلت لكم قولا ترجعوا إليه؟» فقالوا جميعًا: «نحن فى طاعة السلطان، وممتثلون ما يرسم به». [١] فالتفت إلى الحاجب، وقال: «خذ سيف هذا». وأشار إلى منجك، فأخذ سيفه، وأخرج وقيد ونزلت الحوطة على أمواله مع الأمير كشلى السلاح دار، فوجد له خمسون حمل جمل زردخاناه، ولم يوجد له كثير مال، فرسم بعقوبته، ثم أخرج إلى الإسكندرية فسجن بها. وساعة قبض عليه رسم بإحضار الأمير شيخو من العباسة، على لسان بعض الجمدارية، وإعلامه بمسك منجك. فقام الأمير منكلى بغا والأمير مغلطاى فى منعه من الحضور، ومازالا يخيلان السلطان منه حتى كُتب له مرسوم بنيابة طرابلس، على يد طينال الجاشنكير فلقيه طينال قريب بلبيس، وقد عاد صحبة الجمدارية، وأوقفه على المرسوم، فأجاب بالسمع والطاعة وبعث شيخو يسأل فى الإقامة بدمشق، فكتب له بخبز الأمير بلك بدمشق وحضور بلك، فتوجه شيخو إليها[٢].

وفيه قبض على الأمير عمر شاه الحاجب، وأخرج إلى الإسكندرية [٣].

وفيه أنعم على الأمير طنيرق باستقراره رأس نوبة كبيرًا [٤].

وفيه قبض على حواشي منجك، وعلى عبده عنبر البابا، وصودر. وكان عنبر البابا قد أفحش فى سيرته مع الناس، وشره فى قطع المصانعات، وترفع ترفعًا زائدًا. فضرب ضربًا مبرحًا، وأخذ منه نحو سبعين ألف درهم [٥].

وفيه ضرب بكتمر شاد الأهراء، فاعترف للوزير باثنى عشر ألف أردب غلة، اشتراها منجك من أرباب الرواتب والصدقات، على حساب ستة دراهم الأردب وسبعة دراهم.

وفى مستهل ذى القعدة: قبض على ناظر الدولة والمستوفين، وألزموا بخمسمائة ألف

---

(١) انظر بدائع الزهور ١٩٣/١.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٧٣/١٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٧٣/١٠.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٧٣/١٠.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٧٣/١٠.

دينار. فترفق فى أمرهم الأمير طنيرق حتى استقرت خمسمائة ألف درهم، وزعها الموفق ناظر الدولة على جميع المباشرين، من الكتاب والشهود والشادين ونحوهم، وألزم كل منهم بحمل معلومه عن ستة أشهر. فاشتد شاد الدواوين فى استخراجها، وأخرق بجماعة منهم والتزم علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص والجيش بتكفية جميع الأمراء والمقدمين بالخلع من ماله، وقيمتها خمسمائة ألف درهم، وفصلها وعرضها على السلطان. فبعث السلطان بها إلى الأمراء، وركبوا بها الموكب، وقبلوا الأرض، فكان موكبًا جليلا (١).

وفيه قبض على أسندمر كاشف الوجه القبلى، وناصر الدين محمد بن الدوادارى متولى المحلة والغربية، وألزم ابن الدوادارى بحمل مائة ألف درهم.

وفيه قبض على الفأر الضامن، وضرب بالمقارع، وأخذ منه جملة مال، وسجن.

وفى يوم السبت ثامنه: خلع على الأمير بيبغا ططر حارس الطير، واستقر فى نيابة السلطنة عوضًا عن بيبغا روس، بعد ما عرضت على أكابر الأمراء، فلم يقبلها أحد. وتمنع بيبغا ططر تمنعًا كبيرًا، ثم قبلها.

وفيه استقر الأمير مغلطاى رأس نوبة، عوضًا عن طنيرق. وأطلق له التحدث فى أمور الدولة كلها، عوضًا عن الأمير شيخو، مضافًا إلى ما بيده من التحدث فى الإصطبل.

وفيه استقر الأمير منكلى بغا الفخرى رأس المشورة أتابك العساكر، وأنعم على ولده بإمرة. ودقت الكوسات وطبلخاناه الأمراء بأجمعها، وزينت القاهرة ومصر يوم الأحد تاسعه، واستمرت ثمانية أيام (٢).

وفيه قدم الخبر صحبة الأمير طشبغا الدوادار من دمشق بأن الأمير شيخو لما قدم دمشق ليلة الثلاثاء رابع ذى القعدة، أظهر طينال كتابًا بأن يستقر شيخو على إمرة بلك السلامى، وتجهز بلك إلى القاهرة. فقدم من الغد الأمير أرغون التاجى بإمساكه، فقيد وأخرج من دمشق. وكان شيخو لما قدم تلقاه النائب، وأخرج له كتاب السلطان بمكة، وإرساله صحبة الأمير طيلان. فحل شيخو سيفه بيده، وقال: «وأى حاجة إلى غدونا إلى الشام، كفى هتكنا فى مصر». ثم قال للنائب: «والله يا أمير ما أعرف لى ذنبًا غير أنى كنت جسرًا بينهم، أمنع بعضهم من الوصول إلى بعض»، فقيد، وتسلمه طيلان ليسير به إلى مصر، وسلم سيفه لطشبغا (٣).

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٤.

وفيه قبض على ملك آص شاد الدواوين، وعلى شهاب الدين أحمد بن على بن صبح؛ وتسلم سيفهما طشبغا.

وفيه أركب قطلوبغا، فخرج أخوه مغلطاى رأس نوبة إلى لقائه.

وفيه قدم الأمير شيخو إلى قطيا، فتوجه به متسلمه منها إلى الطينة [(١)] وأوصله إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفيه خلع على طشبغا، واستقر على ما كان عليه دوادارًا. وتصالح هو وعلاء الدين على بن فضل الله كاتب السرّ بحضرة الأمراء، وبعث كل منهما إلى الآخر هدية. وكان لما أمسك منجك خرج الأمير قردم إلى الأمير طاز وأمير بزلار أمير الركب بكتاب السلطان، يتضمن القبض على الوزير منجك، وأنهما يحترسان على الأمير بيبغاروس. وكتب يبغا روس بتطييب خاطره وإعلامه بتغير السلطان على أخيه لأمور صدرت منه اقتضت مسكه، وأنه مستمر على نيابة السلطنة، فإن أراد العود عاد، وإن أراد الحج حج. فركب الأمير قردم يوم القبض على الوزير منجك الهجن وقت العصر، وأوصل طاز وبزلار كتابيهما، ومضى إلى بيبغاروس وقد نزل سطح العقبة. فلما قرأ بيبغاروس الكتاب وجم، ثم قال: «كلنا مماليك السلطان»، وخلع على الأمير قردم، وكتب جوابه بأنه ماض لأداء الحج. ثم إن السلطان رسم للأمير صرغتمش أن يدخل الخدمة مع الأمراء، بعد أن عزله من وظيفة الجمدارية، هو وأمير على، وكانا من جملة حاشية شيخو.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره: أمسك الأمير عمر شاه الحاجب، والأمير آقبغا البالسى. وأخرج عمر شاه إلى الإسكندرية، ونفى آقبغا البالسى وطشتمر القاسمى إلى طرابلس. وأخرج أمير على إلى الشام، وأخرج الأمير صرغتمش لكشف الجسور بالصعيد.

وفيه ألزم أستادار بيبغا روس بكتابة حواصله، وندب الأمير آقجبا الحموى لبيع حواصل منجك. وأخذت جوارى النائب بيبغا روس ومماليكه، وجوارى منجك ومماليكه، إلى القلعة. وطلع من مماليك منجك خمسة وسبعون مملوكا صغارًا، وطلع من جوارى بيبغا روس خمس وأربعون جارية، فلما وصلن إلى دار النيابة بالقلعة صحن

---

(١) الطِّينَة: بلفظ واحدة الطين، بكسر أوله، وسكون ثانيه، ونون: بليدة بين الفرما وتنيس من أرض مصر. انظر معجم البلدان ٥٦/٤.

صيحة واحدة، وبكين فأبكين من هناك.

وفى يوم الجمعة رابع عشره: نفى ابن العرضى إلى حماة، بعد ما صورد.

وفيه خلع على بابان السنانى نائب البيرة، وقد حضر منها، واستقر أستادارا، عوضا عن الأمير منجك الوزير.

وفيه قدم الخبر أن الأمير أحمد الساقى نائب صفد خرج عن الطاعة. وسببه أنه لما قبض على الوزير منجك، خرج الأمير قمارى الحموى، وعلى يده ملطفات لأمراء صفد بالقبض على أحمد، فبلغه ذلك من هجان جهزه إليه أخوه فندب الأمير أحمد الساقى طائفة من مماليكه لتلقى قمارى. وطلب نائب قلعة صفد وديوانه، وأمره أن يقرأ عليه كم له بالقلعة من غلة، فأمر لمماليكه منها بشىء فرقه عليهم إعانة لهم على ما حصل من المحل فى البلاد، وبعثهم ليأخذوا ذلك، فعندما طلعوا القلعة شهروا سيوفهم وملكوها فقبض الأمير أحمد الساقى على عدة من الأمراء، وطلع بحريمه إلى القلعة وحصنها، وأخذ مماليكه قمارى، وأتوه به فكتب السلطان لنائب غزة ونائب الشام بتجريد العسكر إليه، ورسم بالإفراج عن فياض بن مهنا وعيسى بن حسن الهجان أمير العايد، وخلُع عليه وجُهِّز، وأخذت الهجن من جمال الدين بقر أمير عرب الشرقية، وأعيدت إلى على بن حسن. وكانت الأراجيف قد كثرت بأن الأمير طاز قد تحالف هو والأمير بيبغا روس بعقبة أيله، فخرج الأمير فياض وعيسى بن حسن أمير العايد؛ ليقيما على عقبة أيلة، بسبب بيبغا روس. وكُتب لعرب شطى وبنى عقبة وبنى مهدى بالقيام مع الأمير فضل، وكتب لنائب غزة بإرسال السوقة إلى العقبة.

وفيه خلع على شهاب الدين أحمد بن قزمان بنيابة الإسكندرية، عوضا عن بكتمر المؤمنى.

وفيه خلع على الأمير أرلان أمير آخور، واستقر فى نيابة الكرك، عوضًا عن جركتمر. وأنعم على جركتمر باستقراره حاجبًا بحلب، عوضًا عن موسى الحاجب، لشكوى نائب حلب منه.

وفى يوم الأربعاء سادس عشريه: قدم سيف الأمير بيبغا ورس، وقد قُبض عليه.

وذلك أنه لما ورد عليه الكتاب بمسك أخيه منجك اشتدّ خوفه، وطلع إلى العقبة، ونزل المنزلة فبلغه أن الأمير طاز والأمير بزلار ركبا للقبض عليه، فركب بمن معه من الأمراء والمماليك بآلة الحرب. فقام الأمير عز الدين إزدمر الكاشف بملاطفته، وأشار

عليه ألا يعجل، وأن يكشف عن الخبر أولا فبعث الأمير بيبغا روس نجابًا في الليل لذلك، فعاد وأخبروا أن الأمير طاز مقيم بركبه، وأنه سار بهم وليس فيهم أحد لابس عدة الحرب، فقلع الأمير بيبغا روس السلاح هو ومن معه، وتلقى طاز وسأله عما تخوف منه، فأوقفه طاز على كتاب السلطان إليه. فلم يَرَ بيبغا روس فيه ما يكره فاطمأن، ورحل كل منهما بركبه من العقبة. فأتت الأخبار إلى الأمراء باتفاق طاز وبيبغا روس، فكتب السلطان إلى طاز بزلار أمير الركب بالقبض على بيبغا روس قبل دخوله مكة، وتوجه إليهما طيلان الجاشنكير، وقد رُسم له أن يتوجه مع بيبغا روس إلى الكرك [١].

وجرد فياض وعيسى بن حسن إلى العقبة، ثم خرج الأمير أرلان بمضافية تقوية لهما. فلما قدم طيلان على طاز وبزلار كتبا إلى أزدمر الكاشف يعلمانه بما رُسم به لهما من مسك بيبغا روس، ويؤكدان عليه في استمالة الأمير فاضل والأمير محمد بن بكتمر الحاجب وبقية من مع بيبغاروس، وتعجيزهم عن القيام معه، فأخذ أزدمر الكاشف في تنفيذ ذلك. ثم كتب طاز وبزلار لبيبغا روس أن يتأخر لسماع مرسوم السلطان، حتى يكون دخولهم مكة جميعًا فأحس بيبغا روس بالشر، وهم بالتوجه إلى الشام؛ فمازال أزدمر الكاشف به حتى رجعه عن ذلك. وعند نزول بيبغا روس المويلحة قدم طاز وبزلار، فتلقاهما وأسلم نفسه من غير ممانعة، فأخذوا سيفه، وأرادا تسليمه لطيلان حتى يحمله إلى الكرك. فرغب بيبغا روس إلى طاز أن يحج معه، فأخذه صحبته محتفظًا به، وكتب بذلك إلى السلطان فتوهم السلطان ومغلطاى أن طاز قد مال مع بيبغاروس. وتشوشا تشوشًا زائدا ثم أكد ذلك ورود الخبر بعصيان أحمد في صفد، وظنوا أنه مناظر لبيبغا روس فأخرج طيلان ليقيم على الصفراء [٢] حتى يرد الحجاج إليها، فيمضي بيبغا إلى الكرك [٣].

وفي يوم الخميس سابع عشريه: خلع على علم الدين عبد الله بن زنبور، خلعة الوزارة، مضافا لما معه من نظر الخاص ونظر الجيش، بعد ما امتنع، وشرط شروطا

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٧٦/١٠.

(٢) الصَّفْرَاء: قرية فوق ينبع، على ست مراحل من المدينة، وهى كثيرة المزارع والنخل، ماؤها من عيون يجرى فضلها من ينبع، وبين ينبع والمدينة ست مراحل، ويسكن فى الصفراء جهينة والأنصار ونهد، وفيها، أو بقرب منها، قتل رسول الله ﷺ النضر بن الحارث مرجعه من بدر بموضع يقال له الأثيل. انظر معجم البلدان٤١٣/٣، والروض المعطار ٣٦٢، ومعجم ما استعجم ٣/ ٨٣٦.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٧٧/١٠

كثيرة [١].

وخرج ابن زنبور فى موكب عظيم، فركب بالزنارى الحرير الأطلس إلى داره بمصر، فكان يوما مذكورًا.

وفيه خلع على الأمير طنيرق بنياية حماة، عوضا عن أسندمر العمرى [٢].

وفى يوم السبت تاسع عشريه: جلس الوزير علم الدين بن زنبور بشباك قاعة الصاحب من القلعة، وفى دست الوزارة. وجلس الموفق ناظر الدولة قدامه، ومعه جماعة المستوفين. فطلب ابن زنبور جميع المباشرين، وقرر معهم ما يعتمدونه، وطلب محمد بن يوسف، وشدّ وسطه على عادته، وطلب المعاملين، وسلفهم على اللحم وغيره. وأمر فكتبت أوراق من بيت المال والأهراء، فإنه لم يكن بهما درهم واحد ولا أردب غلة، وقرأها على السلطان والأمراء. وشرع فى عرض الشادين والكتاب وسائر أرباب الوظائف، وتقدّم إلى المستوفين بكتابة أوراق المتأخر فى النواحى، واهتم بتدبير الدولة. ورسم على بدر الدين ناظر البيوت، وألزمه بمال لشىء كان فى نفسه منه، وولى عوضه فخر الدين ماجد بن قرونه صهره نظر البيوت. ورسَم لأولاد الخروبى النجار بمصر بتجهيز راتب السكر لشهر المحرم، وأنفق فى بيت السلطان جامكية شهر، فطلع إلى الحوائج خاناه السكر والزيت والقلوبات [٣] وسائر الأصناف.

وفيه أفرج ابن زنبور عن الفأر الضامن بسفارة الأمير ملكتمر المحمدى، وضمنه الجهات بزيادة خمسين ألف درهم. وضمن الفأر معاملة الكيزان [٤] من الأمير طيبغا المجدى، بزيادة ثلاثين ألف درهم.

وفيه حمل علاء الدين بن فضل الله كاتب السّر تقليد الوزارة إلى الصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور، ونعت فيه بالجناب العالى. وكان جمال الكفاة قد سعى أن يكتب له ذلك زمن السلطان الصالح إسماعيل، فلم يرض كاتب السّر، وشح به. فخرج الصاحب وتلقى كاتب السرّ، وبالغ فى إكرامه، وبعث إليه تقدمة سنية.

وفى مستهل ذى الحجة: خلع على بكتمر المؤمنى نائب الإسكندرية، واستقر شاد الدواوين.

وفيه خلع على سعد الدين رزق الله، ولد الوزير علم الدين، واستقر بديوان

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٧

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٧

(٣) هى اللوز والبندق والفستق.

(٤) قدح لحفظ اللبن.

المماليك. وفيه التزم الوزير علم الدين بين يدى السلطان والأمراء أنه يباشر الوزارة بغير معلوم، ويباشر ابنه أيضًا بغير معلوم، ويوفر ذلك للسلطان.

وفيه قدم الخبر بأن هند وأحد الأكراد استولى على بلاد الموصل، وصار فى جمع كبير يقطع الطريق، والتحق به نجمة التركمانى، فاستنابه وتقوى به وركب من مندر إلى سنجار وتحصن بها، وأغار على الموصل ونهب وقتل، ومضى إلى الرحبة وأفسد بها، ومشى على بلاد ماردين ونهبها. فخرجت إليه عساكر الشام، وحصروه بسنجار(١) ومعهم عسكر ماردين، ونصبوا عليها المنجنيق مدة شهر حتى طلب هند الأمان، على أنه يقيم الخطبة للسلطان، ويبعث بأخيه ونجمة فى عقد الصلح، وبقطع قطيعة يقوم بها كل سنة، فأمنه العسكر، وسروا عنه بأخيه ونجمة إلى حلب؛ فحمل نجمة ورفيقه إلى مصر، فلما نزلا منزلة قانون هرب نجمة.

وفى خامسه: رسم بعرض أجناد الحلقة، وخرجت البريدية إلى النواحى لإحضار من بها منهم، فحضروا، وابتدئ بعرضهم بين يدى النائب بيبغا ططر حارس الطير فى يوم السبت حادى عشره. وسبب ذلك دخول جماعة كبيرة من أرباب الصنائع فى جملة أجناد الحلقة، وأخذ جماعة كثيرة من الأطفال الإقطاعات، حتى فسد العسكر. فرسم لنقيب الجيش بطلب المقدمين ومضافيهم، وإحضار الغائبين، وحذروهم من إخفاء أحد منهم. وتقرر العرض بين يدى السلطان فى كل يوم مقدمين بمضافيهما، ثم رسم للنائب بيبغا ططر حارس الطير أن يتولى ذلك، فطلع إليه عدة أيتام مع أمهاتهم، ما بين أطفال تحمل على الأكتاف وصغار وشباب، وجماعة من أرباب الصنائع. فساءه ذلك، وكره أن يقطع أرزاقهم، ومضى يومه بالتغاضى، وصرفهم جميعا على أن يحضروا من الغد. وتحدث بيبغا ططر حارس الطير مع الأمراء فى إبطال العرض، فعارضه منكلى بغا الفخرى، وأشار بأن العرض فيه مصلحة، فإن القصد من إقامة الأجناد إنما هو الذب عن المسلمين، فلو تحرك العدو ما وجد فى عسكر مصر من يدفعه. فلم توافقه الأمراء على ذلك، وخرج الأمير قبلاى الحاجب على لسان السلطان بإبطال العرض، وقد اجتمع بالقلعة عالم كبير، فكان يوما مهولا من كثرة الدعاء والبكاء والتضرع.

وفيه قدم الخبر بنزول عسكر دمشق وطرابلس على صفد، وزحفهم عليها عدة أيام، جرح فيها كثير من الأجناد، و لم ينالوا من القلعة غرضا، إلى أن بلغهم القبض على بيبغا

---

(١) سِنْجَارُ: هى برية الثرثار، ومدينتها الحضر، وهى كلها من الجزيرة، وفى سنجار فوهة نهر الخابور، ويمر حتى يصب فى الفرات. انظر معجم البلدان ٣/٢٦٢، والروض المعطار ٣٢٦، ومعجم ما استعجم ٣/ ٧٦٠، وآثار البلاد ٣٩٣.

روس. وعلم بذلك الأمير أحمد الساقى نائب صفد من هجانته، فانحل عزمه، فبعث إليه بكلمش نائب طرابلس يرغبه فى الطاعة، ودس إلى من معه فى القلعة حتى حاصروا عليه، وهمّوا بمسكه. فوافق الأمير أحمد الساقى على الطاعة، وحلف لنائب طرابلس، ونزل إليه بمن معه. فسر السلطان بذلك، وكتب بإعانته وحمله.

وفى عاشره: كانت الوقعة بمنى، وقبض على المجاهد على بن المؤيد داود بن المظفر أبو سعيد المنصورى عمر بن رسول صاحب اليمن فكان من خبر ذلك أن ثقبة[1] لما بلغه استقرار أخيه عجلان فى إمرة مكة، توجه إلى اليمن، وأغرى المجاهد بأخذ مكة وكسوة الكعبة. فتجهز المجاهد، وسار يريد الحج فى جحفل كبير بأولاده وأمه حتى قرب من مكة، وقد سبق حاج مصر. فلبس عجلان آلة الحرب، وعرف أمراء مصر ما عزم عليه صاحب اليمن، وحذّرهم غائلته. فبعثوا إليه بأن «من يريد الحج إنما يدخل مكة بذلة ومسكنة، وقد ابتدعت من ركوبك والسلاح حولك بدعة لا يمكنك أن تدخل بها، وابعث إلينا ثقبة ليكون عندنا حتى تنقضى أيام الحج، ثم نرسله إليك» فأجاب المجاهد إلى ذلك، وبعث ثقبة رهينة، فأكرمه الأمراء، وأركبوا الأمير طقطاى فى جماعة إلى لقاء المجاهد، فتوجهوا إليه ومنعوا سلاحداريته من المشى معه بالسلاح، ولم يمكنوهم من حمل الغاشية. ودخلوا به مكة، فطاف وسعى، وسلّم على الأمراء واعتذر إليهم، ومضى إلى منزله وصار كل منهم على حذر حتى وقفوا بعرفة، وعادوا إلى الحيف من منى، وقد تقرر الحال بين الشريف ثقبة وبين المجاهد على أن الأمير طاز إذا سار من مكة أرقعاهما بأمير الركب ومن معه، وقبضا على عجلان، وتسلم ثقبة مكة.

فاتفق أن الأمير بزلار رأى وقد عاد من مكة إلى منى خادم المجاهد سائرًا، فبعث يستدعيه فلم يأته، وضرب مملوكه - بعد مفاوضة جرت بينهما - بحربة فى كتفه فماج الحاج، وركب بزلار وقت الظهر إلى طاز فلم يصل إليه حتى أقبلت الناس جافلة تخبر بركوب المجاهد بعسكره للحرب، وظهرت لوامع أسلحتهم، فركب طاز وبزلار والعسكر. وأكثرهم بمكة.

فكان أول من صدم أهل اليمن الأمير بزلار وهو فى ثلاثين فارسا، فأخذوه فى صدورهم إلى أن أرموه قرب خيمة. ومضت فرقة منهم إلى جهة طاز، فأوسع لهم، ثم عاد عليهم وركب الشريف عجلان والناس، فبعث طاز لعجلان «أن احفظ الحاج، ولا تدخل بيننا فى حرب، ودعنا مع غريمنا»؛ واستمر القتال بينهم إلى بعد العصر. فركب

---

(١) هو ثقبة بن رميثة بن أبى نمى الحسنى أمير مكة (ت ٧٦٣هـ) انظر الأعلام ٢/١٠٠

أهل اليمن الذلة، والتجأ المجاهد إلى دهليزه، وقد أحيط بـه وقطعت أطنابه، وألقوه إلى الأرض. فمرّ المجاهد على وجهه ومعه أولاده، فلم يجد طريقا، ولديه إلى بعض الأعراب، وعاد بمن معه وهم يصيحون: «الأمان يا مسلمين» فأخذوا وزيره، وتمزقت عساكره فى تلك الجبال، وقتل منهم خلق كثير، ونهبت أموالهم وخيولهم حتى لم يبق لهم شيء، وما انفصل الحال إلى غروب الشمس. وفر ثقبة بعربه، وأخذ عبيد عجلان جماعة من الحجاج فيما بين مكة ومنى، وقتلوا جماعة. فلما أراد الأمير طاز الرحيل من منى سلم أم المجاهد وحريمه لعجلان، وأوصاه بهن وركب الأمير طاز ومعه المجاهد محتفظا به، وبالغ فى إكرامه، وصحب معه أيضًا الأمير بيبغا روس مقيدًا، وبعث الأمير طنطاى مبشرًا. ولما قدم الأمير طاز المدينة النبوية قبض على الشريف طفيل [١].

وكان قاع النيل فى هذه السنة أربعة أذرع ونصف ذراع. وتوقفت الزيادة حتى ارتفع سعر الأردب القمح من خمسة عشر درهما إلى عشرين درهما، ثم زاد النيل فى يوم واحد أربعا وعشرين إصبعا، ونودى من الغد بزيادة عشرين إصبعا، ثم بزيادة خمسة عشر إصبعا، ثم ثمانى أصابع. واستمرت الزيادة حتى بقى من ذراع الوفاء ثلاثة أصابع، فتوقف ستة أيام، ثم وفى الستة عشر ذراعا فى يوم الإثنين ثانى عشرين مسرى. وزاد بعد ذلك إلى خامس توت، فبلغ سبعة عشر ذراعا، وهبط فشرقت بلاد كثيرة، وتوالى الشراقى ثلاث سنين شق الأمر فيها على الناس من عدم الفلاحين وخيبة الزرع بخلاف ما يعهد، وكثرة المغارم والكلف، وظلم الولاة وعسفهم، وزيادة طمعهم فى أخذ ما بذلوا مثله حتى ولوا، مع نفاق عرب الصعيد، وطمعهم فى الكشاف والولاة، وكسر المغلّ، وعنتقهم فى إعطائه الأجناد، ورمى الشعير على البلاد من حساب سبعة دراهم الأردب، وحمله إلى الأهراء، فحمل نحو الأربعين ألف أردب شعيرًا، ونحو خمسة آلاف أردب برسيما.

وفيه خلع على ملك تونس أبو العباس الفضل بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى ثامن عشر جمادى الأولى، فكانت مدته ستة أشهر، فقام بعده أخوه أبو إسحاق إبراهيم بن أبى بكر.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير سيف الدين دلنجى [٢] نائب غزة. قدم القاهرة سنة ثلاثين وسبعمائة، فأنعم

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٨، ١٧٩.

(٢) دلنجى هو المكدى باللغة التركية . انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥.

عليه بإمرة عشره، ثم إمرة طبلخاناه، وولى غزة بعد يلجك فأوقع بالعشير، وقويت حرمته.

ومات الأمير لاجين أمير آخور.

وتوفى فخر الدين محمد بن على بن إبراهيم بن عبد الكريم المصرى الفقيه الشافعى بدمشق، فى ثالث عشر ذى القعدة، ومولده سنة إحدى وتسعين وستمائة، وخرج من القاهرة سنة اثنتين وسبعمائة، وسكن دمشق، وبرع فى الفقه والعربية وغير ذلك. وكان يتوقد ذكاء، بحيث أنه حفظ مختصر ابن الحاجب مع تعقد ألفاظه فى تسعة عشر يوما، ودرّس وأفتى وأفاد [١].

وتوفى العلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية الزرعى الدمشقى [٢]، فى ثالث عشر رجب، ومولده سنة إحدى وتسعين وستمائة. وبرع فى عدة علوم، ما بين تفسير وفقه وعربية، وغير ذلك. ولزم شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية بعد عوده من القاهرة سنة اثنتى عشرة وسبعمائة حتى مات، وأخذ عنه علمًا جمًّا، فصار أحد أفراد الدنيا، وتصانيفه كثيرة، وقدم القاهرة غير مرة[٣].

ومات ابن قرقمان صاحب جبال الروم [٤].

ومات الحسين بن خضر بن محمد بن حجى بن كرامة بن بختر بن على بن إبراهيم ابن الحسين بن إسحاق بن محمد الأمير ناصر الدين، المعروف بابن أمير الغرب التنوخى، فى نصف شوال. وولى عوضه ابنه زين الدين صالح، وولايته ببلاد الغرب من بيروت. وأول من وليها منهم كرامة بن بختر فى أيام نور الدين محمود بن زنكى، فسمى كرامة أمير الغرب.

* * *

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥، ١٩٦.

(٢) أحد الائمة الأعلام، الذين أخلصوا لدينهم وأثروا المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات كالفوائد، الجواب الكافى، زاد المعاد فى هدى خير العباد، طريق الهجرتين مدارج السالكين، إعلام الموقعين وغيرها .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥، المنهل الصافى (ترجمة ابن القيم الجوزية).

(٤) كان واقعا به بعد مرض طويل. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٦.

سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة

فى يوم الخميس رابع المحرم: قدم الأمير أسندمر العمرى من حماة.

وفى يوم الجمعة خامسه: قدم الأمير أرغون الكاملى من حلب بغير مرسوم، فخلع عليه، وأنزل بالقلعة. وسبب ذلك أنه كان قد أشيع بحلب القبض عليه، وأشيع بمصر أنه خامر، فكره تمكن موسى حاجب حلب، لما بينهما من العداوة، ورأى أن وقوع المكروه به فى غير حلب أخف عليه؛ فركب من حلب وقدم مصر ففرح السلطان بقدومه، لما كان عنده من إشاعة عصيانه (١).

وفيه قدم عيسى بن حسن الهجان من العقبة، بكتاب الأمير فياض يتضمن حضور طقطاى ورفيقه مبشرين، وأنه عوقهما بالعقبة، وبعث ما على يديهما من الكتب، وأن طيلان لفى الحاج ينبع، فكتب بإحضار طقطاى ورفيقه.

وفيه قدم الخبر بأن طيلان تسلم الأمير بيبغا روس من الأمير طاز، وتوجه به إلى الكرك من بدر. فسر السلطان والأمراء بذلك، وكتب بإعادة العسكر من العقبة.

وفيه توجه الأمير فياض بن مهنا إلى أهله، وسير إليه منشوره بإمرة العرب، عوضا عن جبار، صحبة قطلوبغا أخى الأمير مغلطاى؛ ليسافر به إلى بلاده.

وفى رابع عشره: خلع على الضياء يوسف الشامى، وأعيد إلى حسبة القاهرة ونظر المارستان، عوضا عن ابن الأطروش، بسفارة النائب الأمير بيبغا ططر حارس الطير، لكلام نقله ابن الأطروش للوزير ابن زنبور، فسبه وأهانه، وتحدث فى عزله وعود الضياء.

فعرض الضياء حواصل المارستان، فلم يجد بها شيئًا، وكتب بذلك أوراقا، وأوقف الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب عليها. فنزل النائب معه إلى المارستان، واستدعى القضاة وأرباب الوظائف بالمارستان، وأحضر ابن الأطروش، وطلب كتاب الوقف وقرأه، حتى وصل فيه القارئ إلى قوله: «عن الناظر التعمم، ويكون عارفًا بالحساب وأمور الكتابة». فقال الضياء لابن الأطروش: «قد سمعت ما شرطه الواقف فيك، وأنت

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٧٩/١٠

عامى مشهور ببيع الخرائط (١) لا تدرى شيئًا مما شرطه الواقف». وناوله ورقة حساب ليقرأها، فقام إليه بعض الفقهاء، وقال: «هذا معه تدريس وإعادة، وانا أسأله عن شىء، فإن أجاب استحق المعلوم». وأخذته الألسنة من كل جانب، فقال النائب: «يا قوم! هذا رجل عامى، وقد أخطأ، وما بقى إلا الستر عليه» فاعترف ابن الأطروش أنه لا يدرى الحساب، وأنه عاجز عن المباشرة، وألزم نفسه ألا يعود إليها أبدًا، بإشهاد كتب فيه قضاة القضاة ونوابهم يتضمن قوادح شنيعة، ومازال النائب بأخصامه حتى كفوا عنه. ثم قام النائب لكشف أحوال المرضى، فوجدت فرشهم قد تلفت، ولها ثلاث سنين لم تغير، فسد النائب خلله وانصرف.

وفيه قبض على مستوفى الدولة الأسعد حربة، وكريم الدين أكرم بن شيخ وسلما لشاد الدواوين فضرب شاد الدواوين ابن شيخ، وعاقبه حتى وزن مائة وستين ألف درهم، تتمة ثلاثمائة ألف درهم، ووزن حربة مالا جزيلا. واستقر عوضهما تاج الدين ابن ريشة، والعلم كاتب آل ملك.

وفى يوم السبت عشريه: قدم الأمير طاز من الحجاز بمن معه، وصحبته الملك المجاهد، والشريف أدى (٢) أمير المدينة، بعد ما سافر ولحق باليمن، وقدم مع المجاهد إلى مكة. فخرج الأمير مغلطاى إلى البركة ومعه الأمراء، ومدّ له سماطا جليلا، وقبض على من معه من الأمراء الذين كانوا من جماعة الأمير بيبغا روس، وقيدوهم، وهم فاضل أخو بيبغا روس وناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب. وأما الأمير أزدمر الكاشف فإنه أخرج عنه إقطاعه، ولزم بيته (٣).

وفى يوم الإثنين عشريه: طلع الأمير طاز بالمجاهد إلى القلعة، فقيِّد عند باب القلعة، ومشى بقيده حتى وقف مع العموم بالدركاه - تجاه النائب، والأمراء جلوس - وقوفًا طويلا، إلى أن خرج أمير جاندار يطلب الأمراء على العادة، فدخل معهم وخلع السلطان على الأمير طاز، ثم أخذ المجاهد، وأمر به فقبل الأرض ثلاث مرات. وطلب السلطان الأمير طاز وسأل عنه، فمازال طاز يتشفع فى أمر المجاهد إلى أن أمر بقيده ففك، وأنزل بالأشرفية من القلعة عند الأمير مغلطاى، وأجريت له الرواتب السنية، وأقيم له من يخدمه.

---

(١) بمعنى كيس: أو جراب من جلد أو غيره. محيط المحيط (خرط).

(٢) وقع فى النجوم «الشريف طفيل أمير المدينة» ١٠/١٨٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨٠.

وفيه أنعم على الأمير طاز بمائتى ألف درهم [١].

وفيه قبض على الأمير حسين الططرى وولده، وأخرج مع الأمراء الممسوكين إلى الإسكندرية.

وفيه خلع على الأمير أرغون الكاملى، واستقر فى نيابة حلب على عادته، ورسم أن يكون موسى الحاجب بحلب نائبا بقلعة الروم.

وفى يوم الإثنين خامس عشريه: حضر المجاهد الخدمة، وأجلس تحت الأمراء.

وفيه ألزم المجاهد بحمل أربعمائة ألف دينار يقترضها من الكارم، ثم بعد ذلك ينعم له بالسفر إلى بلاده.

وفيه قدم المجردون من العقبة بسبب بيبغا روس.

وفى يوم الخميس ثامن عشريه: قدم الأمير قطلوبغا الكركى، ومعه أمير أحمد الثائر بصفد، فأرسل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفى يوم الإثنين تاسع عشريه: خلع على الأمراء اليمنيين المقيدين، وعلى المجاهد صاحب اليمن بالإيوان [٢] وقبل الأرض عدة مرار. وكان الأمير طاز والأمير مغلطاى تلطفا فى أمره حتى أعفى من حمل المال، وقربه السلطان ووعده بالسفر إلى بلاده مكرها فقبل المجاهد الأرض، وسرّ بذلك، فأذن له أن ينزل من القلعة إلى إصطبل الأمير مغلطاى، ويتجهز للسفر. وأفرج عن وزيره وخادمه وحواشيه، وأنعم عليه بمال. فبعث له الأمراء مالا جزيلا، وشرع فى القرض من الكارم تجار مصر واليمن فبعثوا له عدة هدايا، وصار يركب حيث شاء.

وفيه خلع على ابن بورقية، واستقر فى حسبة مصر عوضا عن ولى الدين.

وفى يوم الخميس ثانى صفر: ركب المجاهد فى الموكب بسوق الخيل تحت القلعة، وطلع مع الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب إلى القلعة، ودخل إلى الخدمة بالإيوان مع الأمراء والنائب فكان موكبًا عظيما، ركب فيه جماعة من أجناد الحلقة مع مقدميهم وخلع السلطان على المقدمين، وطلعوا إلى القلعة، وأجناد الحلقة معهم. واستمر المجاهد يركب فى الخدمة مع النائب فى سوق الخيل، ويطلع إلى الخدمة بالقلعة [٣].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨٠.
(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨٠.
(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨١

وفيه خلع على الأمير صرغتمش، واستقر رأس نوبة على ما كان عليه، بعناية الأمير طاز والأمير مغلطاى [١].

وفيه قبض على محمد بن يوسف مقدم الدولة، وسلم لشاد الدواوين، وأفرد محمد ابن زيد بالتقدمة.

وفي يوم السبت ثامن عشره: برز المجاهد صاحب اليمن بثقله إلى الريدانية؛ ليسافر إلى بلاده، وصحبته الأمير قشتمر شاد الدواوين. وكتب السلطان إلى الشريف عجلان أمير مكة بتجهيزه إلى بلاده، وكتب لبنى شعبة وغيرهم من العربان بالقيام فى خدمته، وخلع عليه أطلس، فوعد المجاهد بإرسال الهدية والمال، وقرر على نفسه حملا فى كل سنة وأسر السلطان إلى قشتمر أنه إن رأى منه ما يريبه بمنعه من المضى، ويطالع بأمره. فرحل المجاهد من الريدانية خارج القاهرة، فى يوم الخميس ثالث عشريه، ومعه عدة مماليك اشتراها، وكثير من الخيل والجمال [٢]

وفى مستهل ربيع الأول: قدم الأمير قطلوبغا مستقر الأمير فياض بن مهنا، وقد أنعم عليه بمائة ألف درهم، وثلاثين فرسًا، وخمسين جملا، وقماش كثير.

وفيه قدم الخبر بلين الأمير أيتمش المصرى نائب الشام، وضياع أحوال الشام، وكثرة قطع الطرقات، وأن أهل الشام سموه «إيش كنت أنا»، وأن أحوال شمس الدين موسى بن التاج إسحاق الناظر توقفت. ووقع جراد مضر بالزرع، أفسد أكثرها، وأن الغرارة القمح ارتفعت من ثمانين إلى مائة وعشرين درهمًا.

ووقع بحماة سيل لم يعهد مثله، و خرب السيل أماكن كثيرة.

وفيه قدم الأمير قطلوبغا الذهبى من الوجه القبلى، وقد عجز عن مقاومة الأحدب.

وفيه قدم الخبر بقتل الشريف سعد بن ثابت أمير المدينة النبوية. وسببه أن الشريف أدى لما نهب المدينة وفر إلى اليمن، وصار عند صاحبها المجاهد حتى قدم مكة، ترامى على الأمير طاز إلى أن أخذ له أمانًا من السلطان وقدم معه ومثل بين يدى السلطان وفى عنقه منديل الأمان فقيل له: «إنما أمنك على نفسك، وأما الأموال التى أخذتها من أهل المدينة ومن الحجج فلابد من ردها إلى أربابها».

فجمع أدى ولده وطرق سعد بن ثابت ليلا وحاربه فقتل سعد وكتب باستقرار فضل ابن قاسم عوضه.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٨١/١٠

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٨١/١٠.

وفى مستهل ربيع الآخر: كان عرس خوند زهراء ابنة السلطان الملك الناصر محمد وهى زوجة آقسنقر الناصرى المقتول زمن المظفر حاجى على الأمير طاز، ثم كان بعد ذلك عرس الأمير تنكز بغا، وأعرس جماعة من الأمراء و عمل السلطان لكل منهم مهما يليق به، فأقامت الأفراح طول الشهر، وأنعم السلطان على طاز وعلى تنكز بغا بثلاثمائة ألف درهم، وأنعم على كل من الأمير مغلطاى رأس نوبة، والأمير منكلى بغا الفخرى.

وفيه أخرج الأمير نورروز على إمرة طبلخاناه، بدمشق. وسببه أنه لما قدم من الشام أنعم عليه بتقدمة ألف، فصار يتحدث مع السلطان فى المشور، وترفع على الأمراء.

وفيه قدم سيف بن فضل، بقوده.

وفى ليلة الثلاثاء رابعه: قدم الخبر بأن الأمير قشتمر أمسك المجاهد صاحب اليمن بينبع، بعد ما فر بنفسه، وترك ثقله. ثم قدم قشتمر فى يوم السبت خامس عشره، وأرسل المجاهد إلى الكرك، فسجن بها.

وفى أول جمادى الأولى: قدمت رسل الأشرف دمرداش بن جوبان بسبب الصلح، فأنزلوا بصهريج منجك ثلاثة أيام، و لم يمكن أحد من الاجتماع بهم. ثم مثلوا بين يدى السلطان، وأعيدوا بجوابهم.

وفيه خلع على الأمير أرغون الإسماعيلى، واستقر فى نيابة غزة، عوضًا عن فارس الدين البكى. وقدم فارس الدين فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

وفيه خرجت العرب المعروفة ثعلبة من أماكنها، وتفرقوا فى البلاد.

فوقفت أحوال مراكز البريد، فإن درك البريد عليهم فسعى ابن طلدية فى ولاية الشرقية وتكفل برد ثعلبة، فخلع عليه بولايتها.

وفيه ركب الأمير طاز لكبس عرب الأطفيحية، وقد اشتد ضررهم وكثر قطعهم الطريق، فلم يظفر منهم بأحد، وتعلقوا بالجبال.

وفيه توعك السلطان ولزم الفراش أيامًا، فبلغ طاز ومغلطاى ومنكلى بغا أنه أراد بإظهار توعكه القبض عليهم إذا دخلوا إليه، وأنه قد اتفق مع قشتمر وألطنبغا الزامر وملكتمر الماردينى وتنكز بغا على ذلك، وأن ينعم عليهم بإقطاعاتهم وإمراتهم. فواعدوا أصحابهم، واتفقوا مع الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب، والأمير طيبغا المجدى والأمير رسلان بصل، وركبوا يوم الأحد سابع عشرى جمادى الآخرة بأطلابهم، ووقفوا عند قبة النصر.

فخرج السلطان إلى القصر الأبلق، وبعث يسألهم عن سبب ركوبهم، فقالوا: «أنت اتفقت مع مماليكك على مسكنا، ولابدّ من إرسالهم إلينا. فبعث السلطان إليهم تنكز

بغا وقشتمر وألطنبغا الزامر وملكتمر، فعندما وصلوا إليهم قيدوهم، وبعثوهم إلى خزانة شمايل، فسجنوا بها. فشق ذلك على السلطان، وبكى، وقال: «قد نزلت عن السلطنة»، وسير إليهم النمجاة، فسلّموها للأمير طيبغا المجدى. وقام السلطان إلى حريمه، فبعث الأمراء الأمير صرغتمش، ومعه الأمير قطلوبغا الذهبى وجماعة؛ ليأخذه ويحبسه. فطلعوا إلى القلعة راكبين إلى باب القصر الأبلق، ودخلوا إلى الناصر حسن وأخذوه من بين حرمه، فصرخ النساء صراخًا عظيمًا، وصاحت ست حدق على صرغتمش صياحًا منكرًا، وسبته، وقالت: «هذا جزاؤه منك». فأخرجه صرغتمش وقد غطى وجهه إلى الرحبة، فلما رآه الخدام والمماليك تباكوا عليه بكاءا كثيرا. وطلع صرغتمش به إلى رواق فوق الإيوان، ووكل به من يحفظه، وعاد إلى الأمراء. وكانت مدته ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوما، منها مدة الحجر عليه ثلاث سنين، ومدة استبداده تسعة أشهر، وكان القائم بدولته الأمير شيخو رأس نوبة، وإليه أمر خزانة الخاص - ومرجع ذلك إلى علم الدين بن زنبور ناظر الخاص - والأمير بيبغاروس نائب السلطنة، وإليه حكم العسكر وتدبره والحكم بين الناس، والأمير منجك الوزير الأستادار مقدم المماليك، وإليه التصرف فى أموال الدولة، والمتولى لتربيته خوند طغاى أم آنوك، وفى خدمته ست حدق. ورتب له فى كل يوم مائة درهم تصُرف لخدامه من خزانة الخاص، فكان كذلك فى طوع الأمراء، يصرفونه على حسب اختيارهم، إلى أن نفرت نفوس الأمراء الخاصكية من الوزير منجك، وحسدوه على ما هو فيه، وكان أشدّهم عليه حقدًا الأمير مغلطاى والأمير طاز. وكان الأمير شيخو يفهم عنه إلى أن خرج الأمير بيبغا روس إلى الحج، وخرج الأمير شيخو إلى السرحة بالعباسة، وقع الاتفاق على ترشيد السلطان، ومسك منجك كما تقدم. فاستبد السلطان بالتصرف، وأخذ أموال الأمراء المقبوض عليهم، وفرّقها فى خواصه. ثم اختص بطاز، وبالغ فى الإنعام عليه، واستخص قشتمر وألطنبغا وملكتمر وتنكز بغا، وجعلهم ندماءه فى الليل ومشيريه فى النهار، فلم يكن يفارقهم أبدًا ليلاً ولا نهارًا، وسوّغهم من الأملاك، وأنعم عليهم من الجواهر والأموال بشىء جليل إلى الغاية، وأعرض عن الأمراء، فلم يلتفت إليهم حتى كان ما كان من خلعه.

وكانت أيامه شديدة، كثرت فيها المغارم بالنواحى، وخربت عدة أملاك على النيل، واحترقت مواضع كثيرة بالقاهرة ومصر، وخرجت عربان العايد وثعلبة وعشير الشام وعرب الصعيد عن الطاعة، واشتدّ فسادهم وكثر قطعهم الطرقات. وكان الفناء العظيم الذى لم يعهد مثله، وتوالى شراقى الأراضى، وتلاف الجسور، وقيام ابن واصل

الأحدب ببلاد الصعيد والعجز عنه، وقتل عرب الصعيد طغية الكاشف، وهزيمتهم الهذبانى وأخذ ثقله. فاختلت أرض مصر وبلاد الشام بسبب ذلك خللاً فاحشًا، إلا أن الناصر حسن كان فى نفسه مفرط الذكاء، ضابطًا لما يدخل إليه ويصرّفه كل يوم، عارفًا متدينًا شهمًا، لو وجد ناصرا ومعينا لكان أجل الملوك.

* * *

السلطان الملك الصالح

صلاح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاون [١]

أمه بنت الأمير تنكز نائب الشام، أقيم سلطانا بعد خلع أخيه الناصر حسن، فى يوم الإثنين ثامن عشرى جمادى الآخرة، سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة. وذلك أن الأمراء لما حملت إليهم النمجاة، باتوا ليلة الإثنين بإصطبلاتهم، وبكروا يوم الإثنين إلى القلعة، واجتمعوا بالرحبة داخل باب النحاس، وطلبوا الخليفة والقضاة وسائر أهل الدولة، واستدعوا به. فلما خرج إليهم ألبسوه شعار السلطنة، وأركبوه فرس النوبة من داخل باب الستارة، ورفعت الغاشية بين يديه. وكان الأمير طاز والأمير منكلى بغا الفخرى آخذين بشكيمة الفرس حتى جلس على التخت. وحلفوا له، وحلّفوه على العادة، ولقبوه بالملك الصالح، ونودى بسلطنته فى القاهرة ومصر.

وكان النيل قد نقص عندما كُسر، فردّ نقصه، ونودى عليه هذا اليوم بزيادة ثلاثة أصابع من سبعة عشر ذراعًا، فتباشر الناس بولايته.

وفيه نقل السلطان أخاه حسن الناصر إلى حيث ساكنا، ورتب فى خدمته جماعة. وطلب أخاه أمير حسين وأكرمه، ووعده بتغيير إقطاعه وزيادة راتبه.

وفيه توجه الأمير بزلار أمير سلاح إلى الشام، ومعه التشريف والبشارة بولاية السلطان وتحليف العساكر له على العادة.

وفيه دقت البشائر، ونودى بزينة القاهرة ومصر، فزينتا.

وفيه طلب الأمير مغلطاى والأمير طاز مفاتيح الذخيرة؛ ليعتبروا ما فيها، فوجد شىء يسير.

---

(١) انظر ترجمته فى : انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٩، الجوهر الثمين ٢/١٩٩، بدائع الزهور ١/١/٥٣٨، البداية والنهاية ١٤/٢٥٢، الدرر الكامنة ٢/٢٠٣.

وفيه رُسم للوزير علم الدين عبد الله بن زنبور بتجهيزه تشاريف الأمراء وأرباب الوظائف على العادة، فجهزها.

وفيه وقف الأمير طاز، وسأل الأمراء والسلطان فى الإفراج عن الأمير شيخو، فرُسم به. وكتب كل من مغلطاى وطاز إليه كتابا، فبعث مغلطاى بكتابه، أخاه قطلوبغا رأس نوبة، وبعث طاز الأمير طقطاى صهره. وجهزت الحراقة لإحضار شيخو من الإسكندرية، فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه.

وكان ذلك بغير اختيار الأمير مغلطاى، فإن الأمير طاز دخل عليه فى ذلك، ومضى إلى بيته، فاعتذر إليه بأنه يخشى من خلاصه على نفسه، فحلف له طاز أيمانا مغلظة أنه معه على كل ما يريد، ولا يصيبه من شيخو ما يكره، وإن شيخو إذا حضر ما يعارضه من فى شيء من أمر المملكة، و«إنى ضامن له فى هذا»؛ وما زال به حتى وافق على الإفراج عنه، وكتب إليه مع أخيه. فشقّ ذلك على الأمير منكلى بغا الفخرى، وعتب مغلطاى على موافقته لطاز، وأوهمه أن بحضور شيخو يزول عنهم ما هم فيه، حتى تقرر ذلك فى ذهنه، وندم على ما كان منه، إلى أن كان يوم الخميس أول شهر رجب، وركب الأمراء فى الموكب على العادة، أخذ منكلى بغا يعرف الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب والأمراء الكبار ما دار بينه وبين مغلطاى، وخيلهم من حضور شيخو إلى أن وافقوه، وطلعوا إلى القلعة ودخلوا إلى الخدمة. فابتدأ الأمير بيبغا حارس الطير النائب بحديث شيخو، وأنه رجل كبير، ويحتاج إلى إقطاع كبير وكلف كبيرة. فتكلم منكلى بغا ومغلطاى والأمراء، وطاز ساكت قد اختبط لتغير مغلطاى ورجوعه عما وافقه عليه. وأخذ طاز يتلطف به، فصمم مغلطاى على ما هو عليه، وقال: «ما لى وجه أنظر به شيخو، وقد أخذت منصبه بعد ما مسكته، وسكنت بيته». فوافقه الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب، وقال لناظر الجيش: «اكتب له مثالا بنيابة حماه، وانتقال طنبرق لنيابة حلب»، وقال لكاتب السر: «اكتب كتابا بعوده من طريقه إلى نيابة حماه». فكُتب ذلك، وتوجه به أيدمر الدوادار من وقته وساعته فى حراقته. وعُيِّن لسفر شيخو إلى حماة عشرون هجينا ليركبها ويسير عليها، وانفضوا، وفى نفس طاز ما لا يعبر عنه. فاجتمع هو وصرغتمش وملكتمر وجماعة، واتفقوا جميعا وبعثوا إلى مغلطاى بأن «منكلى بغا رجل فتنى، وما دام بيننا لا نتفق أبدًا». فلم يصغ مغلطاى إلى قولهم، واحتج بأنه إن وافقهم لا يأمن على نفسه. فدخل عليه طاز ليلا بالأشرفية من القلعة حيث سكنه، وخادعه حتى أجابه إلى إخراج منكلى بغا، وتحالفا على ذلك. فما هو إلا أن خرج عنه طاز أخذ دوادار مغلطاى يفتح ما صدر منه، ويهول عليه الأمر بأنه متى أبعد منكلى بغا

وحضر شيخو أخذ لا محالة، فمال إليه. وبلغ الخبر منكلى بغا، بكرة يوم الجمعة ثانيه، فواعد الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب والأمراء على الاجتماع فى صلاة الجمعة؛ ليقع الاتفاق على ما يكون. فلم يخف عن طاز وصرغتمش رجوع مغلطاى عما تقرر بينه وبين طاز ليلا، فاستعد للحرب، وواعد الأمير ملكتمر المحمدى والأمير قردم الحموى ومن هوى هواهم، واستمالوا مماليك بيبغا روس ومماليك منجك حتى صاروا معهم رجَاءَ الخلاص أستاذيهم وشدّ الجميع خيولهم.

فلما دخل الأمراء لصلاة الجمعة اجتمع منكلى بغا بالنائب بيبغا ططر حارس الطير وجماعة، وقرر معهم أن يطلبوا طاز وصرغتمش إلى عندهم فى دار النيابة، ويقبضوا عليهما. فلما أتاهم الرسول بطلبهما أحسّا بالشرّ، وقاما ليتهيئا للحضور، وصرفا الرسول على أنهما يكونان فى أثره، وبادر إلى باب الدور ونحوه من الأبواب فأغلقاها، واستدعوا من معهم من المماليك السلطانية، ولبسوا السلاح. ونزل صُرغتمش بمن معه من باب السرّ، ليمنع من يخرج من إصطبلات الأمراء، ودخل طاز على السلطان حتى يركب به للحرب؛ فلقى الأمير صرغتمش فى نزوله الأمير أيدغدى أمير آخور، فلم يطق منعه، وأخذ بعض الخيول من الإصطبل، وخرج فوجد خيله وخيل من معه فى انتظارهم. فركبوا إلى الطبلخاناه، فإذا طلب منكلى بغا مع ولده ومماليكه يريدون قبة النصر، فألقوه عن فرسه وجرحوه فى وجهه، وقتلوا حامل الصنجق، وشتتوا شمل الجميع. فما استتم هذا حتى ظهر طُلب مغلطاى مع مماليكه، و لم يكن لهم علم بما وقع على طُلب منكلى بغا. فصدمهم صُرغتمش بمن معه صدمة بدّدهم، وجرح جماعة منهم، وهزم بقيتهم. ثم عاد صرغتمش ليدرك الأمراء قبل نزولهم من القلعة، وكانت خيولهم واقفة على باب السلسلة تنتظرهم، فمال عليها ليأخذها. وامتدت أيدى أصحابه إليها، فقتلوا الغلمان، وقد عظم الصياح، وانعقد الغبار، وإذا بالنائب بيبغا ططر حارس الطير ومغلطاى ومنكلى بغا وبيغرا ومن معهم قد نزلوا، وركبوا خيولهم. وكانوا لما أبطأ عليهم مجىء طاز وصرغتمش بعثوا فى استعجالهما، فإذا الأبواب مغلقة، والصيحة داخل باب القلة، فقاموا من دار النيابة يريدون الركوب، فما توسطوا القلعة حتى سمعوا ضجة الغلمان وصياحهم. فأسرعوا إليهم وركبوا، فشهر مغلطاى سيفه، واقتحم بمن معه على صرغتمش ومن معه؛ ومرّ النائب بيبغا ططر حارس الطير وبيغرا ورسلان بصل يريد كل منهم إصطبله. فلم يكن غير ساعة حتى انكسر مغلطاى كسرة قبيحة، وجرح كثير من أصحابه، وفرّ إلى جهة قبة النصر وهم فى أثره، وانهزم منكلى بغا أيضًا [١].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠١، ٢٠٢

وكان طاز لما دخل على السلطان عرّفه أن الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب والأمراء اتفقوا على إعادة الناصر حسن إلى السلطنة، وأخذَه فى مماليكه، ونزل به من باب السرّ إلى الإصطبل. واستدعى السلطان بالخيل ليركب، فقعد به أيدغدى أمير آخور، واحتج بقلة السروج، فإنه كان ممالئا لمغلطاى؛ فأخذ المماليك ما وجدوه، وخرجوا بالسلطان، ودقت الكوسات. فاجتمع إليه الأمراء والأجناد والمماليك السلطانية من كل جهة، حتى عظم جمعه، فلم تغرب الشمس إلا والمدينة قد غلقت، والرميلة قد امتلأت بالعامة. وسار طاز بالسلطان يريد قبة النصر حتى يعرف خبر صرغتمش، فوافى قبة النصر بعد المغرب.

وأما صرغتمش فإنه تمادى فى طلب مغلطاى ومنكلى بغا حتى أظلم الليل، فلم يشعر إلا بمملوك الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب قد أتاه برسالة النائب أن مغلطاى عنده فى بيت آل ملك بالحسينية، فبعث جماعة لأخذه. ومر صرغتمش فى طلب منكلى بغا، فلقيه الأمير محمد بن بكتمر الحاجب، وعرفه أن منكلى بغا نزل قريبا من قناطر الأميرية، ووقف يصلى، وأن طُلب الأمير مجد الدين موسى الهذبانى كان قد جاء من جهة كوم الريش. ولحق بالأمير منكلى بغا الأمير أرغون المكى فى جماعة، فقبضوا عليه وهو قائم يصلى، وكتفوه بعمامته، وأركبوه بعد ما نكلوا به. فلم يكن غير قليل حتى أتوا به وبمغلطاى، فقيدا وسجنا بخزانة شمائل، ثم أخرجا إلى الإسكندرية، ومعهما ابن منكلى بغا، فسجنوا بها، وأقبل صرغتمش ومن معه إلى السلطان بقبة النصر، وعرّفه بمسك الأميرين، فسرّ سرورا كبيرا، ونزل هو والأمراء وباتوا عند قبة النصر (١).

وركب السلطان بكرة يوم السبت ثالثه إلى القلعة، وجلس بالإيوان، ودخل الأمراء فهنأوه السلامة، ونودى بالزينة. وفى الحال كتب باستدعاء الأمير شيخو، وخرج جماعة من الأمراء ومماليكه إلى لقائه. ونزلت البشائر إلى بيوت شيخو وبيبغا روس ومنجك، وكان يوما مذكورا، وبات الأمراء على تخوف.

وأما شيخو، فإن حراقة أخى طاز وطقطاى وافت الإسكندرية يوم الخميس أول رجب، فخرج شيخو من السجن وهو ضعيف، وركب الحراقة فى الخليج، وأهل الإسكندرية فى فرح وسرور بخلاصه. فوافاه كتاب صرغتمش بأنه «إذا أتاك أيدمر بمرسوم توجهك إلى حماة لا ترجع، وأقبل إلى القاهرة، فأنا معك»، فتغير لقراءته، وعلم

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٢،٢٠٣.

أنه قد حدث فى أمره حادث. فلم يكن غير ساعتين حتى لا حت له حراقة أيدمر، فمرّ وهو مقلع، وأيدمر منحدر إلى أن تجاوزه، وهو يصيح ويشير بمنديله، فلا يلتفتون إليه. واستمرت حراقة شيخو طول الليل وأيدمر فى أثره، فلم يدركه إلا بكرة يوم السبت. فعندما طلع إليه أيدمر، وعرفه ما رسم له من عوده إلى حماة، وقرأ المرسوم الذى على يده، وإذا بالخيل على البرّ تتبع بعضها بعضًا، والمراكب قد ملأت وجه الماء تبادر لبشارته وإعلامه بما وقع من الركوب، ومسك مغلطاى ومنكلى بغا فسرّ شيخو بذلك سرورا كثيرا، وسار إلى أن أرسى بساحل بولاق، فى يوم الأحد رابعه.

وكان الناس قد خرجوا يوم السبت إلى لقائه، وأقاموا ببولاق ومنبابه. ووصلت المشاة إلى منية السيرج تنتظر قدومه. فلما رأوا الحراقة صاحوا ودعوا له، وتلقته مراكب أصحابه. وخرج الناس للفرجة، فبلغ كراء المراكب إلى مائة درهم، وما وصلت الحراقة إلا وحولها فوق الألف مركب. وركب الأمراء إلى لقائه، وزينت الصليبية[1]، وأشعلت الشموع، وخرج مشايخ الصوفية بصوفيتهم إلى لقائه. فسار شيخو فى موكب عظيم إلى الغاية، لم ير مثله لأمير، إلى أن صعد القلعة [2]. ودخل شيخو على السلطان، فأقبل عليه، وخلع عنه ثياب السجن، وألبسه تشريفا جليلا، وخرج شيخو إلى منزله والتهانى تتلقاه.

وفيه فرقت الخلع على الأمراء، وركبوا بها إلى الخدمة، فى يوم الإثنين خامسه.

وفى يوم الأربعاء سابعه: رسم بإخراج الأمير بيبغا ططر [3]حارس الطير نائب السلطنة، والأمير بيغرا. فنزل الحاجب إلى بيت آل ملك بالحسينية، وأخرج منه النائب؛ ليسير إلى نيابة غزة. وأخرج بيغرا من الحمام إخراجًا عنيفًا؛ ليتوجه إلى حلب. فركبا من فورهما، وسارا[4].

وفيه قبض على الطيب أحد أمراء الطبلخاناه من أصحاب مغلطاى، وقيد وسجن.

وفيه أخرج أيدغدى آمير أخور إلى طرابلس، بطالا[5].

وفيه كتب بالإفراج عن المسجونين بالإسكندرية والكرك[6].

---

(١) الصُلَيْبةُ: ماء من مياه قشير. انظر معجم البلدان٣/٤٢٢.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٣.

(٣) فى النجوم «بيبغا أرُس حارس الطير» ١٠/٢٠٥.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٥.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٥.

وفى يوم السبت عاشره: ركب السلطان والأمراء إلى الميدان على العادة، ولعب فيه بالكرة، فكان يومًا مشهودا.

وفيه وقف الناس فى الفأر الضامن، ورفعوا فيه مائة قصة. فقبض عليه، وضربه الوزير بالمقارع ضربا كثيرا، وهو يحمل المال، فوجدت له خبية فيها نحو مائتى ألف درهم حملت إلى بيت المال[١].

وفيه قبض على النائب بيبغا ططر حارس الطير فى طريقه، وسجن بالإسكندرية.

وفى يوم الأحد حادى عشره: وصل الأمراء من سجن الإسكندرية، وهم سبعة: منجك الوزير، وفاضل أخو بيبغا روس، وأحمد الساقى نائب صفد، وعمر شاه الحاجب، وأمير حسين التترى وولده، ومحمد بن بكتمر الحاجب. فركب الأمير طاز ومعه الخيول المجهزة لركوبهم حتى لقيهم، وطلع بهم إلى القلعة، فخلع عليهم بين يدى السلطان. ونزلوا إلى بيوتهم، فامتلأت القاهرة بالأفراح والتهانى ونزل الأمير شيخو والأمير طاز والأمير صرغتمش إلى إصطبلاتهم، وبعثوا إلى الأمراء القادمين من السجن التقادم السنية، من الخيول والتعابى القماش والبسط وغيرها، فكان الذى بعثه الأمير شيخو لمنجك خمسة أفراس، ومبلغ ألفى دينار[٢].

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: خلع على الأمير قبلاى الحاجب، واستقر فى نيابة السلطنة عوضا عن بيبغا ططر حارس الطير[٣].

وفيه قدم الخبر بنفاق عرب الصعيد، ونهبهم الغلال ومعاصر السكر، وكبسهم البلاد، وكثرة حروبهم، بحيث قتل منهم ألف رجل، وأن ابن مغنى حشد وركب فى البرّ والبحر. وامتنع الناس من سلوك الطرقات، وأنه متى لم يبادر الأمراء إلى حربه لا يحصل للأراضى تخضير، وكان زمن النيل. فطُلب عز الدين أزدمر الأعمى الكاشف، وأعيد له إقطاعه من الأمير قنلس أمير آخور، وخلع عليه، واستقر فى كشف الوجه القبلى. وخلع على مملوك أسندمر، واستقر فى كشف الإطفيحية، وأنعم عليه بإقطاع ابن بيبغا ططر حارس الطير النائب. وأنعم على فارس الدين ألبكى نائب غزة بتقدمة ألف، ورسم بخروجه صحبة أزدمر الأعمى الكاشف، وعين معه ستة أمراء طبلخاناه.

---

(٦) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٠

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٠

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٠،٢٠٦

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

وفى يوم الخميس خامس عشره: قدم الأمير بيبغا روس من سجن الكرك، فركب الأمراء إلى لقائه، وطلع إلى السلطان، فخلع عليه ونزل بيبغا روس إلى بيته، فلم يبق أحد من الأمراء حتى قدم له تقدمة تليق به[١].

وفى يوم السبت سابع عشره: ركب السلطان إلى الميدان، ومعه الأمير بيبغا روس، وعليه التشريف، وصحبته الأمراء. فلعب السلطان بالكرة، وعاد إلى القلعة آخر النهار.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خلع على الأمير بيبغا روس، واستقر فى نيابة حلب عوضا عن أرغون الكاملى. واستقر أرغون الكاملى فى نيابة الشام، عوضا عن أيتمش الناصرى وفيه خلع أيضا على أمير أحمد الساقى شاد الشرابخاناه ونائب صفد، واستقر فى نيابة حماة، عوضا عن طنبرق. ورُسم طنبرق إلى حلب أمير طبلخاناه، ثم رسم أن يكون بطالا بدمشق[٢].

وفيه خلع على الوزير علم الدين بن زنبور خلعة الاستمرار، وركب قدام المحمل بالزنارى فى موكب عظيم. و لم يركب أحد من الوزراء قدام المحمل سوى ابن السلعوس، فى أيام الأشرف خليل، وأمين الملك بن الغنام فى أيام الناصر محمد، مرّة واحدة.

وفيه أحيط بموجود ست حدق، ووكل بها. وكتب موجودها، وألزمت بمال كبير سوى موجودها، ثم أفرج عنها، و لم يؤخذ لها شيء.

وفى يوم الجمعة أول شعبان: خلع على محمد بن الكورانى بولاية مصر والصناعة، عوضا عن بلاط.

وفى يوم الأحد ثالثه: سافر الأمير بيبغا روس إلى نيابة حلب، وأمير أحمد إلى نيابة حماة[٣].

وفيه كتب باستقرار منجك فى نيابة صفد، فسأل الإعفاء، وأن يقيم بجامعه بطالا؛ فأجيب إلى ذلك بسفارة الأمير شيخو. فاستردّ أملاكه التى أنعم بها على المماليك والخدّام والجوارى، ورمّ ما تشعث من صهريجه، واستجدّ به خطبة، وولى زين الدين البسطامى فى خطابته[٤].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

وفيه خلع على عمر شاه، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن النائب قبلاى [١].

وفيه أنعم على طشتمر القاسمى بتقدمة ألف، واستقرّ حاجبا ثانيا[٢].

وفيه أنعم على جماعة من المماليك السلطانية، بإمرات[٣].

وفى يوم الخميس سابعه: قدم أمير على الماردينى، وأنعم عليه بتقدمة بيغرا.

وفيه أخرج أقجبا الحاجب الحموى، وطينال الجاشنكير، وملكتمر السعيدى، وقطلوبغا أخو مغلطاى، وطشنبغا الدوادار، وفرّقوا ببلاد الشام.

وفى يوم السبت تاسعه: وصل المجاهد صاحب اليمن من سجن الكرك، فخلع عليه من الغد، ورسم له بالعود إلى بلاده من جهة عيذاب[٤]، فبعث إليه الأمراء تقادم كثيرة، وتوجه.

وكانت أمه رجعت من مكة بعد مسكه، وأقامت فى مملكة اليمن ابنه الملك الصالح، وكتبت إلى تجار الكارم توصيهم بابنها المجاهد صاحب اليمن أن يقرضوه ما يحتاج إليه، وختمت على مالهم من أصناف المتجر بعدن وزبيد وتعز [٥] فقدم قاصدها، وقد قبض على المجاهد ثانيًا، وسجن بالكرك[٦].

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: وصل الأمير أيتمش الناصرى من الشام، فقبض عليه من الغد[٧].

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه: خرج الأمير فارس الدين ألبكى، ومعه الأمير آينبك، وأربعة أمراء طبلخاناه، صحبة الأمير أزدمر الأعمى الكاشف إلى الوجه القبلى، بسبب نفاق العربان، فى تجمل كبير.

وفى مستهل شهر رمضان: قدم الشريف ثقبة، بعد ما قدم قوده وقود أخيه

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٤) عيذاب: مدينة فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها فى ضفة البحر الملح، ومنها المجاز إلى جدة، وعرضه مجرى يوم وليلة. انظر الروض المعطار ٤٢٣، ونزهة المشتاق ٤٩، وابن الوردى ٣٦.

(٥) تَعِزٌّ: بالفتح ثم الكسر، والزاى مشددة: قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر معجم البلدان ٣٤/٢.

(٦) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٧/١٠

(٧) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٧/١٠

عجلان، فخلع عليه، واستقر فى إمارة مكة بمفرده. أنعم عليه الأمير طاز بقرض ألف دينار، وأقرضه الأمير شيخو عشرة آلاف درهم. واقترض ثقبة من التجار مالا كثيرًا، واشترى الخليل والسلاح والمماليك، واستخدم عدة مماليك.

وفيه رسم بسفر الحسام لاجين العلائى مملوك آقبغا الجاشنكير وأستادار العلائى صحبة ثقبة؛ ليقلده بمكة.

وفيه رسم بإبطال رمى والبرسيم والشعير على أهل النواحى، ونقش المرسوم على رخامة بجانب باب القلة، وكتب بذلك إلى الولاة.

وفيه خلع على ابن الأطرش، وأعيد إلى حسبة القاهرة ونظر المارستان، عوضا عن الضياء، بعناية جماعة من الأمراء به؛ لكثرة مهاداته لهم.

وفيه أخرج أيدمر الدوادار وعدة من المماليك إلى الشام.

وفيه قدم الخبر بخروج عيسى بن حسن الهجان عن الطاعة، وامتنع بجماعته فى الوادى.

وفى شوال: قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام بالحط على قاضى القضاة تقى الدين السبكى [1] وأنه حكم بنزع وقف من أصحابه وأعاده ملكا، وطلب الأمير أرغون الكاملى أن يعقد لذلك مجلس فيه قضاة مصر وعلماؤها بين يدى السلطان.

وكان من خبر ذلك أن أرغون لما ولى نيابة الشام خرج علاء الدين الفرع إلى لقائه قريب حلب، وأغراه بالسبكى، وقدح فيه وفى ولده بقوادح حتى غيرّ خاطره. فلما لقيه السبكى لم يجد منه إقبالا، وبقى على ذلك إلى أن وقف جماعة بدار العدل يشكون من السبكى أن لهم وقفا من عهد أجدادهم، وأقطع للأجناد ثم استرجعوه منهم، وثبت وقفه على قاضى القضاة المالكى بدمشق، فانتزعه السبكى منهم، وسلّمه لمن كان قديما فى يده بالملكية، وسألوا عقد مجلس. فلما اجتمع القضاة والفقهاء لذلك، قام الفرع وجماعة فى العصبية على السبكى، وشنعوا عليه. فأجاب السبكى بأنه «ثبت عندى أن يكون فى يد مالكه، وقد حُكم بذلك. وهأنا، ومن ينازعنى فيما حكمت؟»، فلم

---

(١) أحمد بن على بن عبد الكافى ـ أبو حامد، بهاء الدين السبكى: فاضل له «عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح» ولى قضاء الشام سنة ٧٦٢هـ فأقام عامًا، ثم ولى قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، ومات مجاورًا بمكة. انظر البدر الطالع ٨١/١، الدرر الكامنة ٢١٠/١ الأعلام ١٧٦/١.

ينازعه أحد. فطلب الأمير أرغون الكاملي قضاة القضاة، فحضروا إلا عز الدين بن جماعة، فإنه تعذر حضوره. وقرئ عليهم كتاب النائب بحضرة الشيخ بهاء الدين أحمد ابن السبكى، فأظهر كتاب أبيه بصورة الواقعة، وهى أن أجداد الشكاة ادعوا الوقفية فى ضيعة كذا، فوقفها أبناءهم من بعدهم، ثم أقطعت بعد وفاتهم لجماعة من الجند. فادعى الشيخ تقى الدين البوسى [١] لما قدم من بعلبك أنها ملكه وبيده، وأنه ابتاعها من أهلها قبل وفاتهم، وأثبت كتاب مشتراه وتسلمها، وأن الشراء كان سنة اثنتين وثمانين وستمائة، وبقى إلى سنة أربع وتسعين. فأظهر قوم كتاب وقفها وأثبتوه، وتسلموها، فسمى البوسى فى سنة أربع وسبعمائه واستعاد الضيعة منهم، بعد منازعات عُقد فيها عدة مجالس. فأخذها تنكز منهم، ثم استردها البوسى، فلم يزل إلى هذا الوقت وقف أهل الوقف، وأثبتوه على قاضى المالكية جمال الدين المسلاتى. فأثبت الآخرون أن المسلاتى كانت بينه وبين البوسى عداوة لا يجوز معها أن يحكم عليه، وأخذوا الضيعة. فتحاكم الفريقان إلى السبكى، فحكم باستقرار يد الملاك، وأبقى كل ذى حجة على حجته. فتنازع ابن السبكى والتاج المناوى طويلا وانقضوا، وأخذ ابن السبكى خطوط جماعة من المفتين بصحة حكم أبيه. ثم اجتمعوا ثانيا، وحضر قاضى القضاة عز الدين بن جماعة، وانتدب للنظر فى ذلك بمفرده. فادعى قوام الدين أمير كاتب الحنفى فساد حكم السبكى، وتعصب عليه تعصبا زائدا. وذلك أنه لما قدم قوام الدين دمشق، وبها يلبغا اليحياوى نائبا اختص به، وأخذ ينهاه عن رفع يديه فى الركوع، وأن هذا لا يجوز، وصلاته التى صلاها كذلك باطلة يجب عليه إعادتها. فسأل يلبغا ابن السبكى عن ذلك، فأنكر مقالة القوام.

واشتهر بين الأمراء والأجناد مقالة القوام، وكثرت القالة فيها. فطلب السبكى القوام ومنعه من الإفتاء، واقتضى رأى ابن جماعة النظر فى من شهد بالعداوة، وفيمن شهد بالوقفية، فكتب بذلك لنائب الشام.

وفيه ارتفع سعر اللحم، ووقف حال المعاملين بحيث أخذوا الأغنام من أربابها بغير ثمن. فأبطل الوزير المعاملين، واشترى الأغنام بالثمن الناض [٢] وكانت عادة اللحم من أربعين درهما إلى خمسين درهما القنطار، وأكثر ما عهد بستين درهما القنطار. فبلغ فى هذه الأيام بتعريف الحسبة إلى مائة وأربعين، ومائة وخمسين درهما، وأبيع فى الحوانيت كل رطل بخمسة دراهم سوداء، عنها درهم وثلث درهم كاملية.

---

(١) نسبة إلى بوس وهى قرب صنعاء اليمن.انظر معجم البلدان ٧٥٨/١.

(٢) هى الدرهم والدينار.انظر محيط المحيط (نض).

وتعذر وجود الغنم، فكتب إلى البلاد الشامية بتجهيز التركمان بالأغنام، وحمل نحو الخمسمائة ألف درهم لشراء الأغنام. وكتب إلى ولاة الوجه القبلى والوجه البحرى بحمل الأغنام، فحملت أغنام كثيرة من أعمال مصر. وقدم من الشام نحو العشرين ألف رأس، فانحط سعر اللحم.

وفى خامس عشره: سار محمل الحاج، صحبة الأمير طيبغا المجدى. وقدم الحج عالم كثير من أهل الصعيد والفيوم والوجه البحرى، وقدم من أهل المغرب جماعة كثيرة، وقدم التكرور ومعهم رقيق كثير، وفيهم ملكهم. فسأل ملكهم الإعفاء من الدخول على السلطان، فأعفى، وسار بقومه إلى الحج، مستهل ذى القعدة.

وفيه قدم البريد بقتل نجمة الكردى بحيلة عملها عليه صاحب ماردين حتى قدم عليه، فتلقاه وأكرمه، ثم قبض عليه، وضرب عنقه بيده، وقتل من معه.

وفيه قدم الخبر بأن الأمير أزدمر الأعمى الكاشف رتب من معه من الأمراء فى عدة مواضع، وركب ومعه الأمير آينبك ليلا، وصاح العربان من عرك صباحا، وقتل منهم جماعة، وامتنع باقيهم بالجبل. فعاد الأمير أزدمر وطلب بنى هلال أعداء عرك، فأتاه منهم ومن غيرهم خلق كثير. وكتب الأمير أزدمر لأولاد الكنز بمسك الطرقات على عرك، وركب ومعه الأمير فارس الدين والأمراء، وأسندمر المتولى الإطفيحية، إلى الجبل؛ وقد لقيه الأحدب فى حشد كبير، فلم يثبت الأحدب وانهزم من رمى النشاب، وترك أثقاله وحريمه. ونادى الأمير أزدمر. «يا بنى هلال دونكم أعداءكم»، فمالوا عليهم يقتلون، وينهبون المواشى والغلال والدقيق والقرب والروايا، وسلبوا الحريم، حتى امتلأت أيدى بنى هلال وأيدى الأجناد والغلمان من النهب. وكتب بذلك إلى السلطان، وأن البلاد قد خضرت أراضيها، وأطاع عربانها العصاة، وتوطن أهلها. فسر السلطان والأمراء بذلك، وحمل إلى كل من الكاشف والأمراء خلعة.

وفيه ألزمت ست حدق ألا تجتمع بأحد، فإنها كانت من جملة أنصار الناصر حسن.

وفيه ضُيِّق على الناصر حسن، وسُدَّت عنه أماكن كثيرة كان ينظر منها ويحدّث من يريد؛ واحتفظ به احتفاظًا زائدًا.

وفيه توجه السلطان والأمراء إلى السرحة قريبًا من الأهرام.

وفى أول ذى الحجة قدم عيسى بن حسن الهجان طائعًا بأمان، فخلع عليه.

وفيه ارتفع سعر القمح من عشرين إلى سبعة وثلاثين درهما الأردب؛ وانحطّ سعر اللحم، فأبيع بدرهم الرطل.

وفيه قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام يطلب الإعفاء من النيابة.

وفى هذه السنة: استقرّ فى قضاء المالكية بحلب زين الدين عمر بن سعيد بن يحيى التلمسانى، عوضًا عن الشهاب أحمد بن ياسين الرياحى. واستقرّ فى قضاء الحنفية بها جمال الدين إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن الكمال عمر بن العز عبد العزيز بن العديم، بعد وفاة أبيه. واستقرَّ فى كتابة السرّ بحلب جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود، عوضًا عن الشريف شهاب الدين بن قاضى العسكر؛ وقدم الشريف إلى القاهرة.

* * *

ومات فيها من الأعيان

قطب الدين أبو بكر بن محمد بن مكرم، كاتب الإنشاء، فى أواخر شعبان، عن اثنتين وثمانين سنة وأشهر؛ وكان كثير العبادة.

وتوفى الشريف أدى صاحب المدينة النبوية، فى السجن.

ومات الأمير طشبغا الدوادار، بدمشق؛ وكان فاضلا دينًا.

وتوفى قاضى الحنفية بحلب ناصر الدين محمد بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الحسن ابن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبى جرادة المعروف بابن العديم، عن ثلاث وستين سنة، منها فى قضاء حماة عشر سنين، وفى قضاء حلب اثنتان وثلاثون سنة.

وتوفى تاج محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد المراكشى الفقيه الشافعى، بدمشق، فى يوم الأحد ثالث عشرى جمادى الآخرة عن اثنتين وخمسين سنة؛ نشأ بالقاهرة، واستوطن بدمشق.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بيبرس الأحمدى أحد الطبلخاناه، وهو مجرّد بالصعيد. فحمل ميتًا إلى القاهرة، وقدم فى يوم الإثنين ثانى عشرى رمضان.

ومات علاء الدين على بن محمد بن مقاتل الحرانى، ناظر الشام، فى عاشر رمضان بالقدس.

وتوفى شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر المعروف بابن القيسرانى [١] موقع الدست، وصاحب المدرسة بسويقة الصاحب من القاهرة، وبها قبره.

ومات الشيخ ابن بدلك [٢] فى يوم الأحد سابع عشرى شوال.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٦/١٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٦/١٠.

ومات تاج الدين محمد بن أحمد بن الكويك، فى داره ليلة السبت سادس عشرى ذى الحجة، ذبحه الحرامية.

ومات آقبغا والى المحلة، يوم الخميس تاسع عشرى ذى الحجة.

ومات ملك المغرب أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن محيو بن أبى بكر بن حمامة، فى ثالث عشرى ربيع الآخر. وقام بعده ابنه أبو عنان فارس، وكانت مدته إحدى وعشرين سنة.

* * *



سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

فى أول المحرم: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا أن الشريف ثقبة لما نزل بطن مَرّ، وتقدم إلى مكة متسفر الحاج حسام الدين لاجين، وعرّف الشريف عجلان بانفراد أخيه ثقبة بالإمرة، امتنع الشريف عجلان من تسليمه مكة. وعاد حسام الدين إلى ثقبة، فأقاما حتى قدم الحاج صحبة الأمير طيبغا المجدى. فتلقاه ثقبة، وطلب منه أن يحارب معه عجلان، فلم يوافقه على محاربته، فأسمعه ما لا يليق، وهدّده أنه لا يمكن الحاج من دخول مكة. وقام ثقبة عنه وقد اشتد غضبه، وألبس من معه من العربان وغيرهم السلاح. فاجتمع أمير الركب، وقاضى القضاة عز الدين بن جماعة - وكان قد توجه صحبة الركب للحج - واتفقا على إرسال الحسام إلى عجلان ومعه ابن جماعة. فجرت لهم معه منازعات، آخرها أن تكون الإمرة شركة بينه وبين أخيه ثقبة. وعادا إلى بطن مَرّ، وقرّرا ذلك مع ثقبة حتى رضى، وساروا جميعًا إلى مكة. فتلقاهم عجلان على العادة، وأنصف ثقبة، وأنعم عليه بسبعين ألف درهم. وكانت الوقفة بعرفة يوم الجمعة، وجاور قاضى القضاة عز الدين بن جماعة. ولقى الحاج من عبيد مكة شرا كثيرًا.

وفيه قدم الخبر أن المجاهد قدم إلى تعز فى ثامن عشرى ذى الحجة الماضية، واستولى على ملكه. وكانت أمه قد ضبطت البلاد فى غيبته، وأنفقت عند قدومها مائة ألف دينار للشريف الزيدى صاحب صنعاء، ولأهل الجبال ولأكابر المملكة، حتى أقامت ابن المجاهد، واسمه الصالح. ثم قبضت عليه، وساست الأمور، ووفت ما اقترضه المجاهد من التجار بمصر.

وفيه قدم الأمير أزدمر الأعمى الكاشف والأمراء من بلاد الصعيد، فركب الأحدب وكبس ناحية طما على بنى هلال، وقتل منهم جماعة، ونهب ما وجد. فتوجه إليهم الأمير بلبان السنانى الأستادار بمضافيه، والأمير قمارى الحموى الحاجب، وعدة من أولاد الأمراء فى مستهل صفر؛ ليقيموا حتى يتم قبض المغل.

وفيه استقرّ ابن عقيل فى ولاية البهنسى، واستقرّ بيبغا الشمسى فى ولاية إطفيح. وكانتا مع أسندمر مملوك أزدمر الأعمى الكاشف، فعادت العربان بعد عزل أسندمر إلى ما كانت عليه من الفساد.

وفى يوم الخميس حادى عشر ربيع الأول: قدم الأمير أيتمش الناصرى من سجن الإسكندرية، وخرج من القاهرة فى يوم السبت ثالث عشره إلى صفد بطالا.

وفى حادى عشريه: نفى الأمير قردم أمير آخور إلى صفد، ثم أنعم عليه بإقطاع يلك الحسنى الأرغونى الحاجب، وأن يحضر يلك إلى مصر، فلما حضر يلك هذا - ويعرف بيلك الشحنة - أنعم عليه بإقطاع قردم.

وفيه استقر يلك الحسنى الأرغونى الحاجب أمير آخور، عوضا عن قردم على إقطاعه، وهو حاجب.

وفى يوم الخميس رابع عشريه: أخرج الأمير ألطنبغا العلائى شاد الشرابخاناه، إلى حلب.

وفى هذا الشهر: شرع الأمير طاز فى عمارة قصر وإسطبل تجاه حمام الفارقانى، بجوار المدرسة البندقدارية، وأدخل فيه عدة أملاك. وتولى عمارته الأمير منجك، وحمل إليها الأمراء وغيرهم من الرخام وآلات العمارة شيئًا كثيرًا.

وفيه ابتدأ الأمير صرغتمش عمارة إصطبل الأمير بدرجك، بجوار بئر الوطاويط، قريبا من الجامع الطولونى، وأدخل فيه عدة دور، وحمل إليه الناس ما يحتاج إليه من الرخام وغيره.

وفيه عوفى الأمير قبلاى النائب، وركب الموكب. وكان منذ استقر فى النيابة مريضا بوجع المفاصل، لم يركب فرسا، وإنما يجلس فى شباك النيابة للحكم بين الناس. ومشت فى ولايته المقايضات والنزولات عن الإقطاعات، فزاد فساد الأجناد بكثرة دخول أرباب الصنائع فيهم. وفحش ذلك حتى نزل مقدمو الحلقة عن التقدمة، وقام جماعة نحو الثلاثمائة رجل عرفوا بالمهيسين (١) على الإقطاعات، وصاروا يطوفون على الأجناد، ويبذلون لهم الرغبات فى النزول عن إقطاعاتهم.

وفيه خلع على الأمير صرغتمش، واستقرّ رأس نوبة كبير، فى رتبة الأمير شيخو باختياره. وجُعل إليه التصرف فى أمور الدولة كلها من الولاية والعزل والحكم، ما عدا مال الخاص، فإن الأمير شيخو متحدث فيه، وما عدا أمور الوزارة. فقصده الناس، وكثرت مهابته، وعارض الأمراء فى جميع أفعالهم. وأراد صرغتمش ألا يُعمل شىء إلا

---

(١) يبدوا أنها مأخوذه من اللفظ هيس هيس التى تستخدم عند الإغراء بشىء من الأشياء انظر محيط المحيط.

من بابه وبإشارته، فإن تحدّث غيره فى عزل أو ولاية غضب، وأبطل ما تحدث فيه، وأخرق بصاحبه.

وفيه اجتمع الأمراء على استبداد السلطان بالتصرف، وأن يكون ما يرسم به على لسان الأمير صرغتمش رأس نوبة.

وفيه قدم الخبر من مكة بأن الأسعار بها غلت حتى بلغ الأردب القمح ثلاثمائة درهم، والشعير مائتى درهم، والراوية الماء بأربعة دراهم مسعودية [1] فأغاثهم الله تعالى فى أول يوم من المحرم بمطر استمر ثلاثة أيام، فانحل السعر، وأبيع الأردب القمح بمائة وخمسين درهما، والراوية الماء بنصف وربع مسعودى؛ لجريان ماء عين جوبان.

وفيه قدم الخبر بنفاق عرب الصعيد ونهبهم سقط ميدان وقتل أهلها، ونهب بلاد سودى بن مانع، وأن أهل منفلوط رجموا الوالى. فألزم الأمير أزدمر الأعمى الكاشف بالخروج إليهم، وأنعم عليه بألف أردب شعير وأربعين ألف درهم، قبضها وسافر.

وفيه قدم الخبر أن طائفة الزيلع [2] كانت عادتهم حمل قطيعة فى كل سنة إلى ملك الحبشة، من تقادم السنين. فقام فيها عَبْد صالح ومنعهم من الحمل، وشنع عليهم إعطاءهم الجزية وهم مسلمون لنصرانى، وردّ رسول ملك الحبشة. فشقَ ذلك على ملك الحبشة، وخرج بعساكره ليقتل الزيلع عن آخرهم. فلما صار على يوم منهم قام العبد الصالح تلك الليلة يسأل الله تعالى كفاية أمر الحبشى، فاستجاب دعاءه. وعندما ركب ملك الحبشة بكرة النهار أظلم الجو - حتى كاد الرجل لا يرى صاحبه - مقدار ساعة، ثم انقشع الظلام، وأمطرت السماء عليهم ماء متغير اللون بحمرة، وأعقبه رمل أحمر امتلأت منه أعينهم ووجوههم، ونزل من بعده حيات كبيرة جدًا، فقتلت منهم عالما كثيرًا. فعاد بقيتهم من حيث أتوا، وهلك فى عودهم معظمهم دوابهم، وكثير منهم.

وفيه تزايد تسلط الأمير صرغتمش رأس نوبة، وكثر ترفعه. فتنكر له الأمراء، وكثرت الأراجيف بوقوع الفتنة بينهم، وإعادة الناصر حسن، ومسك شيخو وطاز، وانفرد صرغتمش بالكلمة فقلق طاز - وكان حادّ الخلق - وهم بالركوب، فمنعه

---

(١) يطلقها أهل مكة على نوع جيد من العسل، وهو هنا مجازى فى حق الدرهم.

(٢) زَيْلَعُ: - أو زالع - مدينة على ساحل البحر الحبشى المالح المتصل بالقلزم، ومن زيلع إلى ساحل البحر ثلاث بحار مقدرة الجرى، وهى صغيرة القطر كثيرة الناس. انظر معجم البلدان ١٦٤/٣، والروض المعطار ٢٨٢، والإدريسى ٢٥، وتقويم البلدان ١٦٠، وابن الوردى ٣٧.

شيخو؛ فاحترز طاز وشيخو. وأخذ صرغتمش فى التبرئ مما رمى به، وحلف للأمير شيخو والأمير طاز، فلم يصدقه طاز وهم به. فقام شيخو قيامًا كبيرًا حتى أصلح بينهما، وأشار على طاز بالركوب إلى عمارة صرغتمش، فركب إليه وتصافيا.

وفيه خلع على جرجى الدوادار، واستقر حاجبًا، عوضًا عن طشتمر القاسمى باستعفائه.

وفيه ركب الأمير ضروط البريد؛ لطلب جمال وهجن للسلطان من الأمير فياض بن مهنا، فإن جمال السلطان قلت، بحيث أنه لما خرج إلى السرحة اكترى له جمالا كثيرة لحمل ثقله، ومنع أمير آخور الكتاب والموقعين وغيرهم مما جرت به عادتهم من حمل أثقالهم على جمال السلطان.

وفيه قدم الخبر بفتنة الفرنج الجنوية والبنادقة، وكثرة الحروب بينهم، من أول المحرم إلى آخر ربيع الآخر. فقل الواصل من بلاد الفرنج، إلى الإسكندرية، وعزّ وجود الخشب، وغلا وتعذر وجود الرصاص والقصدير والزعفران. وبلغ المَنُّ بعد مائتى درهم إلى خمسمائة، ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف. ثم قدم الخبر بأن البنادقة انتصرت على الجنوية، وأخذت لهم واحدًا وثلاثين غرابًا بعد قتل من بها.

وفيه قدم الشيخ أحمد الزرعى من الشام، فبالغ الأمير شيخو والأمير طاز فى إكرامه.

وفيه قدمت رسل الأشرف دمرداش بن جوبان صاحب توريز بكتابه، يخبر أنه قد حسن إسلامه هو وأخوته وأقاربه، والتزم سيرة العدل فى رعيَّته، وترك ظلمهم. وشكا الأشرف دمرداش من كثرة الاختلاف بينهم حتى هلك رعيَّته، وطلب أن يبعث إليه بمن نزح عن بلاده من التجار، وكتب إليهم أمانًا، وأن أرتنا نائب الروم قد أفسد بلاده، ومنع التجار أن تسير إليهم، وطلب ألا يدخل السلطان بينهما. وكان قد قدم إلى مصر والشام فى هذه السنة وما قبلها كثير من تجار العجم؛ لسوء سيرة الولاة فيهم، فعرض عليهم أمان الأشرف دمرداش، فلم يوافقوا على العود إلى بلاده.

وفيه رسم للأمير جرجى الحاجب أن يتحدّث فى أمر أرباب الديوان، ويفصلهم من غرمائهم بأحكام السياسة ولم يكن عادة الحجاب فيما تقدم أن يحكموا فى الأمور الشرعية، فاستمر ذلك فيما بعد. وكان سبب ذلك وقوف تجار العجم بدار العدل، وذكروا أنهم لم يخرجوا من بلادهم إلا لما نزل بهم من جور التتار، وأنهم باعوا بضائعهم لعدة من تجار القاهرة، فأكلوها عليهم، وأرادوا إثبات إعسارهم على القاضى الحنفى، وهم فى سجنه، وقد فلس بعضهم. فرُسم لجرجى بإخراج غرماء التجار من

السجن، وخلاصهم مما فى قبلهم، وأنكر على القاضى الحنفى ما عمله، ومُنع من التحدث فى أمر التجار والمديونين. فأخرج جرجى التجار من السجن، وأحضر لهم أعوان الوالى، وضربهم، وخَلّصَ منهم المال شيئًا بعد شىء ومن حينئذ صارت الحجاب بالقاهرة وبلاد الشام تتصدّى للحكم بين الناس، فيما كان من شأن القضاة الحكم فيه.

وفيه ركب عرب إطفيح على بيبغا الشمسى، ونهبوا ما معه وهزموه، وخرجوا عن الطاعة، فجرد إليهم طائفة من الأمراء.

وفى هذه السنة: رتب الأمير شيخو فى كل ليلة جمعة وقتا يجتمع عنده فيه الفقهاء للمذاكرة، ويقوم الشيخ على بن الركبدار المادح، فينشد من مدائح الصرصرى ونحوه ما يطربهم، وينصرفون بعد أكلهم.

وفيه كثرت الإشاعة بمدينة حلب أن الأمير بيبغا روس نائبها يريد الفرار منها إلى بلاد العدو حتى ساءه ذلك، وقبض على عدة من العامة سمّرهم وشهرّهم، ثم أفرج عنهم.

وفيها رتب الأمير شيخو فى الجامع [١] الذى أنشأه للشيخ أكمل الدين محمد الرومى الحنفى مدرسا وشيخ صوفية، وقرّر له فى كل شهر أربعمائة درهم، وجعل عنده عشرين فقيها[٢]. وجعل خطيبه جمال الدين خليل بن عثمان الزولى، ونقله من مذهب الشافعى إلى مذهب الحنفى. وجعل به درسا للمالكية أيضًا، وولى تدريبه نور الدين السخاوى، وقرر له ثلاثمائة درهم فى كل شهر. ورتب به قراء ومؤذنين، وغير ذلك من أرباب الوظائف، وقرر لهم معاليم بلغت جملتها فى الشهر ثلاثة آلاف درهم.

وفيه قدم الشريف طفيل بن أدى من المدينة النبوية، يطلب تركة سعد فى الإمارة.

وفيه قدم صدر الدين سليمان بن محمد بن قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن عبد الحق، فخلع عليه، واستقر فى توقيع الدست.

وفى عاشر جمادى الآخرة: خلع على الأمير شيخو، وأعيد رأس نوبة، عوضا عن صرغتمش. فعند لبسه التشريف قدم البشير بولادة بعض سراريه ولدا ذكرا، فسرّ به سرورا زائدًا؛ لأنه لم يكن له ذكر[٣].

---

(١) وهو جامع شيخون انظر عنه المواعظ الاعتبار ٢/٣١٣.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٩.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٩.

وهنأه الأدباء بعدة قصائد، منها أبيات فخر الدين عبد الوهاب كاتب الدرج، قال:

بـأيْمَن سَـاعَةٍ قَـدِمَ الْوَلِيـد ... تحـفُّ بـه النجابـة والسـعود
مبـارك غـرةٍ ميمـون وجـه ... فيـوم وروده بشـرى وعيـد
لقد كـادت سروج الخيل تـأتى ... إليـه قبـل أن تـأتى المهـود
هـلالٌ سـوف تستجليه بـدرًا ... تمامـا يسـتنير بـه الوجـود
وشبلٌ سَوف يَبدُو وهو ليـثٌ ... تـروع مـن بسـالته الأسـود
وزهـر عـن قريـب منه تجنـى ... ثمـار كُلّهـا كـرم وجُـودُ
وفجر سوف يظهر منه صبـح ... وَجوهـرة تُـزان بهـا العقـود
وأبنـاء الكـرام هُـمُ الكـرَام ... كذلـك فرعـك الزاكـى يسود
أيـا مـن نفعـه عـمّ البَرايَـا ... ويـا مـن سعيه سـعى حميـد
ومـن لِلْمـلْـك منـه أجـل ذخـر ... إلى أبوابـه يـأوى الطريـد
ومـن لـولاه لم تسـكن خطـوب ... ولم تكتـم مواضيهـا الغُمـود
ومـن قـد شـدّ للإسـلام أزرا ... وَأَيْـدَه وَإن رغـم الحسُـود
لقـد وَافَـاكَ مـولـود كريم ... يسـرّك فيـه ذو العـرش المجيد

وفى هذا اليوم: قدم البريد من صفد بأن فى يوم الجمعـة سلخ جمادى الأولى ظهر بقرية حطين، من عمل صفد، شخص ادعى أنه السلطان أبو بكر المنصور ابـن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، ومعـه جماعـة تقدير عشرة أنفار فلاحين. فبلغ ذلك الأمير علاء الدين ألطنبغا برناق نائب صفـد، فجهـز إليـه دواداره شـهاب الديـن أحمـد، وناصر الدين محمد بن البتخاصى الحاجب، فأحضره. فجمع له النـائب النـاس والحكـام، فادعى أنه كان فى قوص، وأن واليها عبد المؤمـن لم يقتلـه، وأنـه أطلقـه، وركـب فـى البحر، ووصل إلى قطيا، وبقى مختفيـا فـى بـلاد غـزة إلى الآن، وأن لـه دادة مقيمـة فـى غزة، عندها النمجاة والقبة والطير فقال النائب: «إذا كنت فـى تلـك الأيـام جاشـنكيرا، وكنت أمد السماط بكرة وعشيًا، وما أعرفك؟». فأقام مصرًا على حاله، وانفسـدت لـه عقول جماعة، وما شكوا فى ذلك. فكشف أمره من غزة، فوجدت المرأة التى ذكر أنهـا دادته، واعترفت أنها أمه، وأنه يعتريه جنون منذ سنين فى كل سنة مرتين وثلاثا. وذكـر أهل غزة أنه يعـرف بـأبى بكـر بـن الرمـاح، ولـه سيرة قبيحة، وأنـه ضـرب غـير مـرة بالمقارع. فكتب بحمله، فخشبه نائب صفد فى يديه ورجليه، وجعل الحديـد فـى عنقـه، وحمله إلى السلطان. فقدم قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء ثامن عشره، فسئل بحضرة الأمـراء، فخلط فى كلامه، وهذى هذيانًا كثيرًا. ثم قُدِّم بين يدى السلطان، فتكلم بما سولت لـه

نفسه. فسمّر في يوم الخميس عشريه تسمير سلامة، وشهّر بالقاهرة ومصر. فكان في تلك الحالة يتحدث أنه كان سلطانًا، ويقول: «اشفقوا على سلطانكم، فعن قليل أعود إليكم». فاجتمع حوله عالم كثير، وأتوه بالشراب والحلوى، وحادثوه. فكان إذا أتى إليه أحد بالماء حتى يشربه يقول له: «اشرب ششنى». وإذا رأى أميرًا قال: «هذا مملوكي ومملوك أبي». ويقول: «لي أسوة بأخي الناصر أحمد، وأخي الكامل شعبان وأخي المظفر حاجي [1] الكل قتلوهم». وأقام على الخشب يومين، ثم حبس في ثالثه، فاستمر في الحبس على حاله، فقطع لسانه.

وفيه ادعى شخص بالقاهرة النبوة، وأن معجزته أن ينكح امرأة فتلد من وقتها ولدًا ذكرًا يخبر بصحة نبوته. فقيل له: «إنك لبئس النبي». فقال: «لكونكم لبئس الأمة». فسُجن، وكشف عن أمر؛ فوجد له اثنا عشر يومًا منذ خرج من عند الممرورين بالمارستان، وأنه أخذ غير مرّة وهو مجنون، فعمل عند الممرورين [2].

وفي يوم الإثنين رابع عشريه: سمر ابن مغنى، ومعه جماعة قبض عليهم الأمير مجد الدين بن موسى الهذباني الكاشف، من معدية زفتية.

وفي مستهل رجب: قدم الأمير أزدمر الأعمى الكاشف، وقد كمل تحضير أراضي الوجه القبلي، واطمأن أهله. وطلب أزدمر الإعفاء من كشف الوجه القبلي، فخلع عليه واستقر في كشف الوجه البحري، عوضًا عن مجد الدين بن موسى الهذباني.

وفيه قدم كتاب الملك المجاهد على من اليمن بوصوله إلى بلاده، وأنه جهز تقدمته، وأوفى التجار أموالهم التي اقترضها، وأنه أطلق مراكب التجار لتسير، إلا أنه منعها أن ترسى بجدة وتعبر إلى مكة كراهة في أمرائها.

وفي يوم الأربعاء عاشر رجب: قدم كتاب الأمير أرغون الكاملي نائب الشام، يتضمن أنه قبض على قاصد الأمير منجك الوزير، بكتابه إلى أخيه الأمير بيبغا روس نائب حلب، يحسن له الحركة. وقد أرسله الأمير أرغون الكاملي، فإذا فيه أنه قد اتفق مع سائر الأمراء على الأمر، «وما بقى إلا أن تركب وتتحرك». فاقتضى الرأى التأني حتى يحضر الأمراء والنائب من الغد إلى الخدمة، ويقرأ الكتاب عليهم، ليدبّروا الأمر على ما يقع عليه الاتفاق.

---

(١) انظر الأحداث التي شارك فيها السلوك٢/٥٤٦، ٦٣٠، ٧١٠، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٦، ٧٣٥، ٧٣١، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٧، ٧٥٤، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٩٤، ٨٤٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٩

فلما طلع الجماعة من الغد إلى الخدمة لم يحضر منجك، فطلب فلم يوجد، وذكر أتباعه أنه من عشاء الآخرة لم يعرفوا خبره. فركب الأمير صرغتمش فى عدة من الأمراء، وكبس بيوت جماعة، فلم يوقف له على خبر. وافتقدوا مماليكه، ففقد منهم اثنان. فنودى عليه فى القاهرة، وهدد من أخفاه. وأخرج عيسى بن حسن الهجان فى جماعته من عرب العايد على النجب لأخذ الطرقات عليه، وكتب إلى العربان ونواب الشام وولاة الأعمال على أجنحة الطيور بتحصيله، فلم يقدر عليه، فكبست بيوت كثيرة. وكان قد خرج فى يوم الخميس حادى عشره الأمير فارس الدين البكى بألفه، والأمير طشتمر القاسمى بألفه إلى غزة، فأخر أمرهم(١).

وفى يوم الأربعاء رابع عشريه: قدم البريد من دمشق بعصيان الأمير بيبغا روس نائب حلب، واتفاقه مع الأمير أحمد الساقى نائب حماة، والأمير بكلمش نائب طرابلس(٢). فجرد فى يوم السبت سابع عشريه جماعة من الأمراء وأجناد الحلقة إلى الصعيد، منهم عمر شاه الحاجب، وقمارى الحاجب، ومحمد بن بكتمر الحاجب، وشعبان قريب يلبغا. وكتب لبيبغا روس نائب حلب بالحضور إلى مصر، على يد سنقر وطيدمر من مماليك الحاج أرقطاى وكتب معهما ملطفات لأمراء حلب تتضمن أنه إن امتنع عن الحضور فهو معزول، ورسم لهما أن يُعلما بيبغا بذلك أيضًا مشافهة بحضرة الأمراء (٣).

فقدم البريد من دمشق بموافقة ابن دلغادر لبيبغا روس، وأنه تسلطن بحلب، وتلقب بالملك العادل، وأظهر أنه يريد مصر لأخذ غرمائه، وهم طاز وشيخو وصرغتمش وبزلار وأرغون الكاملى نائب الشام. فرسم للنائب بيبغا ططر حارس الطير بعرض مقدمى الحلقة، وتعيين مضافيهم من عبرة أربعمائة دينار الإقطاع فما فوقها؛ ليسافروا. فقدم البريد بأن قراجا بن دلغادر قدم حلب فى جمع كبير من التركمان، فركب بيبغا روس وقد واعد نائب حماة ونائب طرابلس على مسيرة أول شعبان، وأنهم تلقوه بعساكرهم على الدستن (٤).

فركب الأمير أرقطاى الدوادار الكبير البريد بملطفات لجميع أمراء حلب وحماة ونائب طرابلس، فقدم دمشق وبعث بالمطلفات لأصحابها، فوجد أمر بيبغا روس قد

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢١٠/١٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢١٠/١٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢١٠/١٠.

(٤) بلدة قديمة بين حمص وحماة على نهر العاصى.

قوى، ووافقه النواب والعساكر وابن دلغادر تركمانه وكسابته، وجبار بن مهنا بعربانه فكتب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام بأن سفر السلطان لابدّ منه، «وإلا خرج عنكم الشام جميعه». فاتفق رأى الأمراء على ذلك، وطُلب الوزير علم الدين عبد الله ابن زنبور، ورُسم له بتهيئة بيوت السلطان وتجهيزه الإقامات فى المنازل، فذكر أنه ما عنده مال لذلك، فرسم له بقرض ما يحتاج إليه من التجار، فطلب الكارم وبَاعَهُم غلالا من الأهراء بالسعر الحاضر، وعدّة أصناف أخرى، وكتب إلى مغلطاى بالإسكندرية بقرض أربعمائة ألف درهم، فأجاب إليها. وأُخذ من ابن منكلى بغا ستمائة ألف درهم، وأُنعم عليه بإمرة طبلخاناه. وأُخذ من الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب مائة ألف درهم قرضًا، ومن الأمير بلبان السنانى أستادار مائة ألف درهم. فلم يمض أسبوع حتى جَهّز الوزير جميع ما يحتاج إليه، وحمل الشعير إلى العريش، وحمل فى الخزانة أربعمائة تشريف، منها خمسون أطلس بحوائص ذهب[1].

وخرج الأمير طاز فى يوم الخميس ثالث شعبان، ومعه الأمير بزلار، والأمير كلتاى أخو طاز، وفارس الدين ألبكى ثم خرج الأمير طيبغا المجدى وابن أرغون النائب، فى يوم السبت خامسه.

وخرج الأمير شيخو فى يوم الأحد سادسه فى تجمل عظيم، فبينا الناس فى التفريج على طُلبه إذ قيل قُبض على منجك. وسبب ذلك أن الأمير طاز رَحَل فى يوم السبت، فلما وصل بلبيس قيل له إن رجلا من بعض أصحاب منجك صحبة شاروشى مملوك قوصون، فطلبهما طاز، وفحص عن أمرهما، فرأى به بعض شىء فأمر بالرجل ففتش، فإذا معه كتاب منجك لبيبغا روس تضمن أنه قد فعل كل ما يختاره، وجهز أمره مع الأمراء كلهم، وأنه أخفى نفسه، وأقام عند شاورشى أياما، ثم خرج من عنده إلى بيت الحسام القصرى أستاداره، وهو مقيم حتى يكشف خبره، وهو يستحثه على الخروج من حلب. فبعث الأمير طاز بالكتاب إلى الأمير شيخو، فوافى والأطلاب خارجة. فطلب الأمير شيخو الحسام القصرى[2]، وسأله فأنكر، فأخذ الأمير صرغتمش وعاقبه، ثم ركب إلى بيته بجوار الجامع الأزهر وهجمه، فإذا منجك ومملوكه، فأركبه مكتوف اليدين إلى القلعة؛ فَسُفِّر إلى الإسكندرية.

وفى يوم الإثنين سابعه: ركب السلطان إلى الرّيدانية، وجعل الأمير قبلاى نائب الغيبة ورتب أمير على الماردينى فى القلعة، ومعه الأمير كشلى السلاح دار؛ ليقيما

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢١٠، ٢١١.

(٢) فى النجوم «الحسام الصقرى» ١٠/٢١٢

داخل القلعة، ويكون على باب القلعة الأمير أرنال [١] والأمير قطلوبغا الذهبى، ورُتّب الأمير مجد الدين موسى الهذبانى مع والى القاهرة لحفظها. واستقل السلطان بالمسير من الريدانية يوم الثلاثاء ثامن شعبان بعد الظهر، فقدم البريد بأن الأمير طقطاى الدوادار خرج من دمشق يريد مصر، وأن الأمير أرغون الكاملى نائب الشام لما بلغه خروج بيبغا روس من حلب فى ثالث عشر رجب، ومعه قراجا بن دلغادر وجبار بن مهنا، وقد نزل بكلمش نائب طرابلس وأمير أحمد نائب حماه على الرستن فى انتظاره، عزم أرغون كذلك على لقائه. فبلغه مخامرة أكابر أمراء دمشق عليه، فاحترس على نفسه، وصار يجلس بالميدان وهو لابس آلة الحرب. ثم اقتضى رأى أمير مسعود بن خطير أن النائب لا يلقى القوم، وأنه ينادى بالعَرْض للنفقة فى منزلة الكسوة، ويركب إليها، فإذا خرج العسكر إليه بمنزلة الكسوة منعهم من عبور دمشق، وسار بهم إلى الرملة فى انتظار قدوم السلطان. ففعل أرغون ذلك، وأنه مقيم على الرملة بعسكر دمشق، فإن ألطنبغا برناق نائب صفد سار إلى بيبغا روس فى طاعته، وأن بيبغاروس وصل إلى حماه، واجتمع مع نائبها أحمد، وبكلمش نائب طرابلس، وسار بهم إلى حمص، فلقيه مملوك أرقطاى بكتاب السلطان ليحضر، فقبض عليهما وقيدهما، وسار يريد دمشق، فبلغه مسير السلطان بعساكره، واشتهر ذلك فى عسكره، وأنه قد عُزل من نيابة حلب، فانحلت عزائم كثير ممن معه، وأخذ فى الاحتفاظ بهم والتحرز منهم، إلى أن قدم دمشق يوم الخميس خامس رجب، فإذا أبواب المدينة مغلقة والقلعة محصنة. فبعث بيبغا روس إلى الأمير أياجى نائب القلعة يأمره بالإفراج عن الأمير وقردم، وأن يفتح أبواب المدينة. ففتح أياجى أبواب دمشق، ولم يفرج عن قردم. فركب أمير أحمد نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس من الغد، ليعبرا على الضياع، فوافى نجاب بخبر مسك منجك، ومسير السلطان من خارج القاهرة. وعاد أحمد وبكلمش فى يوم الإثنين رابع عشره، وقد نزل الأمير طاز بمن معه المزيرب فارتج عسكر بيبغا روس، وتواعد فراجا بن دلغادر وجبار ابن مهنا على الرحيل، فما غربت الشمس يومئذ إلا وقد خرجا بأثقالهما وأصحابهما، وسارا فركب بيبغا روس فى أثرها، فلم يدركهما، وعاد بكرة يوم الثلاثاء فلم يستقر قراره حتى دقت البشائر بالقلعة، وأعلن أهلها بأن الأمير طاز والأمير أرغون نائب الشام وافيا، وأن الأمير شيخو والسلطان ساقه. فبهت بيبغاروس، وتفخذ عنه من معه، وركب عائدًا إلى حلب فى تاسع عشر شعبان فكانت إقامته أربعة وعشرين يوما، أثر أصحابه فيها بدمشق وأعمالها آثارا قبيحة، من النهب والسبى والحريق والغارات على

---

(١) فى النجوم «أريان» ١٢١/١٠

الضياع من حلب إلى دمشق، كما فعل المغول أصحاب غازان. فبعث السلطان الأمير أسندمر العلائى والى القاهرة ليبشر بذلك، فقدم إلى القاهرة يوم الجمعة خامس عشريه. فدقت البشائر وطبلخاناه الأمراء، وزينت القاهرة سبعة أيام. وجبى من الأمراء والدواوين والولاة ومقدمى الحلقة الذين لم يسافروا ثمن الشقق الحرير التى تفرش إذا قدم السلطان، وكان قدم إليه من صفد الأمير أيتمش الناصرى، فكان يرجعه عن كثير من ذلك.

وأما السلطان فإنه التقى مع الأمير أرغون الكاملى نائب الشام على بدعرش من عمل غزة، وقد تأخر معه الأمير طاز بمن معه. فدخل السلطان بهم إلى غزة، وخلع على نائب الشام، وأنعم عليه بأربعمائة ألف درهم، وأنعم على أمير مسعود بألف دينار، وأنعم على كل من أمراء الألوف بدمشق بألفى دينار، وعلى كل من أمراء الطبلخاناه بعشرة آلاف درهم، وعلى كل من أمراء العشرات بخمسة آلاف درهم، فكانت جملة ما أنفق فيهم ستمائة ألف درهم.

وتقدم الأمير شيخو والأمير طاز والأمير أرغون الكاملى نائب الشام بمن معهم إلى دمشق، وتأخر الأمير صرغتمش صحبة السلطان ليدبر العسكر. وتبعهم السلطان، فكان دخوله دمشق فى يوم الخميس مستهل رمضان، وقد خرج الناس إلى لقائه، وزينت المدينة زينة حفلة، فكان يوما مشهودا. ونزل السلطان بالقلعة، ثم ركب منها فى غده يوم الجمعة ثانيه إلى الجامع الأموى فى موكب جليل، حتى صلى به الجمعة. وكان الأمراء قد مضوا فى طلب بيبغا روس، فقدم خبرهم فى يوم الإثنين خامسه بنزول الأمير شيخو والأمير طاز على حمص، وأنه قد بلغهم مسك بيبغا روس وأمير أحمد نائب حماه وجماعة. فدقت البشائر بالقلعة، ثم تبين كذب هذا الخبر[١].

وفى يوم الأربعاء سابعه: رسم بعود أجناد الحلقة ومقدميها وأطلاب الأمراء إلى القاهرة، فخرجوا فيه من دمشق أرسالا. وكانت جماعة من العسكر قد تخلفوا بغزة، فقدموا القاهرة فى رابعه، وقدم الأجناد وأطلاب الأمراء إلى القاهرة فى خامس عشريه.

وأما بيبغا روس فإنه قدم حلب فى تاسع عشرى شعبان، وقد حفرت خنادق تجاه أبوابها، وغلقت الأبواب وامتنعت القلعة، ورمته رجالها بالمنجنيق والحجارة، وتبعهم من فوق الأسوار من الرجال بالرمى عليه. وصاحوا عليه فبات بمن معه، وركب من الغد يوم الخميس أول شهر رمضان للزحف على المدينة، وإذا بصياح عظيم، والبشائر

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢١٠/١٠ وما بعدها.

تدق فى القلعة، والرجال يصيحون: «يا مُنَافِقين! العسكر وَصَل». فالتفت بيبغا روس بمن معه، فإذا البيارق والصناجق نحو جبل جوشن [1] فانهزموا بأجمعهم نحو البر. ولم يكن ما رَأَوْه على جبل جوشن عسكر السلطان، ولكنه جماعة من جند حلب وطرابلس وحماة كانوا مختفين من عسكر بيبغا روس عند خروجه من دمشق، فساروا فى أعقابه رجاء أن يدركهم عسكر السلطان. فلما حضر بيبغا روس إلى حلب أجمعوا على كبسه، وراسلوا أهل جبل بانقوسا [2] بموافاتهم، وجمعوا عليهم كثيرا من العربان. وركبوا أول الليل، وترتبوا بأعلا جَبَل جوشن، ونشروا الصناجق. فعندما أشرقت الشمس ساروا، وهم يصرخون صوتا واحدًا، فلم يثبت بيبغا روس ولا أصحابه، وولّوا ظنًا منهم أنه عسكر السلطان. فإذا أهل بانقوسا قد أمسكوا عليهم طرق المضيق، وأدركهم العسكر، فتبدّدوا وتمزقوا، وقد انعقد عليهم الغبار حتى لم يكن أحد ينظر رفيقه. فأخذهم العرب وأهل حلب قبضًا باليد، ونهبوا الخزائن والأثقال، وسلبوهم ما عليهم من آلة الحرب.

ونجا بيبغا روس بنفسه، وامتلأت الأيدى بنهب ما كان معه، وهو شىء يجل عن الوصف؛ لكثرته وعظم قدره. وتتبع أهل حلب أمراءه ومماليكه، وأخرجوهم من عدة مواضع، فظفروا بكثير منهم، فيهم أخوه الأمير فاضل، والأمير ألطنبغا العلائى مشد الشر ابخاناه، وألطنبغا برناق نائب صفد، وملكتمر السعيدى وشادى أخو أمير أحمد نائب حماة، وطيبغا حلاوة الأوجاقى، وابن أيدغدى الزرّاق أحد أمراء حلب، ومهدى شاد الدواوين بحلب، وأسنباى قريب بن دلغادر، وبهادر الجاموس، وقلج أرسلان أستادار بيبغا روس، ومائة من مماليك الأمراء؛ فقيد الجميع وسجنوا. وتوجه مع بيبغا روس أمير أحمد نائب حماة، وبكلمش نائب طرابلس، وطشتمر القاسمى نائب الرحبة، وآقبغا البالسى، وصصمق، وطيدمر، وجماعة تبلغ عدتهم نحو مائة وستة عشر[3]. فدخل الأمراء حلب، وبعثوا بالمماليك إلى دمشق، وتركوا الأمراء المقيدين بسجن القلعة. وركب الحسام العلائى إلى طرابلس، فأوقع الحوطة على موجود نائبها، بكلمش؛ وتم إيقاع الحوطة بحماة على موجود أمير أحمد.

وكتب الأمراء إلى قراجا بن دلغادر بالعفو عنه، والقبض على بيبغا روس ومن معه، وكان بيبغا روس قد قدم عليه، فركب وتلقاه، وقام له بما يليق به. فلما وقف قراجا بن

(١) جبل مطل على حلب فى غربيها.

(٢) قرية من قرى حلب.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢١٤، ٢١٥.

دلغادر على كتب الأمراء أجاب بأنه ينتظر فى القبض عليه مرسوم السلطان به، وإرسال الأمان لبيبغا روس، وأنه مستمر على إمرته، فلما جُهز له ذلك امتنع من تسليمه. فطُلب رمضان من أمراء التركمان، وخُلع عليه بإمرة قراجا بن دلغادر وإقطاعه. وعاد الأمراء من حلب، واستقر بها الأمير أرغون الكاملى نائبًا، عوضًا عن بيبغا روس وقدموا دمشق ومعهم الأمراء المسجونون، يوم الجمعة سلخ رمضان، وركبوا مع السلطان لصلاة العيد، والأمير مسعود بن خطير حامل الجتر على السلطان حتى عبر الميدان فصلى بهم تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى قاضى العسكر صلاة العيد، وخطب ومُدَّ السماط بالميدان، فكان يومًا مذكورًا.

وفى يوم الإثنين ثالثه: جلس السلطان بطارمة [1] قلعة دمشق، ووقف الأمير شيخو وطاز وسائر الأمراء بسوق الخيل تحت القلعة. وأخرج الأمراء المسجونون فى الحديد، ونودى عليهم: «هذا جزاء من يخامر على السلطان، ويخون الإسلام» [2] ووسطوهم واحدًا بعد واحد، وهم ألطنبغا برناق، وطيبغا حلاوة، ومهدى شاد الدواوين بحلب، وأسنبغا التركمانى، وألطنبغا الثلاثى شاد الشرابخاناه، وشادى أخو أمير أحمد نائب حماه؛ وأعيد ملكتمر السيدى إلى السجن[3].

وفيه قبض على ملك آص شاد الدواوين بدمشق، وساطلش الجلالى، ومصطفى، والحسام مملوك أرغون شاه، وأمير على بن طرنطاى البشمقدار، وابن جودى، وقردم أمير آخور، وأخرجوا إلى الإسكندرية، ومعهم ملكتمر السعيدى، ونفى مقبل نقيب الجيش إلى طرابلس[4].

وفيه خلع على الأمير أيتمش الناصرى، واستقر فى نيابة طرابلس، عوضًا عن بكلمش. وأنعم على أمير مسعود بن خطير بإقطاع قردم، وأنعم على كل من ولديه بإمرة طبلخاناه واستقر الأمير طنيرق فى نيابة حماة، عوضًا عن أمير أحمد الساقى. واستقر شهاب الدين أحمد بن صبح[5] فى نيابة صفد، ورسم بإقامة الأمير طيبغا المجدى بدمشق، على إمرة.

---

(١) الطارمة : بيت من خشب يكون سقفه على جهة قبة، لجلوس السلطان . انظر المواعظ الاعتبار ٣٥/١،٢/٤٤٤.

(٢) فى النجوم «ويخون الإيمان» ٢١٥/١٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢١٥/١٠.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢١٥/١٠.

(٥) فى النجوم «أحمد بن صبيح» ٢١٥/١٠.

وتوجه الأمير يلبك والأمير نوروز إلى مصر.

وفى يوم الجمعة سابعه: صلى السلطان الجمعة، وخرج من دمشق يريد مصر. فكانت إقامته بها سبعة وثلاثين يومًا.

وأما القاهرة فإن مماليك الأمراء وأجنادهم كانت تركب فى مدة غيبة السلطان كل ليلة من عشاء الآخرة، وتتفرق فى نواحى المدينة وظواهرها؛ لحفظ الناس فإذا رأوا أحدًا يمشى ليلا حبسوه، حتى يتبين أمره، ولم يبق حانوت ولا زقاق إلا وعليه قنديل يشمل طول الليل. وطلب الأمير قبلاى النائب مقدمى الوالى، وألزمهم أن يقوموا بجميع ما يصرف فى القاهرة وظواهرها. وانتدب الأمير مجد الدين موسى الهذبانى، والأمير ناصر الدين محمد بن الكورانى؛ لحفظ مدينة مصر. ورتب جماعة لحفظ بيوت المتجر، فى البر والبحر. فلم يعدم لأحد شىء سوى سرقة متاع من حانوت يهودىّ، فضرب الأمير قبلاى النائب مقدمى الوالى بالمقارع حتى أحضروا متاع اليهودى له.

واتفق أن ابن الأطروش محتسب القاهرة مر بسوق الشرابشيين، وابن أيوب الشرابيشى فى حانوته. وكان أيوب هذا يعتريه جنون فى بعض الأحيان، فأخذ يسب المحتسب ويهزأ به، ثم وثب إليه وألقاه عن بغلته، وركب صدره. فما خلصه الناس منه إلا بعد جهد، وأقاموه من تحت ابن أيوب، وقد تباعدت عمامته وانكشف رأسه. فطلع ابن الأطروش إلى الأمير قبلاى النائب، وأخبره بما جرى عليه، فأحضر الأمير قبلاى ابن أيوب، وضربه وحبسه.

وفيه حدثت زلزلة فى رمضان، والناس فى صلاة العشاء الآخرة.

وفى سابع عشره: خرج الأمير أرنان والأمير قطلوبغا الذهبى، والأمير علم دار إلى الصعيد فى البر والبحر، بسبب نفاق العربان، وقطع الطرقات على المسافرين، وتشليح الأجناد.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرى شوال: قدم السلطان، ومشى بفرسه على شقاق الحرير التى فرشت له، وخرج الناس إلى لقائه ورؤيته، فكان يومًا مشهودًا لم يتفق مثله لأحد من أخوة السلطان الذين تسلطنوا.

وعندما طلع السلطان القلعة تلقته أمه وجواريه وأخوته، ونثر عليه الذهب والفضة، وقد فرشت له طريقه بشقاق الحرير الأطلسى، ولم يبق بيت من بيوت الأمراء إلا وفيه الأفراح والتهانى. وفيه يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة:

الصالح الملك المعظم قدره　　يطوى له الأرض البعيد النازح
لا تعجبوا من طيها لمسيره　　فالأرض تطوى دائمًا للصالح

وعم الموت أهل جزيرة الأندلس، إلا مدينة غرناطة، فإنه لم يصب أهلها منه شيء، وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم. فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها، مرّت بهم ريح، فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة. ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، وأموالهم ليس لها من يحفظها، فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى فنجا من بقى منهم بنفسه، وعادوا إلى بلادهم، وقد هلك أكثرهم، والموت قد فشا بأرضهم، بحيث مات منهم فى ليلة واحدة عدد عظيم، وماتت مواشيهم ودوابهم كلها.

وعمّ الموتان أرض إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى، وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها. ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاة إذا ذبحت وجد لحمها منتنًا قد اسود. وتغيّر أيضًا ريح السمن واللبن، وماتت المواشى بأسرها.

وشمل الوباء أيضًا أرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت بها فى كل يوم مائة. ثم مات بالإسكندرية فى اليوم مائتان، وشنع ذلك حتى أنه صلى فى يوم الجمعة بالجامع الإسكندرى دفعة واحدة على سبعمائة جنازة. وصاروا يحملون الموتى على الجنويات والألواح وغلقت دار الطراز لعدم الصناع، وغلقت دار الوكالة [1] لعدم الواصل إليها، وغلقت الأسواق وديوان الخمس، وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة دينار. وقدمها مركب فيه إفرنج، فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير يحوم فى غاية الكثرة، فقصدوه، فإذا جميع من فيه من الناس موتى، والطير تأكلهم، وقد مات من الطير أيضًا شيء كثير، فتركوهم ومرّوا، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم.

وفشى الموت بمدينة دمنهور، وتروجة، والبحيرة كلها حتى عمّ أهلها، وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحرى سائر الضمانات، والموجبات السلطانية. وشمل الموت أهل البرلس نستراوه، وتعطّل الصيد من البحيرة لموت الصيادين. وكان يخرج بها فى المركب عدة من الصيادين لصيد الحوت، فيموت أكثرهم فى المركب، ويعود من بقى منهم، فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله. ووُجد فى حيتان البطارخ شيء

---

(١) المقصود بها: فندق لنزول التجار وبضائعهم للبيع والشراء.

منتن، وفيه على رأس البطرخة كبة قدر البندقة قد اسودّت ووُجد في جميع زراعات البرلس وبلحها وقثائها دود، وتلف أكثر تمر النخل عندهم. وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحرى، لا يوجد من يدفنها. وعظم الوباء بالمحلة حتى أن الوالى كان لا يجد من يشكو إليه، وكان القاضى إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحدًا إلا بعد عناء لقلتهم، وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها. وعمّ الوباء جميع تلك الأراضى، ومات الفلاحون بأسرهم، فلم يوجد من يضمّ الزرع.

وزهد أرباب الأموال فى أموالهم، وبذلوها للفقراء. فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين مستوفى الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة فى جماعة، فدخلوا سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه [(١)] ونحوها من البلاد، وأخذوا مالا كثيرًا لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم.

وعجز أهل بلبيس وسائر بلاد الشرقية عن ضمّ الزرع؛ لكثرة موت الفلاحين. وكان ابتداء الوباء عندهم من أول فصل الصيف، وذلك فى أثناء ربيع الآخر. فجافت الطرقات وغير ذلك. وألزم محمد بن الكورانى والى مصر بتحصيل بنات ابن زنبور، فنودى عليهن. ونُقل ما فى دور صهرى ابن زنبور، وسُلِّما لشاد الدواوين. وعاد الأمير صرغتمش إلى القلعة. فطلب السلطان جميع الكتاب وعرضهم، وعين الموفق هبة الله بن إبراهيم للوزارة، وبدر الدين كاتب يلبغا لنظر الخاص، وتاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن الغنام لنظر الجيش، وأخاه كريم الدين لنظر البيوت، وابن السعيد لنظر الدولة، وقشتمر مملوك طقزدمر لشد الدواوين.

وفى يوم الأحد تاسع عشريه: خلع عليهم. فأقبل الناس إلى طلب الأمير صرغتمش للسعى فى الوظائف، فولى أسعد حربة استيفاء الدولة، وولّى كريم الدين أكرم بن شيخ ديوان الجيش. وسلم الأمير صرغتمش المقبوض عليهم لشاد الدواوين، وهم الفخر بن قزوينة ناظر البيوت، والفخر بن مليحة ناظر الجيزة، والفخر مستوفى الصحبة، والفخر ابن الرضى كاتب الاصطبل، وابن معتوق كاتب الجهات، وأكرم الملكى. وطُلب التاج ابن لفيتة ناظر المتجر وناظر المطبخ، وهو خال ابن زنبور، فلم يوجد، وكسبت بسببه عدة بيوت حتى أخذ. وصار الأمير صرغتمش ينزل ومعه ناظر الخاص وشهود الخزانة، وينقل حواصل ابن زنبور من مصر إلى حارة زويلة بالقاهرة فأعياهم كثرة ما وجدوا له. وتتبِّعت حواشى ابن زنبور، وهُجمت دور كثيرة بسببهم، عدم لأربابها مال عظيم.

---

(١) بمديرية الغربية حاليا.

وفى يوم الإثنين مستهل ذى القعدة: قدم البريد من نائب حلب بمائة وعشرين منشورًا للتركمان، ويستأذن فى تجريد عسكر حلب إلى ابن دلغادر.

وفيه نزل الأمير صرغتمش إلى بيت ابن زنبور بالمصاصة[1] وعدم منه ركغًا دُلَّ عليه، فوجد فيه خمسة وستين ألف دينار حملها إلى القلعة. وطلب الأمير صرغتمش ابن زنبور، وضربه عريانًا، فلم يعترف بشىء، فنزل إلى بيته، وضرب ابنه الصغير وأمه تراه فى عدة أيام حتى أسمعته كلاما جافيا؛ فأمر بها، فعُصِرت.

وأخذ ناظر الخاص فى كشف حواصل ابن زنبور بمصر، فوجد له من الزيت والشيرج والنحاس والرصاص والكبريت والعكر والبقم[2] والقند[3] والسكر والعسل وسائر أصناف المتجر ما أذهله، فشرع فى بيع ذلك. هذا، والأمير صرغتمش ينزل بنفسه وينقل قماش ابن زنبور وأثاثه إلى حارة زويلة، ليكون ذخيرة للسلطان. فبلغت عدة الحمالين الذين حملوا النصافى والتفاصيل، وأوانى الذهب والفضة، والبلور والصينى والكفت، والسنجاب والملابس الرجالية والنسائية، والزراكش والجواهر واللآلىء، والبسط الحرير والصوف، والفرش والمقاعد، وأوانى الذهب والفضة زنة ستين قنطارا، ومن الجوهر زنة ستين رطلا، ومن اللؤلؤ كيل أردبين، ومن الذهب الهرجة[4] مبلغ ثلاثين ألف دينار وأربعة آلاف دينار[5]، ومن الحوائص ستة آلاف حياصة، ومن الكلفتاه الزركش ستة آلاف كلفتاه، ومن ملابس ابن زنبور نفسه عدة ألفين وستمائة فرجية، ومن البسط ستة آلاف بساط، ومن الصنج لوزن الذهب والفضة بقيمة خمسين ألف درهم، ومن الشاشات ثلاثمائة شاش. ووُجد له من الخيل والبغال ألف رأس، ودواب عاملة ستة آلاف رأس، ودواب حلابة ستة آلاف رأس، ومن معاصر السكر خمسة وعشرون معصرة، ومن الإقطاعات سبعمائة إقطاع، كل إقطاع متحصله خمسة وعشرون ألف درهم فى السنة. ووُجد له مائة عبد، وستون طواشى وسبعمائة جارية، وسبعمائة مركب فى النيل، وأملاك قُوِّمت بثلاثمائة ألف دينار، ورخام بمائتى ألف درهم، ونحاس بأربعة آلاف دينار، وسروج وبدلات عدة خمسمائة. ووُجد له اثنان وثلاثون مخزنا، فيها من أصناف المتجر ما قيمته أربعمائة ألف

---

(١) فى النجوم «بالصناعة» ٢١٩/١٠.

(٢) هو شجر يصبغ به، ويعطى لونا أحمر، ويسمى العندم.

(٣) هو عصارة قصب السكر.

(٤) انظر المواعظ الاعتبار ٢٩٢/٢.

(٥) فى النجوم «مائتى ألف دينار وأربعة الأف دينار»؛ ٢١٩/١٠

دينار. ووُجد له سبعة آلاف نطع (١) وخمسمائة حمار، ومائتا بستان، وألف وأربعمائة ساقية، وذلك سوى ما نهب، وسوى ما اختلس، على أن موجوده أبيع بنصف قيمته. ووُجد له فى حاصل بيت المال مبلغ مائة ألف وستين ألف درهم، وفى الأهراء نحو عشرين ألف أردب(٢).

وكان مبدأ أمره أنه باشر استيفاء الوجه القبلى، وتوجه إليه صحبة الأمير علم الدين أيدمر الزراق، وهو كاشف. فنهض فيه، وشكرت سيرته، إلى أن عرض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الكتاب فى أيام النشو ليختار منهم من يوليه كاتب الإصطبل؛ وكان ابن زنبور من جملتهم، وهو شاب، فأثنى عليه الفخر ناظر الجيش، وساعده الأكوز. فخلع عليه السلطان الناصر محمد، واستقر به كاتب الإصطبل، عوضا عن ابن الجيعان فنال فى مباشرة الإصطبل سعادة طائلة. وأعجب به السلطان لفطنته، وشَكَره مَنْ تحت يده، حتى مات السلطان الناصر محمد.

ثم استقرّ ابن زنبور مستوفى الصحبة فى أيام المنصور أبى بكر، وانتقل منها فى وزارة نجم الدين محمود وزير بغداد إلى نظر الدولة. ثم أخرجه جمال الكفاة لكشف القلاع، فقدم إلى مصر بعد موته. ثم استقر فى نظر الخاص بعناية الأمير أرغون العلائى؛ ثم أضيف إليه نظر الجيش، وجمع بعد مدة إليهما الوزارة. ولم يتفق لأحد قبله بالجمع بين الوظائف الثلاث(٣).

وعظم ابن زنبور إلى الغاية، حتى إنه كان إذا خرجت الخيول لأرباب الوظائف من إصطبل السلطان، يخرج له ثلاثة أرؤس، وإذا خُلع عليه خلع عليه ثلاث خلع. ونفذت كلمته، وقويت مهابته، وفخمت سعادته، واتجر فى جميع الأصناف حتى فى الملح والكبريت، وربح فى سنة واحدة من المتجر زيادة على ألف ألف درهم، منها فى صنف الزيت الحار خاصة مائة ألف وعشرة آلاف. فكثرت حساده، وعَادته الكتاب لضبطه، وأحصوا عليه جميع ما يتحصل له.

فلما ولى الأمير صرغتمش بعد الأمير شيخو رأس نوبة، أغروه به، فإنه كان يحمل لشيخو مال الخلص، وهو الذى عمر له العمارة التى على النيل من ماله، وكان يقوم له بما يفرقه من الحوائص على مماليكه ونحو ذلك، حتى تغيّر صرغتمش وصار صرغتمش

---

(١) بساط من أديم أو من جلد انظر محيط المحيط (نطع).

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٠

يسمع شيخو الكلام الكثير بسببه، فيقول له: «قد كثرت القالة فيك بسبب ابن زنبور، وأنه يحمل إليك كل ما يتحصل من الخاص، وأنه قد كثر ماله. فلو مكنتنى أخذت للسلطان مالاً ينقصه». فيدافع شيخو عنه، ويعتذر له بأنه إذا قبض عليه لا يجد من يسدّ مسدّه، وإن كان ولابد فيقُرر عليه النشو مال يحمله، وهو على وظائفه. وبينما هو فى ذلك إذ قدم خبر مخامرة بيبغا روس، فاشتغل عنه صرغتمش، وخرج إلى الشام، وفى نفسه منه ما فيها. وصار صرغتمش يتجّهم لابن زنبور، ويسمعه ما يكره، إلى أن أرجف بمسكه، وهو يسترضيه، ويحمل له أنواع المال فلا يرضى، حتى أعيى ابن زنبور أمره. وحدّث ابن زنبور شيخو بدمشق بما هو فيه مع صرغتمش، فطيب شيخو خاطره بأنه مادام حيا لا يتمكن منه أحد؛ فركن لقوله. وأخذ صرغتمش يغرى الأمير طاز بابن زنبور حتى وافقه على مسكه، فقوى به على شيخو؛ ووكّل يثقله لما توجه من دمشق من يحرسه، وهو لا يشعر[1]. فلما وصل السلطان خارج القاهرة أشيع أنه يعبر من باب النصر ويشق القاهرة، فاجتمع لرؤيته عالم عظيم، وأشعلوا له الشموع والقناديل. فدخل ابن زنبور على بغلة رائعة بزنارى أطلس، فى موكب جليل إلى الغاية، وبين يديه جميع المتعممين من القضاة والكتاب، وقد أعجب بنفسه إعجابًا كثيرًا، والناس تشير إليه بالأصابع. فكانت تلك نهايته، وقبض عليه كما تقدم.

وانتدب جماعة بعد مسك ابن زنبور للسعى فى هلاكه، وأشاعوا أنه وُجد فى بيته عدة صلبان، وأنه لما دخل إلى القدس فى سفرته هذه بدأ بكنيسة القيامة، فقبل عتبتها، وتعبّد فيها، ثم خرج إلى المسجد الأقصى فأراق الماء فى بابه، ولم يصلّ فيه، وكانت صدقته على النصارى بكنيسة القيامة، ولم يتصدق على أحد من فقراء المسلمين بالقدس. فأثبتوا فى ذهن صرغتمش أنه باق على النصرانية، ورتبوا فتاوى تتضمن أنه ارتد عن الإسلام. وكان أجلّ من قام عليه الشريف شرف الدين نقيب الأشراف، والشريف أبو العباس الصفراوى، وبدر الدين ناظر الخاص، والصوّاف تاجر صرغتمش. فأول ما بدأوا به من نكايته أن حسنوا لصرغتمش حتى بعث إليه الصدر عمر وشهود الخزانة، فشهدوا عليه فى مكتوب، أن جميع ما بيده من الدور والبساتين والأراضى - مَا وَقفه منها وما هو طلق - جميعه اشتراه من مال السلطان دون ماله، وأنه ملك للسلطان ليس فيه شىء قلّ أو جلّ. ثم حسّنوا له ضر به، فأمر به فأخرج بكرة يوم وفى عنقه باشة[2] وجنزير، وضرب عريانا قدام باب قاعة الصاحب من القلعة. ثم أعيد إلى موضعه، وعُصر، وسقى

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٢٠، ٢٢١

(٢) حلقة ذات عروة وزر، تجعل فى طرف القيد، فتحيط برسغ الدابة عند الربط. انظر محيط المحيط.

الماء والملح. ثم سُلّم لشاد الدواوين، وأُمِر بقتله، فنوَّع عقوبته. فمنع الأمير شيخو من قتله، فأمسك عنه، ورتب له الأكل والشرب، وغيرت عنه ثيابه، ونقل من قاعة الصاحب إلى بيت الأمير صرغتمش.

وفي يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة: قبض على الأمراء قمارى الحموى، وشعبان قريب يلبغا، ومحمد بن بكتمر الحاجب، ومأمور، وحملوا إلى الإسكندرية، فسجنوا بها، ماعدا شعبان فإنه أخرج إلى دمشق.

وفيه قدمت رسل الأشرف بن جوبان أنه يريد محاربة أرتنا نائب الروم، وطلب ألا يدخل السلطان بينهما، فأجيب عن ذلك.

وفي يوم الإثنين خامس عشره: قدم الأمير ناصر الدين بن المحسنى.

وفي أول ذي الحجة: قُرِّر على أتباع ابن زنبور مال، وأفرج عنهم، فكانت جملة ذلك ستمائة وسبعين ألف درهم.

وفي خامسه: وصل أمير على الماردينى نائب الشام إلى دمشق، صحبة الأمير عز الدين أزدمر الخازاندر متسفره، وركب أمير على الموكب على العادة.

وفي يوم الإثنين ثامن عشريه: قدم البريد من حلب بأخذ أحمد الساقى نائب حماة، وبكلمش نائب طرابلس، من عند ابن دلغادر، وقد قبضهما. فدخلا حلب في حادى عشريه، وسجنا بقلعتها، فأجيب الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بالشكر والثناء، وأنه يشهّر المذكورين بحلب، ويقتلهما، وجهز لنائب حلب خلعة[1].

وفيه قدم الخبر من غزة بكثرة الأمطار التى لم يعهد بغزة مثلها، وأنه هدم عدة بيوت كثيرة منها على أهاليها، وسقط نصف دار النيابة، وسكن النائب بجامع الجاولى، وتلف ما زرع من كثرة المياه. ثم سقط ثلج كثير حتى تعدّى العريش.

وفيه كانت الأمطار بأراضٍ كثيرة جدا، وسقط الثلج بناحية بركة الحبش وعلى الجبل، وبأراضى الجيزة.

وأما النيل فإن القاع جاء ثلاثة أذرع وثلث، وتوقفت الزيادة أياما. ثم زاد في كل يوم ما بين أربعين وثلاثين وعشرين أصبعًا، حتى كان الوفاء، في يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الآخرة، وثالث عشر مسرى، ونودى بزيادة عشر أصابع من سبعة عشر ذراعا، وانتهت زيادته إلى ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر أصبعا.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٢.

وفيها وقع بدمشق حريق عظيم، عند باب جيرون، عدم فيه الباب النحاس الأصفر الذى لم يُرَ مثله، ويزعم أهل دمشق أنه من بناء جيرون بن سعيد بن عاد بن أرم بن سام بن نوح.

وفيها ولى الأمير بكتمر المؤمنى شاد الدواوين، عوضا عن الأمير يلك أمير آخور بعد موته بغزة. وكان قد توجه إلى الحجاز، فتوجه النجاب لإحضاره حتى قدم، واستقرّ بعناية الأمير شيخو وتعيينه له.

وفيه تولى نظر خزانة الخاص قاضى القضاة تاج الدين محمد بن محمد بن أبى بكر الأخنائى، ثم استعفى منها بعد القبض على ابن زنبور، فولى عوضه تاج الدين الجوجرى.

* * *

ومات فيها من الأعيان

أرتنا نائب الروم من قبل بوسعيد.

وتوفى بدر الدين حسن بن على بن أحمد الْغزّى، المعروف بالزغارى، الدمشقى الأديب الشاعر، عن نيف وخمسين سنة بدمشق، فى ليلة الخميس حادى عشر رجب، ومولده سنة ست وسبعمائة[١].

وتوفى العضد عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار العراقى، شارح المختصر والمواقف. ولى قضاء مملكة أبى سعيد[٢].

وتوفى الأمير فاضل أخو بيبغا روس بحلب، وكان عسوفا.

ومات الأمير يلك[٣] أمير آخور بغزة، وهو عائد إلى القاهرة[٤].

وتوفى شمس الدين محمد بن سليمان القفصى، أحد نواب المالكية بدمشق.

وتوفى بهاء الدين محمد بن على بن سعيد، والمعروف بابن إمام المشهد، الفقيه الشافعى بدمشق، فى ثامن عشرى رمضان، وقد أناف على الستين، وولى حسبة دمشق، وقدم القاهرة.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٥/١٠.

(٢) كان إماما بارعا مفتيا فقيها مصنفا، وله اليد الطولى فى علم العقول وعلم المنقول. انظر النجوم الزاهرة ٢٢٥/١٠.

(٣) هو الأمير سيف الدين تلك بن عبدا لله الناجرى.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٦/١٠.

وتوفى شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر، المعروف بابن القيسرانى، كاتب السرّ بدمشق، وهو بطّال، عن نيف وخمسين سنة.

وتوفى ناظر الخزانة تاج الدين ابن بنت الأعز.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن بيليك الحسنى، والى دمياط. وكان فقيها شافعيا، شاعرًا أديبًا، نظم كتاب التنبيه فى الفقه، وكتب عدة مصنفات[1].

ومات الأمير منكلى بغا الفخرى، قدم الخبر بوفاته مستهل جمادى الأولى.

ومات الحاج عمر مهتار السلطان، يوم الجمعة ثانى جمادى الأولى.

ومات سيف الدين خالد بن الملوك بالقدس، فى أول رمضان.

ومات الأمير تمر بغا، ليلة الأربعاء رابع عشرى رجب.

* * *

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٦/١٠.

سنة أربع وخمسين وسبعمائة

شهر الله المحرم، أوله الخميس:

فيه قدم الخبر من متولى مدينة قوص بقدوم رسل الملك المجاهد على بن المؤيد داود ابن المظفر يوسف بن منصور عمر بن على بن رسول متملك اليمن، إلى عيذاب، بهدية. فتوجه الأمير آقبجا الحموى لملاقاتهم، وصحبته الإقامات من الأنزال والعلوفات والطبائخ، ونحو ذلك.

وفى يوم الأربعاء سابعه: قدم البريد من حلب بالقبض على الأمير قراجا بن دلغادر مقدم التركمان، فسرّ أهل الدولة بذلك.

وفيه قدم الأمير جنتمر أخو طاز برأسى الأمير بكلمش والأمير أحمد الساقى، وقد قتلا بحلب.

وفى هذا الشهر: حملت رُمّتا والد الأمير طاز، وأخيه جركس. وكان أبوه قدم إلى مصر من بلاد الترك فى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، فتلقاه وأكرمه، وأدخله فى دين الإسلام وختنَه. ثم توجه أبوه هذا بعد مدة عائدًا إلى بلاده، بحجة أن يسوق بقية أهله، فهلك بالمعرة، ودفن بها، فبنى نائب حلب على قبره تربة. ثم لما توجه الأمير طاز بالعسكر إلى حلب، هلك أخوه جركس، فدفنه بالمعرة مع أبيه، ثم بدا له فى نقلهما إلى مصر، فنقلهما فى هذا الشهر، ودفنهما خارج باب المحروق، ظاهر القاهرة، فى تربة أنشأها هناك، ورتب بها القراء وغير ذلك من أرباب الوظائف، وجعل لها أوقافا دارة، وعمل لقدومهما عدة مجتمعات ختم فيها القرآن الكريم على قبريهما. وحضر تلك المجتمعات معه الأمراء والأعيان، فاحتفل لذلك احتفالا زائدا.

وفى ثامن عشره: قدم شيخ الشيوخ زكىّ الدين الملطى من بلاد الهند، فتلقاه طوائف الناس، وطلع قلعة الجبل. فخلع عليه بين يدى السلطان، وحمل على بغلة رائعة بزنارى، واستقرّ على ما كان عليه فى مشيخة الخانكاه الناصرية بسرياقوس. وقد تقدم سفره فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين، فكانت غيبته بالهند عشر سنين وتسعة أشهر، وعاد بغير طائل. و لم يرض الأمير صرغتمش بولايته.

وفى يوم السبت سابع عشريه: أعيد الوزير ابن زنبور إلى تسليم قشتمر شاد

الدواوين، وأمر بقتله، فعاقبه بقاعة الصاحب من قلعة الجبل أشد عقوبة. فشق ذلك على الأمير شيخو، وعتب الأمير طاز والأمير صرغتمش، وأغلظ فى القول، ومنع من التعرض لابن زنبور، وأخرجه بعد المغرب من ليلة الإثنين تاسع عشريه، وحمله فى النيل إلى قوص. وكانت مدة شدته ثلاثة أشهر.

ولما قدم الحاج أخبروا أن الشريف عجلان مضى قبل قدُوم الحاج إليه من مكة يريد جدة؛ لأخذ مكس التجار الواردين فى البحر. فبعث إليه أخوه ثقبة يطلب نصيبه من ذلك، فأبى عجلان أن يدفع له شيئًا، فركب إليه ولقيه. فلما نزلا غدر ثقبة بعجلان، وقبض عليه وقيده، وأسلمه لمن يحفظه، وركب ليأخذ أموال عجلان من وادى نخلة. فلما أبعد ثقبة فى السير أفرج الموكلون بعجلان عنه، وأطلقوه، فرمى نفسه على عرب بالقرب منه، وتذمّم منهم. فأنزلوه عندهم، وأركبوه ليلا، وصاروا به إلى بنى حسن وبنى شعبة؛ وأقام عجلان معهم خارج مكة حتى قدم الحاج. وكان قد بلغ ذلك ثقبة، فعاد يريد عجلان، ففاته.

ومن الأخبار كذلك أن الحاج لما قدم مكة لم يجد بها أحدًا من بنى حسن ولا من العبيد، وأن أسعار مكة رخية، وأن المجاهد باليمن منع التجار من المجىء إلى مكة غيظا من أمرائها.

وفى أول صفر: قام الأمير صرغتمش فى أمر أوقاف ابن زنبور يريد حلها وبيعها، وقد حسَّن له ذلك الشريف شرف الدين على بن الحسين بن محمد نقيب الأشراف، والشريف أبو العباس الصفراوى، ولقناه فى ذلك أمورا يحتج بها، منها أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما قبض على كريم الدين الكبير أراد أخذ أوقافه، فلم يوافقه على ذلك قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، فندب السلطان من شهد على كريم الدين بإشهاده له على نفسه أن جميع ما ملكه من العقار وغيره - وقفُه وطلقُه - هو من مال السلطان دون ماله. فلما ثبت ذلك بطريقة صارت أملاك كريم الدين بأجمعها للسلطان، فأقرّ ما كان منها وقفًا على حاله، وسماه الوقف الناصرى، وتصرف فيما ليس بوقف.

فلما اجتمع القضاة الأربعة بدار العدل من قلعة الجبل فى يوم الخدمة السلطانية على العادة، كلمهم الأمير صرغتمش فى حل أوقاف ابن زَنبُور، فاشتدّ عليه قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة فى الإنكار لذلك، وساعده قاضى القضاة مُوَفَّق الدين عبد الله الحنبلى، وجبه صرغتمش بكلام خشن، وقال له: «أخربت البلد بشرّك يا

صبى». هذا وصرغتمش يحاججهم، ويذكر قضية أوقاف كريم الدين، فأجاباه بأن كريم الدين كانت بيده جميع أموال السلطان كلها، ما بين خزانته وحواصله ومتاجره، يتصرف فيها برأيه، فلهذا ساغ أن يثبت الإشهادُ عليه بأن جميع أملاكه وعقاراته وغيرها إنما هى من مال السلطان دون ماله. وأما مَن له مال من متجر، أو اكتسبه من مباشرة ونحوها، فليس لأحد أن يتعرض لماله، ولا يجوز نَقْضُ شيء وقفه من ذلك، ولا أخذُ ما ملكه أو وهبه من يد مَنْ هو فى أيديهم، فإن جميع تصرفاته فى ماله سَائِغةٌ بطريقها. فذكر لهم صرغتمش أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه شاطر عماله، ومالُ الوزير جميعه إنما هو مال السلطان. فعرّض له قاضى القضاة عز الدين بذكر الشريفين على بن حسين وأبى العباس الصفراوى، وقال يا أمير: «إن كنت تبحث معنا فى هذه المسألة بحثنا معك، وإن كان أحد ذكرها لك فليحضر حتى نناظره فيها، فإنه ما قصد بذكر هذه المسألة إلا مصادرة سائر الناس، وأخذ أموالهم»، وقاموا على الامتناع والإنكار على من يريد هذا ونحوه.

وكان صرغتمش قد وعد أم السلطان بالدار المعروفة بالسبع قاعات من أوقاف ابن زنبور، فبعث لقاضى القضاة عز الدين فى ذلك، فخوفها عاقبة ذلك، ومازال بها حتى أعرضت عن طلبه. فشقّ ذلك على الأمير صرغتمش، واشتدّ حنقه حتى مرض عدة أيام مرضًا خيف عليه منه، فتصدّق بأموال جزيلة على الفقراء، وافتك أهل السجون. وفى أثناء ذلك اتفق الأميران شيخو وطاز على عزل صرغتمش من وظيفة رأس نوبة، ليقلّ شره وتنحطّ رتبته، ويعود الأمير شيخو رأس نوبة. فلما عوفى صرغتمش نزل من القلعة إلى إصطبله المجاور لمدرسته، فأشعلت له الشموع، وفرح به سكان الصليبة، وتصدق صرغتمش بمال كبير.

وفيه اجتمع الأمراء بالقصر بين يدى السلطان، فى الخدمة على العادة، وذكروا أمر توقف حال الدولة من قلة حاصل بيت المال وخزانة الخاص، وأن الوقت محتاج إلى نظر الأمير شيخو. وكان الأمير شيخو منذ خرج من وظيفة رأس نوبة، ووليها الأمير صرغتمش، ترك التحدث فى أمر الدولة لصرغتمش، وصار كالمشير. فلما عينه الأمراء فى هذا اليوم للتحدث كما كان امتنع عليهم، فمازالوا به حتى ألبوه التشريف، وولى على عادته، بعد ما شرط عليهم ألا يتحدث أحد فى أمر جليل ولا حقير غيره، فأجابوا إلى ذلك.

وفيه خلع أيضًا على الأمير ناصر الدين محمد بن بدر الدين بيليك المحسنى، واستقر مشير الدولة، رفيقًا للصاحب موفق الدين، على قاعدة الأكوز فى الدولة الناصرية.

وفيه استقر سيف الدين قطلو شاد الدواوين أمير طبلخاناه، كما كان لؤلؤ مع الأكوز، وقيل للوزير ألا يفصل أمرًا دونهما، وخرجوا من الخدمة. فجلس ابن المحسنى من داخل الشباك بدار الوزارة من القلعة تجاه الوزير، وأمر بكتابة كلف الدولة. وأقبل الناس إلى باب الأمير شيخو، فصارت أمور الدولة كلها تصدر عنه حتى الإقطاعات.

وفيه رسم بإبطال المقايضات والنزولات فى الإقطاعات، فبطل ذلك بعد ما كان قد فحش الأمر فيه، وأخذ كتاب الجيش منه مالا جزيلا. فتعطل كتاب الجيش بسبب ذلك ولاسيما بعد أن رسم لهم ألا يأخذوا رسمًا فى كل منشور أو محاسبة سوى ثلاثة دراهم، وكان رسم ذلك عشرين درهمًا.

وفيه استقرّ أن الوزير والمشير ونحوهما يحضرون كل يوم إلى مجلس الأمير شيخو، ويطالعونه بما تحصل وانصرف، ويحضر إليه ناظر الجيش من الأشغال ما شاء، حتى تعطل حكم الأمير قبلاى نائب السلطنة.

وفى ربيع الأول: ورد الخبر بوصول الصاحب علم الدين بن زنبور إلى قبرص سالما، وقد نفى إليها.

وفيه رُفعت يد ناظر الخاص من وقف الصالح إسماعيل وفُوِّض نظره إلى الأمير عز الدين أزدمر الخازندار.

وفيه قدم الخبر بوصول الأمير بيبغا روس إلى حلب وقتله، فكُتب إلى الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بالشكر والثناء، وعُمِل وحمل إليه تشريف، وأُمر أن يعمل الحيلة فى إحضار قراجا بن دلغادر، وجُهِّز إليه تشريف برسمه، وتقليد تقدمة التركمان فاستدعاه الأمير أرغون الكاملى نائب حلب ليلبس التشريف السلطانى، ويقرأ عليه التقليد بحضرة أمراء حلب، فاعتذر عن حضوره.

فلما قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بذلك، كتب له بالركوب إليه ومحاربته، فاعتذر بأنه قد حلف له قبل ذلك بأنه إن سيّر إليه بيبغا روس لا يحاربه. فشقّ ذلك على الأمراء، وكتبوا إليه بالإنكار عليه، وجُهِّز له الأمير عز الدين طقطاى الدوادار، ومعه الكتب إلى نواب الشام بنجدة الأمير أرغون الكامل نائب حلب على قتال ابن دلغادر، فسار طقطاى فى يوم الإثنين مستهل شهر ربيع الآخر.

وفيه انحطت رتبة الشريف أبى العباس الصفراوى، بمنع الأمير شيخو له من عبوره إلى داره وصعوده إلى القلعة. فثار عليه أعداؤه، ونفوه من الشرف، وشنعوا عليه؛ فالتجأ الشريف أبو العباس إلى الأمير طاز حتى كفّ عنه من يقاومه.

وفى يوم الخميس رابعه: سُمِّر عيسى بن حسن شيخ العايد.

وفيه أعرس الأمير أَخُو طاز بابنة الأمير آقسنقر، أنعم عليه بسبعة آلاف دينار ومائتى قطعة قماش، وعمل له مهم جليل.

وفيه قدم من المدينة النبوية جماعة يشكون من قاضيها شمس الدين محمد بن سبع، فعين عوضه بدر الدين إبراهيم بن أحمد بن عيسى الخشّاب، فلم يجب حتى اشترط ألا يقيم بها سوى سنة واحدة، وأن تستقرّ وظائفه التى بالقاهرة بيد نوابه؛ فأجيب بدر الدين إلى ذلك، وولى قضاء المدينة.

وعزل أيضًا عن قضاء الإسكندرية لسوء سيرته، وولى عوضه الرَّبْعى.

وفيه استقر صدر الدين سليمان بن عبد الحق فى نظر الأحباس، عوضًا عن شمس الدين بن الصاحب.

وفى يوم السبت حادى عشر ربيع الآخر: قدمت رسل المجاهد صاحب اليمن، ومعهم ابنه الملك الناصر، وعمره إحدى عشرة سنة. فأنزلوا بالميدان، ونزل إليهم الأمير طاز حتى عرضت عليه الهدية، ثم تمثلوا بين يدى السلطان بهديتهم، قَدْرُ ستين رأسًا من الرقيق بقية ثلاثمائة ماتوا، ومائتى شاش، وأربعمائة قطعة صينى، ومائة وخمسين نافجه [١] مسك وقرن [٢] زبّاد وعدة تفاصيل، ومائة وخمسين قنطارًا من الفلفل وأشياء ما بين زنجبيل وعنبر وأفاويه، وفيل واحد؛ وذلك سوى هدية لكل من الأمير شيخو، وطاز، وقبلاى نائب السلطنة، وللوزير علم الدين بن زنبور. فحملت الهدية السلطانية إلى الصاحب موفق الدين؛ فلم يرض الأمراء بذلك، فإن هدية المؤيد للملك الناصر محمد بن قلاوون كان فيها قدر ألفى شاش.

ومع ذلك فإنه أنفق على الرسل منذ قدموا عيذاب إلى وصلوا إلى الميدان نحو مائتى ألف درهم، وخلع على الجميع وتقرر لهم فى كل يوم خمسمائة درهم، ولم يبق أحد من الأمراء، حتى عمل لهم ضيافة.

وفى يوم الجمعة سابع عشره: صلى قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة بالسلطان الجمعة على العادة، ثم اجتمع بالسلطان وعنده الأمير شيخو، واستعفى من القضاء، فإنه عزم على الحج والمجاورة، واعتذر بكبر سنه. فلم يجب إلى ذلك، فما زال يتلطّف ويترفق حتى أجيب، بشرط أن يعين للقضاء من يختاره. فعين صهره وخليفته

---

(١) النافجة هنا وعاء خاص من جلد، يوضع فيها المسك، ويقال إنها كلمة فارسية معربة، وجمعها نوافج. (محيط المحيط).

(٢) مكحلة لحفظ الزباد والزباد نوع من الطيب يستعمل لمداواة الزكام. محيط المحيط.

على الحكم قاضى العسكر تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى، فولاه السلطان القضاء، وأشهد عليه بذلك فى غيبته؛ وانفضوا على ذلك. فامتنع المناوى من القبول، فما زال به قاضى القضاة عزّ الدين حتى قَبل، فى يوم السبت ثامن عشره. وَوَلّى المناوى سهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد الحلبى المعروف بالسَّين وغيره، فبادر الناس للسعى فى وظائفه، وكانت جليلة، وكتب المناوى لبهاء الدين أحمد بن تقى الدين بن على بن السبكى بقضاء العسكر.

وما أذّن عصر يوم السبت حتى اجتمع عند الأمير شيخو نحو ستين قصة رفعت إليه بالسعى فى وظائف المناوى، فقام قاضى القضاة جمال الدين عبد الله الحنفى، وقاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلى، فى عود ابن جماعة إلى القضاء؛ ومازالا بالأمير شيخو حتى بعث بالأمير عز الدين أزدمر الخازندار إليه، فتلطف به إلى أن أجاب إلى استقراره فى القضاء على عادته، وأنه يتوجه إلى الحجاز، ويستخلف على الحكم والأوقاف إلى أن يعود أو تدركه الوفاة. فاستُدْعى ابن جماعة فى يوم الإثنين خامس عشريه، وجُدِّدت له ولاية ثانية، وخُلع عليه، ونزل فى موكب عظيم إلى داره.

وفى يوم السبت: المذكور توجه عز الدين أيدمر السِّنانى إلى الشام، وقدم الأمير طقطاى الدوادار من حلب، وقد ألزم الأمير أرغون الكاملى نائب حلب حتى سار لحرب ابن دُلغادر وأتاه نواب القلاع حتى صار فى عشرة آلاف فارس، سوى الرجّالة والتركمان. ونزل الأمير أرغون الكاملى على الأبلستين، فنهبها وهدمها، وتوجه إلى قراجا بن دلغادر، وقد امتنع بجبل عال، فقاتلوه عشرين يومًا، فقتل فيها وجرح عدد كثير من الفريقين. فلما طال الأمر نزل إليهم قراجا بن دلغادر، وقاتلهم صدرًا من النهار قتالا شديدًا، فاستحرّ القتل فى تركمانه، وانهزم إلى جهة الروم، فأخذت أمواله ومواشيه. وصعد العسكر إلى جبل، فوجدوا فيه من الأغنام والأبقار ما لا يكاد ينحصر، فاحتَوَوا عليها، بحيث ضاقت أيديهم عنها، وأبيع الرأس من البقر بعشرين إلى ثلاثين درهمًا، والرأس من الضأن بثلاثة دراهم، والإكديش من أربعين إلى خمسين درهمًا. وسبيت نساؤه ونساء تركمانه وأولاده، وبيعوا بحلب وغيرها بالهوان، فكانت خيار بناته تباع بخمسمائة درهم؛ وظفروا بدفائن فيها مال كبير.

وفى هذا الشهر: أعلن بعض النصارى الواردين من الطور بالقدح فى الملة الإسلامية، فأحضر إلى القاضى تاج الدين المناوى، وسأله المناوى عن سبب قدومه، فقال: «جئت أعرفكم أنكم لستم على شىء، ولا دين إلا دين النصرانية، وما قلت هذا

إلاّ لكى أموت شهيدًا» فضربه المناوى بالمقارع ضربًا مبرحا مـدة أسبوع، وهـو يقـول: «عجل على القتل حتى ألحق بالشهداء»، فيقول له: «ما أعجـل عليـك غـير العقوبـة» ثـم ضُربت عنقه، وأحرقت جثته.

وفيه قدم البريد من حلب بأن ابن دلغادر لما انهزم تبعه العسكر، وأسروا ولديه ونحـو الأربعين من أصحابه، ونجا بخاصة نفسه إلى ابن أرتنا، وقـد سبق الكتـاب إليـه بإعمـال الحيلة فى قبضه. فأكرمـه ابـن أرتنـا وآواه، ثـم قبـض عليـه وحملـه إلى حلـب، فدخلهـا وسجن بقلعتها فى ثانى عشرى شعبان. فكُتب إلى الأمير أرغون الكـاملى نـائب حلـب بحمله إلى مصر، وأنعم عليه بخمسمائة ألف درهم، منها ثلاثمائة ألـف مـن مـال دمشـق، وباقيه من مال حلب. وأعفى الأمير أرغون من تسيير القَود الـذى جـرت عـادة نـواب حلب بحمله إلى السلطان من الخيل والجمال البخاتى والهجن والعـراب [1] ومـن البغـال والقماش والجوارى والمماليك، وقيمته خمسمائة ألف درهم. فعظـم بذلـك شـأن الأمـير أرغون الكاملى نائب حلب، فإنه مع صغر سنه كان لـه أربعـة مماليك أمـراء، ولـه ولـد عمره ثلاث سنين أمير مائة مقدم ألف، فلما مات هذا الولد أضيفت تقدمتـه إلى إقطـاع النيابة، وكان لأربعة من أخوته القادمين من البلاد وأقاربه أربع إمرات.

وفى ثالث جمادى الآخرة: سافر الأمير حسـام الديـن طرنطـاى إلى البـلاد الشـامية، بعدة خيول لنواب الشام.

وفى خامسه: عزل الأمير بكتمر المؤمنى أمي آخور، واستقر عوضه الأمير قندس.

وكان من خبر آل مهنا أنهم قووا وفخم أمرهم، حتى صار من أولاد مهنا بن عيسى وأولادهم نحو مائة وعشرة، ما منهم إلا ومن له إمرة وإقطاع. فبطروا، وشـنّوا الغـارات على البلاد، وقطعوا الطرقـات علـى التجـار حتـى امتنعـت السـابلة، وذلـك بعـد مـوت السلطان الملك الناصر محمد فقبض على فياض وسجن، واستقرت الإمـرة لأخيـه جبـار، فسكن الشر، وسافرت القوافل. ثم خلص فيَّاض من السجن، بشـفاعة الأمـير مغلطـاى أمير آخُور، وركب من القاهرة، ولحق بأهله، فلما خامر بيبغا روس كُتـب لـه بـالإمرة، فبعث أولاده بتقدمته. ثم قدم سيف بن فضل، فولى الإمـرة، وعُـزل فيـاض، فلـم يحـرك ساكنا حتى توجه الأمير أرغون الكاملى نائب حلـب لقتـال ابـن دلغـادر، فكـثر طمعـه وفساده. ثم ركب جبار وفياض ابنا مهنا إلى إقطاعاتهم التى خرجت عنهـم لسـيف بـن فضل وبريد بن تتر، وقسموها ورفعوا مغلاتهـا. فلـم يُطـق سيف معـارضَتهم، لقوتهـم

(١) هى الخالصة الخالية من التهجين. انظر محيط المحيط (عرب).

وكثرة جمعهم، فبعث يعرفهم أن هذه البلاد قد أقطعها له السلطان، فردّا عليه جوابا جافيا. فكتب إليهما الأمير أرغون الكاملى نائب حلب يعتب عليهما، فلم يذعنا له، فكتب إلى السلطان والأمراء بذلك، فكتب إليهما بالقدوم إلى الحضرة، فاعتذرا عن الحضور. فتوجه الأمير قشتمر الحاجب لإحضار الجميع على البريد فى نصف شعبان، فلم يوافقاه، وأجابا بالاعتذار، فعاد قشتمر. وقدم عمر بن موسى بن مهنا به بقوده، وسعى فى الإمرة، فأدركه سيف بن فضل بعد حضور الأمير قشتمر، وسعى حتى استقر على إمرته شريكا لعمر بن موسى.

وفيه أيضًا كثر عبث العربان ببلاد الصعيد، وقووا على المقطعين، وقام من شيوخهم رجل أحدب، فجمع جمعًا كبيرًا، وتسمى بالأمير. فقدم الخبر فى شعبان بأنهم كبسوا ناحية ملوى، وقتلوا بها نحو ثلاثمائة رجل، ونهبوا المعاصر، وأخذوا حواصلها وذبحوا أبقارها، وأن عرب منفلوط والمراغة وغيرهم قد نافقوا، وقطعوا بعض الجسور بالأشمونين. فوقع الاتفاق على الركوب عليهم بعد تخضير الأراضى بالزراعة، وكتب إلى الولاة بتجهيز الإقامات.

وفى يوم السبت سابع عشرى جمادى الآخرة: عمل الأمير طاز وليمة عظيمة بداره التى عمرها برأس الصليبية عندما كملت، حضرها السلطان وجميع الأمراء، فلما انقضى السماط قدّم الأمير طاز للسلطان أربعة أرؤس خيل مسرجة ملجمة بسروج ذهب وكنابيش ذهب مطرز، ولكل من الأميرين شيخو وصرغتمش فرسين، ولمن عداهما من الأمراء كل واحد فرسًا، ولم يعهد قبل ذلك أن أحدًا من ملوك الترك بمصر نزل إلى بيت أمير.

وفيه ورد كتاب الأمير أيتمش نائب طرابلس، ومعه محضر ثابت على قاضيها، يتضمن أن امرأة من أهل طرابلس اسمها نفيسة جميلة الصورة تزوجت بثلاثة أزواج ولم يقدر واحد منهم على بكارتها، من غير مانع منهم، وظنوا أنها رتقاء وطبقوها واحدًا بعد واحد. فلما بلغت خمس عشرة سنة غر ثدياها، واعتزاها النوم ليلا ونهارًا، وصار يخرج من فرجها شيء قليلا قليلا إلى أن تشكل منه ذكر صغير وأنثيين فكتمت أمرها إلى أن خطبها رجل رابع، ولم يبق إلا العقد عليها، فأطلعت أمها على أمرها، فاشتهر ذلك بطرابلس، وأعلم به الأمير أيتمش النائب، فكتب به محضرًا وجهزه إلى السلطان.

وبرز المذكور بين الناس، وتسمى عبد الله، وسار إلى دمشق، ووقف بين يدى نائبها أمير على، فسأله عن حاله فأخبره بما ذُكر فأخذه الحاجب كجكن عنده، وأخبر أنه احتلم ثلاث مرات منذ صار ذكرًا، فى مدة ستة أشهر. ثم نبتت له لحية سوداء، وصار

من جملة الأجناد، و لم تبق فيه من سمات النساء شيء سوى كلامه، فإن فيه أنوثة فكتب بإحضاره إلى مصر، فكان هذا من عجائب صنع ا لله. وقد ذكر شيخنا عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير فى تاريخه أنه اجتمع به.

وفيه وقف السلطان الملك الصالح ناحية سردوس من القليوبية على كسوة الكعبة، وكانت تعمل بدار الطراز، فيؤخذ حريرها من التجار بغير ثمن يرضيهم. وأضيف إليها أراضى أُخر مما تغل فى السنة مبلغ ستين ألف درهم واستقر نظرها لوكيل بيت المال فاستمر ذلك فيما بعد.

وفيه قدم الأمير طيبغا المجدى من دمشق، فلزم بيته، وبقى على إقطاعه الذى بدمشق.

وفى يوم الخميس خامس عشرى رمضان: وصل مقدم التركمان قراجا بن دلغادر، وهو مقيد فى زنجير، فأقيم بين يدى السلطان، وعددت ذنوبه. ثم أخرج إلى الحبس، فلم يزل به إلى أن قدم البريد من حلب بأن جبار بن مهنا استدعى أولادا بن دلغادر فى طائفة كبيرة من التركمان؛ لينجدوه على سيف. وكان سيف قد التجأ إلى بنى كلاب، فالتقى الجمعان على تعبئة، فانكسر التركمان وقتل منهم نحو سبعمائة رجل، وأخذ منهم ستمائة إكديش. فكتب السلطان من سرياقوس - وكان بها - إلى النائب قبلاى بقتل ابن دلغادر، فأخرجه من السجن إلى تحت القلعة ووسّطه، فى يوم الإثنين رابع عشر ذى القعدة، بعد ما أقام مسجونًا ثمانية وأربعين يوما.

وفيه عزل ركن الدين عن مشيخة الشيوخ بخانكاه سرياقوس، وأعيد.

وأما العربان، فإن الأمراء عقدوا مشورا بين يدى السلطان فى أمرهم، فتقرر الحال على التجريد إليهم، فرسم للأمير سيف الدين بزلار العمرى أن يتوجه إلى قوص بمضافيه، وللأمير سيف الدين أرلان والأمير قطلوبغا الذهبى أن يتوجها بمضافيهما إلى الواح، وتتمة ثلاثة عشر مقدمًا بمضافيهم من أمراء الطبلخاناه، وأن يكون مقدمهم الأمير شيخو، وجهزت الإقامات برًا وبحرًا. فأخذ العرب حذرهم، فتفَرقوا واختفوا، وقدمت طائفة منهم إلى مصر، فأخذوا، وكانوا عشرة. فقُبض ما وجد معهم من المال، وحمل لأمير جندار، فإنهم كانوا فلاحيه، وأتلفوا.

فلما برز الحاج إلى بركة الحجاج ركب الأمير شيخو، وضرب حلقة علىِ الركب، ونادى من كان عنده بدوى وأخفاه حلّ دمه، وفتش الخيام وغيرها، فقُبض على جماعة، فوسط بعضهم وأفرج عن بعض. ثم لما عاد السلطان إلى الجيزة كُبِسَتْ تلك النواحى، وحُذّر الناس من إخفاء العربان، فأخذ البَحْرى والبرى، وقُبضت خيول تلك

النواحي وسيوف أهلها بأسرها. وعُرضت الرجال، فمن كان معروفا أفـرج عنـه، ومن لم يعرف أُقر فى الحديد، وحمل إلى السجن. ورسم أن الفلاحين تبيع خيولهم بالسوق، ويوردون أثمانها مما عليهم من الخراج فبيعت عدة خيول، وأورد أثمانها للمقطعين، والفرس الذى لم يعرف له صاحب حمل إلى إصطبل السلطان.

وكتب للأمير عز الدين أزدمر، الكاشف بالوجه البحرى، أن يركب ويكبس البلاد التى لأرباب الجاه، والتى يأويها أهل الفساد. فقبض على جماعة كثيرة ووسطهم، وساق منهم إلى القاهرة نحو ثلاثمائة وخمسين رجلا، ومائة وعشرين فرسا، وسلاحا كثيرا. ثم أحضر الأمير أزدمر من البحيرة ستمائة وأربعين فرسا، فلم يبق بالوجه البحرى فرس؛ ورُسم لقضاة البر وعدوله بركوب البغال والأكاديش.

ثم كبست البهنسا وبلاد الفيوم، فركب الأميران طاز وصرغتمش بمن معهما إلى البلاد، وقد فرّ أهلها، واختفى بعضهم فى حفائر تحت الأرض. فقبضوا النساء والصبيان، وعاقبوهم حتى دلوهم على الرجال، فسفكوا دماء كثيرين، وعوقب كثير من الناس بسبب من اختفى، وأخذت عدة أسلحة.

واتفق بناحية النحريرية أنه شُهد على بعض نصاراها أن جده كان مسلما، فحكم قاضيها بإسلامه، وجبسه حتى يسلم. فاجتمع النصارى إلى الوالى، وأخرجوا الحبيس ليلا، فتصايحت العامة من الغضّ بالقاضى. فغضب الوالى من ذلك، وطلب القاضى لينكر عليه ما فعله فقامت العامة مع القاضى، وأغلقوا الحوانيت، واجتمعوا ليرجموا الوالى. فجمع لهم الوالى أيضًا ليوقع بهم، فحملوا عليه وهزموه حتى خرج من البلد، وهدموا كنيسة كانت بها حتى لم يبق بها جدار قائم، وأحرقوا ما بها من الصلبان والتماثيل، وعمروها مسجدا. ونبشوا قبور النصارى، وأحرقوا رممهم، وهمّوا يأخذون النصارى، فهربوا منهم، وكان يوما مهولا. فكتب الوالى إلى الأمراء والوزير بالشكاية من القاضى، وأنه ضيّع مال السلطان، وهو خمسمائة ألف درهم، بتعرضه للنصرانى حتى ثارت بسببه الفتنة. وكتب النصارى أيضًا إلى الحسام أستادار العلائى - وقد ترقى حتى صار أمير طبلخاناه - ، فقام مع النصارى، وحدّث الأمير شيخو، وشنع على القاضى، وسعى فى إلزامه بإعادة الكنيسة من ماله. فطُلب القاضى والوالى فحضرا، وعُقد مجلس حضره القضاة الأربعة بجامع القلعة، ومعهم الوزير وغيره من أهل الدولة، فانتصب الحسام لمخاصمة قاضى النحريرية، ومازالوا حتى انفضوا على غير رضى، فأغرى الأمير شيخو بقيام القضاة مع قاضى النحريرية، وهوّل الأمر، فانعقد المجلس بين

يديه، وقد امتلأ غضبًا على القاضى. فعندما استقر بهم المجلس أغلظ شيخو على القاضى، وأخذ الحسام ينهره ويخزّيه بالقول، وساعَده على هذا الأمير عز الدين إزدمر كاشف الوجه البحرى حتى يتبين الغرض. فامتعض لذلك الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود بن أحمد شيخ الجامع الشيخونى يومئذ، وله اختصاص زائد بالأمير شيخو، وأخذ يتكلم معه بالتركية فى إنكار ما قام فيه الحسام من إعادة الكنيسة، وتعصبه على القاضى للنصارى، وخوف الأمير عاقبة ذلك. فشاركه الحسام فى الكلام مع الأمير، وجرى على عادته فى إعادة الكنيسة، فصدعه الأكمل بالإنكار، وزجره ومنعه من الكلام فى هذا، وقال له: «ما يحل السلام عليك، فإنك قد خرجت من الإسلام بتعصبك للنصارى». ومازال الشيخ أكمل الدين يلحّ فى الكلام حتى رسم الأمير شيخو بالكشف عن الواقعة، لينظر من تعدى من الرجلين - القاضى أو الوالى، ووكل بهما من يحفظهما حتى يحضر الكشف [1] عن أمرهما. فلما حضر الكشف من والى المحلة، وكان قد حَسَّن أمرهما بأن ذكر أن كلا منهما أساء التدبير، رُسم بعزل الوالى والقاضى.

وفيه رسم بتجريد أجناد الحلقة إلى بلاد الصعيد، فعرض النائب قبلاى مقدمى الحلقة وعين منهم تسعين مقدما، اختار منهم خمسة وعشرين مقدما، مع كل مقدم عشرون من أجناد الحلقة؛ لتكون عدة الجملة خمسمائة فارس، فبينما هم فى تجهيز أمرهم إذ ورد كتاب الأمير بأنه لا يحتاج إلى ذلك، فبطلت تجريدتهم.

وفيها كثرت المناسر بظاهر القاهرة فى مدة غيبة السلطان، وكبسوا عدة دُور، وركبوا الخيل، وضاقت بهم الرجالة، فعظم الضرر بهم. وتتبع الوالى آثارهم حتى ظهر أنهم فى ناحية بلبيس، فكبس عليهم، وقبض منهم جماعة اعترفوا بعد عقوبتهم على بقية أصحابهم؛ فتتبعهم الولاة بالنواحى حتى أخذوهم. ورتِّب فى أثناء ذلك أربعة أمراء، وأضيف إليهم عدة من أجناد الحلقة؛ للطواف بالليل خارج القاهرة. وركب الوالى بجماعته طول الليل فى القاهرة، وسُمِّر عدد كثير من أهل الفساد بالقاهرة، وَوُسِّط خلق فى النواحى. وكتب إلى جميع أعمال الوجه البحرى بألا يدعوا عندهم مفسدًا، ولا أحدًا ممن يتجمع إليهم من بلاد الصعيد والفيوم، ومن آواهم حلّ دمه. وحُذِّر أيضًا من اقتناء الخيل بجميع الأعمال، وألزموا بإحضارها. فاشتد طلب الولاة لذلك، وقُبض على جمع كبير، وأخذت خيول وأسلحة كثيرة.

---

(١) يقصد به التحقيق فى مسألة معينة.

وفيها استسقى أهل دمشق؛ لتأخر نزول المطر بعامة بلاد الشام، حتى بلغت الغرارة من القمح إلى مائة وعشرين درهما، بعد ما كانت بثمانين درهما. فأغيثوا من ليلتهم، وأمطروا كثيرا مدة أسبوع، فنزل سعر القمح فى يومه عشرين درهما للغرارة.

وفيها كثرت تزويرات المساطير [١] وغيرها، فقام فى ذلك قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى، وتحدث مع الأمير شيخو فيه حتى رسم له بالفحص عن ذلك، ومقابلة من يفعله بما يستحقه. فكبس قاضى القضاة عدة بيوت، وأخرج منها تزاوير كثيرة، وقبض على جماعة وعاقبهم وسجنهم، ولم يقبل فيهم شفاعة أحد من الأمراء. واشتدّ الطلب على ابن أبى الحوافر، فإنه كان عجبا فى محاكاة الخطوط، وكبست داره، فوجد فيها من تزويره كتب كثيرة، ولم يقدر عليه لاختفائه.

وفيها قدم نفيس الدوادارى الداودى اليهودى التبريزى؛ لمعالجة الأمير قبلاى النائب من ضربان المفاصل، ومعه ولدَاهُ، وهو فى خنزوانة وتعاظم. فادعى دعوى عريضة، وأراد أن يركب بغلة، فلم يمكن من ذلك.

وفيها ولدت امرأة طفلين ملتصقين، لكل منهما ثلاثة أيدى وثلاثة أرجل، وليس لهما قُبُل ولا دُبُر.

وفيها انحطت الأسعار بأرض مصر، حتى بيع الأردب من القمح من عشرة دراهم إلى خمسة عشر درهما.

وفيها فشت الأمراض فى الناس بالإسكندرية والوجه البحرى كله والقاهرة مدة شهرين، وبلغ عدة الموتى فى كل يوم ما بين الخمسين إلى الستين.

وفيها وُلد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون [٢].

وفيها توجه ركب الحجاج صحبة الأمير ركن الدين عمر شاه الحاجب، وحجّ من الأمراء الأمير سيف الدين كشلى، والأمير سيف الدين بزلار والأمير سيف الدين طقطاى، والأمير شهاب الدين أحمد بن آل ملك، والأمير ناصر الدين محمد بن بكتمر الساقى، والأمير ركن الدين عمر بن طقزدمر، وحجّ الخليفة المعتضد بالله أبو بكر،

---

(١) هو ما يكتبه مدين على نفسه لدائن مثلا بمبلغ ما عليه من زين، وبميعاد الوفاء المتفق عليه.

(٢) الأشرف شعبان (٧٥٤-٧٧٨هـ= ١٣٥٣- ١٣٧٧م) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاون، أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧، ابن إياس ٢١٢/١، حسن المحاضرة ١٠٤/٢، الدرر الكامنة ١٩٠/٢، البداية والنهاية ٣٠٢/١٤-٣٣٢؛ الأعلام ١٦٤/٣.

وحجّ قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، والشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل. وأسرّ السلطانُ والأمراء مدبرو الدولة إلى أمير الحاج ومن صحبته من الأمراء أن يقبضوا على الشريف ثقبة، ويقرّرُوا الشريف عجلان بمفرده على إمارة مكة. فلما قدم الحاج بَطْن مرّ، ومضى عجلان إلى لقائهم شكا إلى الأمراء من أخيه ثقبة، وذكر ما فعله معه، وبكى. فطمنوا قلبه، وساروا به معهم حتى لقيهم ثقبة فى قواده وعبيده، فألبسوه خلعة على العادة، ومضوا حافين به نحو مكة، وهم يحادثونه فى الصلح مع أخيه عجلان، ويحسّنون له ذلك، وهو يأبى موافقتهم حتى أيسوا منه. فمدّ الأمير كشلى يده إلى سيفه فقبض عليه، وأشار إلى من معه فألقوه عن فرسه، وأخذوه ومعه ابن لعطيفة، وآخر من بنى حسن، وكبلوهم بالحديد، ففرّ القواد والعبيد. وأحضر عجلان، وألبس التشريف؛ وعبروا به إلى مكة، فلم يختلف عليهم اثنان. وسُلم ثقبة للأمير أحمد بن آل ملك، فسرّ الناس بذلك. وكثر جلب الغلال وغيرها، فانحل السعر عشرين درهما الأردب. وقُبض على إمام الزيدية أبى القاسم محمد بن أحمد اليمنى، وكان يصلى فى الحرم بطائفته، ويتجاهر، ونصب له منبرًا فى الحرم يخطب عليه يوم العيد وغيره بمذهبه. فضُرب بالمقارع ضربا مبرحًا ليرجع عن مذهبه، فلم يرجع وسجن، ففرّ إلى وادى نخلة، فلما انقضى موسم الحاج حمل الشريف ثقبة مقيدًا إلى مصر.

وبلغ النيل فى زيادته إلى ستة عشر أصبعًا من تسعة عشر ذراعا، بعد ما توقف فى ابتداء الزيادة. وكان الوفاء يوم الأحد تاسع رجب، وهو ثامن عشر مسرى، وفتح الخليج على العادة.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن هم ذكر

ومات فيها أمين الدين إبراهيم بن يوسف المعروف بكاتب طشتمر، وولى نظر الجيش فى أيام الصالح إسماعيل، ثم عزل وتوجه إلى القدس حتى أقدم الأمير شيخو، وعمله ناظر ديوانه، فمات قتيلا بحلب فى رابع عشر المحرم.

ومات الأمير بكلمش نائب طرابلس، فى أول المحرم. وأصله من مماليك صاحب ماردين، بعثه إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فترقى فى خدمته، وأنعم عليه إلى أن ولى نيابة طرابلس فى الأيام المظفرية، وكان من أمره ما ذكره.

ومات الأمير أحمد بن الساقى نائب حماة، فى أول المحرم. وأصله من الأويرانية، وبعثه نائب البيرة فى الأيام الناصرية، فأعطاه السلطان للأمير بكتمر الساقى؛ ثم أنعم عليه

السلطان بعد موت بكتمر بإمرة عشرة، ولقبه بأحمد الساقى، ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وعمله شاد الشراب خاناه. وتنقل بعد موت السلطان، فعمل أمير شكار فى الأيام المظفرية، ثم أخرج لنيابة صفد، ثم ولى نيابة حماة، حتى كان من أمره ما كان، وكان شجاعًا أهوج جهولا مقداما.

ومات الأمير بيبغا روس القاسمى، أحد المماليك الناصرية. توفى السلطان الناصر محمد ابن قلاوون وهو من خاصكيته، فترقى حتى صار فى الأيام الصالحية إسماعيل أمير طبلخاناه، وتمكن منه حتى كان الصالح لا يفارقه ساعة واحدة. ثم أنعم عليه فى الأيام الكاملية شعبان بتقدمة ألف، ثم كان من قبضه على المظفر حاجى ما كان.

ثم ولى فى الأيام الناصرية حَسَن نيابة السلطنة، فَشُكِرَت سيرته فيها، ثم قُبِض عليه بطريق الحجاز وسجن، ثم أفرج عنه. وولى نيابة حلب، وكان من عصيانه ما كان حتى لحق بقراجا بن دلغادر، فأخذه وبعث به إلى حلب، فقتل بها (١).

ومات الأمير ألجيبغا العادلى، فى سابع ربيع الآخر بدمشق؛ وكان فارسا جوادًا (٢).

ومات الأمير شعبان قريب يلبغا اليحياوى. وكان من جملة خواص ألماس الحاجب، فسجن عند مسكه مدة، ثم نفى إلى صفد. وأنعم عليه بعد مدة بإمرة، وتوجه إلى حلب فى نيابة يلبغا اليحياوى، ثم سجن بعد موت يلبغا اليحياوى مدة، ثم أفرج عنه، وأُنعم عليه بإمرة، وقدم مصر، ثم توجه إلى دمشق، فمات بها.

ومات الأمير بيغرا المنصورى أحد أمراء الألوف بديار مصر، وهو بطال بحلب، وكان خيِّرًا، وولى الحجوبية بمصر، فشكرت سيرته لجودة عقله (٣).

ومات الأمير بدر الدين مسعود بن أوحد بن مسعود بن الخطير الرومى، فى سابع شوال، ومولده ليلة السبت سابع جمادى الأولى، سنة ثلاث وثمانين وستمائة بدمشق. ترقى فى خدمة الأمير تنكز نائب الشام، وولى حاجبا بالقاهرة، ثم ولى نيابة غزة وطرابلس غير مرة؛ وكان مشكورا(٤).

ومات الشريف أمير ينبع عيسى بن حسن الهجان، فى رابع ربيع الآخر.

ومات قراجا بن دلغادر فى رابع عشر ذى القعدة.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٩/١٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٨/١٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٠/١٠، ٣٥٢/٢، ٤٣٧، ٤٧٨، ٤٨٧، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٨، ٥٥٩، ٥٧١، ٦٢٠، ٦٢٤، ٦٢٨، ٦٣٢، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٧٢، ٦٨٤، ٦٨٨.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٨/١٠.

ومات الشيخ إبراهيم بن الصائغ، فى رابع عشرى رجب.

ومات عمر بن مسافر الخواجا ركن الدين، أستاذ الأمير شيخو وغيره من المماليك العمرية، فى عشرى ربيع الآخر.

ومات الوزير علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم بن زنبور بقوص، فى يوم الأحد رابع عشر ذى القعدة.

ومات أسعد خربه، مستوفى الصحبة، وهو أحد مسالمة الكتاب، فى عشرى ذى القعدة.

ومات شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن محمد بن الشهاب محمود بن سليمان الحلبى، أحد موقعى الدست، بدمشق.

ومات شرف الدين عبد الوهاب الشهاب أحمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى، أحد موقعى الدست، بدمشق.

ومات شرف الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح، كاتب سرّ حلب بها [١].

ومات صدر الدين محمد بن الشرف محمد بن إبراهيم بن أبى القاسم الميدومى[٢] أبو الفتح الشيخ المُسْنِد المُعَمّر. حَدّث عن النجيب وغيره. ومولده سنة أربع وستين وستمائة. حدثنا عنه شيخنا سراج الدين عمر بن الملقن [٣].

وتوفى إمام الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون إمام الدين بن زين الدين بن المحدث أمين الدين أبى المعالى بن الإمام القدوة قطب الدين أبى بكر بن الفقيه أبى العباس القيسى القسطلانى، بالقاهرة فى المحرم، ومولده بمكة سنة إحدى وسبعين وستمائة[٤].

ومات جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الإمام شمس الدين أبى محمد أبى عبد الله ابن العفيف محمد بن يوسف بن عبد المنعم بن سلطان المقدسى النابلسى، ثم الدمشقى الحنبلى، فى رجب. ومولده بنابلس، فى سنة إحدى وتسعين وستمائة، حدث عن جماعة[٥].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٨٨/١٠.

(٢) نسبة إلى ميدوم، إحدى قرى بنى سويف .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٨/١٠.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٠/١٠.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٠/١٠.

ومات الفقيه المحدث تقى الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم الطائى.

ومات القيراطى المصرى ثم الدمشقى الشافعى، فى شوال. حدّث بالقاهرة ودمشق، ودرس بهما.

وقتل حسن بن هند[1]، وهو الحاكم بمدينة سنجار، وبالموصل، قتله صاحب ماردين، وكانت عساكر الشام حاصرته، ثم عادت عنه.

* * *

(١) فى النجوم «حسن بن هندوا» ١٠/٢٣٠.

سنة خمس وخمسين وسبعمائة

شهر الله المحرم أوله يوم الأحد وفى ثامن عشره: قدم الحاج، ولم يتفق بمثل هذا فيما سلف، وهلك جماعة من المشاة، وقدم الشريف ثقبة مقيدًا، فسجن.

وفى ثامن عشريه: قدم الأمير شيخو، بمن معه من بلاد الصعيد. وكان من خبره أن العربان بالوجه القبلى خرجوا عن الطاعة، وسفك بعضهم دماء بعض، وقطعوا الطرقات، وأخذوا أموال الناس، وكسروا مغلّ الأمراء والأجناد. وقتلوا الكاشف طغاى، وكسروا مجد الدين موسى الهذبانى، وأخذوا خامه وقماشه، وقتلوا بعض أجناده. وقام فى البهنساوية ابن سودى، وحشد على بنى عمه، وقتل منهم نحو الألفى رجل، وأغار على البلاد، وأكثر من القتل والنهب. ونافق أيضًا ميسرة بالأطفيحية، واقتتل مع ابن مُغنى قتالا كبيرا فاستمر هذا البلاء بالصعيد سنة كاملة، هلك فيها من العربان خلائق كثيرة؛ فمازال السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون يسوس الأمر حتى سكنت تلك الفتن، وتتبع أهل الفساد، وحرث ديارهم بالأبقار، وأفناهم بالقتل. ثم ثاروا بعد ذلك، وركبوا على بيبغا الشمسى الكاشف، وحاربوه، وتجمعوا على الفساد، ثم تبع ذلك قيام الأحدب، واسمه محمد بن واصل، ولم يكن أحدب ولكن أَقَفَص، فشُهر لذلك بالأحدب، وقام الأحدب هذا فى عرب عرك بناحية [..(1)]، وقاتل بنى هلال. فلما تغافل أهل الدولة بعد موت السلطان الناصر محمد بن قلاوون عن أهل النواحى، قلت مهابة الكشاف والولاة عندهم، فخرجوا عن الحد، وقطعوا الطرقات برًا وبحرًا حتى تعذر سلوكها. ومالوا على المعاصر والسواقى، فنهبوا حواصلها من القنود والسكر والأعسال، وذبحوا الأبقار.

وادعى الأحدب السلطنة، وجلس فى جتر أخذه من قماش الهذبانى، وجعل خلفه المسند، وأجلس العرب حوله، ومدَّ السماط بين يديه، فنفذ أمره فى الفلاحين. وصار الجندى إذا انكسر له خراج قصده، وسأله فى خلاصه من فلاحه، فيكتب له ورقة لفلاحه وأهل بلده، فيصل بها إلى حقه، ويرسل مع مماليك الكاشف والوالى بالسلام عليه، ويأمره أن يقول: «إن كانت لك حاجة قضيتها لك». وحدثته نفسه بتملك الصعيد، وقويت نفسه بتأخر ولاة الأمور عنه، وأقام له حاجبًا وكاتبًا.

---

(1) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

فلما عظم أمره عقد الأمراء المشور بين يدى السلطان الملك الصالح، فى مستهل شوال سنة أربع وخمسين وسبعمائة، فى أمر عرب الصعيد. وقرروا تجريد العسكر لهم، صحبة الأمير سيف الدين شيخو العمرى رأس نوبة، ومعه اثنى عشر مقدما بمضافيهم من أمراء الطبلخاناه والعشرات، وهم أسندمر العمرى وطشتمر القاسمى، وقطلوبغا الطرخانى، وأرلان، وبزلار أمير سلاح، وكلتاى أخو طاز، وأمير على بن أرغون النائب، وتنكز بغا، وجركتمر، ويلجك قريب قوصون، وقطلوبغا الذهبى، وأن يتوجه كلتاى وابن أرغون النائب نحو الشرق بالإطفيحية، ويتوجه يلجك إلى الفيوم، وبزلار وأرلان نحو الواح، ويتوجه الأمير شيخو ببقية الأمراء إلى جهة قوص، ويتأخر فى صحبة السلطان عند سفره الأمير طاز، والأمير صرغتمش، والأمير قجا أمير شكار. فيتوجه السلطان نحو البهنسا كأنه يتصيد، وأن يكون السفر فى ذى القعدة، فيتوجه الأمراء أولا، ثم يركب السلطان بعدهم.

فطار الخبر إلى عامة بلاد الوجه القبلى، فأخذ العربان حذرهم، فمنهم من عزم على الدخول بأهله إلى بلاد النوبة، ومنهم من اختفى فى موضع أعده ليأمن فيه على نفسه، ومنهم من عزم على الحج وقدم إلى مصر، ففطن بهم أعداؤهم، ودلوا عليهم الأمراء. فقُبض على جماعة ممن قدم مصر نحو العشرة، وأخذ ما معهم. ثم ركب الأمير شيخو إلى بركة الحاج فى عدة وافرة، وأحاط بالركب، وتتبع الخيام وغيرها بعد ما حذّر من أخفى العرب، فقُبض على جماعة منهم، وقُتل من عرف منهم بفساد، وأُطلق من شكر حاله.

ثم توجه الأمراء فى ذى القعدة، وعدّى السلطان بمن معه من بقية الأمراء إلى برّ الجيزة، فكبست بلاد الجيزة، بعد ما كتب لمتوليها ومشايخها وأرباب أدراكها أنهم لا يخفون أحدًا من العرب، ولا من أولادهم ونسائهم، فأخذ الصالح والطالح. وقبض الأمراء على الخيول والسيوف، حتى لم يبق ببلاد الجيزة فرس ولا سيف، وأحضروا أصحابها إلى الوطاق. واستدُعى الوالى ومشايخ العربان، وعُرض من قبض عليه، فمن عرفوه أنه من أهل البلاد أفرج عنه، ومن لم يعرفوه قُيّد وحُمل إلى القاهرة فسجن بها. وعُرضت الخيول، فمن عُرف فرسه من الفلاحين رُسم له ببيعها فى سوق الخيل تحت القلعة، وحمل ثمنها إلى الديوان مما عليه من الخراج. ورُسم بمثل ذلك فيما يحضر من خيول فلاحى بقية النواحى، أى أنّ الفلاح يبيعها ويورد ثمنها فيما عليه من الخراج، إما للأمير أو للجندى. فامتثل ذلك وعمل به، وسيقت خيول المفسدين، ومن لم يعرف له صاحب حُمل إلى إصطبل السلطان.

ونُدب الأمير عز الدين أزدمر كاشف الوجه البحرى للسفر إلى عمله، فكبس البلاد المتجوّهة، والتى تُعرف بأنها مأوى المفسدين فى عامة الشرقية والوجه البحرى بأجمعه. وأحسن أزدمر التدبير فى ذلك، فإنه كتب لجميع الولاة أن يلاقوه فى البرّ والبحر، وواعدهم يومًا عيَّنه. وكان الوالى بالغربية فى بَرِّه، والكاشف والولاة وأرباب الأدراك مقابله، ومنعوا الناس كلهم من ركوب النيل، فأخذ الوالى عربا كثيرا، وكبس بلادا عديدة، وأخذ منها المفسدين، فوسّط وسَمَّر جماعات منهم، وسير إلى القاهرة مائة وخمسين رجلا فى الحديد، ومائة وعشرين فرسًا، وسلاحًا كثيرًا. وأرسل متولى البحيرة من خيل عربها ستمائة وأربعين فرسًا، فلم يتأخر فى الوجه البحرى فرس واحد من خيول العربان. ورسم لقضاة البر وعدوله بركوب البغال والأكاديش.

وتوجه السلطان بعد رحيل الأمراء من الجيزة إلى البهنسا، فتولى الكبسات الأمير طاز والأمير صرغتمش، وتتبعوا الرجال، وعاقبوا النساء والصبيان حتى دلُّوهم على أماكنهم، فأخرجوهم من المطامير [١]، وسفكوا دماء كثيرة. وقبضوا على عدة رجال، فأودعوهم الحديد، وحازوا من الخيل والسلاح شيئًا كثيرًا.

فحشد الأحدب بن واصل شيخ عرك جموعه، وصمم على لقاء الأمراء، وحَلَّفَ أصحابه على ذلك. وقد اجتمع معه عرب منفلوط، وعرب المراغة وبنى كلب وجهينة [٢] وعرك، حتى تجاوزت فرسانه عشرة آلاف فارس تحمل السلاح، سوى الرجالة المعدة، فإنها لا تعد ولا تحصى لكثرتها. وجمع الأحدب مواشى أصحابه كلهم وأموالهم وغلالهم وحريمهم وأولادهم، وأقام ينتظر قدوم العسكر.

فقدم الأمير شيخو بمن معه حتى نزل سيوط، ومعه الولاة والكشاف، فتلقاه أهلها وعرّفوه أمور العرب، وما هم عليه من العزم على اللقاء والمحاربة، وكثرة جمعهم. فاستراح الأمير شيخو، وقدمت عليه عرب الطاعة، وهولوا عليه بكثرة جمع المارقين حتى داخله الوهم، وبعث يستدعى بالعسكر من القاهرة. فعرض الأمير سيف الدين قبلاى نائب السلطنة مقدمى الحلقة ومضافيهم، وعين منهم تسعين مقدما، وأضاف إلى كل مقدم جماعة. وعرِضت أوراق بأسمائهم على السلطان والأمراء، فاختاروا منهم خمسة وعشرين مقدمًا، مع كل مقدم من مضافيه عشرون جنديًا، فتكون عدتهم خمسمائة فارس؛ ورسم بتجهيزهم. وأعيد جواب الأمير شيخو بذلك، فردّ جوابه بأن فى حضور

(١) هو المكان الصالح للاختباء انظر محيط المحيط «طمر».

(٢) جهَينَة: بلفظ التصغير، قرية كبيرة من نواحى الموصل على دجلة، وهى أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل، وعندها مَرْجٌ يقال له مَرْجُ جهَينة. انظر معجم البلدان ٢/١٩٤ .

نجدة من القاهرة ما يوجب طمع العربان فى العسكر، وظنهم أن ذلك من عجزهم عن اللقاء، وأشار بإبطال تجريد النجدة، فبطلت.

ثم رحل الأمير شيخو عن سيوط، وبعث الأمير مجد الدين الهذبانى ليؤمن بنى هلال أعداء عرك، ويحضرهم ليقاتلوا عرك أعداءهم. فانخدعوا بذلك، وفرحوا به، وركبوا بأسلحتهم، وقدموا فى أربعمائة فارس، فما هو إلا أن وصلوا إلى الأمير شيخو فأمر بأسلحتهم وخيولهم فأخذت بأسرها، ووضع فيهم السيف، فأفناهم جميعًا. وركب الأمير شيخو من فوره، وصعد عقبة أدفو فى يوم وليلة، فلما نزل إلى الوُطاة [1] قدم عليه نجاب من أمراء أسوان بأن العرب قد نزلوا فى برية بوادى الغزلان، فألبس العسكر آلة الحرب.

وقدم الأمير سودون أحد أمراء الطبلخاناه فى مائة من مماليك الأمراء طليعة، وساروا. فلما كان قبيل العصر التقت الطليعة بفئة من طلائع العرب، فبعث سودون يخبر الأمير شيخو بذلك، وقاتلهم فانهزموا، ثم عادوا للحرب مرارًا حتى كلت خيول الترك، ولم يبق إلا أن تأخذهم العرب. فأدركهم الأمير شيخو، وقد ساق لما أتاه الخبر سوقًا عظيما بمن معه، وامتلأ الجو من غبارهم. وهبت ريح، فحملت الغبار وألقته فى وجوه العرب حتى صَار أحدهم لا يرى رفيقه، مع رؤيتهم بريق الأسنة ولمعان السيوف. فخارت قواهم، وانهزموا بأجمعهم، بعد ما استعدوا للقّاء استعدادًا محكمًا. فقدموا الرجالة بالدَّرَق أمام الفرسان، لتلقى عنهم السهام، وقامت الفرسان من ورائهم بأسلحتها، وأوقفوا حريمهم من ورائهم. وصار الرجل منهم يصدم ابنه وأخاه وهو لا يلوى على شىء. فركب الترك أقفيتهم، ومن وقت الغروب عند الهزيمة، يقتلون ويأسرون حتى أعتم الليل، وباتوا متحارسين، فلم يعد أحد من العرب إليهم. وعند ارتفاع النهار جرد الأمير شيخو طائفة فى طلبهم، فأحاطوا بمال كثير ما بين مواشى وقماش، وحلى ونقود، وعروض وأقوات، وأزواد ورَوَايا ماء. وسبوا حريمهم وأولادهم، فاسترقوا كثيرًا منهم، وصار إلى الأجناد والغلمان منهم شىء كبير، باعوا منه عددًا كثيرا بالقاهرة، بعد عودهم.

وهلك من العرب خلائق بالعطش، ما بين فرسان ورجالة وجدهم المجردون فى طلبهم، فسلبوهم. وصعد كثير منهم إلى الجبال، واختفوا فى المغائر، فقتل العسكر وأسرَ وسبا عددًا كثيرًا، وارتقوا إلى الجبال فى طلبهم، وأضرموا النيران فى أبواب المغائر،

---

(١) الوطاة: الأرض السهلة المنخفضة.

فمات بها خلق كثير من الدخان. وخرج إليهم جماعة، فكان فيهم من يلقى نفسه من أعلى الجبل ولا يسلم نفسه، ويرى الهلاك أسهل من أخذ العدو له. فهلك فى الجبال أمم كثيرة وقتل منهم بالسيف ما لا يحصى كثرة، حتى عملت عدة حفائر وملئت من رممهم، وبنى فوقها مصاطب ضربت الأمراء رنوكها عليها، وأنتنت البرية من جيف القتلى ورمم الخيل.

ثم فرق الأمير شيخو الأمراء فى البلاد لكبسها، فطرقوا عامة النواحى، وقبضوا على جماعة كثيرة قتلوا منهم خلقًا كثيرًا، وأحضروا خلقًا إلى الأمير شيخو فأقاموا على هذا عدة أيام، حتى لم يبق ببلاد الصعيد بدوى. ثم نصبت الأخشاب على الطرقات، وعلق فيها أعداد وافرة ممن شُنق ووُسِّط من العرب، فكان أولها طما وآخرها منية ابن خصيب. ثم عاد الأمير شيخو بمن معه، وصحبته نحو الألفى رجل فى الحديد، فلم يصل إلى القاهرة منهم سوى ألف ومائتين، وهلك باقيهم بالجوع والتعب. فلما نزل طموة[1] خرج إليه الأمراء بأجمعهم، وعملوا له الولائم العظيمة مدة أيام. ثم سافر الأمير شيخو منها فى موكب جليل، والأسرى بين يديه، والخيول والجمال والسلاح، حتى صعد القلعة، وكان يومًا مشهودًا. وأثنى عليه مَن كان معه، بإحسانه إليهم ونفقاته فيهم، فكانت مدة غيبته نحو ثلاثة أشهر، وأقل ما قيل إنه قتل فى هذه الواقعة زيادة على عشرة آلاف رجل.

ثم قدمت الأسرى التى أحضرت مع الأمير شيخو، أو من بعث به الكشاف والولاة، وفيهم ابن ميسرة الثائر بالأطفيحية، فأفرج عن جماعة منهم. وسُمِّر ابن ميسرة وثلاثة عشر من أكابر العربان، ومائة وأربعون رجلا من شرارهم، وشُهِّروا. وقيِّد جماعة وسخِّروا فى العمل. وعُرضت الدوابُ، فكانت ألفا وثلاثمائة فرس، وألفا وخمسمائة جمل، وسبعمائة حمار، وأغنامًا كثيرة، سوى ما نهبه العبيد وأكلوه. وعُرض السلاح، فكان مائة حمل رماح، وثمانين حمل سيوف، وثلاثين حمل درَق. وكتب لجميع ولاة الأعمال وكشافها ألا يدعوا فى جميع النواحى فرسا لبدوى ولا لفلاح سوى أرباب الأدراك، فإنه يترك لكل واحد منهم فرس. فركب الولاة إلى البلاد، وأخذوا ما بها من الخيول، وسيروها إلى اصطبل السلطان. فكان الرجل إذا حضر وادعى ملك شىء سُلّم إليه، بعد ما تظهر صحة دعواه، وألزم بعد تسليمه بأن يبيعه ويعطى ثمنه مما عليه من الخراج، فكثرت الخيول بالقاهرة، واستوفى الأجناد خراجهم قبل أوانه.

---

(١) قرية من قرى محافظة الجيزة حاليا.

فكانت هذه الواقعة من أعظم حوادث الصعيد، وأشنع محنها، ولذلك سقتها فى هذا الموضع كما هى، وإن كان قد تقدم فى السنة الحالية طرف منها؛ لأن حكايتها متوالية أبينُ لها، وأكثرُ فائدة لمن وقف عليها.

وقد مدح الأمير شيخو غير واحد عند قدومه، منهم ناصر الدين النِّشائى أحد كتاب الإنشاء، فقال قصيدة أولها:

صعودك للصيد له سُعُودُ ... به نُجِزَتْ من النصر الوُعودُ
وأرسل نحوهم فرسان حرب ... ضراغمة تخافُهُمُ الأسودُ
فخاضوا فيهمُ بالسيف حتى ... غدوا وهُم قتيل أو شريد
ومُهدت البلاد فزال عنها ... ظلام الظلم وابتهج الوجود

وقال الفخر عبد الوهاب كاتب الدرج، من أبيات:

قدومٌ سعيدٌ مبهجٌ وإياب ... به حُفَّ للنصر العزيز ركابُ
مَضَيْت مُضيَّ السهم فى غزو عُصْبة ... بُغَاةٍ وغازى المفسدين يُثابُ
ومن كان قتلُ النفس بَعضَ ذنوبه ... فليس له إلا السيوفُ عِتابُ
فلم تنجهم أرض ولا عصمتهمُ ... مغائر ما بين الصخور صعابُ

وقال الأمير عز الدين أزدمر الكاشف قصيدة منها:

حسام عزمك يردى الأسد فى الأجم ... ونور رأيك يهدى الناس فى الظلم
وحين أصبح أمر العُرْبِ مختلفًا ... فليس يُعرفُ منه خَلْفَ من أمَمِ
سالت عليهم جيوش الله يَقْدمُها ... شيخو المؤيد بالصمصامة الخَدمِ
سعى إليهم ونصرُ الله يَقدُمُه ... فى بحر جيش بموج الخيل منتظم
والأرض ترجف تحت الخيل من فرق ... والخيل تمشى على الأشلاء والرمم
فأوقع السيف فى الأعداء منتصرا ... لله حتى غَدوْا لحمًا على وَضَم
ولم يدع دار بغى غير دائرة ... ولا منار شقاق غير منهدم

وكان الأحدب قد نجا بنفسه، فلم يقدر عليه، ومن حينئذ أمنت الطرقات برًا وبحرًا، فلم يسمع بقاطع طريق بعدها. ووقع الموت فيمن تأخر فى السجون من العربان، فكان يموت منهم فى اليوم من عشرين إلى ثلاثين، حتى فنوا إلا قليلا.

وقدم الخبر من المدينة النبوية أن الشريف مانع بن على بن مسعود بن جَماز وأولاد طفيل جمعوا ونازلوا المدينة، يريدون قتل الشريف فضل بن قاسم بن قاسم بن جماز، فامتنع بها، وهم يحاصرونه اثنى عشر يومًا مرت بينهم فيها حروب، فانهزموا ومضوا من حيث أتوا.

وفيه أخرج الأمير ساطلمش تركاش منفيًا؛ لسوء سيرته.

وفيه ضربت عدة من شهود الزور، وحلقت لحاهم، وشهروا فى القاهرة، وكان يوما شنيعا.

وفيها أخرج ابن طشتمر الساقى منفيا إلى طرابلس؛ لانهماكه فى اللعب.

وفى شهر ربيع الأول: قدم محمد بن واصل الأحدب، شيخ عرك من بلاد الصعيد، طائعا. وكان من خبره أنه لما نجا وقت الهزيمة. وأخذت أمواله وحرمه، ترامى بعد عود العسكر على الشيخ المعتقد أبى القاسم الطحاوى فكتب الشيخ فى أمره إلى الأمير شيخو، يسأل العفو عنه وتأمينه. على أنه يقوم بدرك البلاد، ويلتزم بتحصيل جميع غلالها وأموالها، وما يحدث بها من الفساد فإنه مؤاخذ به، وأنه يقابل نواب السلطان من الكشاف والولاة فكتب له أمان سلطانى، وكوتب بتطييب خاطره وحضوره آمنا، فسار ومعه الشيخ أبو القاسم. فأكرم الأمراء الشيخ، وأكرموا لأجله الأحدب، وكان دخوله يومًا مشهودا.

وتمثل الأحداب بين يدى السلطان. وأنعم عليه السلطان وألبسه تشريفًا وناله من الأمراء إنعام كثير، وضمن منهم درك البلاد على ما تقدم ذكره، فرسم له بإقطاع. وعاد الأحدب إلى بلاده بعد ما أقام نحو شهر، وقد ألبسه السلطان تشريفا ثانيا ثم توجه الشيخ أبو القاسم الطحاوى أيضا بعد أيام، وكان نزوله بزاوية العربان من القرافة، فجددها الأمير شيخو تجديدًا حسنا.

وفيه توجه الناصر بن المجاهد صاحب اليمن عائدًا إلى أبيه بمن معه، بعد أربعة أشهر من قدومه. وأخذ معه كثير من الصناع والمخايلين والشعبذين والمساخر وأرباب الملاهى، وتحفا عديدة قامت عليه بأموال جزيلة وأنعم عليه السلطان والأمراء بغير نوع من الهدايا والتحف السنية، وألبسوه الخلع الجليلة، وبالغوا فى إكرامه. وجهزوا له ما يحتاج إليه من المراكب، وكتب إلى ولاة الأعمال بإكرامه، فسار فى البحر.

وفى حادى عشر رجب: أفرج عن الأمير سيف الدين منجك، والأمير علاء الدين مغلطاى أمير آخور. وكان المعتنى بالأمير منجك الأمير شيخو، والمعتنى بالأمير مغلطاى الأمير طاز. فتوجه إليهما الأمير جنتمر أخو طاز، وحملهما من الإسكندرية، فكان دخولهما يوما مشهودًا، بعد ما أقاما بسرياقوس عشرة أيام، والتقادم ترد إليهما، وتمد لهما الأسمطة العظيمة بالهمة الجليلة، فأنعما على متسفرهما الأمير جنتمر بسبعة آلاف دينار.

وفيه قدم البريد من حلب بتعذر مسير القوافل من كثرة فساد العرب وقطعهم الطريق، وأن سيف بن فضل تعجّز عن مقاومة عرب فياض بن مهنا، وأن الأمير أرغون الكاملى نائب حلب أخرج مقدما من مقدميه فى تجريدة لحفظ الطريق مع بعض الأمراء، فكبسه العرب وقاتلوه، فقتل فى المعركة، وأن سيف بن فضل عمر بن موسى ابن مهنا لما ألزمهما الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بتحصيل من قَتَل المذكور ادعوا أنهم من غير عربهم.

وكان فياض لما كتب إليه بالحضور اعتذر عن ذلك، والتزم بدرك البلاد وكفّ أسباب الفساد، وبعث ابنه إلى السلطان رهينة بمصر. فحضر سيف وعمر بقود كبير، من جمال وخيل، فاعتنى الأمير طاز بسيف، ومازال حتى خُلعه عليه وعلى عمر، واستقرا فى الإمرة. فتوجه ولد فياض من مصر إلى أبيه، وأخبره بذلك، فاشتد حنقه، وكثر قطعه الطريق، وعزم على المسير إلى أولاد قراجا بن دلغادر وإحضارهم بجمائعهم لأخذ حلب. فانحصر الأمير أرغون الكاملى نائب حلب، وضاق ذرعه. فلما قدم كتابه اقتضى الرأى إرسال الأمير جنتمر أخى طاز إلى الأمير فياض، وكتبت على يده عدة كتب من السلطان والأمراء، بتطمين خاطره والحلف له ألا يتعرض له بسوء. فركب الأمير جنتمر فى عشرة سروج على البريد، ولقى فياضًا، ومازال به حتى أذعن له وركب معه، بعد ما بالغ فى إكرامه، وأكثر من التقادم السنية له، وقدم إلى القاهرة فى عاشر جمادى الآخرة.

وفيه أخذ الأمير صرغتمش من دار ابن زنبور بالقاهرة ما كان بها من الرخام، فوجد فى زواياها من أوانى الصينى والنحاس ومن القماش وغيره شيئًا كثيرًا.

وفيه قدم عدة من النصارى بالغربية، ووقفوا بدار العدل من القلعة للسلطان، وسألوا إعادة كنيسة النحريرية التى هدمها العامة وعملوها مسجدًا. فلم يجابوا لذلك، وطردوا بعد ضربهم، وكُتب إلى متولى الناحية أن يعمل لهذا المسجد منارًا يؤذن فيه للصلوات الخمس، وتجدد عمارة المسجد، فامتثل ذلك.

وفى شهر ربيع الآخر: وقفت أحوال ديوانى الخاص والدولة، حتى إن السلطان كان إذا استدعى بشىء من الخاص يقول بدر الدين ناظر الخاص: «ما تم حاصل، وليس لى مال». وتأخر من الدولة ما يصرف للحوائج كاشية وأرباب المرتب ونفقات مماليك السلطان. فكثر الإنكار على بدر الدين ناظر الخاص، وأسمعه الأمراء ما يكره، فالتجأ إلى الأمير صرغتمش وكان يعضده، وذكر له ما هو فيه من العجز. فوعده الأمير

صرغتمش بتخليصه، وأسرَّ إليه أن يتمارض فى بيته أيامًا حتى يدَبرِّ أمره مع السلطان والأمراء. فانقطع بدر الدين عن الخدمة، وأظهر أنه مريض، فلم يبق أحد من أهل الدولة حتى عاده على العادة. ثم بعد أيام انقطع الوزير الصاحب موفق الدين أبو الفضل عبد الله بن سعيد الدولة لوَعَكٍ أصابه، فتعطلت أشغال السلطنة. وأخذ الأمير صرغتمش يحدث الأمراء فى إعفاء بدر الدين ناظر الخاص، فاستُدعى تاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام، وعرض عليه السلطان نظر الخاص، فتمنع تمنعًا زائدًا، فلم يوافقه الأمير طاز، وألبسه التشريف فى يوم الخميس رابع عشره، فولى الخاص عوضًا عن بدر الدين.

ثم كان موت الوزير موفق الدين فى يوم الجمعة ثانى عشريه، فتعين الأمير ناصر الدين محمد بن بيليك المحسنى وطلب الأمير ناصر الدين لذلك، فامتنع أشد الامتناع، وجرت بينه وبين تاج الدين ناظر الخاص مفاوضة فى مجلس السلطان، سببها أنه قال: «ما ثم من يصلح للوزارة إلا الأمير ناصر الدين»، فحنق منه، وقال له: «ما يصلح إلا أنت، فتكون الوزارة مضافة للخاص كما كان من قبلك». فامتنع تاج الدين من ذلك، وانفض المجلس، فأخذ الأمير طاز يحسن لناظر الخاص التحدث فى الوزارة، ويعده بمساعدته، وهو يأبى.

وفى أثناء ذلك استعفى الأمير شيخو من التحدث فى أمر الدولة، فتقرر الحال على أن ينفرد السلطان بتدبير دولته، من غير أن يعارضه أحد فى ذلك، ويستبد بالمملكة وحده، كما كان أبوه وجده. واجتمع الأمراء وسائر أهل الدولة بين يدى السلطان، وفاوضوه فى ذلك، فوافق غرضه، فإنه كان فى حصر شديد، ليس له أمر ولا نهى ولا تصرف فى شىء من أمور الدولة، وهو محجور عليه مع الأمير شيخو. فقلدوه الأمور، والتزموا بطاعته فيما يرسم به. فصار مباشرو الدولة يدخلون على السلطان، وينهون له الأحوال، فيمضيها بأمره ونهيه.

واختص السلطان بالأمير طاز، وتقدم إليه أن ينظر فى أمور الدولة من غير أن يظهر ذلك. فاشتهر بين الأمراء وغيرهم أن استعفاء الأمير شيخو من التحدث فى أمور الدولة، واستقلال السلطان بالأمر، إنما هو بتدبير طاز وقيامه فيه مع السلطان، فإن السلطان كان له ميل كبير إلى الأمير طاز، وشُغِف بحب أخيه جنتمر وفُتِن به. وكان ذلك مما لا يخفى على شيخو، فرأى أن ترك التحدث فى الدولة من تلقاء من نفسه خير من عزله عنه. فلما استبد السلطان بأمره منع الأميرُ شيخو الوزيرَ وناظر الخاص وأمثالهما من الدخول إليه، واستأذن السلطان فى الإقامة بإصطبله عدة أيام ليشرب دواء. فخلا

تاج الدين ناظر الخاص بالأمير طاز، وعرّفه كثرة ما على الدولة من الكلف، وأنها لا تفى بذلك، وقرر معه أن يوفر من المصاريف جملة. وكتب تاج الدين ما على الدولة من المصروف، فكانت جملة ما أطلقه الصاحب موفق الدين لزوجته اتفاق وخدامها ومن يلوذ بها سبعمائة ألف درهم فى كل سنة. ثم كتب تاج الدين استيمارا بما يترتب صرفه، وأخذ عليه خط السلطان، وعيّن صهره فخر الدين ماجد بن قزوينة لنظر الدولة، فطلب وخلع عليه شريك فخر الدين بن السعيد. فكان المتوفر من معاليم المباشرين جملة كثيرة، فإنه لم يدع مباشرًا إلا وَفَّر من معلومه نصفه أو ثلثيه، ولم يراع منهم أحدًا، لا من مباشرى الدولة، ولا مباشرى الخاص، ولا مباشرى الإسكندرية ودمياط، وجميع أعمال الوجه القبلى والوجه البحرى. ثم عزل تاج الدين كثيرًا من مباشرى المعاملات، فإنه كان فى كل معاملة ستة مباشرين وأكثر، فجعل فى كل معاملة ثلاثة مباشرين، ورتب لكل منهم نصف معلوم. ووفر تاج الدين معلومه على نظر الخاص، وباشر الخاص بمعلوم الجيش. فشمل هذا كل من له معلوم فى بيت السلطان، من متجر وغيره، ما خلا الموقعين والأطباء، فإن الموقعين عنى بهم كاتب السرّ علاء الدين على بن فضل الله، وكان عظيما فى الدولة، فلم يتعرض تاج الدين لشىء من معاليمهم، وأقرها بكمالها. وأما الأطباء فاعتنى بهم الأمير طاز، فإنه أمير مجلس، وهم من تعلقه. وأما من عدا هؤلاء، فإنه حاصصه على مباشرى صرغتمش وطاز وشيخو؛ فجاء جملة المتوفر نحو سبعمائة ألف درهم، فى كل سنة. فشق ذلك على الأمراء، وكرهوا قطع الأرزاق، وتشاءموا بهذا الفعل. واشتهر ذلك بين الناس، فتنكرت قلوبهم، وكثر دعاؤهم وابتهالهم إلى الله تعالى.

ثم إن تاج الدين اتهم بدر الدين ناظر الخاص بأنه حوى مالا كثيرا من جهة تركة ابن زنبور، ومازال به حتى حُمل من بيته وهو مريض إلى القلعة، وألزم بحمل مال كبير، فحمل بدر الدين المال مدة أيام، ومات يوم الثلاثاء رابع عشرى جمادى الأولى فى قاعة الصاحب بالقلعة، بعد موت الصاحب موفق الدين بشهر ويومين. فقام الأمير صرغتمش فى مساعدته، ومنع من الحوطة على موجوده، وكان بدر الدين قد خلف سعادة جليلة مما حصله من جهة ابن زنبور.

وفى سادس عشر جمادى الأولى: قدم ابن رمضان التركمانى، المستقر عوضًا عن قراجا بن دلغادر، وقدّم للسلطان والأمراء ألف أكديش. فرسم له بالإمرة على التركمان، وأنعم له بالإقطاع، وأنعم على عدة من أصحابه بإمرات، ما بين عشرات وطبلخاناه، وعاد إلى بلاده.

وفيه رسم بعمل أوراق بالرزق الأحباسية التى فى إقطاعات الأمراء، وفى غير ذلك من أراضى مصر، مما هى موقوفة على الكنائس والديارات، فجاءت خمسة وعشرين ألف فدان. فأنعم على كل أمير بما فى إقطاعه من ذلك، ورسم لجماعة من الفقهاء بشىء من هذه الرزق.

وفى هذه السنة: كانت واقعة النصارى، وذلك أنهم كانوا قد تعاظموا، وتباهوا بالملابس الفاخرة، ومن الفرجيات المصقولة والبقَيار الذى يبلغ ثمنه ثلاثمائة درهم، والفوط التى تلفها عبيدهم على رءوسهم بمبلغ ثمانين درهما الفوطة. وركبوا الحمير الفُرْه ذات الأثمان الكثيرة، ومن ورائهم عبيدهم على الأكاديش. وبنوا الأملاك الجليلة فى مصر والقاهرة ومتنزهاتها، واقتنوا الجوارى الجميلة من الأتراك والموَلّدات، واستولوا على دواوين السلطان والأمراء، وزادوا فى الحمق والرقاعة، وتعدوا طورهم فى الترفع والتعاظم. وأكثروا من أذى المسلمين وإهانتهم، إلى أن مرّ بعضهم يومًا على الجامع الأزهر بالقاهرة، وهو راكب بخفّ ومهماز وبقيّار طرْح سكندرى على رأسه، وبين يديه طرَّادونْ يبعدون الناس عنه، وخلفه عدة عبيد على أكاديش، وهو فى تعاظم كبير. فوثب به طائفة من المسلمين، وأنزلوه عن فرسه، وهموا بقتله، فخلصه الناس من أيديهم.

وتحرَّكت الناس فى أمر النصارى وماجوا، وانتدب عدة من أهل الخير لذلك، وصاروا إلى الأمير طاز الشريف أبى العباس الصفراوى، وبلُغوه ما عليه النصارى مما يوجبه نقض عهدهم، وانتدبوه لنصرة الإسلام والمسلمين. فانتفض الأمير طاز لذلك، وحدَّث الأميرين شيخو وصرغتمش وبقية الأمراء فى ذلك بين يدى السلطان،فوافقوه جميعًا، وكان لهم يومئذ بالإسلام وأهله عناية. ورتبوا قصة على لسان المسلمين، قرئت بدار العدل على السلطان بحضرة الأمراء والقضاة وعامة أهل الدولة. فرسم بعقد مجلس للنظر فى هذا الأمر؛ ليحمل النصارى واليهود على العهد الذى تقرّر فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وطُلب بطرك النصارى ورئيس اليهود، وحضرت قضاة القضاة وعلماء الشريعة، وأمراء الدولة، وجىء بالبطرك والرئيس، فوقفا على أرجلهما وقرأ العلائى على ابن فضل الله كاتب السر نسخة العهد الذى بيننا وبين أهل الذمة، بعد ما ألزموا بإحضاره، وهو ألا يحدثوا فى البلاد الإسلامية وأعمالها ديرًا ولا كنيسة ولا صومعة، ولا يجددوا منها ما خرب، ولا يمنعوا من كنائسهم التى عاهدوا عليها أن ينزل بها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونه. ولا يكتموا غشًا للمسلمين، ولا يعلموا أولادهم القرآن، ولا يمنعوهم من الإسلام إن

أرادوا، وإن أسلم أحدهم لا يؤذوه. ولا يتشبهوا بشيء من ملابس المسلمين، ويلبس النصراني منهم العمامة الزرقاء عشر أذرع فما دونها، واليهودى العمامة الصفراء كذلك، ويمنع نساؤهم من التشبه بنساء المسلمين. ولا يتسموا بأسماء المسلمين، ولا يكتنوا بكناهم، ولا يتلقبوا بألقابهم، ولا يركبوا على سرج، ولا يتقلدوا سيفا، ولا يركبوا الخيل والبغال، ويركبون الحمير عرضًا بالكف من غير تزيين ولا قيمة عظيمة لها. ولا ينقشوا خواتمهم بالعربية، وأن يجزّوا مقادم رءوسهم، والمرأة من النصارى تلبس الإزار المصبوغ أزرق، والمرأة من اليهود تلبس الإزار المصبوغ أصفر. ولا يدخل أحد منهم الحمام إلا بعلامة تميزه عن المسلم فى عنقه، من نحاس أو حديد أو رصاص أو غير ذلك، ولا يستخدموا مسلمًا فى أعمالهم. وتلبس المرأة السائرة خفين أحدهما أسود والآخر أبيض، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يرفعوا بناء قبورهم، ولا يعلوا على المسلمين على المسلمين فى بناء، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضربًا خفيفًا، ولا يرفعوا أصواتهم فى كنائسهم. ولا يشتروا من الرقيق مسلمًا ولا مسلمة، ولا ما جرت عليه سهام المسلمين، ولا يمشوا وسط الطريق توسعة للمسلمين، ولا يفتنوا مسلمًا عن دينه، ولا يدلّوا على عورات المسلمين. ومن زنى بمسلمة قتل، ومن خالف ذلك فقد حلّ منه ما يحلّ من أهل المعاندة والشقاق.

وكل من مات من اليهود والنصارى والسامرة، ذكرًا كان أو أنثى، يحتاط عليه ديوان المواريث الحشرية، بالديار المصرية وأعمالها وسائر الممالك الإسلامية، إلى أن يثبت ورثته ما يستحقونه بمقتضى الشرع الشريف. فإذا استحق يعطونه بمقتضاه، وتحمل البقية لبيت مال المسلمين، ومن مات منهم ولا وارث له يحمل موجوده لبيت المال. ويجرى على موتاهم الحوطة من ديوان المواريث ووكلاء بيت المال مجرى من يموت من المسلمين، إلى أن تبين مواريثهم.

وكان هذا العهد قد كتب فى رجب سنة سبعمائة فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، فلما انتهى العلائى على بن فضل الله كاتب السرّ من قراءته تقلد بطرك النصارى وديان اليهود حكم ذلك، والتزما بما فيه، وأجابا بالسمع والطاعة.

ثم جال الحديث فى أمر اليهود والنصارى وإعادة وقائعهم الماضية، وأنهم بعد التزامهم أحكام العهد يعودون إلى ما نهوا عنه. فاستقر الحال على أنهم يمنعون من الخدم فى جميع الأعمال، ولا يستخدم نصرانى ولا يهودى فى ديوان السلطان، ولا فى شيء من دواوين الأمراء، ولو تلفّظ بالإسلام، على أن أحدًا منهم لا يُكره على

الإسلام، فإن أسلم برضاه، لا يدخل منزله، ولا يجتمع بأهله، إلا إن اتبعوه في الإسلام، ويَلْزَمُ أحدهم إذا أسلم بملازمة المساجد والجوامع. وأن تكون عمامة النصراني واليهودي عشر أذرع، ويلزموا بزيادة صبغها، وألا يستخدموا مسلمًا، وأن يركبوا الحمير بالأكف، وإذا مرّوا بجماعة من المسلمين نزلوا عن دوابهم، وأن يكون قيمة حمار أحدهم أقل من مائة درهم، وأن يلجأوا إلى أضيق الطرق، ولا يُكْرَموا في مجلس، وأن تلبس نساؤهم ثيابًا مغيرة الزي إذا مَرَرْن في الطرقات، حتى أخفافهن تكون في لونين، ولا يدخلن حمامات المسلمين مع المسلمات. وكتب بذلك كله مراسيم سلطانية سار بها البريد إلى البلاد الإسلامية، فكان تاريخها ثاني عشري جمادى الآخرة، وقرئ منها مرسوم بمجلس السلطان في يوم الخميس خامس عشريه. وركب من الغد يوم الجمعة سادس عشريه الأمير سيف الدين قشتمر الحاجب، ومعه الشريف شهاب الدين المنشئ بالمراسيم السلطانية إلى البلاد الإسلامية.

وقرئ مرسوم بجامع عمرو من مدينة مصر، وآخر بجامع الأزهر من القاهرة، فكان يومًا عظيما هاجت فيه حفاظ المسلمين، وتحركت سواكنهم، لما في صدورهم من الحنق على النصارى، ونهضوا من ذلك المجلس بعد صلاة الجمعة، وثاروا باليهود والنصارى، وأمسكوهم من الطرقات، وتتبعوهم في المواضع وتناولوهم بالضرب، ومزقوا ما عليهم من الثياب، وأكرهوهم على الإسلام، فيضطرهم كثرة الضرب والإهانة إلى التلفظ بالشهادتين خوف الهلاك. فإنهم زادوا في الأمر حتى أضرموا النيران، وحملوا اليهود والنصارى، وألقوهم فيها. فاختفوا في بيوتهم، حتى لم يوجد منهم أحد في طريق ولا ممر، وشربوا مياه الآبار؛ لامتناع السقائين من حمل الماء من النيل إليهم.

فلما شنع الأمر نودي في القاهرة ومصر ألا يعارض أحد من النصارى أو اليهود، فلم يرجعوا عنهم. وحلّ بهم من ذلك بلاء شديد، كان أعظمه نكاية لهم أنهم منعوا من الخدم بعد إسلامهم، فإنهم كانوا فيما مضى من وقائعهم إذا منعوا من ذلك كادوا المسلمين بإظهار الإسلام، ثم بالغوا في إيصال الأذى لهم بكل طريق، بحيث لم يبق مانع يمنعهم؛ لأنه صار الواحد منهم فيما يظهر مسلمًا ويده مبسوطة في الأعمال، وأمره نافذ، وقوله ممتثل. فبطل ما كانوا يعملون، وتعطلوا عن الخدم في الديوان، وامتنع اليهود والنصارى من تعاطي صناعة الطب. وبذل الأقباط جهدهم في إبطال ذلك، فلم يجابوا إليه.

ثم لم يكفِ الناس من النصارى ما مرّ بهم حتى تسلطوا على كنائسهم ومساكنهم الجليلة التى رفعوها على أبنية المسلمين، فهدموها. فازداد النصارى واليهود خوفًا على خوفهم، وبالغوا فى الاختفاء، حتى لم يظهر منهم أحد فى سوق ولا فى غيره. ثم رفعت قصص على لسان المسلمين بدار العدل تتضمن أن النصارى استجدّوا فى كنائسهم عمائر، ووسّعوا بناءها، وتجمع من الناس عدد لا ينحصر، واستغاثوا بالسلطان فى نصرة الإسلام، وذلك فى يوم الإثنين رابع عشر رجب. فرُسم لهم أن يهدموا الكنائس المستجدة، فنزلوا يدًا واحدة وهم يضجون. وركب الأمير علاء الدين على بن الكورانى والى القاهرة؛ ليكشف عن صحة ما ذكروه، فلم يتمهّلوا بل هجموا على كنيسة بجوار قناطر السباع، وكنيسة للأسرى فى طريق مصر، ونهبوهما وأخذوا ما فيهما من الأخشاب والرخام وغير ذلك، ووقع النهب فى دير بناحية بولاق التكرور. وهجموا على كنائس مصر والقاهرة، وأخربوا كنيسة بحارة الفهّادين من الجوانية بالقاهرة. وتجمعوا لتخريب كنيسة بالبُندقانيين من القاهرة، فركب والى القاهرة، فركب والى القاهرة ومازال حتى ردّهم عنها؛ وتمادى هذا الحال حتى عجزت الحكام عن كفّهم.

فلما كان فى أخريات رجب بلغ الأمير صرغتمش أن بناحية شبرا الخيام كنيسة فيها أصبع الشهيد التى تُرْمَى كل سنة فى النيل، فتحدث مع السلطان فيه. فرسم بركوب الحاجب والوالى إلى هذه الكنيسة وهدمها، فهدمت ونُهبَت حواصلها، وأُخذ الصندوق الذى فيه أصبع الشهيد، وأحضر إلى السلطان وهو بالميدان الكبير قد أقام به كما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى. فأضرمت النار، وأحرق الصندوق بما فيه، ثم ذُرِّى رماده فى البحر.

وكان يوم رمى هذا الأصبع فى النيل من الأيام المشهودة، فإن النصارى كانوا يجتمعون من جميع الوجه البحرى ومن القاهرة ومصر فى ناحية شبرا، وتركب الناس المراكب فى النيل، وتنصب الخيم التى يتجاوز عَدَدُهَا الحد فى البرّ، وتنصب الأسواق العظيمة، ويباع من الخمر ما يؤدون به ما عليهم من الخراج، فيكون من المواسم القبيحة. وكان المظفر بيبرس قد أبطله كما ذكره، فأكذب الله النصارى فى قولهم إن النيل لا يزيد ما لم يرم فيه أصبع الشهيد، وزاد تلك السنة حتى بلغ إلى أصبع من ثمانية عشر ذراعًا. ثم سعت الأقباط حتى أعيد رميه فى الأيام الناصرية، كما تقدم، فأراح الله منه بإحراقه. وأخذ عباد الصليب فى الإرجاف بأن النيل لا يزيد فى هذه السنة، فأظهر الله تعالى قدرته، وبين للناس كذبهم، بأن زاد النيل زيادة لم يعهد مثلها كما سيأتى ذكره.

وكثرت الأخبار من الوجه القبلى والوجه البحرى بدخول النصارى فى الإسلام، ومواظبتهم المساجد، وحفظهم للقرآن، حتى أن منهم من ثبتت عدالته وجلس مع الشهود. فإنه لم يبق فى جميع أعمال مصر كلها قبليها وبحريها كنيسة حتى هدمت، وبنى مواضع كثير منها مساجد. فلما عظم البلاء على النصارى، وقلت أرزاقهم، رَأوا أن يدخلوا فى الإسلام. ففشا الإسلام فى عامة نصارى أرض مصر، حتى إنه أسلم من مدينة قليوب خاصة فى يوم واحد أربعمائة وخمسون نفرًا، وممن أسلم فى هذه الحادثة الشمس القسى، والخيصم. وحمل كثير من الناس فعلهم هذا على أنه من جملة مكرهم؛ لكثرة ما شنع العامة فى أمرهم، فكانت هذه الواقعة أيضًا من حوادث مصر العظيمة.

ومن حينئذ اختلطت الأنساب بأرض مصر، فنكح هؤلاء الذين أظهروا الإسلام بالأرياف المسلمات، واستولدوهن، ثم قدم أولادهم إلى القاهرة، وصار منهم قضاة وشهودُ وعلماء، ومَنْ عَرَف سيرتهم فى أنفسهم، وفيما ولوه من أمور المسلمين، تفطن لما لا يمكن التصريح به.

وفى يوم السبت ثانى عشرى رجب: ركب السلطان إلى الميدان الكبير المطل على النيل، بعد كسر الخليج من العادة، وعاد من آخره إلى القلعة. ثم ركب السلطان السبت الثانى إلى الميدان. وأقام به ومعه الأمير شيخو، والأمير طاز، والأمير صرغتمش، وبقية الأمراء الخاصكية. وعمل السلطان به الخدمة فى يومى الإثنين والخميس، كما تعمل بالإيوان فى القلعة، و لم يتقدمه أحد إلى مثل هذا.

وكانت العامة فى طول إقامته بالميدان لا يبرحون على الحيطان للفرجة هناك، وتجمّع منهم عالم عظيم، ونصبت هناك أسواق كثيرة، فصاروا يخوضون فيما لا يعنيهم ويتكلمون فى الليل بكل فاحشة، فى حق كبراء الدولة، ويقولون ليسمع السلطان: «قم اطلع قلعتك، ما جرت بذا عادة، واحترس على نفسك، وإياك تأمن لأحد». فلما كثر هذا وشبهه من كلامهم، وسمعه منهم الأمراء، اشتد حنقهم، وأمروا مماليكهم فركبوا، وأوقعوا بهم ضربًا بالدبابيس والعصى، ففروا هاربين، وألقوا أنفسهم فى البحر، وتفرقوا فى كل جهة. فقبض منهم جماعة، وأسلموا لوالى القاهرة، ورسم له بأن يتتبع غوغاء العامة حيث كانوا، فهجم أماكنهم، وقبض على جماعة كثيرة وسجنهم. فأظهر النصارى الشماتة بهم، وتجاهروا بأن هذا عقوبة من الله لهم بما فعلوه معهم. فشق هذا على الأمراء، وأمروا بأن يفرج عنهم حتى لا يَشْمَت بهم أهل الكفر، فأُطلقوا، وخرج عدة منهم إلى الأرياف.

وركب السلطان فى يوم السبت ثالث شعبان - بعد ما لعب بالكرة على عادته - إلى القلعة. فلما استقر بها حسن له ناظر الخاص أن ينقل ما بخزانة الخاص من التحف التى قدمها النواب وغيرهم إلى داخل الدار، فحملت كلها. ثم كتب ناظر الخاص أسماء جماعة لهم أموال، من جملتهم خالد بن داود مقدم الخاص، وأغرى السلطان به. فأخذ الأمير قجا أمير شكار فى الدفع عن خالد، وكان يعنى به، ثم أعلم خالدًا بما كان، فالتزم له خالد أن يحصل للسلطان أموالا عظيمة من ودائع ابن زنبور أضعاف ما يطلب منه، على أن يعفى من تقدمة الخاص، وينعم عليه بإقطاع، ويبقى من جملة الأجناد فأتقن له أمير شكار ذلك مع السلطان، فأجاب السلطان سؤاله، واستدعى خالد وألبسه الكلفتاه، ومكنه مما يريد. فنزل خالد وقبض على جماعة من ألزام ابن زنبور، فدلّوه على صُندوق قد أودع عند قاضى الحنفيَّة بالجيزة، فركب إليه، وأخذه منه، فوجد فيه مصاغًا وزراكش. فأخذ خالد فى تتبع حواشى ابن زنبور حتى أخذ منهم ما ينيف على مائة ألف دينار، فاشتكى ناظر الخاص من فعله نكاية بالغة.

فلما كان فى شهر رمضان خرج السلطان إلى ناحية سرياقوس على العادة، ومعه والدته وحريمه، وجميع الأمراء وغيرهم من أهل الدولة، وتأخر الأمير شيخو بإصطبله لوعك به. فكثر لهو السلطان ولعبه، وشغفه بالأمير جنتمر حتى أفرط، وجمع عليه الأمير قجا أمير شكار وأخوته.

ومال السلطان إلى جهة الأمير طاز وأعرض عن الأمير شيخو والأمير ضرغتمش. وصار يركب النيل فى الليل، ويستدعى أرباب الصنائع، من الطباخين والخراطين والقزازين، ونصب له نول قزازة، وعمل هذه الأعمال بيده، فكان إذا رأى صناعة من الصناعات عملها فى أيسر زمن بيده. وعمل لخوند قطلوبك أمه مهمًا طبخ فيه الطعام بيده، وعمل لها جميع ما يعمل فى الموكب السلطانى، ورتب لها الخدام والجوارى، ما بين حمدارية وسقاة، ومنهم من حمل الغاشية والقبة والطير؛ وأركبها فى الحوش بزىّ الملك وهيئة السلطنة. وخلع وأنفق، ووهب شيئًا كثيرًا من المال. ثم شدّ فى وسطه فوطة، ووقف فطبخ الطعام فى هذا المهم بنفسه، ومدّ السماط بين يديها بنفسه، فكان مهمًا يخرج عن الحد فى كثرة المصروف، فأنكر ذلك الأمير شيخو، وكتم ما فى نفسه.

فلما عاد السلطان فى آخر الشهر من سرياقوس [1] إلى القلعة، وقد بلغ شيخو أن السلطان قد اتفق مع إخوة طاز على أن يقبض عليه وعلى صرغتمش يوم العيد. وكان

---

(١)سبق ترجمتها.

طاز قد توجه إلى البحيرة فى هذه الأيام، بعد ما قَرّر مع السلطان ما ذُكر. فركب السلطان فى يوم الأحد أول شوال لصلاة العيد فى الإصطبل على العادة، وقرر مع كلتاى وجنتمر وأمير عمر ما يفعلونه، وأمر بمائة فرس فشدت وأوقفت، فلم يحضر الأمير شيخو صلاة العيد، وكان قد بلغه جميع ما تقرر. فباتوا ليلة الإثنين على حذر، وأصبحوا وقد اجتمع مع الأمير شيخو من الأمراء صرغتمش وطقطاى ومن يلوذ بهم، وركبوا إلى تحت الطبلخاناه، ورسموا للأمير علم بضرب الكوسات، فضربت حربيًا. فركب جميع العسكر تحت القلعة بالسلاح، وصعد الأمير تنكربغا والأمير أسنبغا المحمودى إلى القلعة، وقبضا على السلطان وسجناه مقيدًا، فزال ملكه فى أقل من ساعة.

وصعد الأمير شيخو ومن معه من الأمراء إلى القلعة، وأقامت أطلابهم على حالها تحت القلعة. وقبض الأمير شيخو على إخوة الأمير طاز، واستشار فيمن يقيمه للسلطنة، وصرح هو ومن معه بخلع الملك الصالح صالح، فكانت مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، فسبحان من لا يزول ملكه.

* * *

السلطان الملك الناصر

حسن بن محمد بن قلاوون [الألفى] (١)

ولما قبض على الملك الصالح(٢) وخلع اقتضى رأى الأمير شَيْخُو - وسائر الأمراء - إعادة السلطان حسن، لما كان يبلغهم عنه من ملازمته فى مدة حبسه للصلوات الخمس والإقبال على الاشتغال بالعلم، حتى إنه كتب بخطه كتاب «دلائل النبوة» للبيهقى(٣) .

---

(١) حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون، أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بمصر صغيرا، بعد مقتل أخيه حاجى، سنة ٧٨٤هـ وكان اسمه قمارى فلما ولى السلطنة تسمى حسنا وقام بأمور الدولة الأمير يلبغا واستمر إلى سنة ٧٥٢هـ إلى أن ثار عليه بعض أمراء الجند فخلعوه سنة ثم عاد إلى الحكم سنة ٧٥٥هـ كانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وتسعة أشهر، وأياما. انظر ابن إياس ١/ ١٩٠ والبداية والنهاية ١٤/ ٢٢٤ - ٢٧٨، و٢٧٩ والأعلام ٢/ ٢١٦.

(٢) صالح الملك الصالح صلاح الدين بن محمد (الملك الناصر) بن قلاوون: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولد بقلعة الجبل بالقاهرة، وبويع بها بعد خلع أخيه حسن (سنة ٧٥٢هـ) وتولى تصريف الأمور باسمه الأمير طاز. استمر إلى أن وثب عليه جماعة من أمراء جيشه سنة ٧٥٥هـ فخلعوه وحبسوه فى دور الحريم بالقلعة إلى أن مات. مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة أشهر ونصف. انظر بدائع الزهور ١٠/ ٢٥٤ - ٢٨٧ والدرر الكامنة ٢/ ٢٠٣، ٢٠٤ والأعلام ٣/ ١٩٥.

(٣) أحمد بن الحسين بن على، أبو بكر: من أئمة الحديث. ولد فى خسروجرد من قرى بيهق،= =بنيسابور ونشأ فى بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم

فاستدعوا الخليفة وقضاة القضاة، وأحضروا السلطان من محبسه، وأركبوه بشعار المملكة، ومشى الأمراء كلهم، وسائر أرباب الدولة فى ركابه، حتى جلس على تخت الملك، وبايعه الخليفة، فقبلوا له الأرض على العادة، وذلك فى يوم الإثنين ثانى شهر شوال. وبات الأمراء فى الأشرفية من القلعة[١]. وأرسل الأمير صرغتمش، والأمير تقطاى الدوادار، إلى الأمير طاز ليخبراه بما وقع، فصارا إليه، ولقياه بالطرانة، وقد رجع. وبلغه الخبر، فعرفاه ما كان فى غيبته، وأقبلا معه إلى حيث أرادا تعدية النيل، فأرسل الله ريحا عاصفا منعت المعادى من المسير. فأقاموا على الشط - والريح قوية - إلى بعد العصر، ثم عدوا إلى مدينة مصر.

ونزل الأمير طاز بالمدرسة المعزية ليفطر، فإنه كان صائمًا. وبلغ إخوته ومن يلوذ به مجيئه، فأخذوا فى تدبير أمورهم، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا، لاحتراز الأمير شيخو منهم، والتوكيل بهم. إلا أن الأمير كلتا[٢] ركب فى عدة من مماليكه - ومماليك أخيه الأمير طاز - يريد ملتقاه، فأنكر شَيْخُو ذلك.

واتفق أن مماليكه ظفروا بمملوكين من أصحاب كلتا لابسين[٣]، وأحضروهما إلى شيخو. فركب الأمير بلجك فى عدة من مماليكه، والتقاه بعد العصر عند باب إصطبل طاز، فلم يطق محاربته. لكثرة جمعه، فرجع، فرموه بالنشاب وساروا إلى لقاء طاز.

وبعث الأمير شيخو بمماليك كل من الأميرين صرغتمش وتقطاى ليلتقوهما، فجدوا فى المسير حتى لقوهما عند الرصد بعد المغرب، وهما مع الأمير طاز. فما هو إلا أن أتت أطلاب[٤] الأميرين، رفس كل منهما فرسه، ودكس[٥] من جانب طاز، وصار فى طلبه بين مماليكه، فإنهما كانا لما رأيا مماليك كلتا قد أقبلوا إلى لقاء طاز وهم ملبسين، خافا على أنفسهما. وفى الحال وقعت الضجة ولم يبق إلا وقوع الحرب. فتفرقت

يزل فيها إلى أن مات. ونقل جثمانه إلى بلده. صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى) و(المعارف) و(الترغيب والترهيب) و(دلائل النبوة). انظر شذرات الذهب ٣٠٤/٣ وطبقات الشافعية ٣/٣ ومعجم البلدان ٣٤٦/٢ والمنتظم ٢٤٢/٨ وابن خلكان ٢٠/١ واللبان ١٦٥/١ ودائرة المعارف الإسلامية ٤٢٩/٤ والأعلام ١١٦.

(١) الأشرفية، قصر فى قلعة الجبل، أنشأه الملك الأشرف خليل بن قلاوون فى سنة ٦٩٢هـ.

(٢) الأمير كلتا، أخو الأمير طاز.

(٣) يفهم من سياق المعنى أنهما كانا لابسين عدة الحرب.

(٤) على هامش ط: أطلاب: جمع طلب، وهو لفظ كردى معناه الأمير الذى يقود مائتى فارس، ثم تطور اللفظ فأصبح يطلق على الكتيبة من الجيش.

(٥) دكس دكسا: الشيء تراكب بعضه فوق بعض. انظر المعجم الوسيط (دكس).

مماليك طاز عنه لقلة عددهم، فإن الأطلاب صارت تتلاحق من قبل الأمير شيخو شيئًا بعد شىء، فطلب طاز أيضًا نجاة نفسه وولى بفرسه، فلم يعرف أين يذهب. وأقبلت الأمراء إلى الأمير شيخو، فأركب الأمير قُطْلُوبُغا الطَرْخانى[١] فى جماعة من الأمراء لحراسة الطرقات، فتفرقوا فى عدة جهات، وبات بقية الأمراء فى الأشرفية من القلعة، ووقفت عدة وافرة تحت القلعة.

وبات السلطان والأمير شيخو على باب الإصطبل، فكانوا طول ليلتهم فى أمر مريج[٢] وظلوا يوم الخميس وليلة الجمعة كذلك. ففى أثناء ليلة الجمعة حضر الأمير تقطاى الدوادار - وصحبته الأمير طاز - إلى عند الأمير شيخو. وكان طاز قد التجأ إلى بيت تقطاى، فإن أخت طاز كانت تحته، فقام إليه الأمير شيخو وعانقه، وبكى بكاء كثيرا، وتعاتبا، وأقام عنده ليلته تلك. وركب به يوم الجمعة إلى القلعة، فأقبل عليه السلطان، وطيب خاطره، ورسم له بنيابة حلب، عوضا عن الأمير أرغون الكاملى. فلبس طاز التشريف فى يوم السبت سابعه، وسار من يومه ومعه الأمير شيخو وصرغتمش، وجميع الأمراء. لوداعه، فسأل أن تكون إخوته صحبته، فأجيب إلى ذلك، وأخرجوا إليه، بحيث لم يتأخر عنه أحد من حاشيته، وعاد الأمراء، ومضى لمحل نيابته. وسجن الملك الصالح صالح حيث كان أخوه الملك الناصر حسن مسجونا.

ومن غريب ما وقع - مما فيه أعظم معتبر - أنه عمل الطعام للسلطان الملك الصالح ليمد بين يديه على العادة، وعمل الطعام للناصر حسن ليأكله فى محبسه، فاتفق خلع الصالح فى أق من ساعة وسجنه، وولاية أخيه حسن السلطنة عوضه، فمد السماط بالطعام الذى عمل ليأكله الصالح، فأكله حسن فى دست[٣] مملكته، وأدخل الطعام - الذى عمل لحسن ليأكله فى محبسه - على الصالح، فأكله فى السجن الذى كان أخوه حسن فيه. فسبحان محيل الأحوال، لا إله إلا هو.

وفيها كان القبض على تاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام، ناظر الخاص وناظر الجيش. وعددت له ذنوب، منها أنه لما ولى نظر الجيش - بعد علم الدين بن زنبور - تشدد فيه، مع سلوكه سبيل الأمانة على المعنى بمنع المقايضات والنزولات، حتى قلت أرزاقهم. ثم لما ولى نظر الخاص بعد بدر الدين - مضافا إلى

---

(١) الطرخان هو الأمير المتقاعد دون أن يكون مغضوبا عليه.

(٢) الرجة: رجة القوم: اختلاط أصواتهم، ورجة الرعد: صوته، ومريج أى: ملتبس ومختلط انظر المعجم الوسيط (رجج).

(٣) الدست: صدر المجلس. انظر المعجم الوجيز ٢٢٧.

الجيش - ثم مات الوزير موفق الدين، مال إلى جهة طاز والملك الصالح، وأوقع في ذهنهما أنه لا يتمكن من عمل مصالح السلطان مع تحدث الأمير شَيْخُو في أمور الدولة. فنُقل ذلك إلى شيخو وصَرْغَتْمش، فقام صرغتمش على شيخو حتى استعفى من التحدث في أمور الدولة، وقلدوا السلطان أمرها، فاستقل بالتدبير وحده. وجعل الأمير طاز كأنه يتحدث عنه من غير إظهار ذلك، فاتفق مع الأمير طاز على توفير جملة من المعاليم المستقرة للمباشرين، فوفر منها ما تقدم ذكره، ولم يراع أحدا، فتنكرت القلوب له. ونُقل مع هذا للأمير شيخو عنه أنه أغرى الملك الصالح به. وعرفه كثرة متاجره وأمواله، حتى تنكر عليه وعلى الأمير صرغتمش. فلما توطدت دولة الملك الناصر حسن، تفرغ الأمير شيخو لناظر الخاص. وعندما خرج من خزانة الخاص بالقلعة أخذ ووضع في رقبته باسة[1] وجنزير، وكشف رأسه، وتناولته أيدي الناس يضربونه بنعالهم، وهم خدام السلطان ومماليكه بقتله، فلولا من هو موكل به، لأتوا على نفسه، ومازالوا به حتى أدخلوه قاعة الصاحب بالقلعة. وماجت القاهرة ومصر بأهلها لسرورهم بذلك، فكان يوما معدودا. ووقع الطَلَبُ عليه بحمل المال، وبسطت عليه العقوبات بأنواعها. وتولى تعذيبه عدوه خالد بن داود، فقبض على أخيه كريم الدين ناظر البيوت، وعلى ألزامه وأصهاره وأتباعه. وولى مجد الدين موسى الهذباني شاد الدواوين، فعظمت مصيبتهم وجلت بلاياهم، فإنه أدخل على تاج الدين بمزين حلق رأسه ثم شق جلدة رأسه بالموسى، وحشى جراحاته من الخنافس. ثم ألبس رأسه طاسة من نحاس قد أوقد عليه بالنار، حتى اشتدت سخونتها، فعندما أحست الخنافس بالحرارة سعت لتخرج، فلم تجد سبيلا، فجعلت تنقب في جراحات رأسه حتى هلك، بعد ما رأى في نفسه العبر من كثرة تنوع العذاب الأليم عليه. واعترف بخبيئة في داره، فنزل الأمير قَشْتَمُر الحاجب، ومجد الدين الهذباني - شاد الدواوين - وخالد بن داود إليها، فوجدوا ستة آلاف دينار. وأبيع موجوده، وهُدمت داره، فكانت جملة ما أخذ منه عشرة آلاف دينار.

واستقر عوضه في نظر الخاص والجيش علم الدين عبد الله بن نقولا، كاتب الخزانة. واستقر كريم الدين أكرم ابن شيخ في نظر الدولة ونظر البيوت. واستقر الفخر ابن السعيد - صاحب ديوان الجيش - في كتابة الخزانة عوضه.

وفي هذا الشهر: قدم الأمير أرغون الكاملي نائب حلب، فأكرم إكراما زائدا،

---

(١) الباسة: يعني به ضرب من الشيء الخشن.

وخلع عليه، وأنعم عليه بإقطاع الأمير طاز من غير زيادة، وهى منية ابن خصيب[١] وناحية أخرى.

وفى يوم الأربعاء سابع عشر ذى القعدة: أخرج الأمير أسندمر العمرى لنيابة حماة[٢]، ونقل الأمير سيف الدين طُبَيْرَق نائب حماة إلى إمرة بدمشق. ونقل الأمير مَنْجَك من صفد[٣] إلى نيابة طرابلس، عوضا عن أَيْتمِش الناصرى بعد وفاته.

وفى هذا الشهر: ركب السلطان إلى جهة الأهرام، وعاد فدخل إلى بيت الأمير شيخو، يعوده وقد وعك، فقدم له تقدمة جليلة.

وفيه خلع على الأمير صَرْغتمش، واستقر فى نظر المارستان المنصورى، وكان قد تعطل نظره من متحدث تركى، وانفرد بالكلام فيه القاضى علاء الدين على بن الأطروش وفسد حال وقفه، فإنه كان يكثر من مهاداة أمراء الدولة ومدبريها، ويمهل عمارة رباعه حتى تشعثت فنزل إليه الأمير صَرْغتمش، ودار فيه على المرضى، فساءه ما رأى من ضياعهم، وقلة العناية بهم، فاستدعى القاضى ضياء الدين يوسف بن أبى بكر بن محمد بن خطيب بيت الآبار[٤]، وعرض عليه التحدث فى المارستان كما كان، عوضا عن ابن الأطروش. فامتنع من ذلك، فمازال به حتى أجاب. وركبا إلى أوقاف المارستان بالمهندسين؛ لكشف ما يحتاج إليه من العمارة، فكتب تقدير المصروف ثلاثمائة ألف درهم، فرسم بالشروع فى العمارة، فعمرت الأوقاف حتى ترفع ما فسد منها، ونودى بحماية من سكن فيها، فزاد ريع الوقف فى الشهر نحو أربعين ألف درهم، ومنع من يتعرض إليهم، وانصلحت أحوال المرضى أيضًا.

وعرض الأمير صَرْغَتْمش جميع مستحقى الوقف من الفقهاء والقراء وغيرهم، وأكثر من سؤالهم، ونقب عن أمورهم، وألزمهم بمواظبة وظائفهم.

وفيها انفتح باب السعى عند الأمير شَيْخُو بالبراطيل[٥] فى الولايات، فسعى جماعة بأموال فى عدة جهات، فأجيبوا إلى ذلك، وقرروا فيما أرادوه، وأخذ منهم ما وعدوا

---

(١) مدينة كبيرة على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٢) حماة: من كور حمص بالشام وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى. انظر معجم البلدان ٣٠/٢، ٣٠١، الروض المعطار ١٩٩، صبح الأعشى ١٤٠/٤.

(٣) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٤) اسم قرية يضاف إليها كورة من غوطة دمشق فيها قرى.

(٥) البراطيل جمع البرطيل وهى الرشوة انظر المعجم الوسيط.

به، منهم حاجى أستادار ظهير بغا، استقر فى ولاية قوص[1] بمائتين وخمسين ألف درهم، قام بها للسلطان والأمراء. واستقر أيضًا ناصر الدين محمد بن إياس بن الدويدارى فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن عز الدين أَزدَمُر الأعمى بنحو ستة آلاف دينار.

وكان أزدَمر قد عمى من اثنتى عشرة سنة، وهو لا يظهر أنه أعمى، ويركب، ويكبس البلاد، ويحضر الخدمة السلطانية مع الأمراء، وله مملوك يكون معه حيث سلك، يعرفه ما يريد، وإذا رأى أحدا يقصده يعرفه به، فيستقبله من بعد ويسلم عليه كأنه يراه. وكذا إذا جلس للحكم أرشده سرا لما لابد منه. ومع ذلك فقد كان لطول مدته وتمرنه صار يعرف أكثر أحوال العربان، ويستحضر أسماءهم، فيقوى بذلك على تمشية أموره، بحيث يخفى على أكثر الناس عماؤه، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

وفيها خرج ركب الحجاج الرجبية، صحبة الأمير عز الدين أزدمر الخازندار، ونزل بركة الجب[2] على العادة فى يوم الإثنين حادى عشرين رجب. وسافر فيه الطواشى شبل الدولة كافور الهندى، وقطب الدين هرماس وجماعة من الأعيان. فلما وصل الركب إلى بدر، لقيهم قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة[3]، وقد توجه من المدينة النبوية - وكان مجاورا بها - يريد مكة ليصوم بها شهر رمضان. وعند نزولهم بطن مرو لقيهم الشريف عجلان[4] أمير مكة. فخلع عليه، ومضوا إلى مكة، فدخلوها معتمرين يوم الخميس تاسع عشرين شعبان، فنودى من الغد مستهل رمضان ألا يحمل أحد من بنى حسن والقواد والعبيد سلاحا بمكة، فامتنعوا من حمله. وكان الرخاء كثيرا، كل غرارة قمح - وهى سبع ويبات مصرية - بثمانين درهما، والغرارة الشعير بخمسين

---

(١) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٢) تقع بظاهر القاهرة من بحريها.

(٣) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى، الحموى الأصل، الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين: الحافظ، قاضى القضاة. ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩هـ وجاور بالحجاز، فمات بمكة. من كتبه «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك» و«المناسك الصغرى». انظر الدرر الكامنة ٢/٣٧٨ والكتبخانة ٧/٨١ والتيمورية ٣/٦١ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٤/٩٦.

(٤) عجلان بن رميثة بن أبى نمى: شريف حسنى. من أمراء مكة. مولده ووفاته فيها. نزل له أبوه عن إمارتها فى أواخر حياته (سنة ٧٤٥هـ) وبعد وفاة أبيه (سنة ٧٤٦هـ) نازعه إخوة له، فتداولوها بينهم مدة، ثم استقر الأمر لعجلان. فاستمر إلى أن توفى. انظر الجداول المحضية ١٤٦ والدرر الكامنة ٢/٤٥٣ وخلاصة الكلام ٣١ والأعلام ٤/٢١٦.

درهما. إلا أن الماء قليل، بحيث نزحت الآبار وانقطعت عين جوبان[١]، فأغاثهم الله بمطر عظيم رووا منه. وحضر أبو القاسم محمد بن أحمد اليمنى - إمام الزيدية الذى ضربه عمر شاه أمير الركب فى السنة الخالية - إلى قاضى القضاة عز الدين بن جماعة تائبا مما كان عليه من مذهب الزيدية، فعقد له مجلس بالحرم، حضره أمير الركب وعامة أهل مصر ومكة، وأشهدهم أنه رجع عن مذهب الزيدية، وتبرأ إلى الله تعالى من إباحة دماء الشافعية وأموالهم، وأنه يواظب على صلاة الجمعة والجماعة مع أئمة الحرم، وإن خرج عن ذلك فعل به ما تقتضيه الشريعة، وكتب خطه بذلك. فقال بعضهم:

استتوبوا الزيدى عن مذهب ... قد كان من قبل به معجبا
لو لم يدارك نفسه بتوبة ... لعجل الله له مذهبا

وهبت الريح بمكة من قبل اليمن، أظلم عقبيها الحرم، وفشت الأمراض فى الناس، حتى لم يكن أحد إلا وبه وعك[٢]، إلا أنه كان سليما يحصل البرء منه بعد أسبوع. فلما كان شهر شوال ظهر بعد العشاء الآخرة من قبل جبل أبى قبيس[٣]، كوكب فى قدر الهلال، وأكثر نورا منه، ومر على الكعبة ثم اختفى بعد ثلاثة درج، فسمع من فقير يمانى وهو يقول: «لا إله إلا الله، القادر على كل شيء، هذا يدل على رجل يكون فى شدة، يفرج الله عنه، ورجل يكون فى فرج يصير إلى شدة، والله يدبر الأمر بقدرته». وقدم الخبر فى أخريات شوال بخلع الصالح وإعادة السلطان حسن. وكان اتفق أيضًا أن الشيخ المعتقد أبا طرطور قال يوما: «لا إله إلا الله، اليوم جلس حسن فى دست مملكة مصر». ولم يكن عنده سوى الشيخ قطب الدين أبى عبد الله محمد بن أبى الثناء محمود ابن هرماس بن ماضى المقدسى، المعروف بالهرماس فقام من فوره إلى أمير الركب عز الدين أزدمر وقاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة وهما بالحرم، فجلس إليهما، ثم أطرق ورفع رأسه وقال: «لا إله إلا الله، اليوم جلس الملك الناصر حسن فى دست مملكة مصر عن الملك الصالح صالح، فور خوا ذلك عندكم». فورخه الأمير عز الدين أزدمر. وقدم الخبر بخلع الصالح وجلوس الناصر حسن فى ذلك اليوم بعينه. فمن حينئذ ارتبط الأمير عز الدين أزدمر على الهرماس، وأوصله للسلطان حسن حتى بلغ ما بلغ، ظنا منه أن الكلام المذكور كان من قبله على جهة الكشف، وما كان إلا مما تلقفه من الشيخ أبى طرطور، فنسبه إلى نفسه.

---

(١) من قرى مرو ويسمونها كوبان. انظر معجم البلدان ١٧٦/٢.

(٢) أصابه ألم من شدة التعب. انظر المعجم الوجيز ٦٧٥.

(٣) جبل أبى قبيْس: - أو أبو قابوس - اسمان لجبل بمكة ويقال شيخ الجبال أبو قبيس، وقيل ثبير. انظر معجم البلدان ٣٠٨/٤، والروض المعطار ٤٥٢، معجم ما استعجم ١٠٤٠/٣.

وفيها كان من زيادة النيل ما يندر وقوع مثله، فإنه انتهى فى الزيادة إلى أصابع من عشرين ذراعا، فقيل خمسة، وقيل سبعة، وقيل عشرون أصبعا، من عشرين ذراعا، ففسدت الأقصاب والنيلة ونحوها من الزراعات، وفسدت الغلال التى بالمطامير والأجران والمخازن، وتقطعت الجسور التى بجميع النواحى، قبليها وبحريها، وتعطلت أكثر الدواليب[(١)] وتهدمت دور كثيرة مما يجاور النيل والخلجان، وغرقت البساتين، وقاض الماء حتى بلغ قنطرة قديدار[(٢)] فكانت المراكب تصل من بولاق إليها، ويركب الناس فى المراكب من بولاق إلى شبرا ودمنهور[(٣)].

وغرقت كوم الريش، وسقطت دورها، فركب الأمير علاء الدين على بن الكورانى والى القاهرة، والأمير قشتمر الحاجب، وجماعة. وقطعت أشجار كثيرة، وعمل سد عظيم، حتى رجع الماء عن الحسينية بعد ما أشرفت على الغرق، فإن المطرية[(٤)] والأميرية والمنيا وشبرا مع جميع الضواحى بقوا ملقة واحدة متصلة بالنيل الأعظم، فعز التبن بالنواحى لتلفه كله، وبلغ كل حمل عشرين درهما فى الريف، ووصل فى القاهرة كل حمل إلى خمسة وأربعين درهما، ثم انحط إلى خمسة وعشرين درهما. وتحسنت الأسعار، فبلغ الأردب القمح إلى ستة وثلاثين درهما، والأردب الشعير إلى عشرين درهما، والأردب الفول إلى ستة عشر درهما. وشرق مع ذلك كثير من بلاد الفيوم[(٥)]، فإن جسرها انقطع، فتوجه الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى والأمير مجد الدين موسى الهذبانى، والأمير عمر شاه - كاشف الجسور - وغيره، حتى سدوه وجبوا من بلاد الفيوم ثلاثمائة ألف درهم، وبنوا زريبة حجر موضع الجسر، حتى أتقنوه، ثم عادوا. وغلا البرسيم الأخضر حتى بلغ

---

(١) يقصد بالدواليب معاصر قصب السكر وما شابهها من الصناعات التى تحتاج إلى الأدوات العجلية.

(٢) قنطرة قديدار تقع على الخليج الناصرى.

(٣) دمنهور: مدينة مسورة فى بسيط من الأرض أفيح متصل من الإسكندرية إلى مصر والبسيط كله محترث، والقرى فيه يمينا وشمالا لا تحصى كثيرة. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢، والروض المعطار ٢٣٧، وابن دقماق ١٠١/٥، وقاموس رمزى ٢/٢/ ٢٨٤.

(٤) من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلسان الذى يستخرج منه الدهن، وفى جنابها الشمالى عين شمس القديمة. انظر معجم البلدان ١٤٩/٥.

(٥) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظر كبير فيه قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدد ما فى قطر مصر كلها من القرى، وقيل إنما سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار كل يوم. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

الفدان بالضواحى إلى مائتين وخمسين درهما، وفى غيرها إلى مائتين، من قلة الأتبان. وانحط سعر العسل والسكر، وتلفت الفواكه جميعها وهلكت أشجار أكثر البساتين.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

الأمير سيف الدين أيْتمِش المحمدى الناصرى نائب طرابلس فى رمضان ترقى فى الخدم إلى أمره الناصرى قريبا من سنة أربع وعشرين، ثم ولى حاجبا فى المحرم سنة أربع وأربعين، وانتقل منها إلى الوزارة فى شهر رمضان منها، فاستمر إلى سنة خمس وأربعين وأعيد إلى الحجابة. فلما قتل أرغون شاه نائب دمشق استقر عوضه، فقدم دمشق فى جمادى الآخرة سنة خمسين، وأقام بها إلى رجب سنة اثنتين وخمسين، فدعى إلى مصر، وقبض عليه بها، وسجن بالإسكندرية، ثم أفرج عنه بعد يسير، وأخرج إلى صفد، ومنها لحق بيبغ روس[(١)] فأشار عليه بخبره. فلما قدم السلطان إلى دمشق، وعرفت سيرته الحسنة، ولى نيابة طرابلس، فمات بها. وكان لين العريكة، وطى الجانب.

ومات الأمير علاء الدين مُغْلطاى - أمير شكار وأمير آخور - بطالا بدمشق. كان من خواص الناصرى، فترقى فى خدمته، حتى صار رأس نوبة كبير أمير مايه، واستقر أمير شكار وأمير آخور، ثم قبض عليه وأخرج إلى طرابلس، ثم نقل إلى دمشق، فمات بها فى عاشر رمضان، وكان حاد الخلق.

ومات جمال الدين أبو الطيب الحسين، ابن قاضى قضاة دمشق تقى الدين أبى الحسن على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصارى السبكى[(٢)]، بدمشق، فى يوم السبت ثانى شهر رمضان، ومولده بمصر سنة إحدى وعشرين. كتب بديوان الإنشاء فى وزارة أبيه، ثم ولى استيفاء الصحبة. وتقلد فى سنة

---

(١) هو الأمير بيبغا روس الناصرى، واشتهر ذكره فى دولة الصالح إسماعيل، ثم عظم قدره، فى دولة المظفر حاجى عندما باشر نيابة السلطنة.

(٢) على بن عبد الكافى بن على بن تمام السبكى الأنصارى الخزرجى، أبو الحسن، تقى الدين: شيخ الإسلام فى عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين. وهو والد التاج السبكى صاحب الطبقات. ولد فى سبك (من أعمال المنوفية بمصر، وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام وولى قضاء الشام سنة ٧٣٩هـ. واعتل فعاد إلى القاهرة، من كتبه «الدر النظيم» فى التفسير، و«مختصر طبقات الفقهاء». انظر طبقات الشافعية ١٤٦/٦ وخطط مبارك ٧/١٢ وحسن المحاضرة ١٧٧/١، وغاية النهاية ٥٥١/١ والدرر الكامنة ٦٣/٣ والفهرس التمهيدى ٢٠٧ والأعلام ٣٠٢/٤.

تسع وثلاثين إلى نظر الدولة، واستقر عوضه فى استيفاء الصحبة أخوه كريم الدين، حتى أمسك مع أبيه فى نوبة النشو وعوقبوا. ثم توجه بعد موت أبيه إلى القدس وأقام به مدة. ثم طلب وولى نظر البيوت، فاستعفى منها، وولى نظر النظار بالشام. ثم استعفى منها أيضًا وقدم القاهرة حتى ولى نظر الجيش بعد ابن زنبور، وأضيف إليه نظر الخاص وكان فاضلا كريما درس بعدة مواضع.

توفى تاج الدين أبو الفضايل أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام فى رابع شوال تحت العقوبة، كما تقدم. وهو أحد كتاب مصر المعدودة، وكان يخدم جريدته[١] بيده، ولا يحتاج إلى كشف عامل ولا غيره، بل يكاد أن يعمل محاسبة كل أحد من ذهنه لفرط ذكائه وشدة فطنته، مع العفة والأمانة، أو التشدد على الناس، والتوفير من الأرزاق حتى لم يعهد أنه جرى على يده رزق لأحد، بل ما برح يوفر المال للسلطان إلى أن كان من أمره ما كان. وكان لا يراعى أحدا، ولا يحابى، ويكثر من المحاققة والضبط.

توفى الأمير سيف الدين أياجى نائب قلعة دمشق.

وتوفى الشريف علاء الدين أبو الحسن على بن عز الدين حمزة بن الفخر على بن الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة الحسينى الحلبى، نقيب الأشراف بحلب. قدم القاهرة، وكتب بديوان الإنشاء مدة، ثم عاد إلى حلب، وولى وكالة بيت المال ونقابة الأشراف بها حتى مات، وقد أناف على السبعين.

وتوفى الوزير الصاحب، موفق الدين، أبو الفضل، هبة الله بن سعيد الدولة، إبراهيم، فى يوم الجمعة ثانى عشرين ربيع الآخر. وكان كاتبا مجيدا مشكور السيرة، له بر ومعروف. باشر أولا نظر الدولة ثم تنقل إلى الوزارة فلم يزل وزيرا حتى مات، ودفن بتربته من القاهرة، وكانت جنازته حفلة.

وتوفى متملك الأندلس أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن الأحمر[٢] فى صلاة عيد الفطر، طعن بخنجر وهو ساجد، فكانت منيته.

---

(١) الجريدة: خيل لا رحالة فيها. انظر المعجم الوسيط (جرد).

(٢) يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، أبو الحجاج الأنصارى الخزرجى الناصرى: سابع ملوك «بنى نصر»ابن الأحمر، فى الأندلس بويع بغرناطة ساعة مقتل أخيه محمد (أواخر سنة ٧٣٣هـ) وسنه إذ ذاك خمسة عشر عاما وثمانية أشهر. هجم عليه مجهول وطعنه بسكين (أو خنجر) بينما هو ساجد فى الركعة الأخيرة من صلاة العيد. انظر اللمحة البدرية ٨٩ والدرر الكامنة ٤٥٠/٤ والحلل السندسية ٢٢٩/٢. ٢٣٩ والأعلام ٢١٧/٨.

وتوفى قاضى القضاة المالكية ببلاد الشرق[١] عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجى المطرزى المعروف بالعضد الشيرازى الشافعى[٢] مسجونا فى سخط صاحب كرمان[٣]، ومولده سنة ثمانين وستمائة. وله شرح مختصر ابن الحاجب فى الأصول، ﷺ المواقف، وكتاب القواعد الغياثية. وكان إماما فى المعقولات والنحو والأصول والمعانى والبيان، مشاركا فى الفقه. وله سعادة ضخمة، وكلمة نافذة. وولاه أبو سعيد القضاء. وسكن سلطانية ثم شيراز[٤]. وبينه وبين فخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردى[٥] مناظرات.

* * *

---

(١) يقصد ببلاد الشرق الموصل وسنجار والجزيرة وديار بكر والرها. انظر معجم البلدان.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجى: عالم بالأصول والمعانى والعربية. من أهل إيج (بفارس) ولى القضاء، وأنجب تلاميذ عظاما وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجونا. من تصانيفه «المواقف» فى علم الكلام، و«العقائد العضدية» فى علم الوضع و«شرح مختصر ابن حاجب» فى أصول الفقه. انظر بغية الوعاة ٢٩٦ والدرر الكامنة ٣٢٢/٢ وطبقات السبكى ١٠٨/٦ والكتبخانة ١٤٥/٤ والأعلام ٢٩٥/٣.

(٣) كرمان: أرض كرمان متصلة بأرض فارس وبأرض مكران. قالوا وهى ثمانون فرسخًا فى مثلها، وحدها فى الشرق أرض مكران، وفى الغرب أرض فارس، وفى الشمال مفازة خراسان وسجستان وفى الجنوب بحر فارس. انظر معجم البلدان ٤٥٤/٤، والروض المعطار ٤٩١، ٤٩٢، واليعقوبى ٢٨٦، والكرخى ٢٦٦، والمقدسى ٤٥٩، وابن الفقيه ٢٠٥.

(٤) شيراز: مدينة بأرض فارس، وهى مدينتها العظمى ودار مملكة فارس، وينزلها الولاة والعمال، وبها الديوان والمجبى، وهى مدينة إسلامية بناها محمد بن القاسم بن أبى عقيل ابن عم الحجاج، وتفسير شيراز: حوف الأسد. انظر معجم البلدان ٣٨٠/٣،٣٨١، والروض المعطار ٣٥١، نزهة المشتاق ٢٠٤.

(٥) أحمد بن الحسن بن يوسف، فخر الدين الجاربردى: فقيه شافعى اشتهر وتوفى فى تبريز. له «شرح منهاج البيضاوى» فى أصول الفقه، و«شرح شافية ابن الحاجب». انظر البدر الطالع ٤٧/١ والدرر الكامنة ١٢٣/١ والخزانة التيمورية ١٩٧/١ وطبقات الشافعية ١٦٩/٥ وشذرات الذهب ١٤٨/٦ والبدر الطالع ٤٧/١ والأزهرية ٧٨/٤ ودار الكتب ٢٥٢/٢ والأعلام ١١١/١.



سنة ست وخمسين وسبعمائة

فى المحرم: شرع الأمير شَيْخُو فى هدم أملاك ابتاعها بخط صليبة جامع ابن طولون. فكانت مساحتها زيادة على فدان، واختط موضعها خانكاه[1]، وحمامين وحوانيت، يعلوها رباع. وجد فى بنائها بحيث أنه عمل فيها بنفسه ومماليكه، حتى انتهت عمارتها، وأشهد عليه بوقفها. ووقف عليها عدة جهات بأرض مصر والشام. ورتب بها دروس الفقه للمذاهب الأربعة، وشيخا للصوفية، ومدرسا للحديث النبوى، وشيخا لإقراء القرآن الكريم بالقراءات السبع، وغير ذلك من الفراشين والقومة والمباشرين. وشرط على الفقهاء والصوفية ألا يتزوج منهم إلا طائفة عينهم من كل مذهب، وأن يقيم العزاب بالخانكاه ليلا ونهارا. وشرط ألا يكون فيهم ولا منهم قاض ولا شاهد، يتكسب بتحمل الشهادة. فلما كان يوم عرفة منها ركب فى جماعة الأمراء وأعيان الدولة وقضاة القضاة ومشايخ العلم إلى هذه الخانكاه. وقد قرر فى تدريس الشافعية بهاء الدين أحمد ابن الشيخ الإمام تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى[2]، والشيخ خليل الجندى فى تدريس المالكية، والقاضى ناصر الدين نصر الله فى تدريس الحنابلة، شريكا لقاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلى. وألقى المدرسون الثلاثة دروس الفقه على مذاهبهم، وطلبتهم قد تحلقوا بين أيديهم فيما بين الظهر إلى العصر. فلما صلوا العصر فرش الأمير شيخو سجادة مشيخة التصوف بيده، وأجلس الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود الحنفى عليها. ثم لما انقضى الحضور انفضوا. فكان يوما مشهودًا. ولم يسخر فى بنائها أحد من المقيدين الذين بالسجون، كما هى عادة أمراء الدولة فى عمايرهم، ولا سخر من الناس أحدا بغير أجرة فى شىء من أعمال هذه الخانكاه، بل كانت تُوفى للعمال أجرهم. وأنشد أدباء العصر فى هذه الخانكاه عدة أشعار، منها قول الأديب صلاح الدين صلاح الدين بن الزين لبيكم:

لقد شاد شَيْخُو خانكاه بديعة   تفوق على الروض المكلل بالندا
بناها ولم يعمل بها من مقيد   ولكن على أهل الوظايف قيدا

---

(١) الخانكاه وجمعها خوانك، كلمة فارسية معناها بيت.

(٢) أحمد بن على بن عبد الكافى، أبو حامد، بهاء الدين السبكى: فاضل، له «عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح» ولى قضاء الشام (سنة ٧٦٢هـ) فأقام عاما، ثم ولى قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، ومات مجاورا بمكة». انظر البدر الطالع ٨١/١ والدرر الكاملة ٢١٠/١ والأعلام ١٧٦/١.

وقال الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد[١]، الشهير بابن أبى حجلة المغربى، من مقامه عملها فى الخانكاه المذكورة:

ومدرسة للعلم فيها مواطن   فَشَيْخُو بها فرد وإيشارة جمع
لئن بات فيها فى القلوب مهابة   فواقفها ليث وأشياخها سبع

وفى يوم الإثنين ثانى صفر: عزل تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن أبى بكر الأخنائى[٢]، عن قضاء المالكية بالقاهرة، واستقر فى نظر خزانة الخاص، عوضا عن ابن الجوجرى، وخلع عليه.

واستقر فى قضاء المالكية الشيخ نور الدين أبو الحسن على بن عبد النصير بن على السخاوى، فمرض بعد شهر ولزم الفراش حتى مات بعد اثنين وسبعين يوما، بعد ما أفاق من مرضه إفاقة. وبلغه أنه لما أيس[٣] منه عزل، فسأل الأمير شَيْخُو ان يجدد السلطان له ولاية، فخلع عليه، وعمل الأمير شَيْخُو وليمة لعافيته، فمات يوم الثامن من الوليمة، فاستدعى تاج الدين الإخنائى وخلع عليه، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية مع نظر خزانة الخاص، فاستناب فى نظر الخاص أخاه برهان الدين إبراهيم.

وفيه كتب توقيع لتاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين على السبكى[٤] بأن يكون نائبا عن أبيه فى قضاء القضاة بدمشق، ومستقلا بعد وفاته. ورسم بحضور التقى إلى

(١) أحمد بن يحيى بن أبى بكر التلمسانى، أبو العباس، شهاب الدين بن أبى حجلة: عالم بالأدب، شاعر، من أهل تلمسان. سكن دمشق، وولى مشيخة الصوفية بصريح منجك (بظاهر القاهرة، ومات فيها بالطاعون. كان حنيفا يميل إلى مذهب الحنابلة ويكثر من الحط على أهل الوحدة وخصوصا ابن الفارض، وامتحن بسببه. له أكثر من ثمانين مصنفا، منها «مقامات»، وكتاب «ديوان الصبابة» و«منطق الطير». انظر الدرر الكامنة ٣٢٩/١ وتعريف الخلف ٤٢/٢ وآداب اللغة ١٢٣/٣ وفهرس دار الكتب ١٠٥/٣، ١٣٥ والأعلام ٢٥٩/١.

(٢) محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى، أبو عبد الله، تقى الدين الأخنائى: قاضى قضاة المالكية بمصر. له تأليف، انتقد الإمام ابن تيمية أحدها بكتاب «الرد على الأخنائى» فى زيارة القبور. انظر الديباج ٣٢٧ والأعلام ٥٦/٦.

(٣) أيس منه: أيسا – وإياسا: يئس وانقطع رجاؤه. انظر المعجم الوجيز ٣١.

(٤) عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى، أبو نصر: قاضى القضاة، المؤرخ، الباحث. ولد فى القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفى بها. نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر) انتهى إليه قضاء القضاة فى الشام وعزل. تعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر. وأتوا به مقيدا مغلولا من الشام إلى مصر. ثم أفرج عنه وعاد إلى دمشق، فتوفى بالطاعون. له تصانيف منها «طبقات الشافعية الكبرى» و«معيد النعم ومبيد النقم». انظر جلاء العينين ١٦ والدرر الكامنة ٤٢٥/٢ وحسن المحاضرة ١٨٢/١ والتيمورية ١٣٠/٣ والكتبخانة ٢٤٣/٢ والأعلام ١٨٤/٤، ١٨٥.

القاهرة، بسعى ولده بهاء الدين أحمد فى ذلك، فكتم التقى عن أهل دمشق هذا، وخرج - وهو مريض - فى محفة ليزور القدس، فقدم القاهرة وقد اشتد مرضه، فمات بعد أيام. واستقر عوضه فى قضاء القضاة بدمشق ابنه تاج الدين عبد الوهاب.

وفي يوم الإثنين تاسع صفر: قبض على الأمير أرغون الكاملى؛ خوفا من شره، وسجن بالإسكندرية. واستقر كريم الدين أكرم ابن شيخ فى نظر الدولة، وأعيد شهاب الدين أحمد بن ياسين بن محمد الرياحى إلى قضاء المالكية بحلب، بعد وفاة زين عمر بن سعيد يحيى التلمستانى المغربى. واستقر خالد بن داود شاد الدواوين بإمرة عشرة، ولبس الشربوش[١] فى يوم عاشرة واستقر الحاج محمد بن يوسف مقدم الدولة عوضا عن الحاج أحمد بن زيد. وألزم ابن زيد بحمل ثلاثمائة ألف درهم، فحملها، فتتبع ابن يوسف آثاره حتى أظهر له من دفائن وودائع نحو أربعمائة ألف درهم. ثم صرف ابن يوسف وأعيد ابن زيد. وقبض على ابن يوسف، وعلى خالد بن داود شاد الدواوين وسلما لأحمد بن زيد، فعاقبهما وألزمهما بحمل المال، فلم يزل خالد فى العقوبة حتى مات. وأنعم السلطان على ولده الأمير أحمد بإمرة مائة تقدمة ألف، وأفرد له ديوانا.

وقدم الخبر بهجوم الفرنج على طرابلس الغرب، وأخذها، وقتل عامة أهلها. فلما بلغ ذلك أبو عنان فارس بن أبى الحسن على بن يعقوب[٢] - متملك فاس - اشتراها من الفرنج بمال كبير وعمرها.

وفيه سافر الأمير عمر شاه إلى الصعيد، وقد خرج سودى بن مانع وأخوه عن الطاعة، فأخذهما ووسطهما فى عدة من أصحابهما، وعاد.

وفيه قدم أولاد قراجا بن دلغادر بتقادم، فأعيد كبيرهم إلى الإمرة.

وقدم الأمير فياض بن مهنا[٣] بقود جليل، فأكرم، وأجريت له الرواتب على العادة،

---

(١) على هامش ط: الشربوش: قلنسوة طويلة يلبسها الأمراء بدلا من العمامة.

(٢) فارس بن على بن عثمان بن يعقوب المرينى، أبو عنان، المتوكل على الله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. ولد بفاس الجديدة (المدينة البيضاء، وبويع فى حياته سنة ٧٤٩هـ ولما مات أبوه (سنة ٧٥٢هـ) استتب أمره. مرض أياما فدخل عليه وزير الحسن بن عمر الفودورى فقتله خنقا. انظر جذوة الاقتباس ٣١٤ - ٣١٦ والاستقصا ٧٩/٢، ١٠٢ والحلل الموشية والأعلام ١٢٧/٥.

(٣) فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا الفضلى: أمير العرب فى بادية ما بين سورية والعراق من أول فضل ولى الإمرة بعد أخيه أحمد (سنة ٧٤٩م ثم عزل بأخيه حيا وأرسل إلى الإسكندرية فسجن فيها. نظر الدرر الكامنة ٢٣٤/٣ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ وابن خلدون ٤٣٩/٥ والأعلام ١٦٤/٥.

فشفع في الشريف ثُقْبَة[1]، فأفرج عنه وعن أخيه وابن عمه مَغَامِس فأقاموا مدة قليلة، ثم فر ثُقْبَة إلى مكة، فطلب فلم يقدر عليه.

وفى سابع جمادى الأولى: أعيد تاج الدين محمد الأخنائى إلى قضاء المالكية، بعد موت نور الدين على السخاوى.

وفى يوم الأربعاء سادس جمادى الآخر: ولد للأمير شَيْخُو ولد ذكر من ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فاحتفل احتفالا زائد فى عقيقته ومات الوليد بعد أيام، وعميت أمه عقيب ولادته. وفى خامس عشره قطعت يد الشريف المزور، وضرب أصحابه بالمقارع وشهروا، وكان فى التزوير ومحاكاة الخطوط عجبا، وسجن بسبب ذلك مرارًا.

وفيه سقط مطر فى غير أوانه، عم الوجه البحرى، ونزل معه برد قتل عدة أغنام كثيرة، بلغ وزن البردة أوقية وأوقيتين، ومنها ما نزل فى قدر الرغيف الكبير. وتلف زرع كثير من السيل. وهبت قبل هذه المطرة ريح عاصفة غرق منها عدة مراكب.

وفى هذه السنة: ابتدأ الأمير صَرْغَتْمُش فى هدم مساكن بجوار الجامع الطولونى، واختط موضعها مدرسة فى خامس رمضان، وكشف أوقاف الجامع بنفسه، ورم شعثها.

وقدم الخبر بأن فى شهر ربيع الآخر أمطرت السماء بأرض الروم بردا أهلك منه نحو مائة وخمسين قرية، فجعلها دكا، وكان وزن البردة الواحدة نحو رطل وثلث بالحلبى، وذلك فى شهر نيسان.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن حسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات المالكى - موقع الحكم - فى ليلة الإثنين عاشر ذى القعدة، وكان عاقلا دينا فاضلا.

---

(١) ثقبة بن رميثة بن أبى نمى الحسنى: شريف ممن ولوا إمارة مكة. كان يتظاهر بنصرة المذهب الزيدى ويأمر عبيده إذا مر ذكر الشيخين (أبى بكر وعمر) برحم الخطيب السنى، واختلف مع إخوة له فتأذى الحجاج بسبب ذلك، فجاءه عسكر من مصر فقبض عليه فى موسم ٧٥٤هـ وسجن بمصر إلى سنة ٧٥٦هـ وأطلق فهرب إلى الحجاز فهاجم مكة ونهب خيول الأمراء الموالين للمصريين، وكسر الأتراك وباع أسراهم سنة ٧٦١هـ واستقل بمكة إلى أن مات. وانظر الدرر الكامنة ١/٥٣٠ والبدر الطالع ١/١٨١ والنجوم الزاهرة ١٠/٢٢٦ والأعلام ٢/١٠٠.

وتوفى الشيخ الإمام قاضى القضاة بدمشق، تقى الدين أبو الحسن على بن زين الدين عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن سوار بن سليم الأنصارى السبكى بجزيرة النيل[١] من شاطئ النيل خارج القاهرة، فى ليلة الإثنين رابع جمادى الآخر. ومولده فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة بناحية سبك من المنوفية، أحد أعمال مصر. قرأ القراءات على التقى الصايغ، والتفسير على العلم العراقى، وسمع على الحافظ الدمياطى، وتفقه للشافعى، وولى قضاء دمشق بعد الجلال القزوينى[٢] فى تاسع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، وانتهت إليه رياسة العلم.

وتوفى قاضى القضاة المالكى نور الدين أبو الحسن على بن عبد النصير بن على السخاوى المالكى، ليلة الإثنين رابع جمادى الأولى، ودفن بالقرافة.

وتوفى زين الدين أبو حفص عمر بن سعيد بن يحيى التلمسانى المالكى، قاضى قضاة المالكية بحلب، عن نيف وستين سنة، منها فى قضاء حلب نحو خمس سنين.

وتوفى تاج الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم بن عبد العزيز بن عبد الحق السعدى[٣] البارنبارى، كاتب سر طرابلس، وله شعر جيد.

وتوفى الأديب الشاعر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله[٤]،

---

(١) جزيرة الفيلة: بلد كبير خارج باب البحر من القاهرة تتصل بمنية الشيرج من بحريها ويمر النيل من غربيها.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى، المعروف بخطيب دمشق. قاض. من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاه بمصر سنة ٧٢٧هـ ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨هـ ثم ولاه القضاء بها فاستمر إلى أن توفى من كتبه «تلخيص المفتاح» فى المعانى والبيان و«الإيضاح» فى شرح التلخيص. انظر مفتاح السعادة ١٦٨/١ وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٣٢٤/٢ والبدر الطالع ١٨٣/٢ والبداية والنهاية ١٨٥/١٤ فالأعلام ١٩٢/٦.

(٣) محمد بن محمد بن عبد المنعم تاج الدين أبو سعد السعدى: من كبار كتاب الإنشاء. دخل فى الديوان بالقاهرة (٧١٣هـ) ولما مات الشهاب ابن غانم بطرابلس توجه مكانه ثم ذهب إلى القاهرة سنة ٧١٤هـ فأرسل إلى دمشق. وتوجه إلى القدس زائر فمات به فجأة. وكان له نظم وسط فى ديوان «الفتح الرفيع فى مدح الشفيع». انظر الدرر الكامنة ١٩٥/٤ ودار الكتب ٦٦/٤ والأعلام ٣٦/٧، ٣٧.

(٤) محمد بن يوسف بن عبد الله الدمشقى، شمس الدين الخياط، ويقال له الضفدع: شاعر مجيد مكثر. مولده ووفاته فى دمشق. زار مصر، ومدح السلطان الناصر محمد بن قلاوون. وتسلط على ابن نباتة فأكثر من معارضته ومناقصته. انظر الدرر الكامنة ٣٠٠/٤ والنجوم الزاهرة ٣٢٠/١٠ والمنهل الصافى ٣٢٨/٣ والبدر الطالع ٢٨٦/٢ والأعلام ١٥٣/٧.

يلقب بالضفدع، ويشهر بالخياط، الدمشقى فى طريق الحجاز. قدم القاهرة، ومدح الأعيان، وجمع شعره فى عدة أجزاء، وتكسب بتحمل الشهادة فى دمشق. وكان لا يؤمن هجوه لطول لسانه وتعرضه لكل أحد.

وتوفى العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد الحلبى[(١)] النحوى المقرئ، الفقيه الشافعى، المعروف بابن السمين فى عاشر جمادى الآخرة. قرأ النحو على أبى حيان، والقراءات على التقى الصايغ، وسمع بآخره من يونس الدبابيسى، وتصدر للإقراء بجامع ابن طولون. وناب فى الحكم بالقاهرة، وولى نظر الأوقاف، وصنف تفسير القرآن فأطال فيه جدا حتى جاء فى عشرين سفرا كبارا، وصنف إعراب القرآن، وشرح التسهيل والشاطبية. وكان فقيها بارعا فى النحو والتفسير وعلم القراءات، وتكلم فى علم الأصول، وكان خيرا دينا.

وتوفى فخر الدين عثمان بن علم الدين يوسف بن أبى بكر بن محمد الأنصارى النويرى المالكى، فى ذى الحجة. ومولده سنة ثلاث وستين وستمائة. وحفظ الموطأ، وسمع على جماعة بمصر والشام والحرمين، وتفقه، ودرس وأفتى، وأحكم المذهب. وكان كثير الحج والمجاورة والتأله.

ومات الأمير قبلاى النائب، يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول.

ومات شهاب الدين، شاهد الجيش، يوم الإثنين ثالث عشرين صفر.

ومات زين الدين الخضر بن تاج الدين محمد بن زين الدين الخضر بن جمال عبد الرحمن بن علم الدين سليمان بن نور الدين على المعروف بابن الزين خضر فى آخر ربيع الأول. ومولده سنة عشر وسبعمائة. سمع على الحجاز وقرأ فى النحو وغيره، وكتب فى الإنشاء ونوه به كاتب السر علاء الدين على بن فضل الله، واعتمد عليه، وأقره يكتب بين يدى نائب السلطة. وكان يكتب سريعا من رأس القلم ما شاء، وكان ينطق بالجيم كافا.

ومات الأمير ملك آص، فى ثامن عشر رمضان بدمشق، وكان جاشنكير ثم ولى

---

(١) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبى، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات شافعى، من أهل حلب استقر واشتهر فى القاهرة. من كتبه «تفسير القرآن»، «القول الوجيز فى أحكام الكتاب العزيز»، «الدرر المصون». انظر إعلام النبلاء ٢٤/٥ وغاية النهاية ١٥٢/١ والمكتبة الأزهرية ١٥٠/١ وجامعة الرياض ٤٦/١ والدرر الكامنة ٣٣٩/١ والأعلام ٢٧٤/١.

شاد الدواوين بدمشق، ونيابة جعبر[١]، وسجن بالإسكندرية، ثم أقام بدمشق بطالا حتى مات.

ومات الأمير قردم بدمشق يوم الأحد تاسع عشر شهر رمضان. كان أمير آخور، ثم أخرج إلى دمشق بطالا، وقبض عليه، ثم صار بدمشق من جملة الأمراء حتى مات. والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

(١) جعبر على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين. انظر معجم البلدان ٣/١٤١،١٤٢.



سنة سبع وخمسين وسبعمائة

فيها ولى أويس بن الشيخ حسن بن أقبغا بن أيلكا سلطان بغداد بعد موت أبيه.

وولى كمال الدين أبو القاسم عمر بن الفخر أبى عمرو، عثمان بن هبة الله المعرى، قضاء القضاة الشافعية بحلب، بعد وفاة نجم الدين محمد الزرعى(1).

وهجم على طرابلس الشام الفرنج فى عدة شوانى، وأفسدوا ثم عادوا.

ووقع حريق بمدينة دمشق، فتلف منه عدة مواضع، ظاهر باب الفرج، منها ستمائة حانوت سوى البيوت، عدم فيها ما تزيد قيمته على ألف ألف درهم. ثم وقع حريق آخر بالعقيبة(2) - ثم حريق آخر بالصالحية(3)، وحريق آخر داخل باب الصغير، مثل الحريق الذى بباب الفرج. ثم وقع فى أماكن أخرى من البلد.

واستولى الفرنج على صيدا، وقتلوا وأسروا، وقتل منهم أيضًا جماعة وعادوا.

وفى شهر ربيع الأول: هبت بالقاهرة ومصر ريح غريبة، من أول النهار إلى المغرب، اصفر منها الجو، ثم احمر ثم اسود. واستمرت الريح إلى نصف الليل، فسقطت عدة أماكن، وامتلأت الأرض من تراب أصفر، ثم أمطرت السماء وسكن الريح.

وفى جمادى الأولى: ظهر كوكب له ذؤابة، وكان كبيرا مضيئا.

وفيها كمل بناء مدرسة الأمير صَرْغَتْمُش، بجوار جامع أحمد بن طولون. ورتب فى تدريس الحنفية بها قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر بن أمير غازى أبو حنيفة الفارابى الأتقانى الحنفى، وقرر عنده عدة من طلبة الحنفية، وشرط أن يكونوا أفاقية(4)، وعمل

---

(1) محمد بن محمد بن شرف الزرعى الشافعي: فاضل. كان قاضى عجلون توفى بدمشق. له «المنتفى من كتاب كشف الحال فى وصف الخال». انظر شذرات الذهب ٢٦٤/٦ والأعلام ٤١/٧.

(2) قرية من ضواحى دمشق.

(3) قرية قرب الرها من أرض الجزيرة. انظر معجم البلدان ٣٨٩/٣، ٣٩٠ قال ابن إياس هذا البلد عمرها الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب وهى أول الرمل الذى بين مصر والشام، وانشأ بها قصورًا وجامعًا وسوقًا ليكون منزله للعساكر إذا خرجوا من الرمل وذلك فى سنة أربع وأربعين وستمائة. انظر (نزهة الأمم فى العجائب والحكم).

(4) على هامش ط: الأفق ما ظهر من نواحى الفلك وأطراف الأرض وكذلك آفاق السماء ونواحيها.

بها درسا للحديث النبوى، وحضر فـي يـوم الثلاثـاء تاسعه صَرْغَتْمُش، ومعه الأمـراء والقضاة والمشايخ، فألقى القوام الدرس، ثم مد سماط جليل، وملئت البركة سكرا مذابا، فأكل الناس وشربوا، ثم انفضوا.

وفيها يقول العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصايغ الحنفى[١]:

ليهنك يا صرغتمش ما بنيته ... لأخراك فى دنياك من حسن بنيان

به يزدهى الرخيم كالزهر بهجة ... فلله من زهر و لله من بان

وقال النقيب صلاح الدين صلاح بن الزين لبيكم الرفاعى:

صَرْغَتْمُش قد شاد يا حبذا ... مدرسة بديعة فائقة

كأنها من حسنها جنة ... وقد غدت قبابها شاهقة

وقد حكى رخامها روضة ... أزهارها من طيبها عابقة

وقال الشهاب أحمد بن أبى حجلة:

فلها به فضل على الأقران ما ... بالبان فى الأغصان فضل البان

وقد أنبت الترخيم فى محرابها ... زاهرا كدر قلائد العقيان

فكأنه كسرى أنو شروان قد ... وضعوا عليه التاج فى الإيوان

لو لم يبت وأبو حنيفة شيخها ... ما شبهت بشقائق النعمان

حبر يطوف بمصر بحر علومه حتى ... كأن الناس فى طوفان

يثنى إليه العلم فضل زمانه ... وأبو حنيفتنا الإمام الثانى

وفيها أمر بإحضار الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة[٢] المصرى من دمشق، فقدم القاهرة، فلم ينجح سعيه وأقام خاملا.

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن على، شمس الدين الحنفى الزمردى، ابن الصايغ: أديب، من العلماء، مصرى. ولى فى آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ودرس بالجامع الطولونى. من كتبه «التذكرة» فى النحو و«المبانى فى المعانى» و«الغمز على الكنز». انظر بغية الوعاة ٦٥ والدرر الكامنة ٤٩٩/٣ وشذرات الذهب ٢٤٨/٦ والفوائد البهية ١٧٥ والأعلام ١٩٢/٦، ١٩٣.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن الحسنى الجذامى الفارقى المصرى، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة: شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته فى القاهرة. وهو من ذرية الخطيب «عبد الرحيم بن محمد» بن نباتة. سكن الشام سنة ٧١٥هـ (تقريبا) وولى نظارة «القمامة» بالقدس أيام زيارة النصارى لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود. ورجع إلى القاهرة سنة ٧٦١هـ، فكان بها صاحب سر الناصر حسن. له «ديوان شعر» و«سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون» و«سجع المطوق». انظر حسن المحاضرة ٣٢٩/١ والبداية والنهاية ٣٢٢/١٤ وابن إياس ٢٢١/١ والدرر الكامنة ٢١٦/٤ والنجوم الزاهرة ٩٥/١ وآداب اللغة ١٢٢/٣ والوافى ٣١١/١ وطبقات الشافعية ٣١/٦ ودائرة المعارف الإسلامية ٢٨٨/١ والتاج ٥٩/١ والأعلام ٣٨/٦.

وفيها وقع حريق عظيم ببلاد الساحل، وأراضى كسروان من بلاد الشام، عم من بلاد طرابلس إلى معاملة بيروت، أتلف كثيرا من الوحش والأمتعة، وشجر الزيتون. وكان عجبا من العجب، فإن ورقة من شجرة سقطت فى بيت فاحترق جميع ما فيها، واستمرت ثلاثة أيام، ثم وقع مطرا فأطفاه.

وفيها عمرت مدينة عمان من البلقاء[١] للأمير صَرْغَتْمُش، ونقل إليها الولاية والقضاء من حسبان، وجعلت أم تلك البلاد. وهى بلد قديم من بناء عمان ابن أخى لوط، بناها بعد هلاك قوم لوط. وقيل هى مدينة دقيانوس الملك الذى أخرج منها أصحاب الكهف، والرقيم هناك موضع معروف، وبها ملعب سليمان بن داود عليهما السلام.

وفيها ولى شيخنا الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى[٢] وكالة بيت المال، بعد وفاة الشريف شرف الدين على نقيب الأشراف. وولى نقابة الأشراف الشريف شهاب الدين بن أبى الركب.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

شرف الدين أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم المناوى الشافعى، فى يوم الثلاثاء خامس شهر رجب، ناب فى الحكم بالقاهرة، وتفقه، وشارك فى الحديث، وأفتى ودرس، وشرح فرائض الوسيط.

وتوفى كمال الدين أبو محمد وأبو العباس أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدى النشائى[٣] الشافعى، فى يوم الأحد حادى عشر صفر. ومولده فى أوائل ذى القعدة

---

(١) البلقاء: مدينة بالشام من عمل دمشق سميت بالبلقاء بن سورية من بنى عبيل بن لوط وهو بناها. انظر معجم البلدان ٤٨٩/٢، والروض المعطار ٩٦، ٩٧، وصبح الأعشى ١٠٦/٤.

(٢) عبد الرحيم بن الحسن بن على الأسنوى الشافعى، أبو محمد، جمال الدين فقيه أصولى، من علماء العربية. ولد بإسنا، وقدم القاهرة سنة ٧٢١هـ فانتهت إليه رياسة الشافعية. وولى الحسبة ووكالة بيت المال، ثم اعتزل الحسبة. من كتبه «المبهمات على الروضة» فقه. و«الهداية إلى أوهام الكفاية» و«الأشباه والنظائر». انظر بغية الوعاة ٣٠٤ والبدر الطالع ٣٥٢/١ وخطط مبارك ٦٣/٨ والدرر الكامنة ٣٥٤/٢ وفهرس الكتبخانة ١٩٧/٤ ثم ٣٩٨ وكشف الظنون ١١٠١/٢ والأعلام ٣٤٤/٣.

(٣) أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدى المدلجى، أبو العباس، كمال الدين النشائى: فقيه شافعى مصرى: نسبته إلى «نشا» وهى قرية بريف مصر. توفى بالقاهرة. له «المنتفى» فى الفقه، و«الإبريز فى=

سنة إحدى وتسعين وستمائة. تفقه على أبيه وبرع ودرس بالجامع الخطيرى ببولاق. وهو أول من ولى خطابته وإمامته وتدريسه. وصنف كتاب جامع المختصرات، وكتاب المنتقى، وعلق على التنبيه استدراكات.

ومات متملك بغداد الشيخ حسن بن حسين بن آقبغا بن أيلكان التترى، سبط أرغون بن أبغا بن هولاكو، وكانت مدته سبع عشرة سنة.

وتوفى الشريف شرف الدين أبو الحسن على بن حسين بن محمد الحسينى نقيب الأشراف، ووكيل بيت المال، ومحتسب القاهرة، فى ثالث عشر جمادى الآخرة. مولده سنة إحدى وتسعين وستمائة. حدث وتفقه للشافعى وقرأ النحو، ودرس بالمشهد الحسينى، والمدرسة الفخرية[1]، وكتب توضيح الحاوى، وأقرأه بمكة فى مجاورته سنة إحدى وخمسين.

وتوفى نجم الدين أبو عبد الله محمد بن فخر الدين عثمان بن أحمد بن عمرو بن محمد الزرعى الحلبى الفقيه الشافعى، قاضى القضاة الشافعية بحلب. فكانت مدته نحو ست سنين. وكان فاضلا ممدحا أديبا ماهرا فى النثر مع معرفة بالفقه والأصول والنحو.

* * *

=الجمع بين الحاوى والوجيز». انظر الدرر الكامنة ١/٢٢٤ وشذرات الذهب ٦/١٨٢ والمكتبة الأزهرية ٢/٤٨٢ ودار الكتب ١/٥٤٠ والأعلام ١/١٨٦، ١٨٧.

(١) المدرسة الفخرية: نسبة إلى الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان أستادار الملك الكامل محمد بن العادل الأيوبى.

سنة ثمان وخمسين وسبعمائة

فيها قبض على ابن الزبير ناظر الدولة، وعوقب حتى هلك.

وفي جمادى الآخر: خلع على شمس الدين محمد ابن الصاحب مدرس الصاحبية(١) والشريفية(٢) بمصر، واستقر محتسب القاهرة بعد وفاة علاء الدين على بن الأطروش. واستقر شيخنا سراج الدين الهندى عوضه فى قضاء العسكر.

وفي يوم الخميس ثامن شعبان: وثب قطاوقجا - ويقال باى قجا - أحد المماليك السلاح دارية على الأمير شَيْخُو وهو بدار العدل، وضربه بسيف ثلاث ضربات، فى رأسه ووجهه وذراعه، فسقط وارتج المجلس. وقام السلطان عن كرسى الملك إلى قصره فى خاصكيته، وتفرق الأمراء. وطار الخبر بأن الأمير شيخو قتل، فركب الأمير خليل ابن قوصون - ربيب شيخو ولبس آلة الحرب، وساق فى عدة وافرة إلى القلعة، وصعدها بمن معه وهم ركاب، إلى رحبة دار العدل. وحمل شيخو على جنوية(٣) - على أنه قد مات - إلى إصطنبله. وركب العسكر جميعهم إلى تحت القلعة بالسلاح. وركب الأمير صَرْغَتْمُش فى عدة من الأمراء إلى الأمير شيخو، فوجدوا به رمقا، فاعتذروا إليه مما وقع، وأنه لم يكن يعلم السلطان، وأنه قبض على الغريم وأمر بتسميره وتوسيطه. ثم قاموا فسمر المذكور، وطيف به على جمل، ثم وسط بعد ما قرر فلم يقر على أحد. وقال: «قدمت له قصة لينقلنى من الجامكية إلى الإقطاع فلم يفعل، فبقى فى نفسى منه». وركب السلطان من الغد لعيادة شَيْخُو وحلف له أنه لم يعلم بما جرى حتى وقع، ثم عاد. فمازال شيخو صاحب فراش حتى مات يوم الخميس خامس عشرين ذى القعدة، ودفن من الغد بخانكاته، وقبره بها، وكان قد قارب الستين سنة. وكان كثير المعروف، وهو أول من قيل له الأمير الكبير بمصر.

وفي شعبان: قدم رسل السلطان جانبك بن أزبك، فركب العسكر من الأمراء والمماليك والمقدمين وأجناد الحلقة إلى لقائهم بالزى الفاخر. وتمثلوا بين يدى السلطان،

---

(١) المدرسة الصاحبية، أنشأها الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر.

(٢) المدرسة الشريفية، نسبة إلى الأمير الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب أحد أمراء الدولة الأيوبية فى مصر.

(٣) نوع من المركبات.

وقدموا معهم من الهدية، وهى عدة مماليك، وفرو سمور، وطيور جوارح. فكتب جوابهم وأعيدوا.

وفى هذا الشهر: حملت جارية بدمشق، من عتقاء الأمير تمر المهمندار، قريبا من سبعين يوما، ثم طرحت أربعة عشر بنتا وصبيا، يعرف الذكر من الأنثى فى نحو أربعين يوما.

ولما مات شيخو قبض السلطان على الأمير خليل بن قوصون، وغيره من أتباع شيخو، فيهم الأمير قجا السلاح دار أمير شكار، والأمير تقطاى الدوادار، والأمير قطلوبغا الذهبى، وأرغون الطرخانى، فنفى بعضهم إلى الشام، وسجن بعضهم بالإسكندرية، وانفرد الأمير صرغتمش بتدبير الدولة.

وفى يوم الجمعة: استقر الأمير تنكزبغا أمير مجلس والأمير أزدَمُر الخازندار أمير سلاح، والأمير كشتمر القاسمى حاجب الحجاب، والأمير علم دار دوادارا كبيرا. وأنعم على يلبغا العمرى الخاصكى بإمارة طبلخاناه، وعلى مَنْكلى بُغا بإمرة طبلخاناه، وعلى أَيْدَمُر بإمرة طبلخاناه، وعلى طَيْبُغا الطويل بإمرة طبلخاناه. واستقر قطب الدين ابن عرب فى حسبة القاهرة، بعد وفاة شمس الدين محمد ابن الصاحب فجأة وهو راكب على بغلته بين القصرين فسقط عنها، فلا يدرى أمات فسقط أو سقط فمات. واستقر تاج الدين بن الريشة فى نظر الدولة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى قضاة الحنفية بدمشق، نجم الدين أبو إسحاق إبراهيم بن العماد أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد[1] الطرسوسى[2] الحنفى، عن أربعين سنة. وكان مشكور السيرة، صنف كتاب «رفع الكلفة عن الأخوان، فى ذكر ما قدم القياس على الاستحسان»، وكتاب «الاختلافات الواقعة فى المصنفات»،

---

(١) إبراهيم بن على بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم الطرسوسى، نجم الدين: قاض مصنف. ولد ومات فى دمشق. وولى قضاءها بعد والده (سنة٧٤٦هـ) وأفتى ودرس، وألف كتبا منها «الإشارات فى ضبط المشكلات» و«الإعلام فى مصطلح الشهود والحكام». انظر الدرر الكامنة ٤٣/١ والنجوم الزاهرة ٣٢٦/١٠ وكشف الظنون ٩٧/١ والمكتبة الأزهرية ١٠٤/٢ والإعلام ٥١/١.

(٢) طرسوس: مدينة بالشام حصينة، عليها سوران بينهما فصيل وخندق، ويجرى الماء حواليها وطرسوس مدينة كبيرة كثيرة المتاجر، والعمارة والخصب الزائد، وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلا. انظر معجم البلدان ٢٨/٤، ٢٩، والروض المعطار ٣٨٨، ٣٨٩، وصبح الأعشى ١٣٣/٤.

وكتاب «مناسك الحج» - مطولا - وكتاب «محظورات الإحرام»، وكتاب «الإشارات فى ضبط المشكلات»، - عدة مجلدات - وكتاب «الفتاوى فى الفقه»، وكتاب «الإعلام فى مصطلح الشهود والحكام» وكتاب «الفوايد المنظومة فى الفقه».

ومات شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد المحسن العسجدى الشافعى، وقد قارب الثمانين.

ومات الأمير أرغون الكاملى بالقدس فى تلك السنة، أصله من مماليك الكامل شعبان بن الناصر محمد[1] فترقى فى الخدم حتى صار من أمراء الألوف وولى نيابة حلب ونيابة دمشق، ثم قبض عليه وسجن، ثم نفى إلى القدس، فمات بها.

وتوفى الشيخ قوام الدين أبو حنيفة أمير بن كاتب بن أميْر عمر بن أمير غازى الفارابى الأتقانى فى شوال، ولى تدريس مشهد الإمام أبى حنيفة - رحمه الله تعالى - ببغداد، ثم قدم إلى الشام، فاستدعى منها إلى القاهرة، واختص بالأمير صَرْغَتمش، وعمل له درسا بجامع الماردينى[2]، ثم ولاه تدريس مدرسته.

وتوفى محب الدين أبو عبد الله محمود بن علاء الدين على بن إسماعيل بن يوسف القونوى الشافعى فى يوم الأربعاء ثامن عشرين ربيع الآخر. درس بالمدرسة الشريفية من القاهرة، وبالجامع الماردينى. وشرح كتاب ابن الحاجب فى الأصول، وكتب تعليقه فى الفقه، وكتب اعتراضات على شرح الحاوى فى الفقه لأبيه.

وتوفى علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن الأطروش الحنفى، محتسب القاهرة، وقاضى العسكر فى تلك السنة. حدث، وكان فيه كرم، وهو معدود من رجال الدنيا فى معناه. وله منازعات مع الضياء الشامى، فى نظر المارستان وحسبة القاهرة. وكان يلى هذا مرة وهذا مرة. وولى أولا حسبة دمشق. وكان أبوه يبيع السقط.

* * *

---

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصرى محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة سنة ٧٦٤هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤، ٣٢٤ والإعلام ١٦٤/٣.

(٢) الجامع الماردينى، نسبة إلى الأمير ألطبنغا الماردينى الشاقى.



سنة تسع وخمسين وسبعمائة

أول المحرم: استقر محب الدين محمد بن نجم الدين يوسف بن أحمد بن عبد الدايم التيمى[1]، المعروف بكاتب جانكلى، صاحب ديوان الأمير قجا السلاح دار، فى نظر البيوت.

وفى هذا الشهر: أمر - بإشارة الأمير صَرْغتمش - أن تضرب فلوس زنة الفلس منها مثقال، فضرب منها عدة قناطير. ثم رسم أن يكون كل فلس من هذه الجدد بفلسين من العتق، وكل رطل من الفلوس العتق بدرهم ونصف، بعد ما كان الرطل منها بدرهمين. وركب والى القاهرة ووالى مصر ومحتسبيهما وأحمال الفلوس الجدد بين أيديهم. ونودى فى الناس بأن يتعاملوا بها على ما ذكرنا. فاستمرت المعاملة بالفلوس الجدد، واستقرت أربعة وعشرون فلسا بدرهم فضة.

وعزل تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى عن قضاء دمشق، واستقر عوضه بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكى[2] الشافعى.

واستقر جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القونوى[3] - المعروف بابن السراج الحنفى - فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن فزارة الكفرى.

واستقر شرف الدين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادى المالكى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن جمال الدين المسلاتى.

---

(١) محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبى ثم المصرى، المعروف بناظر الجيش: عالم بالعربية، من تلاميذ أبى حيان. أصله من حلب، ومولده ووفاته بالقاهرة. ترقى إلى أن ولى نظر الجيش بالديار المصرية. ألف «تمهيد القواعد» و«شرح التلخيص». انظر الدرر الكامنة ٢٩٠/٤ وإعلام النبلاء ٦١/٥ والأعلام ١٥٣/٧.

(٢) محمد بن عبد البر بن يحيى، بهاء الدين، أبو البقاء، السبكى: فقيه شافعى مصرى، من العلماء بالعربية والتفسير والأدب. ولى قضاء دمشق ثم قضاء طرابلس، وعاد إلى القاهرة، فولى قضاء العسكر ووكالة بيت المال والقضاء الكبير. ثم ولى قضاء دمشق. من كتبه «مختصر المطلب» فى شرح الوسيط، فى فروع الشافعية، و«شرح الحاوى الصغير للقزوينى» فقه. انظر بغية الوعاة ٦٣ والدرر الكامنة ٤٩٠/٣ والوافى بالوفيات ٢١٠/٣ وكشف الظنون ٦٢٥ والأعلام ١٨٤/٦.

(٣) محمود بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن القونوى، أبو الثناء، جمال الدين: قاض، من فقهاء الحنفية. له مشاركة فى العلوم العقلية. من أهل دمشق ولى قضاءها. من كتبه «بغية الفقيه» فقه و«المنتهى» فى شرح المغنى فى الأصول و«الزيادة شرح العمدة» وفى أصول الدين. انظر الفوائد البهية ٢٠٧ والكتبخانة ١٣/٣ والجواهر المضية ١٥٦/٢ وكشف الظنون ٣٤٦/١ والأعلام ١٦٢/٧.

واستقر شمس الدين محمد بن أحمد بن المخلطة فى قضاء الإسكندرية، عوضا عن ابن الريغى.

وفى يوم سار البريد بالقبض على الأمير طاز نائب حلب، فبلغ الخبر طاز، فسار من حلب فى أصحابه كأنه يريد الحرب. وأخذ السلطان فى تجهيز العساكر لقتاله، فلما قارب دمشق، أرسل إلى الأمير على النائب بأنه «مملوك السلطان وفى طاعته، وما قصدت إلا أن يصل أهلى إلى دمشق فى سلامة من نهب العربان والتراكمين». وسلم نفسه، فقبض نائب الشام على حاشيته وجهز سيوفهم إلى السلطان على العادة، وحمل طاز مقيدًا إلى الكرك[١] فبطلت تجريدة العساكر، ورسم بنقل طاز إلى الإسكندرية. وكتب باستقرار الأمير منجك فى نيابة حلب، عوضا عن طاز.

وتقدم مرسوم قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة[٢]، بألا يشهد فى المساطير المكتبة بمبلغ كبير من المال، وفى صدقات النساء التى مبلغها كبير إلا أربعة شهود، ولا يشهد على مريض بوصية إلا بإذن أحد القضاة الأربعة، أو أحد نواب الشافعى.

وفى يوم الخميس ثامن عشرين جمادى الآخر: صرف قاضى القضاة عز الدين بن جماعة عن القضاء، واستقر عوضه الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل[٣] العقيلى، فأبطل ما رسم به للشهود، وفرق من مال الصدقات فى الفقراء نحو الستين ألف درهم فى أيام ولايته، وفرق الفقهاء مائة وخمسين ألف درهم من وصية، واستناب زوج ابنته سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير بن صالح

---

(١) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤، والروض ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى، الحموى الأصل الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين: الحافظ، قاضى القضاة ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩هـ وجاور بالحجاز، فمات بمكة. من كتبه «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك» و«المناسك الصغرى». انظر الدرر الكامنة ٣٧٨/٢ والكتبخانة ١٨١/٧ والتيمورية ٦١/٣ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٢٦/٤.

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشى الهاشمى. بهاء الدين بن عقيل: من أئمة النحاة. من نسل عقيل بن أبى طالب. مولده ووفاته فى القاهرة. ولى قضاء الديار المصرية مدة قصيرة. له «شرح ألفية بن مالك» فى النحو و«التعليق الوجيز على الكتاب العزيز» تفسير. انظر الدرر الكامنة ٢٦٦/٢ ومفتاح السعادة ٤٣٩/١ والبدر الطالع ٣٨٦/١ وحسن المحاضرة ٣١٠/١ وشذرات الذهب ٣١٤/٦ والفهرس التمهيدى ١٩٤ والكتبخانة ١١٠/٤ والأعلام ٩٦/٤.

البلقينى[١] وتاج الدين بن سالم وغيره من أصهاره.

وأنعم على الأمير شهاب الدين أحمد بن قشتمر حمص أخضر بإمرة مائة.

وكثر فى شهر رمضان إكرام السلطان للأمير صَرْغَتْمُش، وأمر فعمل له بثغر الإسكندرية قبانخ[٢]. فلما كان يوم الأحد تاسع عشره أصبح السلطان متوعك البدن، فلما دخل عليه صَرْغَتْمُش ليعوده ألبسه القبانخ ونزل إلى داره. ثم صعد من الغد يوم الإثنين عشرينه إلى القصر على عادته، وأمر ونهى على باب القصر وصرف أمور الدولة على عادته، ثم دخل. فلما استقر به الجلوس، وتكامل الموكب، تقدم الأمير طيبغا الطويل، وقبض عليه، وأعانه الأمير منكلى بغا، ثم قبض على الأمير قشتمر القاسمى حاجب الحجاب والأمير طقبغا صاروق الماجارى. وارتج القصر بمن فيه، فركب الأمير أحمد بن قشتمر فى عدة من المماليك، ولبس وهم آلة الحرب، ووقف تحت القلعة، فركب إليه الأمير عز الدين أزدمر الخازندار، والأمير يلبغا الخاصكى، والأمير تنكر بغا، والأمير طيبغا الطويل، والأمير منكلى بغا، فى طائفة من المماليك السلطانية، وقاتلوه من بكرة النهار إلى العصر حتى هزموه ومن معه. وركب العامة أقفيتهم يرجمونهم بالحجارة، ثم امتدت أيديهم إلى بيت الأمير صَرْغَتْمش، فنهبوه، ونهبوا الحوانيت التى بالصليبة بجواره، وتتبعوا العجم، فإن صَرْغَتْمش كان يعنى بهم، ونوه باسمهم، وجعل مدرسته وقفا عليهم. فكان يوما مشهودًا عظيما شناعته. واستمر الطلب على ابن قَشْتَمُر حتى قبض عليه وعلى جماعته من آخر النهار، فقيدوا وحملوا إلى الإسكندرية - وفيهم صَرْغَتْمُشْ - فسجنوا بها.

وقبض على القاضى ضياء الدين يوسف بن أبى بكر محمد ناظر المارستان وأهين وأركب على حمار، ثم نفى بعد ضربه بالمقارع عريا، ومصادرته. وعزل عامة من كان جهته صَرْغَتْمُش، فعزل قطب الدين بن عرب من حسبة القاهرة، واستقر عوضه الشيخ عبد الرحيم الإسنوى، وعزل ابن عقيل عن قضاء القضاة بعد اثنين وثمانين يوما، وأعيد عز الدين بن جماعة فى يوم الثلاثاء حادى عشرين شهر رمضان. وقبض على ناظر

(١) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر، وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ، وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب» فى فقه الشافعية، و«تصحيح المنهاج». انظر لحظ الألحاظ والضوء اللامع ٨٥/٦ وشذرات الذهب ٥١/٧ وحسن المحاضرة ١٨٣/١ والخزانة التيمورية ١٨/٣ والأعلام ٤٦/٤.

(٢) على هامش ط: (قبانخ) يتكون اللفظ من شطرين «قبا» و«نخ» أما القباء فهو ملبوس (فرجية - قفطان)، وأما النخ فنوع من النسيج الثمين كان يصنع فى تبريز ويمتاز بالرقة.

الخاص والجيش علم الدين عبد الله بن نقوله وصودر، واستقر عوضه فى نظر الخاص تاج الدين بن الريشة مضافا إلى الوزارة. وفى نظر الجيش محب الدين محمد بن نجم الدين يوسف بن أحمد بن عبد الدايم. واستقر عوض محب الدين فى نظر البيوت فخر الدين بن السعيد. قبض على جرجى الأدريسى ونفى فى عدة من الأمراء.

وأنعم السلطان على عدة من مماليكه بأمريات، أنعم على مملوكه الأمير يلبغا الخاصكى بتقدمة ألف، وعمله أمير مجلس عوضا عن تنكز بغا. وأنعم على كل من الأميرين مَنْكَلى بُغَا والأمير طَيْبُغا الطويل، والأمير أَيْدَمُر الشامى والأمير أَلْجَاى اليوسفى بإمرة مائة وتقدمة ألف. وعمل أَيْدَمر الشامى داودارا، وأَلْجَا حاجبا ثانيا. وعمل الأمير عز الدين أزدمر الخازن دار أميرا كبيرا، مكان صَرْغَتْمُش، وولاه نظر المارستان المنصورى، ونظر وقف الصالح إسماعيل بقية المنصورية. وأنعم على عدة من مماليكه أيضًا بأمريات ما بين طبلخاناه وعشرات.

وفى يوم الأحد: المبارك ولد للسلطان ولد ذكر سماه قاسم، وأعطاه إمرة مائة.

ونقل الأمير مَنْجَك[1] من نيابة حلب إلى نيابة الشام، عوضا عن أمير على. ونقل أمير على إلى نيابة حلب.

وفيه خرجت تجريدة إلى برقة مع الأمير محمد باك القازانى.

وفى هذه السنة: كثر اختصاص قطب الدين هِرْماس بالسلطان، وصار يدخل عليه متى أراد بغير إذن، ويدخل معه أيضًا زوج ابنته صدر الدين. وكانت بين الهندى سراج الدين عمر الحنفى وبين الهرماس منافرة، فتقدم لقاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن التركمانى أن يعزله من نيابة الحكم، فصرفه وهجره، فأعرض عنه عامة فقهاء الحنفية.

وفيه استقر التنيسى المالكى فى قضاء الإسكندرية بعد وفاة ابن المختلطة وقدم الخبر بموت صَرْغَتْمُش فى سجنه بالإسكندرية، فكانت مدة سجنه شهرين واثنى عشر يوما.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شرف الدين أبو البقاء خالد بن العماد إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر القَيْسَرانى، بدمشق عن نيف وخمسين سنة.

---

(١) منجك بن عبد الله، سيف الدين اليوسفى الناصرى: أمير داهية جبار. يعرف بمنجك الكبير واستقر حاجبا بدمشق سنة ٧٤٥هـ. وولى الوزارة بمصر (سنة ٧٤٨هـ) وصرف عنها وأعيد إليها بعد أربعين يوما. ثم قبض عليه وسجن بالإسكندرية سنة ٧٥٢هـ، وأفرج عنه (سنة ٧٥٩هـ) ومات فى داره بمصر. انظر خطط المقريزى ٢/٣٢٠ والدرر الكامنة ٤/٢٣٠ وخلاصة الأثر ٤/٢٣٠ والنجوم الزاهرة ١١/٣٣ وابن خلكان ١٢/١٨١ والأعلام ٧/٢٩١.

ومات الأمير الكبير سيف الدين صَرْغَتْمُش الناصرى بسجن الإسكندرية مقتولا فى ذى الحجة. كان يكتب الخط الجيد، ويشارك فى الفقه على مذهب أبى حنيفة، ويتعصب لمذهبه، ويجل العجم، ويختص بهم، ويتكلم أيضًا فى العربية، ودبر أمر الدولة مدة.

ومات أبو عنان فارس بن أبى الحسن على بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن جماعة المرينى(١) متملك المغرب وصاحب فاس.

وتوفى فخر الدين أبو العباس محمد بن أحمد بن عبد الله بن الْمُختَلطَة قاضى الإسكندرية، فى يوم الجمعة سابع رجب.

وتوفى شمس الدين بن عيسى بن حسن بن كُر الحنبلى(٢) إمام أهل الموسيقى، وله تأليف حسن فى الموسيقى.

ومات الأمير سيف الدين تَنْكِزبُغا الماردينى، أمير مجلس، وزوج أخت السلطان حسن.

ومات الأمير الطواشى، صفى الدين جوهر الجَنَاحى، مقدم المماليك، وقد قارب المائة سنة.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن نصر الهكارى الكردى الدمشقى الشافعى بدمشق، فى ذى القعدة، ومولده سنة خمس وثمانين وستمائة. حدث عن التقى الواسطى، والشريف بن عساكر وتفقه وأفتى ودرس.

وتوفى أمير المدينة النبوية الشريف مانع بن على بن مسعود بن جماز بن شيحة الحسينى. واستقر بعد ابن عمه فضل بن قاسم فى ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين. وكثر تظاهره بمذهبه. فلما قدم الحاج ولبس الخلعة على العادة وثب عليه فداويان، قتلاه فى أواخر ذى الحجة، فثارت الفتنة بعد قتله، وتأذى بها كثير من الحجاج.

---

(١) فارس بن على بن عثمان بن يعقوب المرينى، أبو عنان، المتوكل على الله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. ولد بفاس الجديدة. ونشأ محبوبا فى قومه. وولاه أبوه إمارة تلمسان ثم ثار على أبيه، وبويع فى حياته سنة ٧٤٩هـ ولما مات أبوه سنة ٧٥٢هـ استتب أمره. انظر جذوة الاقتباس ٣١٤ - ٣١٦ والاستقصا ٧٩/٢، ١٠٢ والحلل الموشية ١٣٤ والأعلام ١٢٧/٥.

(٢) محمد بن عيسى بن حسن بن كر الحنبلى، شمس الدين، أبو عبد الله: إمام أهل الموسيقى فى عصره. أصله من بغداد، خرج أبوه لما استولى عليها هولاكو. فسكن القاهرة. وبها ولد ابنه وعاش ومات. وكان فقيها له اشتغال بالحديث والعربية. ولى مشيخة بعض المدارس بالقاهرة، وسمع منه الحافظ العراقى وآخرون. وأخذ علم الموسيقى عن غير واحد، ففاق الأقران. انظر النجوم الزاهرة ٣٣٠/١٠ والدرر الكامنة ١٢٨/٤ وشذرات الذهب ١٩٨/٦ والأعلام ٣٢٣/٦.

وتوفى إمام الحنابلة بمكة أبو عبد الله محمد بن محمد بن عثمان بن موسى الآمدى الحنبلى، بعدما أمَّ الناس ثلاثين سنة.

ومات قتيلاً الأمير سيف بن فضل بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غُضَينة بن فضل[1] فى ذى القعدة. وكان جوادا، ولى إمرة آل فضل غير مرة.

ومات الأمير مَلَكْتَمُر السعيدى، فى ثامن ذى القعدة.

* * *

(١) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا: أمير عرب الفضل، فى بادية الشام. كان شجاعا جوادا. ولى إمرة قومه عدة مرات، أولها بعد موت أخيه عيسى (سنة ٧٤٤هـ) ومات قتيلا. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والنجوم الزاهرة ٣٣٠/١٠ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ والدرر الكامنة ١٨٣/٢ والأعلام ١٥٠/٣.

سنة ستين وسبعمائة

فى الأربعاء ثالث المحرم: قدم أمير على إلى دمشق وقد أعيد إلى نيابتها، وعزل الأمير مَنْجَك عنها، وطلب إلى مصر، ففر من غزة(١) ولم يُقف على خبره، فعوقب بسببه عدة من الناس.

واستقر الأمير سيف الدين بكتمر المؤمنى فى نيابة حلب، ثم صرف عنها، واستقر عوضه الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمى.

وصرف أمير على عن نيابة الشام، واستقر عوضه الأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر الزينى.

وانتهت زيادة ماء النيل إلى أربع أصابع من عشرين ذراعا، وثبت إلى أول شهر هاتور، فخرج الناس ودعوا حتى هبط، فكثرت الأمراض ببلاد الصعيد.

وفيها عقد لشمس الدين محمد بن على بن عبد الواحد بن يوسف بن عبد الرحيم(٢) الدكالى(٣) الأصل، المعروف بابن النقاش، الفقيه الشافعى، فجلس بين يدى قاضى القضاة عز الدين بإشارة الهرماس، وادعى عليه زين الدين عبد الرحيم العراقى(٤) أنه يفتى بغير مذهب الشافعى، فمنع من الإفتاء، وألا يتكلم فى مجالس الوعظ، إلا من كتاب، فامتنع بعد ما حبس، ثم أفرج عنه.

---

(١) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحى فلسطين غربى عسقلان. انظر معجم البلدان ٤/٢٠٢، ٢٠٣، والروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٣/٩٩٧.

(٢) محمد بن على بن عبد الواحد الدكالى ثم المصرى، أبو أمامة، ويقال له ابن النقاش: واعظ، مفسر، فقيه. له «شرح العمدة»، و«تخريج أحاديث الرافعى» وكتاب فى «الفروق» و«السابق واللاحق». وله شعر جيد. مات بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٤/٧١ وبغية الوعاة ٧٨ والفهرس التمهيدى ٤٢٨ وشذرات الذهب ٦/١٩٨ والأعلام ٦/٢٨٦.

(٣) نسبة إلى دكالة، بلد بالمغرب. انظر: معجم البلدان ٢/٦١٢، لب اللباب ١٠٦.

(٤) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى: بحاثة، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده فى رازنان. تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفى فى القاهرة. من كتبه «المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار» فى تخريج أحاديث الإحياء، و«نكت منهاج البيضاوى» فى الأصول. انظر الضوء اللامع ٤/١٧١ وغاية النهاية ١/٣٨٢ والعبدلية ٣١١ ومعجم المطبوعات ١٣١٧ وحسن المحاضرة ١/٢٠٤ والأعلام ٣/٣٤٤، ٣٤٥.

وفيه أخرج الأمير عز الدين أَزْدَمُر الخازندار إلى الشام، على إمرة بها، فانحط قدر الهرماس، فإن أَزْدَمُر هذا كان عضده.

وفى شهر رجب: سارت الحجاج الرجبية من القاهرة، وسافر فيهم قاضى القضاة عز الدين بن جماعة، وقاضى القضاة موفق الدين الحنبلى، وقطب الدين الهرماس. وكان الشريف عجلان قد قدم من مكة، فعزله السلطان عن إمارتها وولى عوضه الشريفان محمد بن عُطَيْفة وسند بن رُمَيْثة، وقواهما بالأمير جَرَكْتَمُر الحاجب والأمير قطلوبُغا المنصورى، وناصر الدين أحمد بن أصْلَم؛ ليقيموا بمكة، حتى يأتيهم البدل من مصر. وعُوق الشريف عجلان بمصر، فاتصل - فى غيبة الهرماس - بالسلطان، سراج الدين عمر الهندى[1] قاضى العسكر، وشمس الدين محمد بن النقاش، ولازماه سفرا وإقامة، وبلغا منه منزلة مكينة، فأخذا فى إغراء السلطان به حتى تنكر له، وتغير عليه، لقوادح رمياه بها.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشهاب محمود بن سلمان بن فهد الحلبى كاتب سر حلب.

ومات الأمير عز الدين تُقْطاى الداودار الصالحى بطرابلس منفيا؛ أصله من مماليك يلبغا اليحياوى، ثم انتقل إلى الملك الصالح فترقى حتى صار من الأمراء، ثم أخرج إلى الشام، فقدم دمشق فى ربيع الآخر سنة تسع وخمسين، ومضى إلى طرابلس، فأقام بها حتى هلك.

وتوفى الشيخ خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر أبو الوفا المالكى.

ومات علم الدين محمد بن القطب أحمد بن مفضل، كاتب سر دمشق وناظر الجيش بها، وقد جاوز الستين.

ومات تقى الدين محمد بن أحمد بن شاس المالكى، فى يوم الأربعاء رابع شوال، وقد ناب فى الحكم وأفتى ودرس.

---

(١) عمر بن إسحاق بن أحمد الهندى الغزنوى، سراج الدين، أبو حفص: فقيه، من كبار الأحناف. له كتب ، منها «التوشيح» فى شرح الهداية، فقه، و«الغرة المنتقية فى ترجيح مذهب أبى حنيفة». انظر الفوائد البهية ١٤٨ والدرر الكامنة ١٥٤/٣ ونزهة الخواطر ٩٥/٢ ومفتاح السعادة ٥٨/٢ والأعلام ٤٢/٥.

ومات تقى الدين محمود بن محمد بن عبد السلام بن عثمان القيسى، أبو المظفر الحموى، عرف بابن الحكيم الحنفى، قاضى حماة، وقد أناف على ستين سنة.

ومات الأمير سيف الدين بن فضل بن عيسى، قتله عمر بن موسى. وكان قد ولى إمرة العرب فى أيام المظفر حاجى بعد أحمد بن مهنا[1]، فلما مات أعيد أحمد بن مهنا. والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

---

(١) أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن حديثة الطائى ثم الثعلبى: أمير عرب الفضل فى بادية الشام. وكانت لهم البادية من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة أخذة على سقى الفرات وأطراف العراق. قدم القاهرة مرارا اعتقل سنة ٧٤٥هـ وأطلق سنة ٧٤٦هـ وأعيد إلى الإمارة، وعزل ثم أعيد إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ٣٢١/١ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ والعبرة ٤٣٩/٥ والأعلام ٢٦١/١.



سنة إحدى وستين وسبعمائة

فيها استقر أمين الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المظفر بن أسعد بن حمزة التميمى، المعروف بابن القلانسى الدمشقى، كاتب السر بدمشق. واستقر صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى[1]، كاتب السر بحلب.

ولما قدم الحاج، كان السلطان بقصور سرياقوس[2] توجه قاضى القضاة عز الدين ابن جماعة، وقاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلى، والشيخ قطب الدين الهرماس، وقد قدموا من الحج للسلام على السلطان، فأذن للقاضيين فى الدخول على السلطان، فدخلا ومنع الهرماس من ذلك، فأقبل السلطان عليهما وألبسهما خلعتين، وخرجا إلى منازلهما بالقاهرة. وتبين للناس انحطاط رتبة الهرماس، وفساد حاله مع السلطان.

وفيه سار الأمير بيدمر نائب حلب بالعساكر إلى بلاد سيس[3]، ففتح أذنة[4] وطرسوس[5] والمصيصة[6] وعدة قلاع، وأقام بأذنة وطرسوس نائبين بعسكر معهما، وعاد بالغنائم إلى حلب، فنقل فى شهر ربيع الأول إلى نيابة دمشق عوضا عن أسندمر الزينى.

---

(١) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدى، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف. ولد فى صفد (بفلسطين) وإليها نسبته. تعلم فى دمشق. تولى ديوان الإنشاء فى صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال فى دمشق، فتوفى فيها. له زهاء مائتى مصنف، منها «الوافى بالوفيات» فى التراجم و«الشعور بالعور» فى تراجم العور وأخبارهم. انظر الدرر الكامنة ٢/٨٧ وطبقات الشافعية ٦/٩٤ وآداب اللغة ٣/١٦١ والوافى بالوفيات ١/٢٤٩ والأعلام ٢/٣١٥، ٣١٦.

(٢) بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

(٣) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٣/٢٩٧.

(٤) أذنة: مدينة بالشام بينها وبين المصيصة اثنا عشر ميلاً بناها هارون الرشيد وأتمها الأمين وبها كانت منازل ولاة الثغور لسعتها، وهى على نهر حيحان وليس للمسلمين عليه إلا أذنة وهى بين طرسوس والمصيصة. انظر معجم البلدان ١/١٣٢/١٣٣، والروض المعطار ٢٠.

(٥) انظر معجم البلدان ٤/٢٨، ٢٩، والروض المعطار ٣٨٨، ٣٨٩، وصبح الأعشى ٤/١٣٣.

(٦) المصيصة: من ثغور الشام بالقرب من أنطاكية، والمصيصة مدينتان بينهما نهر عظيم يقال له حيحان، وهما على ضفتيه وبينهما قنطرة من حجارة، واسم الواحدة المصيصة والأخرى كفربيا، ولها بساتين وزروع، وحيحان يخرج من بلاد الروم حتى يصل المصيصة، وبين المصيصة والبحر اثنا عشر ميلاً، والمصيصة مكسورة الميم، قال الأصمعى: ولا يقال غير ذلك. انظر معجم البلدان ٥/١٤٤، ١٤٥، والروض المعطار ٥٥٤. ونزهة المشتاق ١٩٥، وابن حوقل ١٦٧، وآثار البلاد ٥٦٤.

واستقر الأمير شهاب الدين أحمد بن القشتمرى فى نيابة حلب.

واستقر ناصر الدين محمد بن يعقوب بن عبد الكريم بن أبى المعالى الحلبى كاتب السر بحلب عوضا عن الصلاح الصفدى.

واستقر الأمير ألجاى اليوسفى صاحب الحجاب بدمشق.

وظفر المسلمون بغراب[١] للفرنج فأسروا من فيه، وقدموا بهم القاهرة.

واستقر فخر الدين ماجد - ويدعى عبد الله بن أمين الدين خصيب - فى الوزارة، بعد وفاة ابن الريشة. وكان خصيب من جملة الكتاب النصارى فأسلم وترقى ابنه ماجد فى الخدم بالكتابة الديوانية حتى ولى الوزارة.

وفيها اشترى السلطان القصر المعروف بالبيسرى من القاهرة، وقصر بشتاك المقابل له، وجدد عمارتهما.

وفى يوم الأحد: ركب السلطان من قلعة الجبل، وعبر من باب زويلة إلى المارستان المنصورى، وشقاق الحرير مفروشة ليمشى عليها، فزار أباه وجده. وقد زينت له القاهرة، واجتمع بالمدرسة المنصورية قضاة القضاة الأربع، ومشايخ العلم: بهاء الدين ابن عقيل، وزين الدين البسطامى الحنفى، وأكمل الدين الحنفى، وبهاء الدين السبكى، وسراج الدين الهندى، وسراج الدين البلقينى، وناصر الدين نصر الله الحنبلى، وشمس الدين بن الصايغ الحنفى، وشمس الدين محمد بن النقاش، وبدر الدين حسن الشجاع الحنفى، وعدة أخر. فأتاهم السلطان وهم بالإيوان القبلى، فجلس وهم حلقة بين يديه، وأداروا البحث فى مسألة حتى انتهوا إلى غايتهم فيها. وقدمت عدة سجاجيد وغيرها للسلطان، فقبلها، وصار يرمى بها إلى الأمراء وهم يقبلون الأرض. ثم قام فركب من الباب، وركب معه ابن النقاش وسراج الهندى، حتى حاذى جامع الحاكم، فأمر بهدم دار الهرماس. ثم خرج من باب النصر وصعد إلى القلعة.

فهدمت دار الهرماس المجاورة للجامع، ونزل الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى فقبض على الهرماس وولده، ونزع عنه ثيابه، وضربه بالمقارع قريبًا من عشرة شيوب[٢]، وداره تهدم وهو يشاهدها، ثم أخرج إلى مصياف[٣] من بلاد الشام منفيا.

---

(١) على هامش ط: نوع من السفن الحربية فى العصور الوسطى تركب فيه المقاتلة والجدافون.

(٢) سير السوط.

(٣) حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس. انظر معجم البلدان ١٤٤/٥.

وكان من الدهاء والمكر على جانب كبير. وفيه يقول العلامة شمس الدين محمد بن الصايغ الحنفى:

نال هرماس الخسارة من بعد ربح وجسارة
وحسب البهتان يبقى أخرب الله دياره

وقبض على الأمير منجك من داريا[1] بالشرف الأعلى ظاهر مدينة دمشق، بعد ما أقام مختفيا نحو سنة، فحمل إلى مصر، وتمثل بين يدى السلطان وهو لابس بشتا[2] من صوف، وقد اعتم بميزر من صوف، فعفا عنه، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بالشام، ورسم أن يكون طرخانا، وأن يقيم حيث شاء من البلاد.

وكان النيل فى هذه السنة مما يتعجب منه، فإن القاع جاء نحو اثنتى عشرة ذراعًا. وكان الوفاء يوم الخميس، وهو سادس مسرى، فكسر سد الخليج من الغد يوم الجمعة، ونودى عليه تسعة أصابع من عشرين ذراعًا. ثم بطل النداء عليه فبلغ نحو أربعة وعشرين ذراعًا، وخربت عدة مساكن، واستمر ثابتا إلى خامس بابة، فخرج الناس من الغد، ودعوا الله ، فهبط من يومه أربعة أصابع.

وسارت الحجاج الرجبية على العادة. وتوجه الأمير قُنْدُس بدلا من الأمير جركتمر. ورسم بتوجه جركتمر إلى الشام بعد الحج، وقد قطع خبزه. وكان الشريف ثقبة فيما مضى مقيما بجدة، فلما خرج جركتمر من مكة بعد قضاء الحج، هجم ثقبة عليها، وأخذ خيول قُنْدُس ومن معه، وحصرهم فى المسجد، فأغلقوا عليهم أبوابه، وقاتلوا من أعلاه بالنشاب، فقتل الشريف مغامس، وانهزم قُنْدُس بأصحابه، فقتل منهم وأسر جماعة، نودى عليهم بمكة للبيع، فبيعوا بأبخس الأثمان. وأخذ قندس، فعذب عذابًا أشفى منه على الموت. ثم نودى عليه، وأبيع بدرهمين، فشفع إليه تقى الدين محمد بن أحمد ابن قاسم الحرازى[3] قاضى مكة، حتى أخرج من مكة ومعه جميع الأتراك. وقد اقترض ما يبلغه إلى ينبع[4]. وفر أيضًا الشريف محمد بن عُطيفة إلى ينبع، والتجأ الشريف سُند ابن رميثة إلى الشريف ثقبة وصار من جملته. فلما قدم الحاج من المدينة النبوية إلى ينبع،

---

(١) قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. انظر معجم البلدان ٤٣١/٢.

(٢) البشت: كساء من صوف غليظ النسج، لا كمين له، يرتديه أهل الريف فى الشتاء. انظر المعجم الوسيط ٥٩/١.

(٣) معقل باليمن قرب زبيد، سمى باسم بطن من حمير، وهو حراز. انظر معجم البلدان ٢٣٤/٢.

(٤) بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٤٤٩/٤٥٠.

وجدوا بها الأمير قُنْدُس ومن بقى من المجردين ومحمد بن عُطَيْفَة، فساروا مع الحاج إلى القاهرة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلاى أبو سعيد الشافعى[1] صاحب كتاب القواعد وغيره، فى المحرم. ومولده سنة أربع وتسعين وستمائة. وكان حافظا فقيها شافعيًا، لم يخلف بعده فى الحديث مثله. ودرس بالقدس سنتين.

ومات صدر الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن سليمان بن محمد بن عبد الحق الحنفى، ناظر الأحباس، عن ثلاث وستين سنة.

ومات جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام النحوى[2] فى يوم الثلاثاء ثانى ذى القعدة، ومولده فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعمائة.

ومات الشريف زين الدين أبو الحسن على بن محمد بن أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن محمد الممدوح الحسينى الحلبى، نقيب الأشراف بحلب.

ومات السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون فى محبسه من قلعة الجبل، سلخ ذى الحجة، ودفن بتربة عمه الصالح على بن قلاوون قريبا من المشهد النفيسى. رحمه الله تعالى.

وتوفى فخر الدين محمد بن محمد بن مسكين الشافعى، أحد نواب الحكم، ولى قضاء الإسكندرية وغيرها عن ثلاث وتسعين سنة، فى يوم الإثنين سابع رجب رحمه الله.

---

(١) خليل بن كيكلدى بن عبد الله العلائى الدمشقى، أبو سعيد، صلاح الدين: محدث، فاضل، بحاثة. ولد وتعلم فى دمشق، ورحل رحلة طويلة. ثم أقام فى القدس مدرسا فى الصلاحية سنة ٧٣١هـ، فتوفى فيها. من كتبه «المجموع المذهب فى قواعد المذهب» فى فقه الشافعية وكتاب «الأربعين فى أعمال المتقين». انظر فهرس الفهارس ١/١١٧ والنعيمى ١/٥٩ والدرر الكامنة ٢/٩٠ والأنسى الجليل ٢/٤٥١ والأعلام ٢/٣٢١، ٣٢٢.

(٢) عبد الله يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، بن هشام: من أئمة العربية مولده ووفاته بمصر. من تصانيفه «مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب» و«عمدة الطالب فى تحقيق تصريف بن الحاجب» و«رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة» و«شذرات الذهب» و«الإعراب عن قواعد الإعراب» و«قطر الندى». انظر لحظ الألحاظ، والبدر الطالع ١/٤٠٢ وحسن المحاضرة ١/٢٠٣ والمكتبة الأزهرية ١/٥٩١ والأعلام ٤/١٤٧.

ومات صدر الدين محمد بن قاضى القضاة تقى الدين أحمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض الحنبلى، فاستقر عوضه فى تدريس المدرسة المنصورية قاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلى. وفى تدريس المدرسة الأشرفية، ناصر الدين نصر الله الحنبلى.

ومات شرف الدين موسى بن كجك، الإسرائيلى الأصل، الطبيب، فى يوم الثلاثاء ثامن شوال. وكان بارعا فى الطب، مشاركا فى عدة علوم، وكتب بخطه الجيد كتبا كثيرة.

وتوفى شهاب الدين أحمد القسطلانى خطيب جامع عمرو بمصر وخطيب جامع القلعة، فى يوم الجمعة خامس ذى الحجة.

وتوفى تاج الدين أحمد الزَرْكشى الشافعى مدرس المدرسة الفارسية[١]، وخطيب الجامع الأخضر[٢] فى يوم الإثنين ثامن ذى الحجة.

وتوفى سراج الدين عبد الله بن محمد بن معز، يوم الخميس حادى عشرين المحرم، عن مایة سنة، وولى حسبة الإسكندرية وشهادة بيت المال.

وتوفى ضياء الدين أبو المحاسن يوسف بن أبى بكر بن محمد المعروف بالضياء بن خطيب بيت الآبار الشامى، فى ذى الحجة. ولى الحسبة، ونظر الدولة، ونظر المارستان، وغير ذلك، وكان ناهضا أمينا. رحمه الله تعالى والله تعالى أعلم بالصواب.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

---

(١) المدرسة الفارسية: نسبة إلى الأمير فارس الدين ألبكى.

(٢) الجامع الأخضر خارج القاهرة بخط فم الخور.



سنة اثنتين وستين وسبعمائة

أهلت والأمراض بالباردة فاشية فى الناس، وقد ساءت أحوالهم لطول مدة أمراضهم.

وفيها قدم الأمير بيدمر نائب الشام، ومعه الأمير جركتمر الماردينى المجرد بالحجاز، وقد قبض عليه وعلى الأمير قطلوبغا المنصورى، وقدم الأمير منجك، وتمثل بين يدى السلطان.

وفيها عدى السلطان إلى بر الجيزة ونزل بناحية كوم برا[1] قريبا من الأهرام.

وفيها قبض على الوزير الصاحب فخر الدين ماجد بن خصيب[2] وعلى أخيه وحواشيه وأصهاره، وأحيط بدياره، وألزم بمال كبير. ثم نفى إلى مصياف من بلاد الشام، فأقام بها سنة ونيفا ثم نقل إلى القدس، فأقام هناك أربع سنين. ومات وكان قد أظهر فى وزارته من الترفع والتعاظم أمرا زائدا. من ذلك أنه ألزم جميع مباشرى الدولة والخاص وعامة المشدين بالركوب معه إذا ركب، فإذا وصلوا بين يديه إلى رأس سوق الحريريين من القاهرة، نزل مقدم الدولة ومقدم الخاص ومشيا فى ركابه إلى بين القصرين، ثم نزلت طائفة بعد طائفة، بحسب رتبهم، ومشوا بين يديه حتى لا يبقى أحد راكب سواه، إلى أن يصل إلى داره برأس حارة زويلة، فإن كان فى داره بفم الخور على النيل نزل من ينزل من قنطرة قدادار[3] ومشوا إلى داره وهو راكب، فإذا مضى إلى الصناعة بمدينة مصر، نزل الناس من باب مصر، وبقى هو وأخوه راكبين بمفردهما إلى الصناعة، والناس جميعا مشاة. وعنى بالأسمطة، فكان يطبخ دائمًا فى كل يوم بداره ألف رطل من اللحم، سوى الدجاج والأوز. وكان يبعث كل ليلة بعد عشائه إلى بين القصرين من القاهرة فيشترى له بمبلغ مائتين وخمسين درهما فضة ما بين قطا وسمان وفراخ وحمام وعصافير مقلوة. وتناهى فى أنواع الأطعمة الفاخرة، واقترح علبا كبار للحلوى، عرفت بعده مدة سنين بالعلب الخصيبية. وأخبرنى الوزير الصاحب تقى الدين

---

(١) من القرى القديمة بكورة الجيزة، وهى اليوم من بلاد مركز إمبابة.

(٢) ماجد (فخر الدين) بن موسى (تاج الدين) بن أبى شاكر، الصاحب القبطى المصرى: وزير. كان صاحب ديوان «يلبغا» العمرى بمصر. وولى الوزارة فى دولة «الأشرف» ثلاث مرات. وتوفى بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٢٧٤/٣ والنجوم الزاهرة ١٣٢/١١ والأعلام ٢٥١/٥.

(٣) تقع على الخليج الناصرى يتوصل إليها من اللوق، ويمشى فوقها إلى بر الخليج الناصرى.

عبد الوهاب بن الوزير فخر الدين ماجد بن أبى شاكر أنه كان فى دارهم من جوارى ابن خصيب جاريتين، تحسن كل واحدة منهما ثمانين لونا من التقالى سوى بقية ألوان الطعام. وبلغت عدة جواريه سبعمائة جارية، بعد ما كان من أفقر الكتاب. وقد غلبه الدين، وأقام فى السجن والترسيم على ديون الناس مدة شهر.

وفيها قدم فخر الدين ماجد بن قزوينة[١] وزير دمشق إلى القاهرة باستدعاء فخلع عليه، واستقر فى الوزارة ونظر الخاص عوضا عن ابن خصيب.

وفيها عزل الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الإسنوى نفسه من حسبة القاهرة؛ لمفاوضة حصلت كانت بينه وبين الصاحب فخر الدين ماجد بن قزوينة. واستقر عوضه برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبى بكر الأخنائى[٢] أخو قاضى القضاة علم الدين محمد الأخنائى، فسار فى الحسبة أحسن سيرة، وتصلحت عامة المعايش.

وفى يوم السبت سادس ربيع الآخر: سقطت إحدى منارتى مدرسة السلطان حسن، فهلك تحتها نحو ثلاثمائة من الأطفال الأيتام الذين كانوا بمكتب السبيل، وغير الأيتام، فتشاءم الناس بذلك، وتطيروا به لزوال السلطان، فكان كذلك، وزال ملكه فى ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى. وذلك أنه بلغه وهو بمنزله بكوم برا أن الأمير يلبغا الخاصكى يريد قتله، وأنه لا يدخل إلى الخدمة إلا وهو لابس آلة الحرب من تحت ثيابه فاستدعى به، وهو مع حريمه فى خلوة، وأمر فنزعت عنه ثيابه كلها، ثم كتفت يداه، فشفعت فيه إحدى حظايا السلطان، حتى خلى عنه وخلع عليه، واعتذر إليه بأنه بلغه عنه أنه لا يدخل إلا بالسلاح مخفى فى ثيابه. فخرج إلى مخيمه وقد اشتد حنقه، فلم يمض سوى ثلاثة أيام وبلغ السلطان أن يلبغا قد خامر وأظهر العصيان، وألبس مماليكه آلة الحرب، فبادر للركوب فى طائفة من مماليكه ليكبسه على بغتة، ويأخذه من مخيمه، فسبق ذلك إلى يلبغا من الطواشى بشير الجمدار، وقيل بل من الحظية التى شفعت فيه. فركب بمماليكه من فوره بالسلاح، يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى بعد العصر، ولقى

---

(١) هو الوزير القبطى فخر الدين ماجد بن قزوينة، ولى وزارة الشام أولا، ثم نقل إلى مصر وأضيف إليها الخاص. وكان كاتبا مجيدا ولكنه كان ظالما جماعا للمال. مات سنة ٧٦٨هـ.

(٢) إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن عيسى، برهان الدين بن علم الدين، الأخنائى محتسب مصرى من القضاة. مولده ووفاته بالقاهرة. كان شافعيًّا وتحول مالكيا. ولى الحسبة ثم قضاء الديار المصرية إلى أن مات. له مختصر سماه «الهداية والأعلام بما يترتب على قبيح القول من الأحكام نسبته» إلى إخنا بقرب الإسكندرية. نظر الدرر الكامنة ٥٨/١ وشذرات الذهب ٢٥٠/٦ والضوء ١٨٣/١١ والأعلام ٦٣، ٦٤.

السلطان وهو سائر إليه، وتوافقا حتى غربت الشمس، فحمل يلبغا بمن معه يريد السلطان فانهزم من غير قتال، ومعه الأمير عز الدين أيدمر الدوادار، فتفرقت مماليكه فى كل جهة، وتمادى السلطان فى هزيمته إلى شاطئ النيل، وركب هو وأيدمر فقط فى بعض المراكب، وترك ركوب الحراقة السلطانية، وصعد قلعة الجبل، وألبس من بها من المماليك، فلم يجد فى الإصطبل خيولا لهم، فإنها كانت مرتبطة على البرسيم لتربع على العادة، فاضطرب ونزل من القلعة ومعه أَيْدَمُر وقد تنكرا ليسيرا إلى الشام فعرفهما بعض المماليك، فأنكر حالهما، وأخذهما ومضى بهما إلى بيت الأمير شرف الدين موسى بن الأَزْكَشى، فأواهما.

هذا، وقد مضى يلبغا وقت هزيمة السلطان فى إسره فلم يظفر به، فركب الحراقة ومنع أن يعدى مركب بأحد من المماليك السلطانية إلى بر مصر، وعدى بأصحابه فى الليل إلى البر، فلقيه الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى والأمير قشتمر المنصورى فى عدة وافرة، فحاربهما وهزمهما، وتقدم فهزم طائفة بعد طائفة. ثم وجد الأمير أسنبغا ابن البوبكرى فى عدة وافرة فقاتله قريبا من قنطرة قديدار، قتالا كبيرًا، جرح فيه أسنبغا وانهزم من كان معه. ومضى يلبغا حتى وقف تحت القلعة، فبلغه نزول السلطان وأَيْدَمُر منكسرين. وبينما هو مفكر فيما يفعله، إذ أتاه قاصد ابن الأَزْكَشى وأخبره بأن السلطان وأَيْدَمُر عنده، فسار بعسكره إلى بيت ابن الأَزْكَشى بالحسينية، وأحاط به، وأخذ السلطان والأمير أَيْدَمُر ومضى بهما إلى داره، فوق جبل الكبش فحبسهما بها، ووكل بهما من يثق به. ثم عاد إلى القلعة وقد امتنع بها طائفة من مماليك السلطان، ورموه بالنشاب، فأعلمهم بأنه قد قبض على السلطان وسجنه فى داره، فانحلت عزائمهم، وفتحوا باب القلعة، فصعد يلبغا ومن معه إليها وملكها وأقام فى السلطنة محمد بن المظفر حاجى بن محمد بن قلاوون. ولم يوقف للسلطان حسن على خبر، فقيل إنه عاقبه عقوبة شديد حتى مات ودفنه فى مصطبة كان يركب عليها من داره بالكبش. وقيل دفنه بكيمان مصر وأخفى قبره، فكان عمره دون الثلاثين سنة، منها مدة سلطنته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام. وترك عشرة أولاد ذكور، وهم أحمد وقاسم وعلى وإسكندر وشعبان وإسماعيل ويحيى وموسى ويوسف ومحمد، وست بنات. وكان من خيار ملوك الأتراك. أخبرنى ثقتان من الناس أنهما سمعاه يحلف بالأيمان الحرجة، أنه ما شرب خمرًا ولا لاط منذ كان، إلا أنه شغف بنسائه وجواريه شغفا زائدًا، واشتهر فى أمرهن، وأفرط فى الإقبال عليهن، مع القيام بتدبير ملكه. وعزم على قطع دابر الأقباط والأتراك المماليك، فولى عدة وظائف كانت بيد الأقباط

لجماعة من الفقهاء، منها وظيفة نظر الجيش ونظر بيت المال. وجعل عشرة من أولاد الناس أمراء ألوف، وهم ولداه أحمد وقاسم وأسنبغا بن البوبكرى، وعمر بن أرغون النائب، ومحمد بن طرغاى ومحمد بن بهادر آص، ومحمد بن المحسنى، وموسى بن أرقطاى، وأحمد بن آل ملك، وموسى بن الأزكشى. وأنعم على عدة منهم بإمريات طبلخاناه وعشرات. وولى ابن القَشْتَمُرى نيابة حلب، وابن صُبْح نيابة صفد[١]. وقد وافق أباه فى عدة أمور: فى اللقب الخاص بالملوك، فكلاهما لقب بالملك الناصر. وفى أنه خلع ثم أعيد كل منهما إلى السلطنة بعد الخلع، كان ذلك فى ثانى شوال. وما منهما إلا من وُزر له مُتعمم وصاحب سيف. وأقام مدة بغير وزير ولا نائب، وبنى المدرسة التى لم ين فى ممالك الإسلام بيت لله مثلها فى العظم والجلالة والضخامة.

* * *

السلطان الملك المنصور[٢]

صلاح الدين محمد بن الملك المظفر حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون

أقامه الأمير يلبغا فى السلطنة. وذلك أنه لما قبض على السلطان حسن، وصعد إلى القلعة ومعه الأمير طيبغا الطويل أمير سلاح، والأمير مَلَكْتَمُر المارديني رأس نوبة الجمدارية، والأمير أَشَقْتَمُر أمير مجلس، فى بقية الأمراء اشتوروا فيمن يقام فى السلطنة، فذكر بعضهم الأمير حسين بن محمد بن قلاوون، وهو آخر من بقى من أولاد الملك الناصر محمد لصلبه، فلم يرضوه خشية من أن يستبد بالأمر دونهم ثم لا يبقى منهم أحدًا. وذكر الأمير أحمد بن السلطان حسن فرأوا أن تقديمه - وقد عُمل بأبيه ما عُمل - سوء تدبير فإن الحال يلجئه لأن يأخذ بثأر أبيه، فأعرضوا عنه.

ووقع الطارق على محمد بن المظفر حاجى، فاستدعى الخليفة وقضاة القضاة، وأحضر ابن المظفر وعمره نحو أربع عشرة سنة، ففوض الخليفة إليه أمور الرعية، وركب والكافة بين يديه من باب الدار إلى الإيوان، حتى جلس على تخت الملك، وحلف له الأمراء على العادة، وهو لابس الثوب الخليفتى، وذلك فى يوم الأربعاء تاسع

---

(١) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٢) محمد (المنصور) بن حاجى (المظفر) ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بالسلطنة بعد مقتل عمه (الناصر الثالث) سنة ٧٦٢هـ. دامت سلطنته سنتين وأربعة أشهر. انظر ابن إياس ٢١١/١ و٢١٢ والبداية والنهاية ٢٧٨/١٤ - ٣٠٢ والأعلام ٧٥/٦.

جمادى الأولى، ولقب بالملك المنصور صلاح الدين. وهو أول من تسلطن من أولاد أولاد الملك الناصر محمد، فقام الأمير يلبغا بتدبير الدولة، ولم يبق للمنصور سوى الاسم. واستقر الأمير طَيْبُغا الطويل على عادته أمير سلاح، والأمير قُطْلُوبغا الأحمدى رأس نوبة كبير، والأمير مَلَكْتَمُر الماردينى رأس نوبة الجمدارية، والأمير أشَقْتَمُر أمير مجلس، والأمير أرغون الأسْعَرْدى دوادارا، والأمير ألجاى اليوسفى حاجب الحجاب، والأمير قَشْتَمُر المنصورى نائب السلطنة.

ودقت البشائر، ونودى بالقاهرة ومصر بسلطنة الملك المنصور، وكتب إلى الأعمال بذلك، فسارت البريدية.

وقبض على الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى وسجن بالإسكندرية.

وأفرج عن الأمير طاز وقد سمل الناصر حسن عينيه، فلما مثل بين يدى السلطان وعلى عينيه شعرية[1] توجع له وخلع عليه، فسأل الإقامة بالقدس وأجيب إلى ذلك، وأنعم له بإمرة طبلخاناه. فسار إلى القدس وأقام به.

وأفرج عن الأمير جَرْكَتَمُر الماردينى والأمير قَطْلُوبُغا المنصورى، والأمير قَشْتَمُر القاسمى، والأمير مَلَكْتَمُر المحمدى، والأمير أَقْتَمُر عبد الغنى، والأمير بَكْتَمُر المؤمنى، وأخيه طاز. واستقر قَشْتَمُر القاسمى نائب الكرك، ومَلَكْتَمُر المحمدى نائب صفد. وأخرج بَكْتَمُر المؤمنى إلى أسوان[2] منفيا. ونقلت رمة الأمير صَرْغَتْمُش من الإسكندرية، ودفنت بمدرسته المجاورة لجامع ابن طولون خارج القاهرة. وخلع على الشريف عجلان وأعيد إلى إمارة مكة.

وقدمت الأخبار فى شهر رجب بخروج الأمير بَيْدَمُر نائب الشام عن الطاعة، وموافقة جماعة من الأمراء له على ذلك، منهم أَسَنْدَمُر أخو يَلْبُغا اليحياوى، والأمير مَنْجَك وجماعة، وأنه قام لأخذ ثأر السلطان حسن، وأفتاه جماعة من الفقهاء بجواز قتال قاتله الذى تغلب على المُلك - يعنى الأمير يَلْبُغا - ومنع البريد أن يسير من الشام. وجهز الأمير مَنْجَك والأمير أَسَنْدَمُر الزينى فى عسكر إلى غزة، فحاربوا نائبها

---

(١) على هامش ط: الشعرية، هو غشاء يكون على وجه النساء، وأصله ينسج من الشعر، ثم أطلق على كل ما شابهه، وهى كلمة مولدة.

(٢) أسوان: فى الصعيد آخر بلاد مصر، وفى بلادهم من الجبال والأغوار التى تحول بينهم وبين النوبة، وهى مدينة صغيرة كثيرة الحنطة وسائر أنواع الحبوب والفواكه، وأسوان من ثغور النوبة. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، والإدريسى ٢١، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٣/٤٠.

وملكوها. فنصب الأمير يَلْبُغا السَّنْجق السلطانى، وتقدم إلى الأمراء بالتجهيز للسفر، وأخرج الأمير قَشْتَمُر نائب السلطنة إلى جهة الصعيد فى عسكر ليحفظ تلك الجهة فى مدة الغيبة بالشام.

وأقيم الأمير شرف الدين مُوسى بن الأَزْكَشى نائب الغيبة، وخرجت أطلاب الأمراء شيئًا بعد شىء. وركب السلطان فى أول شهر رمضان من قلعة الجبل، ونزل خارج القاهرة، ثم رحل وصحبته الخليفة والأمراء، وتاج الدين محمد بن إسحاق المناوى قاضى العسكر، وسراج الدين عمر الهندى قاضى العسكر. فرحل الأمير مَنْجَك بمن معه من غزة، عائدًا إلى دمشق. فنزل بها السلطان بعساكره وجلس الأمير يَلْبُغا لعرض العسكر. ثم ساروا جميعا إلى دمشق، وخيموا بظاهرها، فخرج إليهم أكثر أمراء دمشق وعسكرها راغبين فى الطاعة، حتى لم يبق من الأمراء مع بَيْدَمُر سوى مَنْجَك وأَسَنْدَمُر - وقد امتنعوا بالقلعة - فترددت القضاة بين الفريقين فى الصلح حتى تقرر، وحلف لهم الأمير يَلْبُغا على ذلك، فاطمأنوا إليه ونزلوا من القلعة.

فركب السلطان بعساكره صبح يوم الإثنين تاسع عشرين شهر رمضان، ودخل إلى دمشق وقبض على الأمير بَيْدُمر والأمير منجك والأمير أَسَنْدَمُر، وقيدوا، فأنكر ذلك جمال الدين يوسف بن محمد المرداوى[١] الحنبلى قاضى دمشق، وصار إلى الأمير يَلْبُغا، وقال له: «لم يقع الصلح على هذا» فاعتذر بأنه ما قصد إلا إقامة حرمة السلطان، ووعد بالإفراج عنهم. فلما انصرف بعث بهم إلى الإسكندرية، فسجنوا بها. وصعد السلطان إلى قلعة دمشق، وسكنها. واستبد الأمير يَلْبُغا بتدبير الأمور فى الشام، على عادته فى مصر. واستقر الأمير علاء الدين أمير على نائب الشام عوضا عن الأمير بَيْدَمُر، واستقر الأمير قطْلُوبُغا الأحمدى رأس نوبة فى نيابة حلب عوضا عن الأمير أحمد بن القَشْتَمُرى. ثم سار السلطان بعساكره من دمشق، فى يوم الأحد، فلما قرب من القاهرة دُقت البشائر بقلعة الجبل، وزينت القاهرة ومصر زينة عظيمة، وصعد إلى قلعته فى يوم الإثنين عشرين شوال.

وفيه قدم الأمير قَشْتَمُر النائب من الوجه القبلى.

---

(١) يوسف بن محمد بن التقى عبد الله بن محمد بن محمود أبو المحاسن جمال الدين المرداوى. قاض، من فقهاء الحنابلة. من أهل دمشق، مولدا ووفاة. تصدر للتدريس والإفتاء فى الجامع المظفر، ثم ولى قضاء الحنابلة سبع عشرة سنة. وعزل سنة ٧٦٧هـ ومات عن نحو ٧٠ عاما. نسبته إلى «مردا» من قرى نابلس. له «الانتصار» فى أحاديث الأحكام. و«كفاية المستقنع لأدلة المقنع». انظر القلائد الجوهرية ٣٦٤ والدرر الكامنة ٤/٤٧٠ والكتبخانة ٣/٢٩٦ والتاج ٢/٥٠٠ والأعلام ٨/٢٥١.

وقدم الأمير حيار بن مهنا[١]، فخلع عليه، واستقر فى الإمرة عوضا عن أخيه فياض ابن مهنا بعد موته.

واستقر علاء الدين على بن إبراهيم بن حسن بن تميم فى كتابة سر حلب، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم.

واتفق بحلب أن فى يوم الإثنين سادس عشرين ربيع الأول جىء إلى النائب بمولود قد مات بعد ولادته بساعة، فإذا له على كل كتف رأس بوجه مستدير، وهما إلى جهة واحدة.

وفيها اتفق الأمير حسين بن محمد بن قلاوون مع الطواشى جوهر الزمردى نائب مقدم المماليك على أن يلبس المماليك السلطانية آلة الحرب ويتسلطن. وكان السفير بينهما نصر السليمانى أحد طواشية الأمير حسين، فوشى بذلك إلى الأمراء. وكان السلطان بالشام، فبادر الأمير أَيْدَمُر الشمسى نائب الغيبة والأمير موسى بن الأَزْكَشى وقبضا على جوهر ونصر وسجنا بخزانة شمايل بالقاهرة. فلما قدم السلطان والأمير يلبغا سمرا وشهرا، ثم نفيا إلى قوص[٢] فى ذى القعدة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن خلف بن بدر، المعروف بابن بنت الأعز العلائى، الفقيه الشافعى، ناظر بيت المال، وناظر الأحباس فى يوم الخميس ثامن عشر ربيع الآخر.

والأمير بلبان السنانى أستادار السلطان، وأحد مقدمى الألوف، بعد ما نفاه الناصر حسن ثم أعيد واستقر والى القلعة، وهو من المماليك الناصرية محمد بن قلاوون.

ومات الشريف شهاب الدين حسين بن محمد بن حسين بن محمد بن حسين بن

---

(١) حيار بن مهنا بن عيسى، من آل فضل، من طيئ: أمير بادية الشام. آلت إليه الإمارة بعد موت أخيه فياض سنة ٧٦٢هـ. وكان مواليا لسلاطين مصر والشام، وتابعا لهم، فنقض طاعتهم سنة ٧٦٥هـ. ثم شفع به نائب حماة، فعفى عنه وعاد إلى ولائه، ثم انتقض سنة ٧٧٠هـ. وعاد سنة ٧٧٥هـ، معفوا عنه، فاستقر إلى أن مات. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والقلقشندى ٢٠٧/٤ والدرر الكامنة ٨١/٢ والأعلام ٢٨٩/٢.

(٢) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤١٣/٤.

حسين بن زيد المعروف بابن قاضى العسكر الأرموى[١] نقيب الأشراف بديار مصر، وكاتب السر بحلب، عن اثنتين وستين سنة، بالقاهرة.

ومات الشريف بدر الدين محمد بن على بن حمزة بن على بن الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة نقيب الأشراف بحلب.

ومات شمس الدين محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الوهاب بن دويب الآمدى[٢] الدمشقى المعروف بابن قاضى شهبة، الأديب الماهر، خطيب مدينة غزة، وكاتب الإنشاء بدمشق.

ومات شمس الدين محمد بن مجد الدين عيسى بن محمود بن عبد الضيف البعلبكى المعروف بابن المجد الموسوى فى سلخ صفر. وكان قد ابتلى فى الوسواس بأمر شديد، حتى أنه كان إذا توضأ من فسقية المدرسة الصالحية بين القصرين لايزال به وسواسه إلى أن يلقى نفسه فى الماء بثيابه ويغطس شتاء وصيفا، زعما منه أنه لا يسبغ الوضوء ما لم يفعل هذا. وكان جميل المعاشرة حسن المحاضرة، لا تمل مجالسته.

وتوفى الشيخ جمال الدين عبد الله بن الزيلعى الحنفى، فى حادى عشرين المحرم، برع فى الفقه والحديث، وخرج أحاديث الهداية فى الفقه على مذهب أبى حنيفة، وخرج أحاديث الكشاف للزمخشرى فى تفسير القرآن، وبين ما وصلت إليه قدرته من أسانيدها، فأحسن ما شاء.

وتوفى الشيخ جمال الدين خليل بن عثمان بن الزولى فى حادى عشرين المحرم، كان شافعيا ثم صار حنفيا، وكان تيمى الاعتقاد حتى مات. ولى خطابة جامع[٣] شيخو وإمامته، وتدريس الحديث بالخانكاه الشيخونية. وكان لشيخو فيه اعتقاد جيد، وله به اختصاص. وكان عبدا صالحا كثير السكون، يكتب الخط الجيد.

وتوفى الحافظ علاء الدين مُغْلطَاى بن قليج بن عبد الله البَكْجَرى الحنفى المحدث.

وتوفى الشيخ المعمر أبو العباس أحمد بن موسى الزرعى الحنبلى، أحد الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فى المحرم بمدينة حبراص من الشام. قدم إلى القاهرة،

---

(١) الحسين بن محمد بن الحسين، الحسينى العلوى، المعروف بابن قاضى العسكر: ولى التوقيع بالقاهرة ونقابة الأشراف وكتب بديوان الإنشاء من التقاليد والتواقيع ما يعيى حصره. له ديوان خطب «المقال المعبر فى مقام المتبر» وبنى مدرسة بحارة بهاء الدين وقف عليها وقفا جيدا وقف فيها كتبا كثيرة. انظر البدر الطالع ١/٢٢٨ والدرر الكامنة ٢/٦٦ والأعلام ٢/٢٥٦.

(٢) نسبة إلى آمد، وهى أعظم مدن ديار بكر. انظر معجم البلدان ١/٤٠٢.

(٣) جامع شيخو بسويقة منعم فيما بين الصليبة والرميلة تحت قلعة الجبل.

وكان قويا فى ذات الله، جريئا على الملوك، أبطل مظالم كثيرة، وصحب شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية فانتفع به. وكان متقشفا، وله وجاهة عند الخاصة والعامة، لزهده وورعه وتقواه. ولما قدم على الناصر محمد بقلعة الجبل، قال له: «يا شيخ ما جئتنا بهدية» فقال: «نعم، جراب ملآن حيات وعقارب». وأخرج جرابا فيه قصص مظالم، فرسم السلطان بإجابته إلى جميع ذلك. وعاد إلى دمشق، فأمضى النائب بعضها ودافع فى البعض.

وتوفى الفقيه المنشئ الكاتب كمال الدين أبو عبد الله محمد بن شرف الدين أحمد ابن يعقوب بن فضل بن طرخان الزينبى الجعفرى العباسى الدمشقى الشافعى، بضواحى القاهرة، عن بضع وخمسين سنة، فى ربيع الأول.

وتوفى الخواجا عز الدين حسين بن داود بن عبد السيد بن علوان السلامى[1] التاجر، فى رجب بدمشق، وقد حدث عن ابن النجارى وغيره.

ومات الأمير سيف الدين المهمندار حاجب الحجاب بدمشق، فى شوال.

والأمير سيف الدين برناق، نائب قلعة دمشق فى شعبان.

ومات محيى الدين أبو زكريا يحيى بن عمر بن الزكى بن أبى القاسم الشافعى قاضى الكرك، فى أوائل ذى القعدة بالقدس، معزولا.

وتوفى الشريف ثُقْبة بن رُمَيْثَة فى شوال، وانفرد أخوه عَجْلان بعده بإمارة مكة.

وفيها قتل صاحب فاس[2] ملك المغرب السلطان أبو سالم إبراهيم، ابن السلطان أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق[3] فى ليلة الأربعاء ثامن عشر ذى القعدة. وأقيم بعده أبو عمر تاشفين بن السلطان أبى الحسن[4].

* * *

---

(١) نسبة إلى مدينة السلام بغداد. انظر معجم البلدان ٤٠٥/٢، والروض المعطار ١٠٩، ١١٢.

(٢) فاس: مدينة عظيمة، وهى قاعدة المغرب، وهما مدينتان مقترنتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادى فاس. انظر معجم البلدان ٢٣٠/٤، والروض المعطار ٤٣٤، ٤٣٥، والإدريسى ٧٥/٥٠، والبكرى ١١٥ وما بعدها، وابن الوردى ١٤، وصبح الأعشى ١٥٤/٥.

(٣) إبراهيم بن على بن عثمان بن يعقوب المرينى، أبو سالم، السلطان المستعين بالله: من ملوك بنى مرين فى المغرب الأقصى، من بنى عبد الحق. مدته سنتان وثلاثة أشهر وخمس أيام. انظر الاستقصا ١٠٤/٢ - ١٢٣ والحلل الموشية ١٣٥ جذوة الاقتباس والأعلام ٥٢/١.

(٤) تاشفين بن على بن عثمان المرينى، أبو عمرو: من ملوك الدولة المرينية بفاس. بويع سنة ٧٦٣هـ بفاس ثم اضطرب أمره فقاتله كبار بنى مرين، فخلعه الوزير ثلاثة أشهر من بيعته (سنة ٧٦٣هـ) ومات وعمره ستون سنة. انظر الاستقصا ٨٠/٢، ١٢٣ والزركشى ٨٧ والحلل الموشية ١٣٥ وجذوة الاقتباس ١٠٦ والأعلام ٨٣/٢.



سنة ثلاث وستين وسبعمائة

فى شهر الله المحرم: تزوج الأمير يَلْبُغا الأتابك بخوند طولونية زوج السلطان حسن.

وفى يوم الإثنين سادس صفر: خلع على الأمير الطواشي سابق الدين مثقال الآنوكى، واستقر مقدم المماليك عوضا عن شرف الدين مختص الطَقْتَمُرى بعد وفاته.

وخرج السلطان والأمير يَلْبُغَا إلى الصيد بالجيزة.

واستدعى جماعة من الفقهاء إلى مخيم الأمير يَلْبُغَا، فعين طائفة منهم، وعرضهم على السلطان فى يوم الخميس ثانى عشرين صفر، فخلع على برهان الدين إبراهيم بن علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الأخنائى محتسب القاهرة، واستقر فى قضاء القضاة المالكية عوضا عن أخيه تاج الدين بعد موته. وخلع على صلاح الدين عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم البرلسى المالكى مدرس المدرسة الأشرفية، واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن البرهان الأخنائى. وخلع على تاج الدين محمد بن بهاء الدين شاهد الجمالى، واستقر فى نظر المارستان المنصورى عوضا عن البرهان الأخنائى.

وخلع على الشيخ شرف الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عسكر البغدادى المالكى، واستقر فى نظر الخزانة الخاص، عوضا عن التاج الأخنائى. وعدوا النيل إلى القاهرة، فكان يومًا مشهودًا. ثم عاد السلطان إلى قلعة الجبل.

وفى يوم الخميس تاسع شهر رجب: خلع على الأمير طُغاى تَمُر النظامى، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن الأمير ألجاى اليوسفى. واستقر أُلْجاى أمير جندار.

وفى سابع عشرينه: نفى الأمير موسى بن الأزكشى إلى حماة بطالاً، واستقر عوضه أستادار الأمير أروس المحمودى.

وفى يوم الإثنين خامس شعبان: خلع على الأمير قَشْتَمُر النائب، واستقر فى نيابة الشام عوضا عن أمير على بحكم استعفائه. وخلع على الشيخ بهاء الدين أحمد بن التقى السبكى، واستقر فى قضاء دمشق، عوضا عن أخيه تاج الدين عبد الوهاب.

واستقر التاج فى وظائف أخيه، وهى تدريس المدرسة المنصورية، والخانكاه الشيخونية، والمدرسة الناصرية بجوار قبة الإمام الشافعى، وإفتاء دار العدل. وقد استدعى إلى القاهرة لكثرة شكواه.

وفى ثامنه: أنعم على الأمير قَطْلَقْتَمُر العلاى الجاشنكير بتقدمة ألف.

وفى يوم الخميس خامس شوال: خلع علـى الأمـير أَشَـقْتَمُر المـارديني أمـير مجلـس، واستقر فى نيابة طرابلس.

وخلع على الأمير طُغَاى تَمُر النظامى واستقر أمير مجلس عوضا عن أَشَـقْتَمُر، وخلـع على الأمير أَسَنْبُغا بن البوبكرى واستقر حاجب الحجاب.

وفيه استقر الأمير عز الدين أَيْدَمُر الشيخى فى نيابة حماة. واستقر الأمـير مَنْكَلـى بغـا الشمسى فى نيابة حلب، عوضًا عن قطلوبغا الأحمدى. واستقر الأمـير أَسَـنْدَمُر الطـازى فى نيابة ملطية[1]، فأكثر من الغارات على بـلاد الـروم، وأسـرهم وقتلهـم، فبعـث إليـه الأمير محمد بن أَرتَنَا صاحب قيصرية الروم عسكرًا مع ابن دُلْغَادر، فكسبه وهـو يتصيـد فقاتله قتالاً شديدا، ونجا بنفسه إلى ملطية. فكتب السلطان والأمير يَلْبُغا بخروج عسـاكر دمشق وطرابلس وحماة وحلب بآلات الحرب والحصـار، صحبة الأمـير قَطْلُوبُغـا نـائب حلب. فخرج من دمشق خمسة آلاف فـارس، ومـن بقيـة البـلاد الشـامية سبعة آلاف فارس. وتوجه نائب حلب فى اثنى عشر ألفا ومعه المجانيق والنقابون، وجميـع مـا يحتـاج إليه، فشنوا الغارات على بلاد الروم، ثم عادوا بغير طائل.

وفيها استدعى أبو عبد الله محمد بـن الخليفـة المعتضـد بـا لله أبى بكـر[2]، فـى يـوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى، إلى قلعة الجبل، وجلس مـع السـلطان بـالقصر، وقـد حضر الأمراء فأقيم فى الخلافة بعد وفاة أبيه، ولقـب بـالمتوكل علـى الله، وخلـع عليـه، وفوض له نظر المشهد النفيسى. ليستعين بما يحمل إليه من النذور على حاله، وركـب إلى منزله، فهنأه الناس بالخلافة.

وفيها استقر جمال الدين يوسف بن قاضى القضاة شرف الدين أبى العباس أحمـد بـن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى فى قضاء الحنفية بدمشـق، عوضـا عـن والـده فـى جمادى الأولى.

---

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥، ١٩٣.

(٢) محمد (المتوكل على الله) بـن أبى بكـر (المعتضـد بـا لله) بـن سـليمان المستكفى) بـن أحمـد العباس، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويع بعد وفاة أبيه (سنة ٧٦٣هـ) بعهـد منه، بالقاهرة. وطالت مدته، وخلع فى صفر ٧٧٩هـ وأعيد فى ربيع الأول من السنة منه. اسـتمر إلى أن توفى فى القاهرة. مدة خلافته نحو من ٤٥ عامـا. انظر بدائـع الزهـور ٣٥٠/١ وتـاريخ الخميـس ٣٨٢/٢ و٣٨٣ والضوء اللامع ١٦٧/٧ والأعلام ٥٦/٦.

واستقر صدر الدين أحمد بن عبد الظاهر بن محمد الدميرى فى قضاء المالكية بحلب، عوضًا عن الشهاب أحمد بن محمد بن ياسين الرياحى فى صفر.

واستقر كمال الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القسم النويرى فى قضاء مكة، عوضا عن تقى الدين أبى اليمن محمد بن أبى العباس أحمد بن قاسم الحرازى، بعد عزله.

وفيها استقر جمال الدين عبد الله بن كمال الدين محمد بن عماد الدين إسماعيل بن تاج الدين أحمد بن السعيد بن الأثير فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم الحلبى، بعد وفاته.

وفيها اشتد البرد بدمشق. وخرج ركب الحاج من القاهرة صحبة الأمير طَيْبُغَا الطويل، أمير سلاح، وهو فى تجمل عظيم، فوصلت إليه الإقامات إلى عرفة، حملها إليه الأمير يَلْبُغَا.

وفيها خلع صاحب فاس ملك المغرب أبو عمر تاشفين بن السلطان أبى الحسن على ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق فى محرم. وولى ملك المغرب بعده أبو زيان محمد ابن الأمير أبى عبد الرحمن بن السلطان أبى الحسن.

وفيها اشتد البرد ببلاد الشام، وجمدت المياه حتى ماء الفرات، ومر المسافرون عليه بأثقالهم، فرأوا منه منظرا عجيبا. وهذا الأمر لم يعهد فى هذه الأعصار مثله.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

الخليفة المعتضد بالله أبو الفتح، واسمه أبو بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الحسن بن أبى بكر بن أبى على بن الحسن بن الخليفة الراشد بن المسترشد(١)، فى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى ومدة خلافته عشرة أعوام. وحج سنة أربع وخمسين وسنة ستين. وكان يلثغ فى حرف الكاف، وعهد إلى ابنه محمد قبل وفاته بقليل.

---

(١) أبو بكر بن سليمان بن أحمد العباس، أبو الفتح، المعتضد بالله: من خلفاء العباسيين بمصر. وهو ابن المستكفى بالله ابن الحاكم بأمر الله. كان مقيما فى جملة بنى العباس بالقاهرة. وولى الخلافة بها بعد أخيه الحاكم بأمر الله سنة ٧٥٤هـ بعهد منه، فأقام إلى أن توفى. انظر تاريخ الخميس ٣٨٢/٢ وشذرات الذهب ١٩٧/٦ وبدائع الزهور ٢٠٠/١ والأعلام ٦٤/٢.

وتوفى السلطان أبو سالم إبراهيم بن أبى الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى صاحب فاس من بلاد المغرب. وكان من خبره أن أباه السلطان - أبا الحسن - أقامه أميرًا، فقدم هو وأخوه إلى غرناطة من الأندلس فى العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين، فأقاما بها إلى أن مات أبو عنان فى سنة تسع وخمسين، وأقيم بعده ابنه السعيد فى الملك، فخرج أبو سالم من غرناطة ليلاً، ولحق بأشبيلية وبها سلطان قشتالة فطرح نفسه عليه، فوعده و لم يف له، فاجتمع الناس على منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق، ونازل البلد الجديد، فخرج أبو سالم من أشبيلية بغير طائل، ومضى إلى الإفرنس فانضم إليه طائفة وأخذ مدينة أصيلا وطنجة[1]، فتلاحقت به جيوش منصور بن سليمان، وقد اختل أمره، ففر. فسار أبو سالم بمن معه ودخل دار الإمارة، يوم الخميس النصف من شعبان، سنة تسع وخمسين، فلم يختلف عليه أحد إلى أن كانت هذه السنة ثار عليه ثقته ودعا إلى أخيه تاشفين. ففر الناس عنه، وخرج ليلاً فأخذ وذبح، فاضطربت الأمور من بعده. وكان وسيما بدينا كثير الحياء مؤثرًا للجميل، له معرفة بالحساب والنجوم، ومحبة فى الراحة.

وتوفى الأمير طاز فى العشرين من ذى الحجة بالشام.

وتوفى الشريف شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحسين بن محمد المعروف بابن أبى الركب، نقيب الأشراف بالقاهرة، وإليه تنسب المدرسة الشريفية بحارة بهاء الدين.

وتوفى أبوه شهاب الدين فى شعبان، سنة اثنتين وستين.

وتوفى شمس الدين أبو إمامة محمد بن على بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم، المعروف بابن النقاش الشافعى، الفقيه المحدث، المفسر الواعظ، فى يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأول.

وتوفى أمين الدين محمد بن الجمال أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المظفر ابن أسعد بن حمزة المعروف بابن القلانس التميمى الدمشقى، وكان أحد أعيان دمشق، وباشر بها وكالة بيت المال وقضاء العسكر، ودرس الفقه، ثم ولى كتابة السر مدة، وعزل عنها.

---

(١) طنجة: مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر، وبين طنجة وسبتة ثلاثون ميلاً فى البر، وفى البحر نصف مجرى، وتعرف طنجة بالبربة وليلى افتتحها عقبة بن نافع وقتل رجالها وسبى من فيها، وهى على شاطئ بحر الزقاق. انظر معجم البلدان ٤/٤٣، والروض المعطار ٣٩٥، ٣٩٦، والاستبصار ١٣٨، وابن الوردى ١٤.

وتوفى قاضى القضاة المالكية، تاج الدين أبو عبد الله محمد بن علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الأخنائى المالكى، فى ثامن عشر صفر بالقاهرة.

وتوفى ناصر الدين محمد بن أبى القاسم بن حمل المعروف بابن التونسى، أحد نواب القضاة المالكية، فى يوم الجمعة حادى عشر صفر بالقاهرة.

ومات ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم بن أبى المعالى الحلبى الشافعى. ولى كتابة السر بحلب ودمشق، ثلاثًا وعشرين سنة، ودرس، وقال الشعر.

وتوفى صلاح الدين عبد الله بن محمد بن كثير التاجر النحوى المعروف بابن المعزى، بمكة، فى ذى القعدة. أخذ النحو بالقاهرة عن أبى الحسن والد الشيخ سراج الدين عمر بن الملقن. وكان عبدًا صالحًا.

وتوفى الأمير أَيْنَبَك أخو الأمير بَكْتَمُر الساقى.

وتوفى الصاحب الطواشى صفى الدين جوهر الزمردى بقوص فى شعبان.

وتوفى فتح الدين يحيى بن عبد الله بن مروان بن عبد الله بن قمر بن الحسن الفارقى الأصل الدمشقى الشافعى، فى ربيع الآخر بدمشق. ومولده فى القاهرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة. وقد حدث، وكان صالحًا، ثقة، ثبتًا.

وتوفى والده فى صفر سنة ثلاث وسبعمائة.

وتوفى شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرح الدمشقى الحنبلى[1]، فى رجب بدمشق، ومولده بعد سنة سبعمائة، برع فى الفقه وغيره، وصنف كتاب الفروع، وهو مفيد جدا. والله أعلم.

* * *

---

(١) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرح، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسى الرامينى ثم الصالحى: أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل. ولد ونشأ فى بيت المقدس، وتوفى بصالحية دمشق. من تصانيفه «كتاب الفروع» فقه و«أصول الفقه». انظر حلاء العينين ٢٥ والدرر الكامنة ٢٦١/٤ والفهرس التمهيدى ٢٢٤ والأعلام ١٠٧/٧.

سنة أربع وستين وسبعمائة

فى المحرم: عدى السلطان والأمير يَلْبُغا النيل إلى بر الجيزة، وخيم قريبا من الأهرام.

وفى يوم الإثنين: رابع عشر صفر قدم قاضى القضاة بهاء الدين أحمد بن السبكى على البريد من دمشق، باستدعاء، فاجتمع بالسلطان والأمير يلبغا ثم عاد إلى القاهرة.

وفى تاسع عشر شهر ربيع الأول: عاد السلطان من السرحة بالجيزة، ومعه الأمير يَلْبُغَا.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه: خلع على تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى وأعيد إلى قضاء دمشق، وخلع على أخيه بهاء الدين وأعيد إلى إفتاء دار العدل، وبقية وظائفه. وخلع على الأمير أَقْتَمُر عبد الغنى واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن أسنبغا بن البوبكرى.

وفى جمادى الأولى: فشت الطواعين والأمراض الحادة فى الناس بالقاهرة ومصر وعامة الوجه البحرى، وتزايد حتى بلغ فى شهر رجب عدة من يموت فى اليوم ثلاثة آلاف. ولم تزل الأمراض بالناس إلى شهر رمضان.

وقدم الخبر بوقوع الوباء بدمشق وغزة وحلب، وعامة بلاد الشام، فهلك فيه خلائق كثيرة جدًا.

وفى يوم الإثنين رابع عشر شعبان: اقتضى رأى الأمير يَلْبُغَا خلع السلطان فوافقه الأمراء على ذلك، فخلعوه من الغد لاختلال عقله، وسجنوه ببعض الدور السلطانية من القلعة، فكانت مدة سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام، لم يكن له سوى الاسم فقط.

* * *

السلطان الملك الأشرف زين الدين أبو المعالى
شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد [بن قلاوون](1)

ولى السلطنة وعمره عشر سنين، ولم يل أحد من بنى قلاوون وأبوه لم يل السلطنة

---

(1) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة سنة ٧٦٤هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ٢/ ١٩٠ والبداية والنهاية ١٤/ ٣٠٢ - ٣٢٤ والأعلام ١٦٣/٣، ١٦٤.

سواه. وكان من خبره أن الأمير يلبغا جمع الأمراء بقلعة الجبل كما تقدم، حتى اتفقوا على خلع السلطان المنصور. ثم بكروا فى يوم الثلاثاء النصف من شعبان إلى القلعة. وأحضروا الخليفة أبا عبد الله محمد المتوكل على الله وقضاة القضاة الأربع، وأعلموهم باختلال عقل المنصور وعدم أهليته للقيام بأمور المملكة، وأن الاتفاق وقع على خلعه فخلعوه، وأحضروا شعبان بن حسين وأفاضوا عليه خلعة السلطنة، ولقبوه بالملك الأشرف زين الدين أبى المعالى، وأركبوه بشعار السلطنة، حتى جلس على تخت الملك، وحلفوا له، وقبلوا الأرض على العادة. وكتب إلى الأعمال بذلك فسارت البرد[١] فى أقطار المملكة، وخلع على أرباب الوظائف.

وفى يوم الخميس ثالث عشرين رمضان: عزل قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى نفسه من القضاء من أجل أن الأمير يَلْبُغَا استدعاه، فوافاه القاصد وهو نايم، فلم يتمهل عليه حتى ينتبه، بل أمر به فأيقظ وقد انزعج، فغضب لذلك، وعزل نفسه، وأبى أن يجيب القاصد أو يجتمع به، فشق ذلك على الأمير يَلْبُغَا. ومازال يرسل إليه ويترضاه حتى رضى. ثم استدعى فى يوم الإثنين سابع عشرينه إلى مجلس السلطان، وخلع عليه، وأعيد إلى وظيفة القضاء على عادته. واستقر الأمير مَنْكَلى بُغَا الشمسى فى نيابة الشام، عوضا عن الأمير قَشْتَمُر. واستقر الأمير أَشَقْتَمُر الماردينى فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير سيف الدين قطلوبغا الأحمدى بعد موته.

واستقر الأمير أَزْدَمُر الخازندار فى نيابة طرابلس، واستقر عوضه فى نيابة صفد الأمير قَشْتَمُر المنصورى نائب الشام ومصر. واستقر الأمير عمر شاه فى نيابة حماة. واستقر الأمير أحمد بن القَشْتَمُرى فى نيابة الكرك، والأمير أَرَنْبُغا فى نيابة غزة. واستقر الأمير أَرْغُون الأحمدى الخازندار لالا[٢] السلطان واستقر عوضه خازندار الأمير يعقوب شاه. واستقر الشريف بَكْتَمُر بن على الحسنى والى قطيا فى ولاية القاهرة، عوضا عن الأمير علاء الدين على بن الكورانى بحكم استعفائه. وولى الأمير علاء الدين على بن الطشلاقى والى دمياط[٣] ولاية قطيا. واستقر خليل بن الزينى فى ولاية الغربية، عوضا عن عمر بن الكَرْكَنْد، وهى ولايته الثالثة. واستقر قَشْتَمُر أستادار طَقَزْدَمُرْ فى ولاية

---

(١) البرد جمع بريد والمراد البريد المرسل على دواب البريد.

(٢) لفظ فارسى معناه الشخص المكلف بالعناية بالأطفال.

(٣) دمياط - أو ذمياط -: مدينة فى البلاد المصرية على ساحل البحر قريبة من تنيس إليها ينتهى ماء النيل، وبها تعمل الثياب الرفيعة وغيرها مما يقارب الثياب التنيسية. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢، ٤٧٣، والروض المعطار ٣٥٧، ٣٥٨، والإدريسى ١٥٧، وابن الأثير ١٢/ ٣٢٠، ٣٣١، وابن خلكان ٨٠/٥، ٩٠، ٩١، ٢٥٨/٦. وخطط المقريزى ٢١٥/١ وما بعدها.

الجيزة، ثم عزل عن قريب بموسى بن الديناري. واستقر أحمد بن جميل والى الأشمونين[١] ومقبل السيفى والى منوف[٢] عوضا عن محمد بن عقيل، ومحمد بن السميساطى والى دمياط. واستقر الحسام المعروف بالدم الأسود أستادار أَيْتَمِشْ فى ولاية الفيوم عوضا عن محمد بن طُغاى. واستقر فتح الدين أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن أبى الكرم محمد بن الشهيد فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن الجمال عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير.

وفى هذه السنة: توقفت زيادة ماء النيل فى أيام زيادته مدة أيام، ثم نودى عليه فى يوم السبت سابع ذى القعدة وسادس عشرين مسرى زيادة إصبع لتتمة سبعة عشر إصبعا من ستة عشر ذراعا. ثم نقص ثلث ذراع، وتوقفت الزيادة حتى انقضت أيام مسرى وبعدها أيام النسىء. ثم زاد فى آخر أيام النسىء إصبعا واحدا، واستمر حتى كان الوفاء فى يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى القعدة. وفتح الخليج، فتمادت زيادته حتى انتهت إلى أربعة أصابع من ثمانية عشر ذراعا، ثم انهبط فتحرك سعر الغلال.

وفيها فرق الأمير يلبغا كثيرا من الغلال والأموال فى الفقهاء والصوفية. وولى من ذلك جانبا موفورا للقاضى محب الدين ناظر الجيش، فارتفق الناس بهذه الصدقات بحيث استغنى منها جماعة.

وفيها استقر الأمير بَكْتَمُر مملوك طاز - أحد الطبلخاناه - فى نيابة الرحبة[٣].

* * *

ومات فيها من الأعيان

الشريف غياث الدين أبو إسحاق إبراهيم بن صدر الدين حمزة العراقى، والد الشريف مرتضى.

ومات شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم البعلبكى، مفتى دار العدل بدمشق فى سابع عشرين شهر رمضان. برع فى الفقه على مذهب الإمام الشافعى، وشارك فى عدة فنون، وأفتى ودرس وقدم القاهرة.

---

(١) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

(٢) هى من قرى مصر القديمة، ويقال لكورتها الآن المنوفية. انظر معجم البلدان ٥/٢١٦.

(٣) قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة. انظر معجم البلدان ٣/٣٣، والروض المعطار ٢٦٨.

وتوفى الشيخ مجد الدين أبو الفدا إسماعيل بن يوسف بن محمد الكفتى شيخ القراءات، فى نصف شعبان. قرأ على الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن نمير بن السراج، وعلى التقى الصايغ، ونجم الدين عبد الله الواسطى، وتصدر للإقراء بجامع أحمد بن طولون، وعليه قرأ التقى البغدادى وشيخنا فخر الدين عثمان بن عبد الرحمن البلبيسى.

ومات بَكْتَمُر أمير علم.

ومات جَرْكَس النوروزى أحد أمراء الطبلخاناه.

وتوفى الفقير المعتقد حسن بن مسلم المسلمى، المقيم بجامع الفيلة[١]. وكان يجاهد الفرنج من جهة طرابلس المغرب، ويقيم حاله وحال من معه من الفقراء المسلمين مما يكون من الغنايم. وكان عنده أسد قد رباه وساسه حتى صار بين فقرائه بمنزلة الهر فى البيوت. فلما مات أخذ السباعون الأسد، فتوحش عندهم، وعاد إلى ما جبل عليه.

وتوفى أبو حاتم بن بهاء الدين أحمد بن السبكى[٢].

وتوفى الشيخ صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك الصفدى[٣] فى ليلة الأحد عاشر شوال بدمشق. برع فى عدة فنون من أدب وتاريخ وغيره. وأكثر من قول الشعر وإنشاء الكتب والرسائل ونحوها. وألف كتبا كثيرة مفيدة، منها كتاب الوافى بالوفيات فى التاريخ، كبير جدا، وكتاب أعوان النصر فى أعيان العصر، جدد فيه ما شاء، وكتاب شرح لامية العجم، طول فيه كثيرًا، وملأه بفوائد جليلة، وغير ذلك، وكتب الإنشاء بالقاهرة ودمشق وباشر كتابة سر حلب قليلاً.

---

(١) جامع الفيلة: يقع بسطح الجرف المطل على بركة الحبش.

(٢) أحمد بن على بن عبد الكافى، أبو حاتم، بهاء الدين السبكى: فاضل، له «عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح» ولى قضاء الشام سنة ٧٦٢هـ فأقام عاما، ثم ولى قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، ومات مجاورا بمكة. انظر البدر الطالع ٨١/١ والدرر الكامنة ٢١٠/١ والأعلام ١٧٦/١.

(٣) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدى، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة. ولد فى صفد بفلسطين، وإليها نسبته، وتعلم فى دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها. ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان. وتولى ديوان الإنشاء فى صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال فى دمشق، فتوفى فيها. له زهاء مائتى مصنف، منها «الوافى بالوفيات» فى التراجم. و«الشعور بالعور» فى تراجم العور وأخبارهم. انظر الدرر الكامنة ٨٧/٢ وطبقات الشافعية ٩٤/٦ وآداب اللغة ١٦١/٣ ومجلة المجمع العلمى العربى ٤٤٥/٥ والوافى بالوفيات ٢٤٩/١. والفهرس التمهيدى ٢٧١ و٤٤٥ و٥٦٤ والأعلام ٣١٦/٢.

وتوفى تقى الدين أبو الربيع سليمان بن على بن عبد الرحيم بن أبى سالم، بن مراجل الدمشقى، ناظر الدولة بديار مصر، ووزير دمشق.

ومات شمس الدين عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح بالقاهرة.

ومات تقى الدين عبد الرحمن بن الضياء المناوى، فى تاسع عشرين جمادى الآخر، وهو شاب.

وتوفى زين الدين عمر بن الشرف عيسى بن عمر البارينى الحلبى الفقيه الشافعى بحلب.

ومات الشيخ عماد الدين محمد بن الحسين بن على بن عمر الإسنوى[1] الشافعى، فى ثامن عشرين جمادى الآخر بالقاهرة، برع فى الفقه والأصول، ودرس، وناب فى الحكم، وصنف.

ومات ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن الربوة القونوى[2]، ثم الدمشقى، الحنفى، الفقيه الخطيب، المفتى. شرح كتاب السراجية فى الفرائض، والمنار فى الأصول، ودرس وخطب بجامع يَلْبُغَا.

ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا الأحمدى، نائب حلب بها.

ومات تقى الدين محمد بن أحمد بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات الشافعى النحوى، موقع الحكم، فى يوم السبت تاسع عشرين جمادى الآخرة، بالقاهرة. برع فى العربية، وانفرد بمعرفة التواقيع الحكمية.

وتوفى ناصر الدين محمد بن صلاح الدين عبد الله بن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى، أحد أمراء دمشق.

---

(١) محمد بن الحسن بن على بن عمر الإسنوى (أو الإسنائى) عماد الدين: فاضل، من الشافعية. ولد بإسنا وتفقه بها وبالقاهرة والشام، واستوطن حماة مدة. عاد إلى مصر ، فناب فى الحكم فى القاهرة ومنوف، وتوفى بالقاهرة. له كتب، منها «حياة القلوب فى كيفية الوصول إلى المحبوب» فى التصوف. انظر الدرر الكامنة ٤٢١/٣ والشذرات ٢٠٢/٦ وفهرست الكتبخانة ٨١/٢ والأعلام ٨٧/٦.

(٢) محمد بن أحمد بن عبد العزيز القونوى الدمشقى، ناصر الدين، المعروف بابن الربوة: فقيه حنفى. أصله من قوينة، ومولده ووفاته فى دمشق. من كتبه «الدرر المنير فى حل إشكال الكبير». انظر الجواهر المضيئة ١٥/٢ والدرر الكامنة ٣٢٧/٣ والكتبخانة ٢٥١/٢ والأعلام ٣٢٧/٥.

وتوفى محدث الشام أمين الدين محمد بن أحمد بن على الجوخى، فى ليلة السبت حادى عشر رمضان. حدث عن الفخر على، وزينب بنت كامل، وسمع الناس عليه مسند الإمام أحمد.

وتوفى خطيب دمشق جمال الدين محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة[1]، فى يوم الإثنين العشرين من رمضان.

ومات يزدار أمير شكار، وجوهر المظفرى اللالا، وجماعة كثير جدا.

وتوفى حسين بن محمد بن قلاوون، ليلة السبت رابع ربيع الآخر.

* * *

(١) محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة: خطيب الجامع الأموى بدمشق. من الشافعية. كان منقطعا للخطابة والإفتاء والتأليف لا يزور أحدا. ولما دخل «يلبغا» دمشق مع المنصور، زاراه فما احتفل بهما بل رد عليهما السلام وهو فى المحراب. من كتبه «الوقاية الموضحة لشرف المصطفى» انظر الدرر الكامنة ٣٣٢/٤ وطبقات الشافعية ٢٤٨/٦ وشذرات الذهب ٢٠٣/٦ والأعلام ٧/ ١٨٣.

سنة خمس وستين وسبعمائة

فى المحرم: أنعم على الأمير طَيْدَمُر البالسى[1] بتقدمة الأمير قَنْدُس الناصرى. وقد كف بصره. وأنعم على الأمير على بن قندس الناصرى بإمرة طبلخاناه. واستقر الأمير أَرْغُون التاجي أمير جندار حاجب طرابلس، واستقر الأمير أَلْطُنْبُغَا فرفور جاشنكيرا. عوضا عن مَنْكُوتَمُر عبد الغنى، وقد استعفى. واستقر الأمير آسن قُجَا على بك الجوكندار فى نيابة ملطية فى ثالث صفر. واستقر الأمير عمر بن أرغون النايب فى نيابة صفد عوضا عن قَشْتَمُر المنصور. واستدعى قَشْتَمُر إلى القاهرة. وأنعم عليه بتقدمة عمر ابن أرغون النايب. واستقر الأمير طَيْنال الماردينى والى القلعة عوضا عن أَلْطُنْبُغا الشمسى آنوك، وقد استعفى.

وأنعم السلطان على جماعة بإمريات طبلخاناه، منهم تَمُرقُبا العمرى، ومحمد بن قمارى أمير شكار، وأَلْطُنْبُغَا الأحمدى، وأقبغا الصفدى.

وأنعم على كل من إبراهيم بن الأمير صَرْغَتْمش، وقَشْتَمُر العلاى طاجار من عوض، وأروس بغا الخليلى، ورجب بن كَلَفْتَ التركمانى، بإمرة عشرة.

واستقر الأمير قمارى الحموى فى نيابة طرسوس. واستقر الأمير قَشْتَمُر القاسمى فى نيابة سلمية[2] عوضا عن الأمير طنيرق. واستقر عمر بن الكَركَندْ فى ولاية الغربية عوضا عن خليل بن الزينى. واستقر فخر الدين عثمان الشرفى فى ولاية الأشمونين.

وفيها ارتفع سعر الغلال، فبلغ القمح أربعين درهما الأردب، ووقع الموت فى الأبقار بأرض مصر وإفريقية.

وفى المحرم: قدم بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى السبكى[3] إلى القاهرة من دمشق، معزولاً عن قضاياها.

---

(١) نسبة إلى بالس، وهى بلدة بالشام بين حلب والرقة. انظر معجم البلدان ٥١٩/١.

(٢) سلمية: بلد من أعمال قنسرين بثغور الشام على طرف البادية، وهو حصن كالمدينة صغير عامر آهل، بينه وبين حمص مرحلة. وسلمية: بفتح أوله وكسر الميم وتخفيف الياء، قرية من بلاد اليمامة حسنة عامرة قد أحدقت بها حدائق النخيل، لها تمور حسنة الألوان شهية المأكل. انظر الروض المعطار ٣٢٠، ونزهة المشتاق ٥٦. اليعقوبى ٣٢٤، والكرخى ٤٦.

(٣) محمد بن عبد البر بن يحيى، بهاء الدين، أبو البقاء، السبكى: فقيه شافعى مصرى، من العلماء بالعربية والتفسير والأدب. ولى قضاء دمشق ثم قضاء طرابلس، وعاد إلى القاهرة، فولى قضاء العسكر ووكالة بيت المال والقضاء الكبير. ثم ولى قضاء دمشق. من كتبه «مختصر الطلب» فى شرح الوسيط، فى فقه الشافعية. انظر بغية الوعاة ٦٣ والدرر الكامنة ٤٩٠/٣ والوافى بالوفيات ٢١٠/٣ وكشف الظنون ٦٢٥ والأعلام ١٨٤/٦.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرين صفر: خلع على علاء الدين على بن سديد الدين أبى محمد عبد الوهاب بن الفخر عثمان بن محمد بن هبة الله بن على بن إبراهيم بن حسين بن عبد العظيم بن عبد الكريم بن عبد الله بن سليمان، بن عبد الوهاب بن سليمان بن خالد بن الوليد المعروف بابن عرب، واستقر محتسب القاهرة، عوضا عن الصلاح عبد الله بن عبد الله البرلسى، بعد وفاته.

وفي يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر: خلع على بهاء الدين أبى البقاء، واستقر قاضى العسكر ووكيل الخاص، عوضا عن التاج محمد بن عبد الحق المناوى بعد وفاته. وخلع على السراج عمر الهندى الحنفى، واستقر قاضى العسكر أيضًا. وخلع على الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصايغ[1] الحنفى، واستقر فى إفتاء دار العدل، وهو أول حنفى ولى إفتاء دار العدل. وخلع على الشيخ سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى الشافعى، واستقر فى إفتاء دار العدل أيضًا. وأمر هؤلاء الأربعة مع الشيخ بهاء الدين بن السبكى بحضور دار العدل فى أيام الخدمة.

وفي شوال: خلع على أبى البقاء، واستقر فى نظر الأوقاف ونيابة الحكم، مضافا لما بيده.

وقدمت رسل متملك سيس فى طلب تخفيف الضريبة المقررة عليهم، فهلك ملكهم وهم بمصر، فعادوا بغير طائل.

وكثر الجراد بالشام حتى شنع، وأتلف الزروع، فغلت الأسعار حتى بلغت الغرارة القمح بدمشق ماية وثمانين درهما، ثم انحطت إلى مائة وعشرة دراهم، وفشت الطواعين والأمراض الحادة فى الناس بدمشق. وفتح الأمير منكلى بغا الشمسى نائب الشام باب كيسان من مدينة دمشق بعد ما أقام مغلوقا زيادة على مائتى عام، منذ أيام الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى[2] وعقد عليه قبوا كبيرًا، ونصب له جسرًا يمر الناس عليه، وأنشأ هناك جامعًا.

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن على، شمس الدين الحنفى الزمردى، ابن الصائغ: أديب، من العلماء، مصرى. ولى فى آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ودرس بالجامع الطولونى. من كتبه «التذكرة» فى النحو، و«المبانى فى المعانى» و«الغمز على الكنز» فى فقه الحنفية. انظر بغية الوعاة ٦٥ والدرر الكامنة ٤٩٩/٣ وشذرات الذهب ٢٤٨/٦ والفوائد البهية ١٧٥ والأعلام ١٩٣/٦.

(٢) محمود بن زنكى (عماد الدين) بن أقسنقر، أبو القاسم، نور الدين الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر. وهو أعدل ملوك زمانه وأحلمهم وأفضلهم. ولد فى حلب، وانتقلب إليه إمارتها بعد وفاة أبيه (٥٤١هـ) ضم دمشق إلى ملكه بعد عشرين سنة. وامتدت سلطنته فى الممالك الإسلامية حتى شملت جميع سورية الشرقية وقسما من سورية الغربية، والموصل وديار بكر والجزيرة ومصر وبعض بلاد المغرب وحانبا من اليمن، وخطب له بالحرمين. انظر الروضتين ٢٢٧/١ - ٢٢٩ وابن الأثير ٥١/١١ وابن خلدون ٢٥٣/٥ وابن الوردى ٨٣/٢ وابن خلكان ٨٧/٢ ومرآة الزمان ٣٠٥/٨ ومفرج الكروب ١٠٩/١ والأعلام ١٧٠/٧.

وفيها برز مرسوم السلطان بمنع الوكلاء الذين بمجالس القضاة بمصر والشام؛ لكثرة خداعهم ومكرهم وتحذلقهم فى تنوع الشرور.

وفيها حفر الأمير يَلْبُغَا الأتابك ترعة استجدها، من البدرشين بالجيزية، فكثر النفع بها.

وفى ثامن عشرين ذى الحجة: استقر الأمير قَطْلُبَك والى منوف.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أحمد بن الجمال محمد بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبى جرادة العقيلى الحلبى، المعروف بابن العديم الحنفى، نائب شيزر[1]، عن بضع وستين سنة.

وتوفى قاضى حماة نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدين إبراهيم بن هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن المُسَلَّم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد بن البارزى الجهنى الحموى الشافعى، بعد ما أقام قاضيا شيئًا وعشرين سنة.

ومات الأمير قُطْلُوبُغا الأحمدى. تقدم ذكره فى السنة التى قبلها، وهو نائب حلب.

ومات القاضى تاج الدين أبو عبد الله محمد بن بهاء الدين إسحاق بن إبراهيم السَلَمى المناوى الشافعى، خليفة الحكم، وقاضى العسكر، ووكيل الخاص فى يوم الجمعة سادس ربيع الآخر، ودفن بالقرافة.

وتوفى صلاح الدين عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم البرلسى المالكى، محتسب القاهرة، يوم الخميس خامس عشرين صفر، ودفن بالقرافة، وبيعت كتبه بمائة ألف درهم ونيف. وفى حسبته أمر المؤذنين أن يقولوا مع قولهم فى ليالى الجمعة بعد أذان عشاء الآخرة، وفى السلام قبل الفجر «السلام عليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله». فاستمر ذلك.

وتوفى فتح الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبى الحسن القلانسى الحنبلى. عاقد الأنكحة. فى ليلة الجمعة، رابع جمادى الأولى، عن سن عالية، وقد حدث بعلو إسناد عن جماعة.

---

(١) شيزر: مدينة بالشام من أعمال حمص. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٣، والروض المعطار ٣٥٢.

وتوفى أبو إسحاق إبراهيم بن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد بن أسد بن قاسم[١] المعروف بابن الحاج النميرى الغرناطى، قدم إلى القاهرة حاجا، وكتب الإنشاء بغرناطة وبجاية[٢] وقال الشعر.

وتوفى قاضى مكة، تقى الدين محمد بن أحمد بن قاسم العمرى الحرازى الشافعى، معزولا.

ومات الأمير أَقْبُغا بوذ السيفى، أحد رءوس النوب.

ومات الأمير أرغون التاجى، أحد الطبلخاناه.

وتوفيت خوند طولباى التركية عتيقة السلطان حسن، وامرأة الأمير يلبغا الأتابك، فى رابع عشرين ربيع الآخر، ودفنت بتربتها خارج باب البرقية.

وتوفى الملك الصالح صالح بن المنصور نجم الدين غازى بن المظفر قرا أرسلان بن السعيد غازى بن أرتق بن أرسلان بن إيلغازى بن ألبى بن تمرداش بن إيلغازى بن أرتق. متملك ماردين[٣]، فلما قدم الخبر بوفاته جهزت الخلعة بالسلطنة لولده الملك المنصور حسام الدين أحمد. وكان قد ملك أربعا وخمسين سنة.

ومات بالمدينة النبوية الحافظ عفيف الدين أبو السيادة عبد الله بن محمد بن أحمد بن خلف المطرى، فى سادس عشرين ربيع الأول. والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميرى، أبو القاسم، المعروف بابن الحاج: أديب أندلسى. من كبار الكتاب. ولد بغرناطة، وارتسم فى كتاب الإنشاء سنة ٧٣٤هـ ثم رحل إلى المشرق فحج وعاد إلى إفريقية فخدم بعض ملوكها وخدم سلطان المغرب الأقصى. له شعر جيد وتصانيف منها «المساهلة والمسامحة فى تبيين طرق المداعبة والممازحة». انظر جذوة والاقتباس ٨٧ والإحاطة ١/١٩٣ والأعلام ١/٤٩.

(٢) مدينة على ساحل البحر بين أفريقية والمغرب. انظر معجم البلدان ١/٣٣٩.

(٣) ماردين: مدينة من ديار ربيعة بعمل الموصل، بينها وبين مدينة دارا نصف مرحلة، وهى فى سفح جبل فى قنته قلعة كبيرة، وهى من قلاع الدنيا الشهيرة. انظر معجم البلدان ٥/٣٩، والروض المعطار ٥١٨، الكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

سنة ست وستين وسبعمائة

في المحرمك استعفى الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الإسنوى من وكالة بيت المال. حنقا من الوزير فخر الدين بن قزوينة، فأعفى، وخلع على علاء الدين على بن عرب. واستقر عوضه فى الوكالة والكسوة، مضافا إلى حسبة القاهرة.

وفيه خلع على شمس الدين محمد بن على بن أبى رقيبة، واستقر فى حسبة مدينة مصر والوجه القبلى، عوضا عن بهاء الدين بن المفسر بعد عزله.

وفى رجب استقر الأمير جرجى الإدريسى أمير آخور فى نيابة حلب، عوضا عن أشقتمر الماردينى.

وفى عشرين صفر: استقر جمال الدين محمد بن السراج أحمد بن مسعود القونوى - المعروف بابن السراج الحنفى[1] - فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن الجمال يوسف الكفرى.

وفيها أسلم الشمس أبو الفرج المقسى وتسمى عبد الله، ولقب شمس الدين، واستقر مستوفى المماليك، ثم نقل إلى استيفاء الخاص.

واستقر الأمير يعقوب شاه أمير آخور عوضا عن الأمير جرجى نائب حلب، بإمرة طبلخاناه.

وأنعم على كل من قَطْلَوبُغا البلانى، وكُمُشْبُغا الحموى، وجُنْغَرا السيفى، وآقْبُغا الجوهرى بإمرة طبلخاناه، وعلى كل من سلجوك الرومى، وأروس السيفى، وسُنْقُر السيفى بإمرة عشرة.

واستقر حسام الدين حسن بن علاء الدين على بن ممدود الكورانى فى ولاية المنوفية، عوضا عن قَطْلُبَك السيفى، واستقر حسن بن الحرامى فى ولاية قوص عوضا عن بَكْتَمُر العلمى.

---

(١) محمود بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن القونوى، أبو الثناء، جمال الدين: قاض، من فقهاء الحنفية. له مشاركة فى العلوم العقلية. من أهل دمشق. ولى قضاءها. من كتبه «بغية القنية» فقه، و«المنتهى». انظر وكشف الظنون ٣٤٦/١ و٢٠٣٢ والأعلام ١٦٢/٧.

وفى أول شهر ربيع الأول: قدم التاج عبد الوهاب بن السبكى قاضى دمشق إلى القاهرة، ثم عاد فى عاشر جمادى الآخر إلى محل ولايته بدمشق.

وقدم الخبر بغلاء الأسعار بمكة، حتى بيعت الغرارة القمح - وهى مائة قدح مصرى - بأربعمائة درهم وثمانين درهما، وعز وجود الأقوات بها فهلك جماعة كثيرة جوعا، ونزع أكثر أهلها عنها، فجهز الأمير يلبغا الأتابك فى جمادى الأولى إلى مكة ألفى أردب قمحا، وواصل الإرسال حتى حمل من مصر إليها اثنى عشر ألف أردب. ففرقت كلها فى الناس، فعم النفع بها.

وكتب مرسوم بإسقاط ما يؤخذ من مكس الحاج بمكة، فيما يحمل إليها من البضائع، خلا مكس الكارم تجار اليمن، ومكس الخيل، ومكس تجار العراق، وعوض أمير مكة عن ذلك إقطاعا بمصر، وحمل إليه مبلغ أربعين ألف درهم فضة، عنها يومئذ نحو الألفى مثقال ذهبا.

واستقر آل ملك السيفى فى ولاية الشرقية. وفخر الدين عثمان الشوفى ولاية البهنسا[١] عوضا عن الشهاب أحمد بن جميل. واستقر ابن جميل فى ولاية الأشمونين. واستقر شمس الدين بن الدينارى فى ولاية الفيوم عوضا عن علاء الدين العمرى.

وفى يوم الإثنين سادس عشر جمادى الآخرة: عدى قاضى القضاة عز الدين بن جماعة النيل إلى بر الجيزة، وقد خيم بها السلطان على العادة، بكوم برا، وسأل الأمير يلبغا فى إعفائه من القضاء، وتشفع إليه بمصحف معه، وعزل نفسه. وقام، وقد أقر الأمير يلبغا نواب الحكم على حالهم. فلما عدى السلطان النيل، وصعد القلعة فى يوم الخميس تاسع عشره، وجه الأمير يلبغا بالأمير جرجى أمير آخور إلى ابن جماعة يدخل عليه فى عوده إلى وظيفة القضاء، فامتنع غاية الامتناع. فبعث إليه بكاتب السر علاء الدين على بن فضل الله فلم يجبه أيضًا. فركب الأمير يلبغا بنفسه فى يوم السبت حادى عشرينه، وأتاه إلى منزله بالجامع الأقمر[٢] وألح فى سؤاله وهو يمتنع. فلما أيس منه سأله أن يعين من يصلح، فأشار بولاية أبى البقاء، ثم صلى وراءه المغرب وانصرف. فاستدعى فى يوم الإثنين ثالث عشرينه بأبى البقاء، وفوض إليه السلطان قضاء القضاة، عوضا عن ابن جماعة، وخلع عليه، وأضاف إليه نظر وقف الأشراف. وخلع معه على بهاء الدين أحمد بن السبكى واستقر فى قضاء العسكر عوضا عن أبى البقاء. وخلع

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٣٣٤/٢.

(٢) الجامع الأقمر: تم إنشاؤه فى عهد الخليفة الآمر الفاطمى سنة ٥١٩هـ.

على تاج الدين محمد بن بهاء الدين، واستقر فى وكالة الخاص زيادة على ما بيده من نظر المارستان.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه: خلع على عز الدين بن جماعة، واستقر فى نظر جامع أحمد بن طولون، وتدريس الفقه، وتدريس الحديث به، ورتب له على بيت المال فى كل شهر ألف درهم.

وفى أول شهر رجب: عزل فخر الدين أبو جعفر محمد بن الكُوَيْك عن نظر الأحباس، واستقر عوضه ناصر الدين محمد القرشى موقع الدَسْت.

وفى سابعه: استقر الأمير قُطلو أقتمر العلاى أمير جاندار فى نيابة صفد، عوضا عن الأمير عمر بن أرغون النائب، وأنعم على عمر بإمرة قُطلو أقتمر.

وفى حادى عشره: استقر الأمير أينال اليوسفى أمير جاندار.

واستقر ألطُنبغا البُشْتكى فى نيابة غزة، عوضا عن أَرْبُغا الكاملى.

واستقر الأمير جمال الدين عبد الله بن بَكْتَمُر الحاجب فى نظر المشهد النفيسى، عوضا عن الخليفة.

وأنعم على الأمير شعبان بن الأمير يلبغا الأتابك بتقدمة ألف.

وفى شهر رمضان: استقر الأمير أزدَمُر نائب طرابلس فى نيابة صفد، عوضا عن قطلو أقتمر.

واستقر الأمير قَشْتَمُر المنصورى فى نيابة طرابلس.

وأنعم على الأمير أَسَنْدمُر المظفرى بتقدمة ألف.

وفى سادس عشرين شوال: استقر الأمير عبد الله بن بَكْتَمر الحاجب أمير شكار، عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن ألجيبغا. واستقر أَسَنْدمُر حرفوش حاجبا، عوضا عن عبد الله بن بَكْتَمر.

وفى آخر ذى القعدة: استقر الأمير مَنْجَك اليوسفى فى نيابة طرسوس، عوضا عن قمارى الحموى، بعد وفاته.

وفيها توجه نائب حلب بالعسكر إلى نجدة ناصر الدين محمد بن باك بن أرتنا، وتوجه عز الدين عبدِ العزيز بن جماعة إلى مكة، صحبة الركب، وجاور بها.

وقدم السلطان حلى عبد الحكيم من المغرب فارا، فأنعم السلطان عليه وأجرى له الرواتب السنية، فتزوج باتفاق الصالحية امرأة الصاحب موفق الدين هبة الله بن إبراهيم، وتوجه حاجا صحبة الركب فى تجمل زايد. وتوجه أيضًا إلى الحج الأمير صلاح الدين خليل بن عرام متولى الإسكندرية، واستناب عنه فى الثغر الأمير جنغرا، وكان أمير الحاج محمد بن قُنْدُس.

وفيها لخمس وعشرين من ذى القعدة قدم البريد من ناحية المشرق إلى دمشق بقماقم فيها ماء من عين هناك، من خاصيته أن يتبعه طير يسمى السمرمر، فى قدر الزرزور ولونه، وفيه ريش أصفر، يأكل الجراد. فعلق بطارمة[١] القلعة، وبمأذنة العروس وقبة النصر من الجامع الأموى، وكان الجراد قد كثر بأعمال دمشق، وأضر بمزارعها، فبعث الأمير منكلى بغا الشمسى نائب الشام لإحضار هذا الماء. فلما جيء به وعلق كثر السمرمر بدمشق، وأفنى ما كان الجراد هناك، حتى لم يبق منه شيئًا. وأقامت قماقم الماء معلقة بتلك الأماكن إلى أن جف ما فيها، والطير موجود.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

الشريف شمس الدين حسن بن محمد بن حسن بن على بن حسن بن زهرة بن حسن ابن زهرة الحسنى، نقيب الأشراف بحلب.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الهادى الفوَّى[٢] الفقيه الشافعى فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى، وقد تصدر للتدريس.

وتوفى قطب الدين محمد بن محمد الرازى[٣] المعروف بالقطب التحتانى، بدمشق، وقد أناف على الستين. وبرع فى المنطق والنحو، وصنف شرح الشمسية والمطالع، وحواشى على الكشاف، وغير ذلك.

---

(١) الطريم الطويل، والطارمة بيت من خشب كالقبة.

(٢) محمد بن عبد الهادى الفوى، جمال الدين: من فضلاء الشافعية. له «الشجرة النبوية» و«تنقيح فى أحاديث التعليق». انظر الدرر الكامنة ٣٤/٤ والأعلام ٢٥٣/٦.

(٣) محمد (أو محمود) بن محمد الرازى، أبو عبد الله، قطب الدين: عالم بالحكمة والمنطق. من أهل الرى. استقر فى دمشق سنة ٧٦٣هـ. كان يسكن فى أعلى المدرسة الظاهرية بدمشق وتوفى بها. من كتبه «المحاكمات» فى المنطق. «تحرير القواعد المنطقية فى شرح الشمسية». انظر القلائد الجوهرية ٢٣٩ ومفتاح السعادة ٢٤٦/١.

وتوفى زين الدين محمد بن سراج الدين عمر بن محمود، المعروف بابن السراج الحنفى، أحد نواب الحكم بالقاهرة، فى يوم السبت العشرين من ذى القعدة، عن بضع وسبعين سنة. وكان يحفظ الهداية فى الفقه، ودرس وأعاد.

وتوفى بدر الدين محمد بن قطب الدين محمد بن محمد بن منصور، المعروف بابن الشامية، موقع الحكم، فى يوم السبت ثانى شهر رمضان.

وتوفى شرف الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر المزى الدمشقى الحريرى، بمصر، فى شعبان، حدث عن سليمان بن حسن، والقاسم بن عساكر، وأبى نصر الشيرازى.

وتوفى قاضى القضاة الحنفية بدمشق، جمال الدين يوسف بن شرف الدين أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى، الحنفى. كان بارعا فى الفقه والعربية، عارفا بالأحكام.

ومات الأمير قمارى الحموى الحاجب. وهو على نيابة طرسوس، بها.

ومات الأمير آسن قجا بن عبد الله من على بك، أحد أمراء الطبلخاناه، بعد ما ولى نيابة البيرة[1] ثم نيابة طرسوس، وبها مات.

وتوفى أبو محمد عبد السلام بن سعيد بن عبد العال القيروانى المالكى، بالمدينة النبوية. وكان قد برع فى الفقه، ودرس زمانا.

وتوفى المسند شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن يعقوب بن إلياس، الأنصارى، الخزرجى، البيانى المقدسى، الدمشقى، الشاهد عرف بابن إمام الصخرة، فى تاسع عشرين ذى القعدة بالقاهرة. ومولده سنة ست وثمانين وستمائة. حضر على زينب بنت مكى[2] فى الثانية، وعلى الفخر بن البخارى. وابن القواس وغيرهم فى الثالثة. وسمع من ابن عساكر وطائفة، وحدث، وخرج له ابن رافع مشيخة حدث بها.

* * *

---

(١) إلبيرة: من كور الأندلس جليلة القدر نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالى الإمام عبد الرحمن ابن معاوية، وهو الذى أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك، ومدينة إلبيرة بين القبلة والشرق من القرطبة، وبين إلبيرة وغرناطة ستة أميال. انظر الروض المعطار ٢٨، ٢٩، والعذرى ٨٨.

(٢) زينب بنت مكى بن على الحوانى فقيهة، ازدحم عليها الطلبة يأخذون عنها علوم الدين، فاشتهرت. وهى من الصالحات. وتوفيت فى دمشق. انظر ديوان الإسلام والأعلام ٦٧/٣.



سنة سبع وستين وسبعمائة

في المحرم: ولي قاضى القضاة زين الدين عمر بن عبد الرحمن البسطامى الحنفى خطابة جامع شَيْخُو خارج القاهرة، بعد وفاة شهاب الدين أحمد بن الشرف.

وفيه سرح السلطان على العادة إلى سرياقوس[1]. وتوجه الأمير يلبغا الأتابك إلى الصيد بالعباسة. فورد الخبر فى يوم السبت رابع عشرينه بمنازلة الفرنج الإسكندرية، وأنهم قدموا يوم الأربعاء حادى عشرينه. فسرح الطائر بذلك إلى الأمير يلبغا، فتوهم أن تكون هذه مكيدة يكاد بها، فبادر ودخل إلى داره خارج القاهرة، وتبعه السلطان، فصعد القلعة فى يوم الأحد خامس عشرينه. فلما تحقق الأمير يلبغا الخبر، عدى النيل من ساعته إلى البر الغربى، وتلاحق به أصحابه، ونودى بالقاهرة: من تأخر من الأجناد غدا حل دمه وماله. فخرج الناس أفواجا، وسار السلطان بعساكره إلى الطرانة، وقدم عسكرًا عليه الأمير قطلوبغا المنصورى والأمير كوكنداى، والأمير خليل بن قوصون ليدركوا أهل الثغر. فقدر الله تعالى فى ذلك أن أهل الثغر كان قد بلغهم منذ أشهر اهتمام الفرنج بغزوهم، فكتب بذلك الأمير صلاح الدين خليل بن عرام - متولى الثغر - إلى السلطان والأمير يلبغا، فلم يكن من الدولة اهتمام بأمرهم. فلما توجه ابن عرام إلى الحج، واستناب عنه فى الثغر الأمير جنغرا - أحد أمراء العشرات - وجاء أوان قدوم مراكب البنادقة من الفرنج لاح للناظور[2] عدة قلاع فى البحر. ثم قدم فى بكرة يوم الأربعاء حادى عشرينه إلى الميناء، ثمانية أغربة، وتلاها من الأغربة والقراقر[3] ما بلغت عدتها ما بين سبعين إلى ثمانين قطعة. فأغلق المسلمون أبواب المدينة، وركبوا الأسوار بآلة الحرب، وخرجت طائفة إلى ظاهر البلد، وباتوا يتحارسون. وخرجوا بكرة يوم الخميس يريدون لقاء العدو، فلم يتحرك الفرنج لهم طول يومهم، وليلة الجمعة. فقدم بكرة يوم الجمعة طوايف من عربان البحيرة[4] وغيرهم، ومضوا جهة المنار، وقد نزل من الفرنج جماعة فى الليل بخيولهم، وكمنوا فى الترب التى بظاهر المدينة. فلما تكاثر

---

(١) بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٢) الناظور هو الشخص الذى يترقب حركات العدو، ويرصدها عن بعد.

(٣) القراقر: جمع قرقرة، وهى نوع من السفن الحربية.

(٤) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر معجم البلدان ٣٥١/٢.

جمع المسلمين من العربان، وأهل الثغر، عند المنار، برز لهم غراب إلى بحر السلسلة، حتى قارب السور، فقاتله المسلمون قتالا شديدا، قتل فيه عدة من الفرنج، واستشهد جماعة من المسلمين. وخرج إليهم أهل المدينة وصاروا فرقتين، فرقة مضت مع العربان نحو المنار، وفرقة وقفت تقاتل الفرنج بالغراب. وخرجت الباعة والصبيان وصاروا فى لهو، وليس لهم اكتراث بالعدو. فضرب الفرنج عند ذلك نفيرهم. فخرج الكمين وحملوا على المسلمين حملة منكرة. ورمى الفرنج من المراكب بالسهام، فانهزم المسلمون، وركب الفرنج أقفيتهم بالسيف. ونزل بقيتهم إلى البر فملكوه، بغير مانع، وقدموا مراكبهم إلى الأسوار، فاستشهد خلق كثير من المسلمين، وهلك منهم فى الازدحام عند عبور باب المدينة جماعة، وخلت الأسوار من الحماة، فنصب الفرنج سلالم ووضعوا السور، وأخذوا نحو الصناعة، فحرقوا ما بها، وألقوا النار فيها، ومضوا إلى باب السدرة، وعلقوا الصليب عليه، فانحشر الناس إلى باب رشيد، وأحرقوه، ومروا منه على وجوهم، وتركوا المدينة مفتوحة بما فيها للفرنج، وأخذ الأمير جنغرا ما كان فى بيت المال، وقاد معه خمسين تاجرا من تجار الفرنج كانوا مسجونين عنده، ومضى هو وعامة الناس، إلى جهة دمنهور، فدخل وقت الضحى من يوم الجمعة، ملك قبرص - واسمه رُبير بطرس بن ريوك - وشق المدينة وهو راكب، فاستلم الفرنج الناس بالسيف، ونهبوا ما وجدوه من صامت وناطق، وأسروا وسبوا خلائق كثيرة، وأحرقوا عدة أماكن، وهلك فى الزحام، بباب رشيد، ما لا يقع عليه حصر، فأعلن الفرنج بدينهم، وانضم إليهم من كان بالثغر من النصارى، ودلوهم على دور الأغنياء، فأخذوا ما فيها، واستمروا كذلك، يقتلون، ويأسرون، ويسبون، وينهبون، ويحرقون، من ضحوة نهار الجمعة إلى بكرة نهار الأحد، فرفعوا السيف، وخرجوا بالأسرى والغنايم إلى مراكبهم، وأقاموا بها إلى يوم الخميس ثامن عشرينه، ثم أقلعوا، ومعهم خمسة آلاف أسير، فكانت إقامتهم ثمانية أيام. وكانوا عدة طوائف، فكان فيهم من البنادقة أربعة وعشرون غرابا، ومن الجنوية غرابين، ومن أهل رودس عشرة أغربة، والفرنسيس فى خمسة أغربة، وبقية الأغربة من أهل قبرص. وكان مسيرهم، عند قدوم الأمير يلبغا، بمن معه، فلما قدم عليه الأمير قطلوبغا المنصورى، لم يجد معه سوى عشرين فارسا، وعليه إقامة مائة فارس، فغضب عليه، ووجد الأمر قد فات، فكتب بذلك إلى السلطان، فعاد إلى القلعة، وبعث بابن عرام، نائب الإسكندرية على عادته، فأمر الأمير يلبغا بمواراة من استشهد من المسلمين، ورم ما احترق، وغضب على جنغرا وهدده، وعاد فأخذ فى التأهب لغزو الفرنج. وتتبعت النصارى، فقبض على جميع من بديار مصر، وبلاد الشام

وغيرهما من الفرنج، وأحضر البطريق والنصارى، وألزموا بحمل أموالهم، لفكاك أسرى المسلمين من أيدى الفرنج، وكتب بذلك إلى البلاد الشامية، وتتبعت ديارات النصارى، التى بأعمال مصر كلها، وألزم سكانها بإظهار أموالهم وأوانيهم، وعوقبوا على ذلك.

فكانت هذه الواقعة، من أشنع ما مر بالإسكندرية من الحوادث، ومنها اختلت أحوالها، واتضع أهلها، وقلت أموالهم، وزالت نعمهم. وكان الناس فى القاهرة، منذ أعوام كثيرة، تجرى على ألسنتهم جميعا: «فى يوم الجمعة تُوخذ الإسكندرية»، فكان كذلك. ومر بمن خرج من الإسكندرية فى وقت الهزيمة، من العربان بلاء لا يوصف.

ولما استقر الأمير يلبغا، بعد عوده من الإسكندرية، أشار بالقبض على الأمير قطلوبغا المنصورى، فقبض عليه، ونفى إلى الشام. وأنعم على الأمير أرغون الأزقى، بتقدمته. واستقر الأمير يعقوب شاه اليحياوى حاجبا، عوضا عن قطلوبغا المنصورى. واستقر الأمير طشتمر الحسنى، أمير آخور، عوضا عن يعقوب شاه.

وأخذ الأمير يلبغا، فى تجهيز مولاى حلى، بعد عوده من الحج، للسفر إلى بلاده. وخلع عليه السلطان فرجية حرير أطلس أحمر، من تحتها تحتانية أطلس أصفر، وعلى الفرجية تركيبة زركش، وطوق بعنبرانية. وألبس طرحة عن عمامته، وقلد بسيف محلى بالذهب فى يوم الخميس، ثامن عشرين صفر. وسافر، فمات على تروجة، فى أوائل شهر ربيع الأول.

وفيه قدم تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى قاضى دمشق باستدعاء. وقد شُكى، وأمر بالكاف عليه.

وقدم الخبر بكثرة فساد أولاد الكنز[١]، وطائفة العكارمة[٢] بأسوان، وسواكن[٣] وأنهم منعوا التجار، وغيرهم من السفر؛ لقطعهم الطريق، وأخذهم أموال الناس. وأن أولاد الكنز قد غلبوا على ثغر أسوان، وصحرا عيذاب[٤] وبرية الواحات الداخلة.

---

(١) قبيلة تنسب إلى كنز الدولة، وقد دخلت بلاد النوبة وحكمتها.

(٢) بطن من الأوس من القحطانية، ومساكنهم بجوار منفلوط من صعيد مصر.

(٣) سواكن: مدينة بقرب جزيرة عيذاب، وهى ذات مرسى، ومنها تسير السفن إلى مدينة سواكن، وهى مدينة عامرة فى ساحل بلاد البجاة وبلاد الحبشة. انظر معجم البلدان ٣/٢٧٦، والروض المعطار ٣٣٢،وتقويم البلدان ٣٧٠، ونخبة الدهر ١٥١.

(٤) عيذاب: مدينة فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها فى ضفة البحر الملح، ومنها المجاز إلى جدة، وعرضه مجرى يوم وليلة. انظر معجم البلدان ٤/١٧١، والروض المعطار ٤٢٣، ٤٢٤، نزهة المشتاق ٤٩، وابن الوردى ٣٦.

وصاهروا ملوك النوبة، وأمراء العكارمة، واشتدت شوكتهم. ثم قدم ركن الدين كرنبس من أمراء النوبة، والحاج ياقوت ترجمان النوبة، وأرغون مملوك فارس الدين، برسالة متملك دمقلة[١]، بأن ابن أخته خرج عن طاعته، واستنجد ببنى جعد من العرب، وقصدوا دمقلة فاقتتلا قتالا كثيرا، قتل فيه الملك وانهزم أصحابه. ثم أقاموا عوضه فى المملكة أخاه، وامتنعوا بقلعة الدو فيما بين دمقلة وأسوان. فأخذ ابن أخت المقتول دمقلة، وجلس على سرير المملكة، وعمل وليمة، جمع فيها أمراء بنى جعد، وكبارهم، وقد أعد لهم جماعة من ثقاته؛ ليفتكوا بهم، وأمر فأخليت الدور التى حول دار مضيفهم، وملأها حطبا. فلما أكلوا وشربوا، خرجب جماعة بأسلحتهم، وقاموا على باب الدار، وأضرم آخرون النار فى الحطب، فلما اشتعلت، بادر العربان بالخروج من الدار، فأوقع القوم بهم، وقتلوا منهم تسعة عشر أمير فى عدة من أكابرهم. ثم ركب إلى عسكرهم، فقتل منهم مقتلة كبيرة، وانهزم باقيهم، فأخذ جميع ما كان معهم، واستخرج ذخائر دمقلة وأموالها، وأخلاها من أهلها. ومضى إلى قلعة الدو، فوقع الاتفاق بينه وبين متملكها، على أن يكون نائبا ويستقر الملك لصاحب الدو، وسألا أن ينجدهما السلطان، على العرب، حتى يستردوا ملكهما، والتزما بحمل مال فى كل سنة إلى مصر. فرسم بسفر الأمير أقتمر عبد الغنى، حاجب الحجاب، ومعه الأمير ألجاى أحد أمراء الألوف وعشرة أمراء عشرات، وثمانية أمراء طبلخاناه منهم أمير خليل بن قوصون، وأسندمر حرفوش الحاجب، ومنكوتمر الجاشنكير، ودقماق بن طغنجى، وبَكْتَمُر شاد القصر، وأمير موسى بن قرمان، وأمير محمد بن سرطُقْطاى، فى عدة من المماليك السلطانية، وأخذوا فى تجهيزهم من سادس عشر شهر ربيع الأول. وساروا فى رابع عشرينه، وهم نحو الثلاثة آلاف فارس، فأقاموا بمدينة قوص ستة أيام، واستدعوا أمراء أولاد الكنز من ثغر أسوان ورغبوهم فى الطاعة، وخوفوهم عاقبة المعصية، وأمنوهم. ثم ساروا من قوص، فأتتهم أمراء الكنوز طائعين عند عقبة أدفو[٢]، فخلع عليهم الأمير أَقْتَمُر عبد الغنى، وبالغ فى إكرامهم. ومضى بهم إلى أسوان، فخيم بظاهره من البر الغربى، أربعة عشر يوما، ونقل ما كان مع العسكر فى المراكب من الأسلحة وغيرها على البر، حتى قطعت الجنادل إلى قرية بلاق[٣]. فأكمل نقل

---

(١) دمقلة - أو دنقلة - فى غربى النيل على ضفته، وهى قاعدة ملك النوبة، وأهلها سودان، ومن النيل يشرب أهلها وبين دمقلة وعمل مصر أربعون يومًا. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧٠، والروض المعطار ٢٣٦، ٢٣٧، والإدريسى ١٩، وصبح الأعشى ٥/٢٧٥، والبكرى ٥٩.

(٢) اسم قرية بصعيد مصر الأعلى، بين أسوان وقوص. انظر معجم البلدان ١/ ١٢٦.

(٣) بلد فى آخر عمل الصعيد وأول بلاد النوبة كالحد بينهما. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧٨.

الأسلحة، والغلال، وغير ذلك، وطلعت المراكب من الجنادل، وأصلح ما فسد منها فى طلوعها من الجنادل، وصارت من وراء الجنادل، وشحنت بالأسلحة والغلال، وبقية الأزواد، والأمتعة، ومرت فى النيل. وسارت العساكر، تريد النوبة، على محازاتها فى البر، يوما واحدا، وإذا برسل متملك النوبة قد لاقتهم، وأخبروهم بأن العرب قد نازلوا الملك، وحصره بقلعة الدو. فبادر الأمير أقتمر عبد الغنى لانتقاء العسكر، وسار فى طائفة منهم جريدة، وترك البقية مع الأثقال. وجد فى سيره، حتى نزل بقلعة أبريم، وبات بها ليلته، وقد اجتمع بملك النوبة، وعرب العكارمة، وبقية أولاد الكنز، ووافاه بقية العسكر. فدبر مع ملك النوبة على أولاد الكنز، وأمراء العكارمة، وأمسكهم جميعا. وركب متملك النوبة فى الحال، ومعه طائفة من المماليك. ومضى فى البر الشرقى إلى جزيرة ميكائيل، حيث إقامة العكارمة. وسار الأمير خليل بن قوصون فى الجانب الغربى، ومعه طائفة، فأحاطوا جميعا بجزيرة ميكائيل عند طلوع الشمس، وأسروا من بها من العكارمة، وقتلوا منهم عدة بالنشاب والنفط. وفر جماعة نجا بعضهم، وتعلق بالجبال وغرق أكثرهم. وساق بن قوصون النساء والأولاد، والأسرى والغنائم، إلى عند الأمير أَقْتَمُر، ففرق عدة من السبى فى الأمراء، وأطلق عدة، وعين طائفة للسلطان. ووقع الاتفاق على أن يكون كرسى ملك النوبة بقلعة الدو؛ لخراب دمقلة، كما مر ذكره، ولأنه يخاف من عرب بنى جعد أيضًا إن نزل الملك بدنقلة أن يأخذوه. فكتب الأمير أقتمر عبد الغنى محضرا برضاء ملك النوبة بإقامته بقلعة الدو، واستغنائه عن النجدة، وأنه أذن للعسكر فى العود إلى مصر. ثم ألبسه التشريف السلطانى، وأجلسه على سرير الملك بقلعة الدو، وأقام ابن أخته بقلعة أبريم. فلما تم ذلك جهز ملك النوبة هدية للسلطان، وهدية للأمير يَلْبُغا الأتابك، ما بين خيل، وهجن، ورقيق، وتحف. وعاد العسكر ومعهم أمراء الكنز، وأمراء العكارمة فى الحديد. فأقاموا بأسوان سبعة أيام، ونودى فيها بالأمان والإنصاف من أولاد الكنز. فرفعت عليهم عدة مرافعات، فقبض على عدة من عبيدهم ووسطوا. ورحل العسكر من أسوان، ومروا إلى القاهرة، فقدموا فى ثانى شهر رجب، ومعهم الأسرى، فعرضوا على السلطان، وقيدوا إلى السجن، وخلع على الأمير عبد الغنى، وقبلت الهدية.

وفيها حدثت وحشة بين السلطان أويس متملك بغداد وتوريز، وبين نائبه ببغداد، خواجا مرجان، فعصى عليه مرجان، وخطب ببغداد للسلطان الملك الأشرف. وبعث رسله بذلك، فقدموا فى أوائل جمادى الأولى، ومعهم كتابه بأنه قد خلع أويس، وأقام الخطبة، وضرب السكة باسم السلطان الأشرف، وأخذ له البيعة على الناس ببغداد،

وعزم على محاربة أويس وأنه نائب السلطان ببغداد، إن نصره الله عليه، وإن تكن الأخرى قدم إلى أبواب السلطان. فأكرمت رسله، وجهز له تشريف جليل وأعلام خليفتية وأعلام سلطانية، وكتب له تقليد بنيابة بغداد، وجهز أيضًا عدة خلع لأمرائه وأكابر دولته، وخلع على رسله، وأعيد.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: خلع على تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى، وأعيد إلى قضاء دمشق على عادته، وسافر فى ثالث عشرينه، وهذه ولايته الثالثة.

وفى هذه المدة: اهتم الأمير يَلْبُغا الأتابك بعمل الشوانى البحرية لغْزو الفرنج، فجمع من الأخشاب والحديد والآلات ما يجل وصفه، وشرع النجارون فى عملها بجزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى(١)، وتولى عملها الوزير فخر الدين ماجد بن قزوينة، فقام فى ذلك أتم قيام، وبذل همته، واستفرغ وسعه، وتصدى له ليلا ونهارا، واستقر شاد العمل الأمير علاء الدين طيبغا العلاى أستادار الأمير يلبغا، وناظر العمل بهاء الدين بن المفسر، فقدم للعمل مائة شينى، ما بين غراب وطريدة، برسم حمل الخيل، فكان أمرا مهولا. ونودى بالقاهرة ومصر بحضور البحارة والنفاطة، ومن يريد الجهاد فى سبيل الله، إلى بيت الأمير يلبغا الأتابك للعرض وأخذ النفقة للسفر فى المراكب. فاجتمع عدة من المغاربة رجال البحر، وكتبت أسماؤهم، وقررت لهم المعاليم، وأقيمت لهم نقباء، وقاموا فى مساعدة صناع المراكب. وكتب إلى طرابلس، ونحوها من بلاد الساحل، بإنشاء مراكب حربية، وجمع رجالها، فكان عملا جليلا.

وفى تاسع عشره: قدم الخبر بفرار تجار الفرنج من الإسكندرية فى البحر، فلم يقدر عليهم.

وفى عشرينه: طلب نقباء أجناد الحركة، وأُلزموا بألا يخفوا أحدًا من أجناد الحلقة، وهددوا إن أخفوا أحدا منهم، فكتب كل نقيب مضافيه وأحضروهم للعرض، فقطع الأمير يلبغا منهم جماعة.

وفى آخره: قدم قاضى تبريز(٢) فى جماعة برسالة السلطان أويس أن مرجان قد عصى عليه، وأنه قصد المسير لقتاله، فلا يمكن - إذا فر - من دخوله إلى الشام ومصر، فأجيب بما لا يريد، وأنه إن أراد نجدة سيرنا إليه العساكر لنصرته، وأهين رسوله، وأعيد خائبا.

---

(١) على هامش ط: جزيرة أروى، تعرف بالجزيرة الوسطى.

(٢) تبريز: فى خراسان من عمل أذربيجان. انظر معجم البلدان ١٣/٢، والروض المعطار ١٣٠.

وفى حادى عشر جمادى الآخرة: أنعم على الأمير طيبغا العلاى - أستادار الأتابك يَلْبُغا - بتقدمة ألف، عوضا عن مَلْكَتَمُر الماردينى بعد موته. وأنعم على الأمير أَيْنبكَ البدرى - أمير آخور يلبغا - بإمرة طبلخاناه، واستقر أستادار يَلْبُغا عوضا عن طَيْبُغا. واستقر الأمير أرغون ططر رأس نوبة كبيرا، عوضا عن ملكتمر الماردينى.

وفى ثانى عشره: استقر الأمير أرغون الأزقى أستادار السلطان، عوضا عن أروس المحمودى.

وفى خامس عشره: استقر الشريف بكتمر والى القاهرة فى ولاية الإسكندرية، عوضا عن صلاح الدين خليل بن عرام، وكانت ولاية حرب. فاستقر لبَكتَمُر نيابة بتقدمة ألف، وهو أول من باشرها نيابة سلطنة، وعمل معه حاجب أمير طبلخاناه ووالى حرب إمرية عشرة، وخمسمائة فارس بالثغر.

واستقر الأمير علاء الدين طيبغا أستادار كشلى فى ولاية القاهرة. واستقر عوضه فى ولاية مصر الأمير حسام الدين حسين بن علاء الدين على بن الكَوْرانى.

واستقر ابن عرام فى ولاية الفيوم[1]، عوضا عن حسين بن الكَوْرانى.

وكان الأمير طَيْبغا الطويل أمير سلاح قد خرج إلى العباسة يتصيد، فبعث الأمير يلبغا إليه مرسوم السلطان فى يوم الثلاثاء ثالث عشره مع الأمير أقبغا العُمرى الحاجب، بأن يتوجه إلى دمشق نائب السلطنة بها، وحمل معه التقليد والتشريف، فلم يوافق على ذلك، ورد الحاجب ردا غير جميل، وكان الأمير يلبغا بتربة مَلَكْتَمُر الماردينى مقيما على قبره، فلما بلغه الحاجب جواب الأمير طَيْبُغا، غضب، وبعث إليه الأمير أرغون الأسعردى الدوادار، والأمير أروس المحمودى، والأمير أرغون الأزقى، والأمير طيبغا العلاى بالتشريف وتقليد النيابة، وأكد عليهما فى ترجيعه عن الفتنة، وإن لم يمض فليقبضوا عليه. فما هو إلا أن مضوا حتى أبعدوا قليلا، فتأخر عدة من مماليك الأمير طَيْبُغا العلاى، ومماليك أرغون الأزقى، ووافى الأمير طيبغا، فامتنع من إجابتهم إلى السفر، وقال: «ليس بينى وبينهم إلا السيف». فمال إليه أرغون الأُسْعَردى والأمير أروس، وقبضوا على الأمير طيْبُغا العلاى، ففر أرغون الأزقى إلى الأمير يلبغا، وهو بالتربة، ثم لحق به الأمير طيْبُغا العلاى، وأخبراه بما وقع، فركب من فوره إلى قلعة الجبل، وأمر فدقت الكوسات حربيًا. ولبس السلطان وعامة العسكر السلاح، وركبوا

---

(١) الفيوم: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

ليلة السبت سابع عشره، وعمل كمينا فى خلف الجبل، قريبا من قبة النصر. فما طلع الفجر حتى وافى الأمير طيبغا الطويل قبة النصر، فاقتتل الفريقان، فاستظهر طيبغا الطويل على القوم، وكادت النصرة تتم له، فخرج الكمين من ورائه. وعاد الأمير يلبغا، بعد ما أبعد قليلا، فانهزم طيبغا الطويل، وتفرق جمعه، فاختفى بالقاهرة.

وعاد السلطان إلى القلعة، ونودى بإحضار من وجد من المنهزمين، وهدد من أخفاهم، فلم يسر والى القاهرة، والنداء بين يديه، عن بين القصرين - من القاهرة - غير قليل، حتى دله بعض الناس، على طَيْبُغا الطويل، فدخل خانكاه بيبرس وأخذه منها، وصعد به القلعة، فقيده وسجن. وظفر أيضًا فى آخر النهار بالأمير أروس، وبالأمير أرغون الأسعردى، والأمير كَوْكَنداى أخى طيْبُغا الطويل، والأمير كليم. ثم قبض على الأمير جَرَكْتَمُر السيفى منجك الجوكندار، والأمير أرغون عبد الملك، شاد الشرابخاناه والأمير جمق الشيخونى، والأمير تلك، وأقبغا العمرى البالسى، وقرا السلاح دار، والأمير أزكاه السيفى، وجرجى بن كوكندى، وأزرمق بن مصطفى، وطشتمر العلاى، فحملوا ثغر إلى الإسكندرية فى النيل مقيدين، وسجنوا هناك. وأخرج الأمير حسين بن طوغان الساقى منفيا إلى الشام. وارتجع إقطاع ولدى طَيْبُغا الطويل - وهما على وحمزة - وأنعم فى يومه على الأمير طيْدمُر البالسى، واستقر أمير سلاح عوضا عن طيبغا الطويل. واستقر الأمير طيبغا البوبكرى المهمندار، دوادارا بإمرة طبلخاناه.

وفى ثانى عشرينه: خلع على الأمير أرغون الأزقى، واستقر أستادار السلطان، عوضا عن أروس. واستقر الأمير قطلوبغا الشعبانى شاد الشرابخاناه، بإمرة طبلخاناه، عوضا عن أرغون عبد الملك. واستقر الأمير تمرقيا العمرى جوكندار، عوضا عن جَرَكْتَمُر السيفى. وأنعم على كل من الأمير أقبغا الأحمدى المعروف بالجلب، والأمير أسندمر الناصرى بتقدمة ألف.

وفى يوم الأحد خامس عشرينه: نودى بزينة القاهرة ومصر، فزينتا أحسن زينة.

وفى يوم الإثنين سادس عشرينه: قدم ثمانية وثلاثين أميرا، منهم أمراء طبلخاناه: أقبغا الجوهرى، وأرغون القَشْتَمُرى، وأَيْنبَك البدرى، وعلى السيفى كُشْلى - والى القاهرة -، وطُغَاى تَمُر العثمانى، وألطنبغا العزى، وقجماس السيفى طاز، وأرغون العزى كتك، وقَرَاتَمُر المحمدى، وأروس بغا الخليلى، وطاجار من عَوض، وقُطْلُوبغا العزى، وأقْبُغا اليوسفى، وألطنبغا الماردينى، ورسلان السيفى - واستقرحاجب الإسكندرية -، وعلى بن قَشْتَمُر، وسودون القُطْلُقْتَمُرى، وقطلوبغا الشعبانى وطُغَاى

تَمُر العزى، ومحمد الترجمان. وبقيتهم أمراء عشرات، وهم ككبغا السيفى وتنبك الأزقى، وأرغون الأحمدى، وأرغون الأرغونى، وسودون الشيخونى، وأزدمر العزى، وأروس النظامى، ويونس العمرى، ودَرْتُ بُغا البالسى، وطُرحسن، وقرا بغا الصَرْغَتْمُشى، وطاز الحسنى، وقمارى الجمالى، ويوسف شاه، وطقبغا العلاى، وفيرعلى، وقرقماس الصَرْغَتْمُشى وطاجار المحمدى. وخلع على الجميع، وألبسوا الشرابيش، ونزلوا جميعا من دار العدل بالقلعة إلى المدرسة المنصورية، بين القصرين من القاهرة، حتى حلفوا كما هى العادة. ثم ركبوا إلى القلعة، وقد أقيمت لهم المغانى، فى عدة مواضع من بين القصرين إلى القلعة، فكان يوما مذكورا، ثم أزيلت الزينة بعد ثلاث من نصبها.

وفى أول شهر رجب: قدم الخبر، بوصول رسل الفرنج إلى ميناء الإسكندرية، وأنهم طلبوا رهائن عندهم، حتى ينزلوا من مراكبهم ويؤدوا رسالتهم، فلم تؤمن مكيدتهم. واقتضى الحال إجابتهم، فأخرج من سجن الوالى - المعروف بخزانة شمايل - جماعة وجب قتلهم، وغسلوا بالحمام، وألبسوا ثيابا جميلة، وسفروا إلى الإسكندرية. فأكرمهم النايب، وأشاع أنهم من رؤساء الثغر، وبعث بهم إلى الفرنج، وشيع خلفهم نساء وصبيانا، يصيحون، ويبكون، كأنهم عيالهم، وهم يخافون الفرنج عليهم. فمشى ذلك على الفرنج، وعلى أهل الثغر لانتظام حال المملكة، ومُلاك أمرها، وجودة تدبيرها. فتسلم الفرنج الجماعة ونزلت رسلهم من المراكب. وقدموا إلى قلعة الجبل، وقد عدى السلطان إلى سرحة كوم برا بالجيزة، فحملوا إلى هناك. وجلس لهم الأمير يلبغا الأتابك، وقام الأمراء والحجاب بين يديه وأدخلوا عليه فهالهم بمجلسه، وظنوا أنه السلطان، فقيل لهم: «هذا مملوك السلطان». فكشفوا عن رءوسهم، وخروا على وجوههم يقبلون الأرض، ثم قاموا، ودنوا إليه وناولوه كتاب ملكهم، وقدموا هديته إليه، ففرق ذلك بحضرتهم فيمن بين يديه، واختار منه طشطا وأبريقا من ذهب، وصندوقا لم يعرف ما فيه. وتضمنت رسالتهم، أنهم فى طاعة السلطان ومساعدوه على متملك قبرص[1]، حتى ترد الأسرى، التى أخذت من الإسكندرية، ويعوض المال. وسألوا تجديد الصلح، وأن يمكن تجارهم من قدوم الثغر، وأن تفتح كنيسة القيامة بالقدس، وكانت قد غلقت

---

(١) قبرص: جزيرة على البحر الشامى كبيرة القطر مقدارها ستة عشر يومًا، وبها قرى ومزارع وجبال وأشجار وزروع ومواش، وبها ثلاث مدن، ومن قبرص إلى طرابلس الشام مجريان، وبينها وبين ساحل مصر خمسة أيام، وبينها وبين رودس ميلا وإنما سميت قبرص بمدينة هناك تسمى قبرو، وكانت قبرص معظمة فى القديم للوثن المسمى قابرس. انظر معجم البلدان ٣٠٥/٤، والروض المعطار ٤٥٣، ٤٥٤، ونزهة المشتاق ١٩٤.

بعد واقعة الإسكندرية. فأجابهم، بأنه لابد من غزو قبرص، وتخريبها. ثم أخرجوا، فأقاموا بالوطاق ثلاثة أيام، وحملوا إلى دار الضيافة بجوار قلعة الجبل. فلما عاد السلطان من السرحة، وقفوا بين يديه، وقدموا هديتهم، وأدوا رسالتهم، فلم يجابوا، وأعيدوا إلى بلادهم خائبين.

وفى أول شعبان: أخرج الأمير جركس الرسول شاد العماير، منفيا إلى حلب، واستقر عوضه الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص فى شد العماير. ورسم بإحضار الأمير قشتمر المنصورى نايب طرابلس، واستقر عوضه الأمير أشَقْتَمُر الماردينى. واستقر الأمير أسندمر الزينى فى نيابة صفد. وكتب إلى الأمير جَرْجى نايب حلب، أن يسير لأخذ قلعة خرت برت[١] من ديار بكر[٢]، وأخذ صاحبها خليل بن قراجا بن دُلغادر مقدم التركمان، فنازل قلعتها نحو أربعة أشهر، وعاد بغير طائل. لمنعتها وحصانتها. ثم إن ابن دلغادر طلب الأمان، فأمن، وقدم إلى القاهرة.

وفيه أخرج الأمير قُطْلوبغا العمرى الحاجب، والأمير أحمد بن أبى بكر بن أرغون النايب، بعد ما قطع لسان كل منهما، ونفى إلى الشام.

واستقر سعد الدين بن الريشة، ناظر الدولة. واستقر عوضه فى نظر الخزانة الكبرى، فخر الدين بن السعيد. ثم أضيف إلى الفخر بن السعيد نظر البيوت، عوضا عن تاج الدين موسى بن أبى شاكر.

وتوجه الأمير طقبغا رسولا إلى قبرص، فأدى رسالته وعاد فى أول شهر رمضان.

وفيه رسم بالإفراج عن الأمير طيبغا الطويل، فتوجه إليه الأمير خليل بن قوصون، وقدم به فى يوم الثلاثاء ثامنه، فأخرج إلى القدس، بطالا.

وفيه عزل جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمود المرداوى[٣]،

---

(١) فى أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطية مسيرة يومين، وبينهما الفرات. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٥.

(٢) هى بلاد كبيرة، حدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين. انظر معجم البلدان ٢/٢٩٤.

(٣) يوسف بن محمد بن التقى عبد الله بن محمد بن محمود أبو المحاسن جمال الدين المرداوى. قاض، من فقهاء الحنابلة. من أهل دمشق مولدا ووفاة. تصدر للتدريس والإفتاء فى الجامع المظفر، ثم ولى قضاء الحنابلة سبع عشرة سنة وعزل سنة ٧٦٧هـ ومات عن نحو ٧٠ عاما. نسبته إلى «مردا» من قرى نابلس. له «الانتصار» فى أحاديث الأحكام. و«كفاية المستنفع لأدلة المتنع». انظر القلائد الجوهرية ٣٦٤ والدرر الكامنة ٤/٤٧٠ والكتبخانة ٣/٢٩٦ والتاج ٢/٥٠٠ والأعلام ٨/٢٥٠.

قاضى الحنابلة بدمشق. واستقر عوضه شرف الدين أحمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى، المعروف بابن قاضى الجبل[١]. وعزل جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن على بن عبد الملك المسلاتى قاضى المالكية بدمشق، واستقر عوضه سرى الدين أبو الوليد إسماعيل ابن محمد بن محمد هانى اللخمى الأندلسى وعزل شمس الدين محمد بن الحكرى عن قضاء المدينة النبوية، واستقر عوضه شمس الدين محمد بن خطيب أبرود.

وفى يوم عيد الفطر: رسم بالإفراج عن الأمير أرغون الأسعردى، والأمير أروس المحمودى، وبقية الأمراء المسجونين، فأفرج عنهم وأخرجوا إلى الشام متفرقين.

وفى خامسه: قدم رسول الملك أرخان بن عثمان ملك الروم يخبر أنه جهز مائتى غراب بحرية نجدة للسلطان على متملك قبرص، فأجيب بالشكر والثناء، وأنه لا يتحرك حتى تقدم من ديار مصر الشوانى.

وقدم الخبر بمسير السلطان أويس من توريز إلى بغداد، وقبضه على خواجا مرجان وسمل عينيه، وحبسه. وأن حيار بن مهنا[٢]، لما خرج عن الطاعة، ثم فر إلى العراق، وطردت عربه من بلاد الشام، خدم أويس زيادة على سنتين، حتى خالف عليه خواجا مرجان ببغداد، وقبض عليه، فر منه بعض أمرائه إلى حيار. فلما طلبه منه أويس، لم يبعث به إليه، فبعث أويس يطرده من بلاده. فسار عنها، وسأل الأمير عمر شاه، نائب حماة[٣]، أن يشفع إلى السلطان فيه، ويسأله رد إقطاعه إليه. فكتب بذلك عمر شاه، فأجيب إلى قبول شفاعته، وأن يجهزه إلى الأبواب السلطانية صحبته. فقدم الأمير عمر شاه، ومعه الأمير حيار فى يوم الخميس خامس عشره. وقدم عقيب ذلك رسول السلطان أويس بطلب الأمير الذى فر إلى حيار وألا يمكن أحدا فر من مملكته أن يعبر

---

(١) أحمد بن الحسن بن عبد الله بن قدامة جمال الإسلام، شرف الدين ابن قاضى الجبل: شيخ الحنابلة فى عصره. أصله من القدس، ومولده ووفاته فى دمشق. طلب إلى مصر فدرس فى مدرسة السلطان حسن، وعاد إلى دمشق فولى بها القضاء سنة ٧٦٧هـ وتوفى وهو قاض. له مصنفات، منها «الفائق» فى فروع الفقه. انظر القلائد الجوهرية والدارس ٤٤/٢ والدرر الكامنة ١٢٠/١ والأعلام ١١١/١.

(٢) حيار بن مهنا بن عيسى من آل فضل، من طيئ: أمير بادية الشام. آلت إليه الإمارة بعد موت أخيه فياض سنة ٧٦٢هـ وكان مواليا لسلاطين مصر والشام وتابعا فنقض طاعتهم سنة ٧٦٥هـ وابتعد فى القفر. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والدرر الكامنة ٨١/٢ والأعلام ٢٨٩/٢.

(٣) حماة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٠/٢، ٣٠١، الروض المعطار ١٩٩، صبح الأعشى ١٤٠/٤.

الشام ومصر، فلم يجب إلى قصده. وخلع على حيار وولده الأمير نعير[1]، وخواصه، وأعيد إلى الأمرة، وخلع على الأمير عمر شاه، وأعيدوا إلى محل ولايتهما.

وفى أول ذى القعدة: قدم رسول متملك ماردين بأن بيرم خجا التركمانى قد تغلب على الموصل منذ سنين، وبلغ عسكره نحو الثلاثين ألفا. فلما أخذ السلطان أويس نايبه مرجان بعث إلى الموصل جيشا، ففر منه بيرم خجا إلى بلاد العجم، وملكها أويس، وقد عزم على أخذ ماردين، ومتى ملكها تعدى منها إلى حلب. وطلب نجدة، فخرج من يكشف عن هذا الأمر.

وقدمت أيضًا رسل متملك جنوة بستين أسيرًا من أهل الإسكندرية، وهدية للسلطان وللأمير يلبغا. وذكر أن هذه الأسرى كانت نصيبه، واعتذر بأنه لم يعلم بواقعة الإسكندرية إلا بعد وقوعها، وأنه مستمر على الصلح، ومتى قدر على أخذ متملك قبرص قبضه وقتله. فقبلت هديته وأثنى الأسرى عليه خيرا، وأن متملك قبرص لما عاد من الإسكندرية، قسم ما غنمه منها بين ملوك الفرنج، وبعث بهؤلاء إلى متملك جنوة، فعرضهم وتغمم لهم، وأحسن إليهم، وكساهم، وأجرى لهم الرواتب حتى بعث بهم.

وفيه استقر الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى والى القاهرة. واستقر الأمير الأكز الكشلاوى نايب الإسكندرية. ونقل الشريف بَكْتَمُر منها إلى ولاية البر بالشام.

وقدم وزير متملك اليمن بهدية من جملتها فيل.

واستجد السلطان واليا بأسوان على إقطاع أولاد الكنز، ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف. وخلع على الحسام المعروف بالدم الأسود، وسلمه أولاد الكنز المسجونين بالقاهرة. وسار إلى قوص فسمرهم جميعا، ومضى بهم مسمرين من قوص إلى أسوان، ووسطهم بها. فشق ذلك على أولادهم، وعبيدهم، واجتمعوا مع العكارمة، وأتوا فى جمع كبير إلى أسوان. فلقيهم الدم الأسود وقاتلهم، فهزموه، وجرحوا عدة من مماليكه، ومالوا على أهل أسوان، يقتلون وينهبون، ويخربون الدور، ويحرقون بالنار، حتى أفنوا عدة من الناس، وأسروا النساء، وفعلوا كما فعلت الفرنج بالإسكندرية.

وفيها قام بمملكة اليمن الملك الأفضل عباس بن المجاهد على بن المؤيد هزبر الدين

---

(١) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين، المعروف بنعير: أمير آل فضل الشام. ولى الإمرة بعد أبيه سنة ٧٧٧هـ. انظر الضوء اللامع ٢٠٣/١٠ وإعلام النبلاء ١٤٧/٥ وصبح الأعشى ٢٠٨/٤ والأعلام ١١١/٦.

داود المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول[١]، بعد موت أبيه. واستقر شيخنا ضياء الدين عبد الله بن سعد العفيفى المعروف بقاضى قرم فى مشيخة الخانكاه الركنية بيبرس من القاهرة، بعد موت الرضى.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الظاهر المعروف بابن الشرف الحنفى. خطيب جامع شيخو.

ومات الأمير بُطَا أحد أمراء الطبلخاناه. وقرأ على قبره ألف ختمة بوصيته.

ومات شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن أيوب العينتابى[٢] الحلبى قاضى العسكر بدمشق. برع فى الفقه وشرح مجمع البحرين والمغنى فى الأصول.

ومات الشيخ خليل الدين بن إسحاق المعروف بابن الجندى الفقيه المالكى[٣]، صاحب المختصر فى الفقه في يوم الخميس ثانى عشر شهر ربيع الأول، ودفن خارج القاهرة. أخذ الفقه على مذهب مالك عن الشيخ عبد الله المنوفى، وبرع فيه. وصنف مختصرا فى الفقه على طريقة الحاوى فى الفقه على مذهب الشافعى. وشرح كتاب ابن الحاجب فى الفقه. وتصدر بعد المنوفى بمجلسه من المدرسة الصالحية بين القصرين. وكان يرتزق من إقطاع له بالحلقة، ثم قرره الأمير شيخو فى تدريس المالكية بخانكاته ولم يزل بها حتى مات. وكان عبدا صالحا.

---

(١) عباس (الملك الأفضل) بن على (الملك المجاهد) بن داود (المؤيد) بن المظفر يوسف الرسولى الغسانى الحفنى: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن ومن أكابر المؤرخين. يلقب ضرغام الدين. ولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٦٤هـ وأقام فى زبيد. له تصانيف منها «بغية ذوى الهم فى التعريف بأنساب العرب والعجم». انظر العقود اللؤلؤية ١٥٧/٢ وصبح الأعشى ٣٣/٥ والفهرس التمهيدى ٤٠٨، ٤٤٢ وكشف الظنون ١١٤٢/٢ ودار الكتب ٨٥/٦ والأعلام ٢٦٣/٣.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن أيوب: قاضى العسكر فى دمشق. أصله من عينتاب ومولده فى حلب. ووفاته فى دمشق. له «المنبع». انظر تاج التراجم والدرر الكامنة ٨٢/١ والدرر ٤٦٦/١ والأعلام ٨٧/١.

(٣) خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندى: فقيه مالكى، من أهل مصر. كان يلبس زى الجند. تعلم فى القاهرة، وولى الإفتاء على مذهب مالك. له «المختصر» فى الفقه و«التوضيح» و«المناسك». انظر الدرر الكامنة ٨٦/٢ وحسن المحاضرة ٢٦٢/١ وآداب اللغة ٢٤١/٣ والديباج المذهب ١١٥ والأعلام ٣١٥/٢.

وتوفى قاضى القضاة عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن البدر بن محمد بن إبراهيم ابن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى بمكى، يوم الإثنين ثانى عشر جمادى الآخرة. ومولده فى محرم سنة أربع وتسعين وستمائة بدمشق. سمع الكثير عن جماعة كثيرة، وحدث بأكثر مسموعاته. وقرأ الفقه والحديث، وأفتى، ودرس، وخطب. وولى قضاء القضاة بديار مصر تسعا وعشرين سنة بأحسن سيرة وأجمل طريقة. ثم ترك ذلك تنزها وتعففا، وجاور بمكة، فقضى بها نحبه. رحمه الله.

وتوفى الملك المجاهد سيف الدين على ابن المؤيد هزبر الدين داود ابن المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن على بن رسول(١)، متملك اليمن.

وتوفى شمس الأئمة محمود بن خليفة مدرس الحنفية بالمدرسة الناصرية حسن.

وتوفى الرضى شيخ الخانكاه الركنية بيبرس، فى ليلة الجمعة حادى عشرين رجب.

ومات الأمير ملكتمر الماردينى، رأس نوبة الجمدارية، أحد مقدمى الألوف، فى يوم الأحد حادى عشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير أرغون العزى بدمشق.

ومات الأمير أرغون البَكْتَمُرى، أحد رءوس النوب.

ومات الأمير أروس العزى أحد الطبلخاناه.

* * *

---

(١) على بن داود المؤيد بن يوسف المظفر. من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولد فى زبيد، وولى الملك بعد وفاة أبيه (سنة ٧٢١ هـ) فأقام سنة وخلعه الأمراء والمماليك ثم مكث أشهر وعاد إلى الحكم. انظر العقود اللؤلؤية ٢/٢ و٨٣ و١٢٣ والدرر الكامنة ٤٩/٣ والبدر الطالع ٤٤٤/١ وابن خلدون ٥١٣/٥ والبداية والنهاية ٢٣٧/١٤ والأعلام ٤٢٨٦.

سنة ثمان وستين وسبعمائة

فى يوم الخميس ثالث المحرم: قدمت رسل الملك الأفضل عباس بن المجاهد صاحب اليمن بهدية سنية على العادة، وهم وزيره شرف الدين حسين بن على الفارقى، وأمير أخوره ناصر الدين. فوقفوا بين يدى السلطان وأدوا رسالتهم ثم أنزلوا فى الميدان الكبير على شاطئ النيل، وقدموا هدية مرسلهم في يوم السبت خامسه. وفيها فرس ليس له ذكر ولا أنثيين وإنما يبول من ثقب، فقبلت.

وفى تاسع صفر: استقر الأمير طَيْبُغَا الطويل فى نيابة حماة. واستدعى الأمير منكلى بغا الشمسى نائب الشام، فقدم فى محفة لتوعك به، فأكرمه السلطان، وخلع عليه.

وفى يوم الخميس ثالث عشرين صفر: خلع على الأمير منكلى بغا الشمسى، واستقر فى نيابة حلب عوضا عن جَرجى الإدريسى. فصارت نيابة حلب أكبر رتبة من نيابة دمشق، وأضيف من عسكر دمشق إلى حلب أربعة آلاف فارس. وخلع على الأمير أَقْتَمُر عبد الغنى، واستقر فى نيابة دمشق. وخلع على الأمير طيبغا العلاى أستادار الأمير يلبغا الأتابك، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن أقتمر عبد الغنى، ونزل الثلاثة بتشار يفهم من القلعة.

واستقر جمال الدين عبد الله بن نجم الدين عمر بن الجمال محمد بن الكمال عمر ابن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم الحنفى فى قضاء الحنفية بحماة، بعد وفاة أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان. واستقر جمال الدين عبد الله بن الكمال محمد بن العماد إسماعيل بن التاج أحمد بن سعيد بن الأثير فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن فتح الدين أبى بكر محمد بن عثمان بن إبراهيم بن محمد ابن الشهيد.

ورسم للأمراء جميعا بأن يسكنوا بقلعة الجبل، على ما جرت به العادة القديمة فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، فسكن بعضهم.

واستقر شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن عمر المعروف بابن زُبَيبَة الحنفى قاضيا بالإسكندرية، زيادة على قاضيها جمال الدين بن الربعى المالكى، ولم يعهد قبل ذلك بالإسكندرية قاضيان.

وفى يوم الإثنين تاسع عشر ربيع الأول: قبض الأمير يلبغا الأتابك على الأمير الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى، مقدم المماليك السلطانية، وضربه نحو ستماية ضربة بالعصى، وأخرجه إلى أسوان منفيا؛ لكلام نقل له عنه. وولى عوضه الطواشى ظهير الدين مختار المعروف بشاذروان[١] مقدم المماليك.

وفيه استقر الأمير أرغون الأزقى فى نيابة غزة عوضا عن ألطنبغا البشتكى.

وفى ثانى عشرينه: أخرج الأمير أرغون الأحمدى اللالا منفيا، وأخرج أيضًا الأمير تمرقيا العمرى منفيا، فتوجها إلى الشام، وخلع على الأمير أقبغا جلب الأحمدى، واستقر لالا السلطان.

وفيه رسم للأمير طيبغا حاجب الحجاب بعرض أجناد الحلقة، فاستدعاهم وجلس لعرضهم جزيرة أروى حيث تعمل الشوانى الحربية، وتشدد عليهم، وقطع منهم جماعة فى عدة أيام، حتى عرض منهم نحو ثلثيهم، ثم كان ما يأتى ذكره. إن شاء الله تعالى.

وفى تاسع عشرينه: استقر الأمير قُطْلُوبك السيفى والى قوص، عوضا عن الأمير شهاب الدين قُرطاى.

وفى هذا الشهر: كملت عمارة الشوانى البحرية، وعدتها ماية قطعة ما بين غربان وطرايد، فاستخدم الأمير يلبغا لها من الرجال ما يكفيها، وجمعهم، ما بين مغاربة وتراكمين وصعايدة، ورتب لهم رءوساء ونقباء، وأنفق فيهم المعاليم المقررة، وشحن الأغربة بالعدد الحربية، وجميع آلات السلاح. فلما تهيأت كلها فرقها الأمير يلبغا على الأمراء، فتسلم كل أمير ما خصه من الشوانى وزينها بأعلامه، وأقام فيها الطبول والأبواق، وأنزل بها عدة من مماليكه وقد ألبسهم آلة الحرب، وأمرهم بالمسير فيها للغزو إذا سارت. ثم ركب السلطان والأمير يلبغا وسائر أمراء الدولة وأعيانها لرؤية الشوانى، وقد كملت وتم أمرها، وتهيأت رجالها، وخرج الناس من أقطار المدينة، وأتوا من كل جهة فى يوم السبت رابع عشرين ربيع الأول. فسار السلطان بعساكره من القلعة إلى جزيرة أروى، وركب الحراقة، وقد امتلأت تلك الأراضى بالناس. فقدمت الشوانى، ولعبت رجالها بالآلات الحربية، كما يفعل عند لقاء العدو، ودقت كوساتها، ونفخت بوقاتها، وأفلتت النفوط، فكان أمرا مهولا، ومنظرا جميلا، وأمرا حسنًا لو تم. فلما انقضى ذلك، توجه السلطان فى الحراقة حتى نزل من بولاق التكرورى، وخيم بمنزلته من بر الجيزة على العادة. ومضى الأمير يلبغا لتصيد فى جزيرة القط[٢]، وأقيم الأمير

---

(١) شاذروان: فسقية عليها أربعة سباع من الذهب الأحمر تلقى الماء من أفواهها.

(٢) جزيرة القط هى التى تعرف اليوم باسم جزيرة البدرشين بمحافظة الجيزة.

عمر بن أرغون النايب بقلعة الجبل نـايب الغيبـة، وأقـام الأمـير طيبغـا حـاجب الحجـاب بجزيرة أروى عند الشوانى لعرض أجناد الحلقة، ثم مضى السلطان يريد الصيـد بالبحـيرة فنزل الطرانة.

وكان الأمير يلبغـا - لأمـر يريـده الله تعـالى - قـد شـحت نفسـه وسـاءت أخلاقـه فاجتمع مماليكه الأجلاب إلى رءوس النـوب، وشـكوا مـا يلقـوه مـن الأمـير يلبغـا وأنـه يجفوهم، ويهينهم، ويبالغ فى معاقبة أحدهم على الذنب اليسير، حتـى أنـه ضـرب عـدة منهم بالمقارع، وقطع ألسنة جماعة، وأنهم قد صاروا يدا واحدة، يريدون قتله وقتـل مـن لم يوافقهم على ذلك، فأشار الأكابر منهم عليهم بالتمهل قليـلاً حتى يـأخذوا مـا عنـد الأمير يلبغا وحدثوه فى شأنهم وانتـدب منهـم الأمـير أسندمر النـاصرى، والأمـير أقبغـا جلب الأحمدى، والأمير قجماس الطازى، والأمير تغرى برمـش العـلاى، والأمـير أقبغـا جركس أمير سلاح، والأمير قرابغا الصرغتمشى، ومضوا إلى الأمير يلبغـا، وحدثـوه فـى أمر المماليك، وسألوه الرفق بهم، فجبههم، ورد عليهم ردًا جافيـا، وتهددهـم، وحلـف بالأيمان الحرجة أنه لابد من ضرب جماعة من مماليكه بالمقارع، وإشهارهم فـى الوطـاق. فشق ذلك عليهم وخرجوا من بين يديه وقد توغرت صدورهم. وحدثـوا إخوانهـم مـن المماليك بما كان من الأمير يلبغا، واتفقـوا جميعـا علـى الفتـك بـه وتحـالفوا علـى ذلـك، ولبسوا سلاحهم فى ليلة الأربعاء خامس ربيع الآخر، وكبسوا مخيـم يلبغـا وأحـاطوا بـه ليأخذوه. فمضى إليه بعض خواصه منهم، وأعلمـه الخـبر. فبـادر إلى الفـرار علـى فـرس وقصد بولاق التكرورى فى نفر من خاصته، وبعث إلى الأمـير طَيْبُغـا حـاجب الحجـاب يعلمه بما هو فيه، فلم يشعر الحاجب، وقد جلس بكرة يوم الأربعاء لعرض الأجناد علـى عادته، وهم منه على تخوف أن يقطعهم كما فعل بغـيرهم، إذ جـاءه أحـد ممـاليك يَلْبُغـا وأسر إليه طويـلا. ثـم قـام عنـه. وقـد تغـير حالـه، فـأمر الأجنـاد بـالانصراف، وأبطـل عرضهم. وركب إلى داره، فلبس آلة الحـرب هـو ومماليكـه. وعـاد إلى الجزيـرة، وتقـدم بطلب أجناد الحلقة ومن تأخر بالقاهرة مـن الأمـراء، فـأتوه فـى السـلاح، وقـد ارتجـت القاهرة بأهلها وخرجت العامة من كل موضع إلى الجزيـرة، ومـا حولهـا، ومنـع أربـاب المراكب النيلية أن يعدوا بأحد النيل من الـبرين. وجمعـت المراكـب كلهـا إلى بـر مصـر، وضموا الشوانى الحربية، وألقوا مراسيها فى وسط النيل، وأخرجوا منها رجالها. وتقـدم حاجب الحجاب إلى فتح الدين صدقة رئيس الحراقة السلطانية أن يخرج الحراقـة الذهبيـة من بر الجيزة، ولا يعدى إلا بالسلطان والأمير يلبغا فقط ومن يصحبهمـا. وكـان الأمـير عمر ابن النائب - نائب الغيبة - قد أغلق أبـواب القلعـة، وألبـس مـن بهـا مـن ممـاليك السلطان السلاح، وأقامهم على الأسوار، واستعد.

وأما يلبغا فإنه سار ليلة من جزيرة القط إلى بولاق التكرورى ، فلم يأتها إلا عند نصف النهار من يوم الأربعاء. فلم يجد مركبا يعدى به النيل إلا الحراقة الذهبية، فعدى فيها، وقد عرفه الرايس صدقة حتى وافى حاجب بالجزيرة، ومن انضم إليه من الأمراء والأجناد، فأكد فى المنع بالتعدية بأحد، من بر الجزيرة. وسار فى جحفل كبير إلى القلعة، فمنعهم نايب الغيبة من دخولها، ورأوا منعتها عليهم بمن فوقها من المقاتلة، فعاد عنها بجمعه من منزله بالكبش، وظل فيه بقية نهاره، وبات ليلة الخميس، وقد رجع الأمير طيبغا حاجب الحجاب إلى الجزيرة لحراسة المعادى.

وأما المماليك لما بلغهم فرار يلبغا نادوا «من أراد مخدومه يلبغا فليتبعه، ومن أراد السلطان فليقم معنا». فتبع يلبغا طايفة وتأخر أكثرهم، فأسرع القوم إلى من فارقهم وأخذوهم وقيدوهم واقتسموا جميع ما معهم. وتجمعوا بأسرهم عند وطاق السلطان ونزلوا عن خيولهم، ومثلوا بين يديه وقبلوا الأرض، وأعلموه بما كان من يلبغا فى حقهم، وما رده من الكلام الجافى عليهم، وسألوه نصرتهم عليه، فوعدهم بخير، وقوى عزايمهم، فحلفوا له. ثم ساروا به إلى بولاق التكرورى فى ليلة الأربعاء، حتى وافى شط النيل فلم يجد مراكب يعدى بها النيل، فخيم هناك بمن معه، ونودى بالإقامة ثلاثة أيام. وكتبت البطايق إلى الإسكندرية ودمياط ورشيد والبرلس على أجنحة الحمام، بقدوم من بها من الأمراء والأجناد المركزين فى اليزك[1] على العادة لحفظ الثغور من الفرنج. وكتب بحضور من بالوجه القبلى والوجه البحرى أيضًا، فقدموا شيئًا بعد شىء. وأخذ ولاة الجيزة فى جمع المراكب من شاطئ النيل، فجمعوا منها عدة، ركب بها طائفة فى الليل. وأخذوا كثيرًا من الشوانى الحربية التى فى وسط النيل وضموا بها ما بقى منها، وصاروا بها جميعا إلى بولاق التكرورى، وفيها آلات الحرب، فما طلع النهار، حتى زينت ونصبت عددها، وعمرت بالرجال البحرية والمماليك السلطانية فكأن الأمير يلبغا إنما تعب فيها لتكون مقاتلة له ومزيلة لنعمته، وسالبة لملكه.

فلما كان يوم الخميس: ركب الأمير يلبغا فى عسكر موفور إلى الجزيرة، فبرزت إليه الشوانى من بر الجيزة، حتى صارت فى وسط النيل، ورمته المماليك السلطانية منها بالسهام، والنفط، فمازال القوم يترامون نهارهم ثم أمر يَلْبُغا فجيء إليه بالخليفة، وآنوك ابن حسين بن محمد بن قلاوون. وطلب يَلْبُغا من الخليفة أن يفوض إليه السلطنة عوضا عن أخيه شعبان بن حسين، فامتنع الخليفة من ذلك. واحتج بأن الشوكة للأشرف شعبان فأمر يَلْبُغا بالكوسات فدقت، وأقام شعار السلطنة كله، وقال «أنا أعينه وأؤيده.

---

(١) اليزك: تأتى بمعنى مقدمة الجيش.

ومن الشوكة غيرى؟» فلم يجد الخليفة بدا من سلطنة آنوك، فأقاموه سلطانا، ولقبوه بالملك المنصور، وأركبوه بالشعار السلطانى.

واشتدت الحرب بين الفريقين يوم الخميس وليلة الجمعة. وجلس المنصور آنوك بكرة يوم الخميس وبين يديه أرباب الدولة من الأمراء وأرباب الأقلام على العادة. فلما انقضت الخدمة ركب بالعساكر مع الأمير يلبغا للحرب. واستمر الرمى من الشوانى طول النهار إلى نصف نهار يوم السبت. ثم نزل عدة من الأشرفية فى أربعة شوانى يريدون جهة الروضة، فندب يَلْبُغا جماعة من أصحابه إلى جهتهم حتى يمنعوهم الصعود إلى البر. ثم خرجت ثلاث طرايد أيضًا ومضت من بولاق التكرورى تريد جهة جزيرة الفيل وشبرا، فسير إليهم يلبغا طائفة أخرى تمنعهم النزول إلى البر، ومنهم الأمير طغاى تمر النظامى، والأمير قرابغا البدرى، والأمير طيبغا المجدى، فالتقوا قريبا من الوراق[1]. وصار البدرى والنظامى فى جملة الأشرفية، فبعثوا بهما إلى بولاق التكرورى. ونزل الأشرفية إلى ناحية شبرا فى نحو ثلاثة آلاف، فملكوا البر الشرقى.

هذا وأسواق القاهرة طول هذه الأيام مغلقة، والأسباب متعطلة، وليس للناس شغل سوى التفرج فى شاطئ النيل على المقاتلين من السلطانية واليلبغاوية، وصاروا يلهجون كثير بقولهم: «السلطان الجزيرة ما يساوى شعيرة». يريدون أن أمر آنوك لا يتم، ويهزأون به، وصار الأمير قجماس الطازى يمر فى قارب لطيف ومعه طائفة، حتى يقرب من البر، ويرمى بالنشاب، فيرموه أيضًا ويتسابقوا، وتعصبت العامة للسلطان، وعملوا لهم رايات، وسبحوا النيل إليه، وصاحوا عنده «السلطان منصور» فأخذ أمر يلبغا ينحل. فلما قدم البدرى والنظامى على السلطان. وأعلماه بأخذ السلطانية البر الشرقى. وتفرق اليلبغاوية فى طلب الشوانى، وأشارا عليه بتعدية النيل. ركب فى بقية الأغربة بمن معه، ومضى إلى جهة شبرا والعامة تحاذيه من البرين، وتستغيث بالدعاء له. حتى نزل شبرا، والتفت عليه جموعه، فسار يريد القلعة فتسلل أصحاب يلبغا عنه، طائفة بعد طائفة. فلم يجد يلبغا بدا من الفرار، وتوجه يريد القلعة. وقد فر عنه من كان قد بقى معه من الأمراء، وهم يعقوب شاه، وأرغون ططر، وبيبغا العلاى الدوادار، وخليل بن قوصون وآقبغا الجوهرى، وكمشبغا، وبيبغا شقير، وأينبك. ولحقوا جميعهم بالسلطان، ولم يتأخر مع يلبغا سوى علاى الدين طيبغا حاجب الحجاب. وكان العامة قد لقبوه قنصا ونسن. وفر مماليكه شيئًا بعد شىء. فأيقن بالزوال. وبعث بسلطان الجزيرة آنوك إلى القلعة، وأصعد بكوساته إلى الطبلخاناه، ونزل عن فرسه تحت الميدان

---

(١) الوراق، بلدة على شاطئ النيل الغربى قرب إمبابة.

بسوق الخيل، وصلى ركعتين، وحل سيفه من وسطه. وأمر طيبغا حاجب الحجاب أن يمضى به، ثم ركب فرسه ومضى إلى داره بالكبش ولم يبق معه إلا دون المائة فارس، والعامة تهزأ به وتسبه، وترجمه بالحجارة حتى وصل داره.

وقدم السلطان إلى القلعة فى عساكره، وعساكر يلبغا، وعالم كبير من العامة. فدخل من باب الإصطبل أول ليلة الأحد، فنزل عند بابه. والكوسات تدق، والعساكر واقفة تحت القلعة فى الرميلة. ثم أمر بإحضار يلبغا، فأحضر إليه فى الحال، مع عدة من الأمراء والمماليك المتوجهين إليه من قبل السلطان، وأحضر معه طيبغا حاجب الحجاب، فحبسا بالقلعة، فخشيت المماليك منه أن يفرج السلطان عنه، فيبيدهم، فصاروا بأجمعهم إلى أكابرهم والأعيان منهم، وهم الأمير أسَنْدُمر، والأمير أَقْبُغا جَلَب، والأمير قجْماس. ومازالوا بهم حتى طلبوا من السلطان أن يمكنهم منه، فخلاهم وإياه، فأخرجوه من السجن ومشوا به حتى قرب من باب السلسلة، قدم له فرس ليركبه، فعندما أراد ركوبه، بدره من مماليكه قراتَمُر، ألقى رأسه عن بدنه، واقتحم بقيتهم عليه بسيوفهم، حتى أتلفوا شلوه[1]. وحملوا رأسه إلى السلطان، وبين يديه مشعل قد أضرمت ناره وعلا لهبه، فألقوا الرأس فى النار، ثم أخرجوه وغسلوه، فعرفه من هنالك بسلعة[2] كانت تحت أذنه. وحملت جثته إلى خلف القلعة. فعند ذلك قام السلطان وصعد إلى قصره من القلعة، فأخذ الأمير طاش تَمُر - دوادار يلبغا - الرأس، وتتبع الجثة حتى وجدها فى ليلته. ثم غسل الجميع، ودفنه بتربته المعروفة بتربة يَلْبُغا، خارج باب المحروق من القاهرة، وذلك ليلة الأحد عاشر شهر ربيع الآخر. واستمرت الكوسات تدق طول تلك الليلة، والعساكر واقفة تحت القلعة، حتى أصبح نهار الأحد، صعدوا إلى الخدمة بالقلعة، وقد تعين منهم الأمير أقبغا الجلب والأمير أسندمر، والأمير قجماس، وأخذوا فى تدبير أمور الدولة، وقبضوا على الأمير قرابغا البدرى، والأمير يعقوب شاه، والأمير يَلْبُغا الدوادار وقيدوهم وبعثوا بهم، فحبسوا بالإسكندرية، وألزم الأمير خليل ابن قوصون بأن يقيم فى داره بطالا.

هذا وقد امتدت أيدى العامة وأسافل الأجناد إلى بيوت الأعيان فنهبوها بحجة أنهم من حواشى يلبغا، حتى شنُع الأمر فى ذلك. ونهبوا بيت الأمير فخر الدين ماجد بن قزوينة، وبيوت ألزامه وأتباعه، ونهبوا بيت الأمير علاى الدين والى القاهرة. وصار من يريد أن يبلغ عن عدوه ما يريد يقول عنه أنه يلبغاوى، فما هو إلا أن تسمع العامة عنه

---

(١) الشلو، العضو من أعضاء اللحم وأشلاء الإنسان أعضاؤه بعد البلى والتفرق.

(٢) زيادة تحدث فى البدن كالغدة، وقد تكون من حمصة إلى بطيخة.

ذلك، وإذا بهم أتوا كأنهم جراد منتشر، فما يعفوا ولا يكفوا. وإن صدفوا فى طريقهم أحدا سلبوه ثيابه. فحل بالناس من هذا بلاء لا يمكن وصفه، وتخوف كل أحد أن يصيبه بلاؤهم. فتنهب داره ثم تخرب، وتتفرق آلاتها فى الأيدى كما فعل بجاره أو قريبه أو صديقه. فلما تجاوز العامة فى إفسادهم المقدار، ركب الأمير ضروط الحاجب، ومعه والى القاهرة فى عشية النهار، ونودى بالأمان. وأن غريم السلطان قد أمسك، ومن تعرض لأحد من الناس أو نهب شيئًا حل ماله ودمه للسلطان وشنق، فانكفوا عن إفسادهم.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: جلس السلطان بدار العدل من القلعة على العادة، وخلع على الأمير قَشْتَمُر المنصورى. واستقر حاجب الحجاب. وخلع على الأمير أيدَمُر الشامى، واستقر مقدم ألف ناظر الأحباس دوادارا كبيرا، وعلى الأمير قجماس الطازى. واستقر أمير سلاح. وعلى الأمير ضروط، واستقر حاجبا، عوضا عن يعقوب شاه. وعلى الأمير ناصر الدين محمد بن قمارى. واستقر أمير شكار، عوضا عن جمال الدين عبد الله بكتَمُر الحاجب. وخلع على الوزير فخر الدين ماجد بن قزوينة، واستمر على عادته وقبض على الأمير أرغون العزى، والأمير أرغون الأرغونى، والأمير أزْدَمُر العزى أبو دقن، والأمير يونس العمرى الرماح، والأمير أقبغا الجوهرى، والأمير كمشْبُغا الحموى الأمير نوبة يلبغا. وسجنوا بالقلعة ماعدا كمشْبُغا الحموى وأقبغا الجوهرى فإنهما سجنا بخزانة شمايل.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشره: قبض على الأمير أَيْنبَك البدرى، فصالح عن نفسه بأن ينفق على المماليك الأجلاب من ماله، فأنفق فيهم، وكانوا ألفا وثمانىماية مملوك، أعطى كل مملوك منهم ألف درهم فضة، عنها يومئذ زيادة على خمسين مثقالا من الذهب، وحمل مالا جزيلا إلى الأمراء حتى أعيد إليه إقطاعه.

وفى ليلة الأربعاء ثالث عشره: توجه الأمير تَغْرى برْمِش بعدة من الأمراء والمماليك المقبوض عليهم إلى الإسكندرية، فسجنوا بها.

وفى الخميس رابع عشره: قدم الأمير أَلْطُنْبُغا البَشْتَكى نائب غزة[١].

وفى ليلة السبت سادس عشره: أخرج كُمشْبُغا الحموى وأقْبغا الجوهرى من خزانة شمايل، إلى الإسكندرية.

---

(١) غزة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، ٢٠٣، والروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

وفى يوم السبت: المذكور خُلع على الأمير طيدَمُر البالسى واستقر أستادار، وأنعم على الأمير قرابغا الصَرْغَتْمشى أحد العشرات بتقدمة ألف.

وفى عشرينه: خلع على الأمير أَسَنْبُغا القوصونى، واستقر لالا عوضا عن أَقْبُغا الأحمدى، واستقر قراتمر المحمدى خازندار عوضا عن ملكْتمُر المحمدى.

وفيه قدم الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى من قوص[١]، فقربه السلطان وأكرمه.

ونودى فى الناس «من قطع طيبغا حاجب الحجاب خبزه وقت العرض فليحضر ويأخذه». فاجتمع كثير منهم فى دار الأمير قَشْتَمُر حاجب الحجاب فرد إليهم أخبازهم.

وفيه كثرت المرافعات على الأمير أَيْنَبك، فرد إلى جماعة كبيرة ما كان أخذ منهم فى أيام يلبغا.

وفى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى: خلع على الوزير فخر الدين ماجد[٢] ابن قزوينة، ولم يقدر على أخويه سعد الدين وعلم الدين إبراهيم. وعزل الأمير علاء الدين على بن كلفت شاد الدواوين، وقبض عليه وعلى أخيه زين الدين رجب. وخلع على فخر الدين ماجد - ويدعى عبد الله بن التاج موسى، ويدعى مالك الرق، ابن أبى شاكر كاتب الأمير يلبغا، واستقر فى الوزارة ونظر الخاص، عوضا عن الفخر بن قزوينة. وخلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، واستقر شاد الدواوين، وسُلّم ابن قزوينة للأمير قرابغا الصرغتمشى ليستخلص أمواله.

وفى سادس عشره: خلع على الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى، واستقر مقدم المماليك على عادته.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: نزل جماعة الأمراء من القلعة إلى المدرسة المنصورية، فحلفوا بها، وخلع عليهم بالشرابيش على العادة، وركبوا إلى القلعة، وقد زينت القاهرة لهم، فكان يوما مشهودا.

وفيه نُقل الأمير علاء الدين والى القاهرة إلى ولاية مصر، واستقر عوضه فى ولاية

(١) هى مدينة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢.

(٢) ماجد (فخر الدين) بن موسى (تاج الدين) بن أبى شاكر، الصاحب القبطى المصرى: وزير. كان صاحب ديوان «يلبغا» العمرى بمصر. وولى الوزارة فى دولة «الأشرف» ثلاث مرات. وتوفى بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٢٧٤/٣ والنجوم الزاهرة ١٣٢/١١ والأعلام ٢٥٠/٥.

القاهرة الشريف بكْتَمُر، فُسر الناس بعزله وزوال دولة يلبغا، وقبض ابن قزوينة، وأبقوا الزينة يومهم كله.

وفي ثامن عشره: قدمت رسل متملك جنوة من بلاد الفرنج، يسأل أن تمكن تجارهم في القدوم إلى الإسكندرية على عادتهم، فأجيبوا إلى ذلك.

وفي يوم الخميس سادس عشر شهر رجب: ركب الأمراء للحرب بالسلاح ووقفوا تحت القلعة، وكان قد أشيع أن الأجلاب اليلبغاوية يريدون الحرب، وقبض الأمراء، وأول ما بدأوا به أن قبضوا على الأمير قرابغا الصرغتمشي وحبسوه، وأقاموا على تخوف، هذا وقد تفاحش أمر الأجلاب بحيث سلبوا الناس في الطرقات، وهجموا الحمامات على النساء، وأخذوهن بالقهر، وقصدوا أرباب الأموال بالأذى، حتى شمل الخوف الناس.

فلما كان يوم الثلاثاء حادى عشرينه: ركب الأمير تغرى بَرْمِش للحرب في جماعة كبيرة من الأجلاب، فركب الأمراء لحربهم، وقبضوا على تغرى برمش المذكور، وعلى الأمير أَيْنَبَك البدرى، والأمير قرابغا العزى، والأمير مُقبْل الرومى، وإسحاق الرجبى، وبعثوا بهم إلى الإسكندرية، وقبضوا أيضًا عدة من الأجلاب ونفوهم من أرض مصر.

وفي سادس عشرينه: أنعم على الأمير أقطاى بتقدمة ألف، وعلى الأمير قطلوبُغا جركس بتقدمة ألف، وكان الأمير أسندمر قد صار في رتبة أستاذه يلبغا، وإليه تدبير أمور الدولة، وعنه يصدر ولاية أربابها وعزلهم، وسكن في دار يلبغا بالكبش.

فلما كان يوم الأحد سابع شوال: بلغ الأمير أسندَمُر أن جماعة من الأمراء قد اتفقوا على الفتك به وبالأجلاب، وهم أعضاده وبهم يصول. فخرج ليلاً من داره إلى دار الأمير قجماس الطازى، وبذل له مالاً كبيرا حتى استماله إليه. ثم فارقه، وفي ظنه أنه قد صار معه، ولم يكن كذلك. وعاد إلى منزله بالكبش واستدعى خواصه من اليلبغاوية، وقرر معهم أنه إذا ركب للحرب يقتل كل واحد منهم أميرًا، أو يقبض عليه، وبذل لهم مالا كبيرا حتى وافقوه، وما هو إلا أن خرج أسنَدمُر من عند قجماس ليدبر ما قد ذكر مع الأجلاب. ركب قجماس إلى جماعة من الأمراء، وقرر معهم القبض على أسندَمُر، فركبوا معه للحرب، ووقفوا تحت القلعة، فنزل السلطان في الحال إلى الإصطبل، ودقت الكوسات حربيا.

وأما أسندمر فإنه بات هذه الليلة في إصطبله، حتى طلعت الشمس؛ ركب من

الكبش بمن معه من اليلبغاوية وغيرهم، ومضى نحو القرافة، ومر من وراء القلعة، حتى وافاهم من تحت دار الضيافة، ووقف تحت الطبلخاناه فالتقى مع الأمراء، واقتتلوا فهزمهم بمن كان قد دبر معهم من اليلبغاوية فى الليل قبض الأمراء أو قتلهم. وثبت الأمير ألْجَاى اليوسفى والأمير أرغون ططر، وقاتلا أسندمر إلى قبيل الظهر، فلما لم يجد معينًا ولا ناصرًا انكسرا إلى قبة النصر، وانفض الجمع بعد ما قتل الأمير ضروط الحاجب، وجرح الأمير قجماس والأمير أقبغا الجلب، وكثير من الأجناد والعامة، فقبض الأمير أَسَنْدَمُر على الأمير قجماس، والأمير أَقْبُغَا الجَلَب والأمير أقطاى، والأمير قُطْلُوبغا جركس، وهؤلاء أمراء ألوف. وقبض من أمراء الطبلخاناه على قرابغا شاد الأحواش، واختفى كثير من الأمراء. ومرت مماليك أَسَنْدَمُر وطائفة من الأجلاب فى خلق كثير من العامة، فنهبوا بيوت الأمراء، فكانت هذه الواقعة من أشنع حوادث مصر وأعظمها فسادا.

وفى يوم الثلاثاء: غد الواقعة، قبض على الأمير أيدمر الشامى الدوادار، فضربه الأمير أَسَندمر ضربًا مبرحًا، وعنفه على مخالفته عليه. ثم قيده مع بقية من قبض عليه.

وفيه أمسك أيضًا الأمير أُلْجاى اليوسفى أحد أمراء الألوف والأمير يلبغا شُقَير أحد الطبخاناه، فقيدوا وحمل الجميع إلى الإسكندرية. فسجنوا بها.

وفى يوم الأربعاء: قبض على الأمير طُغَاى تَمُر النظامى - أحد الألوف - وعلى الأمير أرغون طَطَر - أحد الألوف - وعلى قُطْلُوبغا الشعبانى. وأيدَمُر الخطاى، وتمراز الطازى، وهم من الطبلخاناه. ثم قبض على الأمير ألطنبغا الأحمدى أحد مقدمى الألوف، وعلى طاجار من عوض، وآسن الناصرى. وقراتَمُر المحمدى، وقرابغا الأحمدى، من الطبلخاناه. وعلى جماعة أخرى، فكانت عدة من قبض عليه أسندَمُر خمسة وعشرين أميرًا.

وفى يوم الخميس حادى عشرينه: استقر أَزْدَمُر العزى أبو دقن أمير سلاح، وجَرْكَتَمُر السيفى منجك أمير مجلس، وألطنبغا اليلبغاوى أحد العشرات رأس نوبة كبير، وأنعم عليه بإمرة ماية. واستقر قطلو أقتمر العلاى أمير جندار، وسلطان شاه حاجبا ثانيا. وأنعم على بيرم العزى أحد الأجناد بتقدمة ألف، وأعطى إقطاع طُغَاى تَمُر النظامى، وجميع ماله من خيل ومماليك وقماش ومال وغلال وغير ذلك، واستقر دوادارًا كبيرا، وخلع عليهم وعلى الأمير خليل بن قوصون، وعلى الأمير قُنقُ العزى،

والأمير أرغون القَشْتَمُرى، وعلى محمد بن طَيْطَق العلاى - واستقر جوكندار - وعلى قَرْمُش الصَرْغَتْمُشى وعلى الأمير مبارك الطازى، والأمير إينال اليوسفى، وعلى الأمير مَلَكْتَمُر المحمدى - واستقر خازندار - وعلى الأمير بهادر الجمالى، واستقر شاد الدواوين عوضا عن ابن عرام، وخلع على ابن عرام واستقر فى نيابة الإسكندرية، وأنعم على كل من أرغون المحمدى الآنوكى الخازن، وبزلار العمرى، وأرغون الأرغونى، ومحمد بن طقبغا الماجارى، وباكيش السيفى يلبغا، وسودون الشيخونى، وأقبغا آص الشيخونى، وكبك الصرغتمشى، وجلبان السعدى، وإينال اليوسفى، وكُمُشْبغا الطازى، وقُمارى الجمالى، وبكْتَمُر العلمى، وأَرْسَلان خجا، ومبارك الطازى، وتَلَكْتَمُر الكشلاوى، وأسنبغا العزى، وقطلوبغا الحلبى، ومأمور القلمطاوى، بإمرة طلبخاناة، وارتجع عن أولاد يلبغا الأتابك تقادمهم وأنعم عليهم بطبلخاناه، وأنعم على كل من أَلْطُنُبُغا المحمودى، وقرابغا الأحمدى، وكَزَك الأرغونى، وحاجى بك بن شادى، وعلى بن بكتاش، ورجب بن خضر، وطيطق الرماح، بإمرة عشرة، فكان يوما مشهودا.

وقدم الخبر باتفاق الأمير طيبغا الطويل نايب حماة[١]، والأمير أشقْتَمُر نايب طرابلس[٢]، على المخامرة، فتجهز الأمير أسندمر الأتابك للسفر، وتقدم بتهيؤ الأمراء، وبعث القصاد للكشف عن ذلك على البريد، فعادوا باستمرار بقية النواب على الطاعة، ماعدا المذكورين. فكتب بالقبض عليهما، فقبضا وقبض معهما على إخوة طيبغا الطويل، وحملوا إلى الإسكندرية[٣] مقيدين.

واستقر أسندمر الزينى فى نيابة طرابلس، وأعيد عمر شاه إلى نيابة حماة فى أوائل ذى القعدة، واستقر أرغون الأزقى فى نيابة صفد.

واستقر محمد بن أقوش الشجاعى فى ولاية الغربية، وعلى العمرى، فى ولاية

---

(١) حماة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١.

(٢) طرابلس: مدينة بالشام عظيمة عليها سور صخر منيع ولها رساتيق وأكوار وضياع جليلة، وتضاف إليها عدة قلاع وحصون داخلة فى أعمالها، وحوالى مدينتها أشجار الزيتون. وأيضًا طرابلس: من مدن إفريقية وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر يضرب فى سورها، وقيل تفسير طرابلس ثلاث مدن، وقيل مدينة الناس. انظر معجم البلدان ٤/٢٥،٢٦، والروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، ونزهة المشتاق ١١٧.

(٣) الإسكندرية: مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فيلبس فنسبت إليه، وهى على ساحل البحر الملح. انظر معجم البلدان ١/٨٢، ١٨٩، والروض المعطار ٥٤، ٥٥، ٥٦، الاستبصار ٩١ وما بعدها.

الأشمونين، واستقر بَيْبُغا القوصونى أمير آخور عوضا عن أقبغا الصفوى بعد موته.

وبلغت زيادة ماء النيل إصبعين من عشرين ذراعا، ثم زاد بعد ذلك، فلم يُتَأَذّى به.

ومر بالحاج مشقة وعناء لقلة المياه، وموت فشا فيهم من شدة الحر والعطش.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

الأمير ألطنبغا العزى أحد الطبلخاناه فى يوم الإثنين رابع شهر ربيع الآخر.

ومات الأمير أقبغا الأحمدى أحد اليلبغاوية ويعرف بالجلب، من أمراء الألوف الذين خامروا على يلبغا. فلم يمتنع بعده.

ومات الأمير أقبغا الصفوى أمير آخور، فى يوم الإثنين سابع عشر ذى القعدة.

وتوفى بهاء الدين حسن بن سليمان بن أبى الحسن بن سليمان بن ريان، ناظر الجيش، بحلب عن ثمان وستين سنة بدمشق، وقد اعتزل الناس.

وتوفى الشيخ المعتقد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان بن فلاح اليافعى(١) اليمنى بمكة عن سبعين سنة. وله شعر ومصنفات فى التصوف وغيره.

وتوفى نجم الدين عبد الجليل بن سالم بن عبد الرحمن الحنبلى الأعمى، أحد شيوخ الحنابلة بالقاهرة، فى يوم الخميس تاسع عشرين شهر ربيع الأول، وهو عم الشيخ صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلى.

وتوفى قاضى حماة أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقى(٢) الحنفى، وقد برع فى القراءات والعربية.

---

(١) عبد الله بن أسعد بن على اليافعى عقيق الدين: مؤرخ، باحث، منصوف، من شافعية اليمن نسبته إلى يافع من حمير ومولده ومنشأه فى عدن. حجه فى ٧١٢هـ وعاد إلى اليمن، ثم رحع إلى مكة سنة ٧١٨هـ وله مرآة الجنان، وغيره، انظر غربال الزمان - كتاب الحج والدرر الكامنة ٢٤٧/٢ والفوائد البهية ٣٣ فى التعليقات وشذرات الذهب ٢١٠/٦ والأعلام ٧٢/٤.

(٢) عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الحارثى الدمشقى أمين الدين: فقيه حنفى، أديب. ولى قضاء حماة، وتوفى نحو الأربعين من عمره. له «قيد الشرائد - خ» منظومة ألف بيت ضمتها غرائب المسائل فى الفقه، و(عقد القلائد -خ) شرح قيد الشرائد. انظر بغية الوعاة ٣١/١ والفوائد البهية ١١٣ والدرر الكامنة ٤٢٣/٢ والخزانة التيمورية ١٠/١ ثم ٣١٨/٣ وشذرات الذهب ١٢١/٦ والزيتونة ١٦٢/٤ والأعلام ١٨٠/٤.

وتوفى نور الدين على الدِمِيرى، الرجل الصالح، بالقاهرة فى ليلة الإثنين حادى عشرين صفر، أفنى عمره فى تعليم القرآن وبر الفقراء.

وتوفى شرف الدين عيسى الزنكلونى الشافعى، أحد نواب الحكم بالقاهرة فى سابع عشرين رمضان.

ومات تقى الدين محمد بن محمد بن عيسى بن محمود بن عبد الضيف البعلبكى، الشهير بابن المجد، الشافعى. ولى قضاء طرابلس وحمص[(١)] وبعلبك[(٢)]، وقدم مصر وبغداد[(٣)]، وسمع الحديث، وبرع فى الفقه، وشارك فى عدة فنون.

وتوفى الأديب البارع جمال الدين محمد بن محمد بن محمد[(٤)] بن الحسن، بن أبى الحسن بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن محمد الخطيب، بن عبد الرحيم بن نباتة المصرى، بالقاهرة، فى ثامن صفر؛ ومولده فى ربيع الأول سنة ست وثمانين وستمائة.

وتوفى الوزير الصاحب ناظر الخاص فخر الدين ماجد بن قزوينة، الأسلمى تحت العقوبة، فى ثامن جمادى الآخر، وترك بالأهراء السلطانية ما ينيف على ثلاثمائة ألف أردب، وفى النواحى مَغْل سنتين، وكان يحمل إلى الأمير يَلْبُغا بعد تكفية السلطان، وتكفية الأمير يلبغا وصرف الرواتب فى كل شهر، ستين ألف دينار، وكان أمينا عارفا مهابا، عمر بيوت الأموال وخزائن الخاص بأنواع الأموال؛ إلا أنه كان كثير الترفع حتى على الأمراء، فعذب عذابا شنيعا، وضرب غير مرة بالمقارع، ولفت أصابع يده اليمنى بالمشاق، وغمست فى الزيت ثم أشعلت بالنار حتى احترقت يده كلها، وعمل

---

(١) حمص مدينة بالشام من أوسع مدنها، ولا يجوز فيها الصرف، سميت برجل من العمالق يسمى حمص، ويقال رجل من عاملة، هو أول من نزلها، ولها نهر عظيم يشرب منه أهلها. انظر معجم البلدان ٣٠٢/٢، والروض المعطار ١٩٨.

(٢) بعلبك: مدينة بالشام بينها وبين دمشق فى جهة الشرق مرحلتان، وهى حصينة فى سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبرًا. انظر معجم البلدان ٤٠٣/١، والروض المعطار ١٠٩، ونزهة المشتاق ١١٦، وصبح الأعشى ١٠٩/٤.

(٣) بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد. انظر معجم البلدان ٤٥٦/١، ٤٦٧، والروض المعطار ١٠٩، ١١٠، ١١١، ومعجم ما استعجم ٢٦١/١، وابن حوقل ٢١٥، والكرخى ٥٨.

(٤) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامى الفارقى المصرى، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة شاعر عصره وأحمل الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته فى القاهرة وهو من ذرية الخطيب «عبد الرحيم بن محمد» ابن نباتة سكن الشام سنة ٧٥١هـ .تقريبا وولى نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها وله «سراج الغيوم فى شرح رسالة ابن زيدون ط» انظر حسن المحاضرة ٣٢٩/١ والبداية والنهاية ٣٢٢/١٤ وابن إياس ٢٢١/١ والدرر الكامنة ٢١٦/٤ والنجوم الزاهرة ٩٥/١١ وآداب اللغة ١٢٢/٣ والوافى ٣١١/١ والأعلام ٣٨/٧.

فى عنقه الحديد، وصار يمر بالأسواق وهو كذلك على حمار. ويذكر أن فقيرا قدم له فى وزارته فمزقها وطرده، فدعا عليه، وخرج، فلم يمض سوى أيام حتى قبض عليه وعذب إلى أن مات.

وتوفى الأمير تمرتاش العلاى، خازندار يلبغا، أحد الطبلخاناه، فى يوم الإثنين ثانى عشر ربيع الآخر.

وتوفى الشيخ المُسَلِّك يوسف بن عبد الله بن عمر بن على بن خضر الكورانى الكردى العجمى، مُرَبى الفقراء، فى يوم الأحد النصف من جمادى الأولى، بزاويته من القرافة.

وقتل صاحب فاس[١] ملك المغرب، أبو زيان بن الأمير أبى عبد الرحمن بن أبى الحسن، فى المحرم، وأقيم بعده عمه عبد العزيز بن أبى الحسن، رحمه الله.

* * *

(١) فاس: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢٣٠، والروض المعطار ٤٣٤، ٤٣٥.

سنة تسع وستين وسبعمائة

فى المحرم: استقر الأمير بَيْدَمُر الخوارزمى فى نيابة الشام، والأمير مَنْجَك فى نيابة طرابلس، عوضا عن أسندمر الزينى.

وفى أول صفر: ورد الخبر بوصول الفرنج إلى طرابلس، فى ماية وثلاثين مركبًا، ما بين شينى[1] وقرقورة[2] وغراب[3] وطريدة[4]، وشختور[5]، عليها متملك قبرص[6]، ومتملك رودس، والاسبتار، وكان النائب غائبًا، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديدًا، حتى اقتحم العدو المدينة، ونهبوا من أسواقها، فتحامل المسلمون عليهم واشتدوا فى قتالهم، حتى أخرجوهم بعد ما قتلوا منهم نحو الألف، واستشهد من المسلمين نحو الأربعين رجلاً. فركبوا سفنهم وانقلبوا خايبين، فمروا بمدينة إياس[7] فى ماية قطعة، فسار إليهم الأمير منكلى بُغا نايب حلب، وقد فر أهل إياس منها، فدخلها الفرنج. فلما قدم نايب حلب جلوا عنها.

وفى يوم الإثنين ثانيه: خلع على ناصر الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح العسقلانى الكنانى الحنبلى قضاء الحنابلة بديار مصر، بعد وفاة موفق الدين عبد الله بن محمد.

---

(١) الشينى وجمعه شوانى، من أهم أنواع السفن التى استخدمها المسلمون فى العصور الوسطى اتصف بكبر الحجم، وما بها من أبراج وقلاع للدفاع والهجوم وكان متوسط ما يحمله الشينى ١٥٠ رجلا من المقاتلين، ويجدف بمائة مجداف

(٢) القرقور أو القرقورة وجمعها قراقير، نوع من السفن الكبيرة التى كانت تستعمل فى تموين الأسطول والزاد والمتاع والذخيرة وهى متعددة الشرع والصوارى ومنها ما كان يحتوى على ثلاثة ظهور وكانت تحتوى على ساقات قتال فى المقدمة أو فى المؤخرة [سعاد ماهر: البحرية فى مصر الإسلامية ص ٣٦٢ - ٣٦٣].

(٣) الغراب وجمعه أغرب وغربان، نوع من المراكب سمى بهذا الاسم لأن رأسه يشبه رأس الغراب، كان يحمل الغزاة ويسير بالقلع.

(٤) الطراد والطريدة، نوع من المراكب الحربية الخفيفة السريعة الكر والغر.

(٥) الشختور: نوع من السفن الضخمة.

(٦) قبرص: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٣٠٥، والروض المعطار ٤٥٣، ٤٥٤، ونزهة المشتاق ١٩٤.

(٧) إياس مدينة على الشاطئ الجنوبى الشرقى لآسيا الصغرى كان الميناء الرئيسى لمملكة أرمينية الصغرى فى قلقية، وهى المملكة التى وقعت فى ذلك الدور تحت سيطرة المماليك.

وفى يوم الجمعة سادسه: ركب المماليك الأجلاب اليلبغاوية لمحاربة الأمير أسنْدَمُر الناصرى الأتابك، وطلبوه فى أن يسلمهم بيرم وأزدمر أبو دقن، وجَرَكْتَمُر أمير مجلس فى عدة أخرى. فلم يجد بدًا من أن يبعث إلى الأمراء، فلما أتوه قبض على الأمير جَرَكْتَمُر والأمير أَزْدَمُر أبو دقن أمير سلاح، والأمير بيرم العزى الدوادار، والأمير يلبغا القوصونى أمير آخور، والأمير كَبَك الصرغَتْمُشى الجوكندار، وحملهم مقيدين إلى الإسكندرية. فلم يقنعهم ذلك، وباتوا بسلاحهم، وغدوا يوم السبت على حربهم، وطلبوا منه خليل بن قوصون، فسلمه إليهم، فافتدى نفسه منهم بماية ألف درهم، عجل منها ربعها، ورسموا عليه ليقوم بباقيها، وأهانه إهانة بالغة، ونزعوا السلاح، وفى باطنهم غل كثير، ثم تجمع أكابرهم فى ليلة الأحد واتفقوا على قتل الأمير أسنْدَمُر، وقتل السلطان، وإقامة سلطان غيره، وتحالفوا على ذلك، وركبوا من ليلتهم وقصدوا القلعة، فأمر السلطان بالكوسات، فدقت ليجتمع الأمراء والعسكر، وأحضر الأمير خليل بن قوصون، وأركب معه المماليك السلطانية، وهم نحو المائتين، والأجلاب نحو الألف وخمسمائة، ونودى فى القاهرة بركوب أجناد الحلقة، وحضور العامة لقتال الأجلاب. وكانت النفوس قد مقتتهم لقبح سيرتهم، وكثرة شرهم، وزيادة تعديهم. فبادروا إلى تحت القلعة زمرًا زمرًا، وركب الأمير أسنبغا بن البوبكرى، والأمير قشتَمُر المنصورى وغيره، فتناولت العامة الأجلاب بالرجم من كل جهة، وتقدم إليهم المماليك السلطانية والأمراء والأجناد وقاتلوهم، فكسروهم. فمضوا فى كسرتهم إلى الأمير أسَنْدَمُر بمنزله من الكبش، ومازالوا به حتى ركب معهم فى موكب عظيم، ومر على القرافة، حتى أتى من وراء القلعة، كما فعل فيما تقدم، فلم تثبت له المماليك السلطانية، وانهزمت عند رؤيته، فثبتت العامة وحدها لقتاله، وتقدموا إليه ورموه بالحجارة رميًا متتابعًا، وهو ومن معه يرموهم بالنشاب، فكان بين الفريقين قتال شديد شنيع، قتل فيه جماعة منهما، وطالت المعركة بينهما، فعادت المماليك السلطانية والأمراء، وحملوا هم والعامة على أسندمر والأجلاب، حملة منكرة، فلم يثبت لهم، وولى الأدبار بمن معه، وامتنع بإصطبله من الكبش وقت الظهر، فقبض من أصحابه على الأمير قرمش الصرغتمشى والأمير أقبغا آص الشيخونى، والأمير أرسلان خُجا، وسجنوا بخزانة شمايل من القاهرة.

وركب الوالى عن أمر السلطان، ونادى بالقاهرة ومصر وظواهرهما، «من قدر على أحد من الأجلاب فله سلبه، ويعطى كذا من المال إذا أحضره»، فتتبعت العامة عند ذلك الأجلاب فى الأزقة والحارات، وأخذوا منهم جماعة، وركب الأمير خليل بن

قوصون إلى الأمير أسندَمُر، فأخذه من داره وطلع به إلى القلعة ليقيد ويسجن، فشفع فيه جماعة من الأمراء، وقرروا عليه مالا لينفق فى مماليك السلطان، فقبل السلطان شفاعتهم، وخلع عليه، وأقره على حاله، فنزل إلى داره فى ليلة الإثنين، ومعه الأمير خليل بن قوصون مُرسما عليه، حتى يحضر من الغد بالمال. فخدع أسندمر بن قوصون ووعده بأن يقيمه فى السلطنة، فإنه ابن بنت السلطان الملك الناصر محمد[1] بن قلاوون، فانخدع ابن قوصون ومال إليه وتحالفا على ذلك. فبعث أسندَمُر فجمع إليه الأجلاب، وبذل فيهم المال، ووعدهم ومناهم، فما طلع نهار يوم الإثنين حتى ركب أسندَمُر وابن قوصون فى جمع كبير، ووقفا تحت القلعة، فعادت الحرب وركب الأمراء والأجناد، وخرج عامة الناس، فكان الأمراء إذا رأوا ابن قوصون بجانب أسندُمر انضموا إليه، ظنا منهم أنه سلطانى. فأمر السلطان فدُقت الكوسات، ونزل إلى الإصطبل بآلة الحرب، فاجتمع إليه الأمراء والمماليك السلطانية والعامة، وبعث إلى أسندَمُر وابن قوصون ليحضرا إليه، فامتنعا، وصرحا بأنهما يريدان نزع السلطان من المُلك وإقامة غيره فى السلطنة لتخمد الفتنة. فلما عاد جوابهما إلى السلطان، بعث ثانيا يخوفهما عاقبة الغدر، فأظهرا أنهما أجابا، وهمّا بالحضور، ثم سَلا سيفيهما، ومرا ليفتكا بالسلطان، وقد ركب ووقف تحت الإصطبل، فتبعهما من معهما من الأجلاب، وهم شاهرون السلاح، ليفعلا فعلهما. فبادر السلطان بالنداء فى العامة «هؤلاء مخامرون فارجموهم». فصاحت العامة بأجمعهما «مخامرين» ورجموهم بالحجارة، ورمتهم المماليك السلطانية بالنشاب، فلم يكن غير ساعة حتى انكسر أسندمُر وابن قوصون، وقتل عدة من الأجلاب، فأخذتهم العامة فى هزيمتهم، وأتوا بهم إلى السلطان أرسالا وقد نزعوا ثيابهم وكشفوا رءوسهم، ونالوا منهم ما شفى صدورهم. ثم قبضوا على خليل بن قوصون من ناحية المطرية[2]، وأتوا به. ثم أخذوا أسندمر من نحو وادى السدرة تجاه قبة النصر. وقبض على الأمير ألطنبغا اليلبغاوى، والأمير سلطان شاه بن قرا، وهما من أمراء الألوف. وقبض على أحد عشر أميرا سوى هؤلاء من اليلبغاوية، وقيدوا، ومضى

---

(١) محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالح، أبو الفتح من كبار ملوك الدولة القلاوونية. كانت إقامته فى طفولته بدمشق، وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ، وهو صبى، وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤هـ فأرسل إلى الكرك. وأعيد للسلطنة بمصر ٦٩٨هـ فأقام فى القلعة ثم ترك السلطنة بعد ٢٠ يوما وأقام فى الكرك قريبا من عام ثم زحف إلى مصر فقاتل المظفر بيبرس. انظر مورد اللطافة ٤٤ وابن الوردى ٢/٣٣٠ وفوات الوفيات ٢/٢٦٣ وابن إياس ١/١٢٩ والدرر الكامنة ٤/١٤٤ والنجوم الزاهرة ٨/٤١، ١٥ والأعلام ٧/١١.

(٢) المطرية من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلسان الذى يستخرج منه الدهن. انظر معجم البلدان ٥/١٤٩.

بهم الأمير مَلَكْتَمُر، والأمير ألطنبغا العلاى، والأمير درت بغا البالسى إلى الإسكندرية. ومات فى هذا اليوم الأمير قنق أحد الألوف.

ونودى فى آخر النهار بالأمان، فلا ينهب أحد شيئًا، فقد ظفر السلطان بغرمائه، فزينوا القاهرة ومصر، فزينتا أحسن زينة، وفرح الناس بزوال دولة الأجلاب.

وفى عاشره: رسم بالإفراج عن الأمير طُغاى تَمُر النظامى والأمير ألجاى اليوسفى، والأمير أيدَمُر من صديق. وأنعم على الأمير مَلَكْتَمُر بن بركة، بتقدمة خليل بن قوصون.

وفى ثالث عشره استقر الأمير آقبغا عبد الله دوادارًا كبيرًا بإمرة طبلخاناه.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: استقر الأمير يلبغا آص المنصورى أميرا كبيرا أتابك شريكا للأمير تَلكتَمُر المحمدى. وأنعم على كل منهما بتقدمة ألف، وأجلسا بالإيوان. واشتد الطلب على المماليك اليلبغاوية، فقبض منهم على نحو الألف، وحبسوا، فبلغ السلطان أن الأميرين يلبغا آص وتلكتَمُر يريدا إخراج المذكورين وسكنى بيت يلبغا فى الكبش، وركوبهما بهم على السلطان وقتله، فبادر وقبض على يلبغا آص من الغد يوم الثلاثاء سابع عشره، وعلى تلكتمر المحمدى وجماعة من المماليك، وحمل الأميران إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفيه قدم الأمير طُغاى تَمُر النظامى، والأمير أُلجاى اليوسفى، والأمير أيْدَمُر من صديق الخطاى من الإسكندرية، فخلع عليهم.

وفيه أنفق السلطان فى مماليكه مائة دينار لكل واحد، وخلع على الأمير بكتمر المؤمنى، واستقر أمير آخور عوضا عن بيبغا القوصونى. وقدم الأمير أَقْتَمُر عبد الغنى من الشام باستدعاء، فخلع عليه، واستقر حاجب الحجاب، وخلع على الأمير الأكز الكشلاوى، واستقر شاد الدواوين، عوضا عن بهادر الجمالى.

وفى ليلة الخميس تاسع عشره: أغرق السلطان فى النيل جماعة من المماليك اليلبغاوية الذين اتفقوا على قتله، وأمر بتقوية زينة القاهرة ومصر، فبالغ الناس فى تحسينهما.

وفى بكرة يوم الخميس: هذا سمر من الأجلاب اليلبغاوية مائة من أعيانهم، ووسطهم، وأغرق جماعة منهم، ونفى باقيهم إلى الشام وإلى أسوان، فكان ممن نُفى من اليلبغاوية برقوق وبركة، وألطنبغا الجوبانى، وجركس الخليلى وأقبغا الماردينى. فتسلمهم الشريف بكتَمُر والى القاهرة، وأوقفهم فى داره وقد جعلت أيديهم فى

الخشب، وحضر غداؤه فلم يطعمهم شيئًا. ورسم عليهم من توجه بهم إلى قطيا، فتسلمهم والى قطيا وبعث بهم إلى غزة، فأرسلهم نائبها إلى الكرك، فسجنوا بجب مظلم فى قلعتها عدة سنين. ثم أفرج عنهم ومضوا إلى دمشق، فخدموا عند الأمير مَنْجَك[1] نائب الشام حتى استدعى السلطان بالمماليك اليلبغاوية ليستخدمهم بديوان ولديه، فحضر برقوق وبركة وغيرهما إلى القاهرة، وخدم برقوق فيمن خدم عند ولدى السلطان حتى قتل السلطان بعد عوده من عقبة أيلة[2]. وقام الأمير أَيْنَبَك بأمر الدولة، فصار برقوق من جملة أمراء الطبلخاناه، ومنها ملك الإصطبل، وأقام به حتى تسلطن. كما سيأتى ذلك كله فى أوقاته مبسطا إن شاء الله تعالى.

وفى هذا اليوم: أيضًا خلع على الأمير ألجاى اليوسفى واستقر أمير سلاح، عوضا عن أزدَمُر الذى يقال له أبو دقن. وأمر بهدم بيت الأمير يلبغا الخاصكى بالكبش، فهدم جميعه حتى لم يبق منه سوى بعض سوره. وأفرج عن الأمير أرغون ططر، فقدم فى يوم الخميس ثالث ربيع الأول، ومضى البريد لإحضار الأمير قُطْلُبغا الشعبانى من الشام، فخلع على أرغون ططر، واستقر أمير شكار بتقدمة ألف، وقدم الشعبانى فى خامسه. وخرج البريد بطلب الأمير منكلى بغا الشمسى، فقدم، وخُلع عليه بالإيوان. واستقر نايب السلطان وأتابك العساكر، وأفرج عن الأمير طيبغا الطويل، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن منكلى بغا الشمسى، واستدعى أيضًا الأمير أزدَمُر الخازندار من الشام، فقدم.

وفى سابع عشره: استقر محيى الدين محمد بن الصدر عمر فى حسبة القاهرة، عوضا عن علاى الدين على بن عرب، واستقر ابن عرب فى نظر الخزانة، وخلع عليهما.

---

(١) منجك بن عبد الله، سيف الدين اليوسفى الناصرى: أمير داهية حيار يعرف بمنجك الكبير. كان فى خدمة الناصرى محمد بن قلاوون ثم كان هو الذى حمل رأس ابنه أحمد سنة ٧٤٥هـ واستقر حاجبا بدمشق. انظر خطط المقريزى ٢/٣٢٠ والدرر الكامنة ٤/٢٣٠ وفى خلاصة الأثر ٤/٢٣٠ وابن خلكان ١٢/١٨١ والأعلام ٧/٢٩١.

(٢) أيلة: فى طريق مكة، حاطها الله، من مصر، وهى أول حدّ الحجاز، وهى مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح، وسميت بأيلة بنت مدين قالوا: وهى القرية التى كانت حاضرة البحر المذكورة فى القرآن، وتسير فى أيلة فتلقى العقبة التى لا يصعدها راكب لصعوبتها ولا تقطع إلا فى طول اليوم لطولها ثم تسير مرحلتين فى فحص التيه، وأيلة حدّ مملكة الروم فى الزمن الغابر وعلى ميل منها باب معقود لقيصر، ومن أيلة إلى بيت المقدس ست مراحل. انظر معجم البلدان ٥/٢٩٢، ٢٩٤، والروض المعطار ٧٠، ٧١، ورحلة الناصرى ٢٠١، ٢٠٢.

وفى رابع عشرينه: استقر الأمير أسنبغا بن البوبكرى فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن عرام، وقدم الأمير أمير على من الشام، باستدعاء، فخلع عليه واستقر نايب الشام فى رابع عشر جمادى الأولى.

وفى خامس عشرينه: قدم من الإسكندرية نحو ماية وخمسين من الفرنج فى الخشب، وذلك أنه ورد ميناء الإسكندرية عدة مراكب فى هيئة أنها مراكب تحمل البضائع، فدخل منها إلى المدينة نحو ماية وخمسين رجلا، فعوقهم الأمير أسنبغا النائب حتى يتبين له أمرهم، فسارت المراكب مقلعة وعادت من حيث أتت، فأمر بتخشيب أيدى المذكورين وحملهم إلى القاهرة، ليرى السلطان ما رأيه.

وفى يوم الإثنين ثانى جمادى الآخرة: قدم الأمير قطلوبغا المنصورى باستدعاء، ورسم بمسك الأمير بيدمُر نايب الشام، فقبض عليه، واستقر عوضه الأمير منْجَك، واستقر عوض منجك فى نيابة طرابلس الأمير أيدَمُر الآنوكى الدوادار.

واستقر الأمير طَقْتَمُر الشريفى فى نيابة غزة، واستقر علاى الدين على بن الطشلاقى فى ولاية قطيا، عوضا عن ابن الدوادارى، واستقر الملك الصَرْغَتمُشى فى ولاية بلبيس[١]، واستقر الأمير علاى الدين على بن بكتاش فى ولاية القاهرة، عوضا عن الشريف بكْتمر، واستقر بكتَمُر فى ولاية الجيزة[٢]، واستقر الأمير شرف الدين موسى ابن الأزكَشى الأستادار فى البحيرة[٣]، عوضا عن بدر الدين بن مُعين.

وفى ثامن عشره: خلع على الأمير أقتمُر الصاحبى الحنبلى، واستقر دوادارا، عوضا عن آقبغا عبد الله.

وفى يوم السبت ثامن عشرينه: استقر سراج الدين عمر بن رسلان[٤] بن نصير البلقينى قاضى قضاة الشام، عوضا عن تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى، وخلع عليه، ومضى إلى دمشق.

---

(١) ولاية بلبيس مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ. انظر معجم البلدان ٢/٤٧٩.

(٢) الجيزة: بالزاى، اختطها بمصر عمرو بن العاص رضى الله عنه فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهى قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر. انظر معجم البلدان ٢/٢٠٠، والروض المعطار ١٨٣، وصبح الأعشى ٣/ ٣٩٢، وخطط المقريزى ١/٢٠٥.

(٣) البحيرة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/٣٥١.

(٤) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب - خ» فى فقه الشافعية ولم يتمه، وتصحيح المنهاج - خ) ستن مجلدان. انظر الضوء اللامع ٦/٨٥ وشذرات الذهب ٧/٥١ وحسن المحاضرة ١١٨٣م الخزانة التيمورية ٣/٣٨ والأزهرية ٢/٥٥٩ والأعلام ٥/٤٦.

وفى يوم الخميس رابع رجب: تزوج الأمير الأتابك منكلى بغا الشمسى بأخت السلطان، وهى خوند سارة بنت حسين بن محمد بن قلاوون. وفيه خلع عليه، واستقر ناظر المارستان المنصورى.

واستقر الأمير الأكز الكشلاوى أستادار السلطان، عوضا عن ألْطنبغا البَشْتَكى بعد وفاته، واستقر أرغون الأحمدى لالا السلطان، عوضا عن سودون الشيخونى. واستقر الأمير طُغاى تَمُر النظامى شاد الشرابخاناه. واستقر الأمير بشتاك العمرى رأس نوبة ثانيا، واستقر الأمير ككبغا السيفى خازندارا، ثم نفى بعد قليل، واستقر عوضه الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص، واستقر الأمير دَرْت بُغا البالسى خاصكيا بإمرة طبلخاناه.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره: أعيد علاى الدين على بن عرب إلى حسبة القاهرة، وعزل ابن الصدر عمر، فمات بعد تسعة أيام من عزله، وفى ثالث عشرينه وقع حريق عظيم بداخل الدور السلطانية من قلعة الجبل، فدخل الأمراء حتى أطفوه.

وفى سابع شعبان: استقر الأمير عمر بن أرغون النايب فى نيابة الكرك[١] عوضا عن ابن القشتمُرى.

وفى يوم الإثنين حادى عشرينه: خلع على سراج الدين عمر بن إسحاق[٢] بن أحمد الهندى، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن جمال الدين عبد الله بن على التركمانى بعد وفاته، وخلع على صدر الدين محمد بن جمال الدين التركمانى، واستقر فى قضاء العسكر، عوضا عن السراج الهندى، ونزلا جميعا من القلعة، فكان يوما مذكورا.

وفى يوم الإثنين خامس رمضان: خلع على بدر الدين محمد بن علاى الدين على ابن فضل الله العمرى، واستقر فى كتابة السر، عوضا عن أبيه، وقد اشتد مرضه. فلما رآه أبوه بالخلعة بكى.

وقدم الحاج محمد التازى المغربى رايس البحر، وقد تسلم من الشوانى التى عمرها

---

(١) الكرك: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤، والروض المعطار ٢٠٢.

(٢) عمر بن إسحاق بن أحمد الهندى الغزنوى، سراج الدين، أبو حفص: فقيه من كبار الأحناف له كتب منها «التوشيح» فى شرح الهدية، فقه، والغرة المتقنعة من ترجيح مذهب أبى حنيفة - ط». انظر الفوائد البهية ١٤٨ والدرر الكامنة ١٥٤/٣ ونزهة الخواطر ٩٥/٢ ومفتاح السعادة ٥٨/٢ وكشف الظنون ١١٩/٨ والأعلام ٤٢/٥.

الأمير يلبغا غرابا، كمله بالعدد والآلات، وشحنه بالمقاتلة من رجال المغاربة، وأخذ غرابا آخر من الإسكندرية، متكملا بالعدد والرجال، ومضى فى البحر، وهجم على الفرنج، فملك منهم غرابا قتل منه جماعة وأسر باقيهم. وقدم فى تاسع عشرين شعبان فتلقاه جماعة من الأمراء بتجمل عظيم، وخرج الناس إلى لقائه، وسروا به، فلما تمثل بين يدى السلطان خلع عليه، وأنعم عليه بجميع ما أحضره من الغنايم.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره: قبض على الأمير طغاى تمر النظامى، والأمير أرغون طَطر، واتهما بإثارة فتنة على السلطان.

وفى تاسع عشرينه: استقر الأمير أَرغون الأزقى رأس نوبة كبيرا، عوضا عن تلكتُمُر، واستقر تلكتمر أمير مجلس، عوضا عن طغاى تمر النظامى، وخلع عليهما.

وفى العشرين من ذى القعدة: قدم سراج الدين عمر البلقينى من دمشق باستدعاء، واستقر أسنبغا بن البوبكرى فى نيابة حلب[1] عوضا عن طيبغا الطويل بعد موته، واستقر طَيْدَمُر البالسى فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن البوبكرى، واستقر صلاح الدين خليل بن عرام حاجبا بالثغر، واستقر قُطْلُوبغا المنصورى حاجبا ثانيا، عوضا عن طَيدَمُر البالسى.

وفيه خلع على علم الدين إبراهيم بن قزوينة واستقر فى الوزارة، عوضا عن فخر الدين ماجد بن أبى شاكر، وخلع على ابن أبى شاكر، واستقر فى نظر الخزانة الكبرى، عوضا عن شمس الدين بن الموفق، وخلع على ابن الموفق، واستقر فى نظر الإصطبل عوضا عن شمس الدين بن الصفى، فى ثالث عشرينه. وخلع على شمس الدين المقسى، واستقر فى نظر الخاص عوضا عن ابن أبى شاكر، وخلع على كريم الدين شاكر بن الغنام، واستقر فى نظر البيوت، وخلع على الحاج محمد بن يوسف، واستقر مقدم الدولة، عوضا عن المقدم عز، واستقر الأمير أشَقْتَمُر الماردينى فى نيابة طرابلس. ثم عزل، واستقر الأمير أَيْدمُر الشيخى فى نيابة حماة، عوضا عن عمر شاه، واستقر الأمير أيدمُر يانق فى كشف الوجه القبلى، واستقر ابن الدينارى فى ولاية قوص، عوضا عن قُرُطاى الكركى، واستقر محمد بن عقيل فى ولاية الغربية، واستقر عثمان الشَرفى بالبهنساوية، ومحمد الكركى بالأشمونين[2]، وأحمد الطرخانى بمنوف، عوضا عن خاص ترك بن طغاى، واستقر قُطُلوبك الزينى بالفيوم، واستقر أمين الدين محمد بن على بن

---

(١) حلب: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/٢٨٢، ٢٩٠.

(٢) أشمون قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. نظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

الحسن الألفى فى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن صدر الدين أحمد الدميرى بعد وفاته، وأعيد فتح الدين أبو بكر محمد بن الشهيد إلى كتابة بدمشق، وقدم جمال الدين بن الأثير إلى القاهرة.

وقبض على الأمير أرغون القشتُمرى، وأخرج بطالا إلى القدس، ونفى أيضًا الأمير بَشْتَاك العُمرى إلى الشام،

وفى حادى عشرين ذى الحجة: قدمت رسل السلطان أويس من بغداد، وكان قاع النيل أربعة أذرع وأربعة عشر إصبعا.

وأنعم على كل من كَجَك بن أرْطُق، وأزدَمُر الخازندار، وأقتمر الحنبلى، وبكتمر المؤمنى، والأكز الكشلاوى، وأرغون الأحمدى اللالا، بتقدمة ألف، وأنعم على كل من محمد بن طُرغاى، وإبراهيم الناصرى، وصُراى العلاى، وبكتمر الأحمدى شاد القصر، وبشتاك العُمرى، وتنبك الأزقى، ودْرتُ بغا البالسى، وككبُغا السيفى، وأقبُغا عبد الله، وطغاى تمر عبد الله، ويوسف شاه بن يلو، وأروس السيفى، وأيدَمُر بن صديق، ومحمد ابن أقَتمُر عبد الغنى، ويونس الشيخونى، وموسى بن أيْتمِش، ومحمد ابن الدوادارى، وسودون جركس أمير آخور، وبرسبغا، وقرابغا الأناقى، وعلى بن بكتاش ومحمد بن أمير على الماردينى، وصصلان الجمالى، وصراى تُمر المحمدى، وأسنبغا القوصونى، وخليل بن تنكزبغا، بإمرة طبلخاناه. وأنعم على كل من قمارى الجمالى، وعمر بن طقتمر، وصربغا السيفى، وجانى بك العلاى، وألطنبغا عبد المؤمن، وطقتُمر الحسنى ومبارك شاه الرسولى، وجَرْقُطْلو، وجَرجى البالسى، ومحمد بن أزدمر الخازندار، وقدق الشيخونى، وكوجيا، وأبى بكر بن قُنْدُس، وأسنبُغا البهادرى، وأقتمر عبد الغنى الساقى، ويلبغا الناصرى، ومحمد بن قرابغا الأناقى، وألطنبغا النظامى، وقُطلوبغا من بايزيد بإمرة عشرة.

وفى هذه السنة: فشت الأمراض الحادة، والطواعين بالناس فى القاهرة ومصر، فمات فى كل يوم ما ينيف على مائة ألف نفس.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الفقير المعتقد إبراهيم بن البرلسى وهو مجاور بالمدينة النبوية، وقد وأناف على مائة سنة.

ومات الملك المنصور أحمد بن الصالح صالح بن المنصور غازى بن المظفر قرا أرسلان ابن أرتق صاحب ماردين، فكانت مدته نحو ثلاث سنين، وقد جاوز ستين سنة.

وتوفى صدر الدين أحمد بن عبد الظاهر بن محمد الدميرى، قاضى المالكية بحلب، وله نظم، وخمس البردة.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله[1]، المعروف بابن النقيب الشافعى، يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان. ومولده سنة اثنين وسبعمائة. أخذ القراءات السبع عن جماعة، وقرأ النحو على أبى حيان، وبرع فى الفقه، وكتب مختصرا حسنا فى الفقه، واختصر الكفاية، وكتب النكت على المنهاج، وكتب قطعة على المهذب، وقال الشعر، وتصدر بالمدرسة الحسامية، والمدرسة الأشرفية، وأم بالندقدارية[2]، وكان جيد القراءة، حسن الصوت، ويقصد لسماع قراءته فى المحراب، ليالى شهر رمضان.

وتوفى شيخ الشيوخ بخانكاه سرياقوس[3] شهاب الدين أحمد بن سلامة بن المقدسى الشافعى، وكان قبل ذلك شيخ خانكاه بَشْتَاك[4] وخطيب جامعه، وصنف كتابا مفيدا فى التصوف.

ومات الأمير عز الدين أزدمر الناصرى الخازندار، أحد مقدمى الألوف ونائب طرابلس وصفد، فى أول شهر ربيع الآخر.

ومات الأمير عز الدين أزدمر العزى أبو دقن أمير سلاح، منفيا بالشام، فى صفر.

ومات الأمير سيف الدين أسَندمُر الناصر أتابك العساكر بسجن الإسكندرية فى يوم الأحد.

---

(١) أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله الرومى أبو العباس، شهاب الدين بن النقيب. فقيه شافعى مصرى مولد ووفاته بالقاهرة كان أبوه روميا من نصارى أنطاكية. ورباه أحد الأمراء وأعتقه وجعله نقيبًا فتصوف وتصدر بالمدرسة البيبرسية بالقاهرة، ونشأ ولد صاحب الترجمة فكان أولاً بزى الجند، ثم حفظ القرآن وتفقه وتأدب وحاور بمكة والمدينة مرات وله. انظر الدرر الكامنة ٢٣٩/١ وكشف الظنون ١٤٩٨ وذيل الكشف ١٢١/٢ والأعلام ٧٠/١.

(٢) الخانقاة البندقدارية، تقع بالقرب من الصليبة، وكان موضعها يعرف قديمًا بدويرة مسعود. أنشأها الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى التميمى وجعلها مسجد لله تعالى. (المقريزى المواعظ سنة ٤٢٠ هـ.

(٣) خانكاه سرياقوس أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون وهى خارج القاهرة من شماليها. انظر المواعظ ٤٢٢/٢.

(٤) خانكاه بشتاك، وأنشأها الأمير سيف الدين بشتاك الناصرى، وهى خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقى، تجاه جامع بشتاك. وكان افتتاحها أول ذى الحجة سنة ٧٣٦هـ. المواعظ ٤١٨/٢.

ومات الأمير أسندمر العلاى نايب الشام ونايب طرابلس فى يوم الإثنين.

ومات الأمير أسندمر العلاى الخازن.

ومات الأمير ألطنبغا البشتكى نائب غزة، وأستادار السلطان، فى رابع عشرين شعبان.

ومات الأمير أيدمر يانق كاشف الوجه القبلى، فى ثامن عشرين ذى الحجة.

ومات الأمير بكتمر الأحمدى شاد الدواوين ومقدم المماليك.

ومات الأمير باكيش اليلبغاوى الحاجب فى صفر.

ومات الأمير بيليك الفقيه الزراق، أحد مقدمى المماليك.

ومات الأمير بركان شاد الصندوق.

ومات الأمير تلكتمر المحمدى الخازندار، أحد الألوف، بسجن الإسكندرية.

ومات الأمير جرجى الإدريسى أمير آخور ونائب حلب، وهو بدمشق.

ومات الأمير جَرْقُطْلو أمير جندار فى صفر .

ومات الأمير جركتمر الماردينى الحاجب، بعد عطلة طويلة.

وتوفى عز الدين حمزة بن قطب الدين موسى بن الضياء أحمد بن الحسين[1]، المعروف بابن شيخ السلامية الحنبلى، وقد أناف على الستين بدمشق، فى يوم الإثنين. وله شرح على المنتقى لابن تيمية.

وتوفى بهاء الدين خليل أحد نواب الحنفية، يوم الجمعة ثالث عشر شعبان.

وتوفى الأمير طيبغا البوبكرى المهمندار، فى تاسع عشر المحرم.

ومات الأمير طيبغا الطويل نائب حلب بها، فى تاسع ذى القعدة.

وتوفى قاضى القضاة الحنبلى موفق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الباقى الحجازى المقدسى فى يوم الخميس سابع عشرين المحرم، ومولده فى أوائل سنة تسعين وستمائة.

---

(١) حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين، الحنبلى، عز الدين ابن شيخ السلامية، فقيه دمشق، من كبار الحنابلة درس بدمشق، وبمدرسة السلطان حسن بالقاهرة، وأفتى بها. له عدة تصانيف، منها «شرح المنتقى فى الأحكام لابن تيمية» عدة مجلدات. انظر شذرات الذهب ٢١٤/٦ والدرر الكامنة ٧٧/٢ والأعلام ٢٨٠/٢.

وتوفى الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعى[1]، فى يوم الأربعاء ثالث عشرين شهر ربيع الأول.

وتوفى قاضى القضاة الحنفى جمال الدين عبد الله بن علاء الدين على، بن فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان الماردينى التركمانى، فى ليلة الجمعة حادى عشر شعبان.

وتوفى جمال الدين عبد الله بن على بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات موقع الحكم، فى العشرين من شهر رمضان.

وتوفى فقيه المالكية بالمدينة النبوية، بدر الدين أبو محمد عبد الله[2] بن محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون.

وتوفى صلاح الدين عبد الله بن المحدث شمس الدين محمد بن إبراهيم بن غنائم بن واجد بن سعيد، المعروف بابن المهندس الصالحى الحلبى الحنفى، سمع كثيرا بالشام ومصر والحجاز، وكتب وجمع وحدث ووعظ، وقد أناف على السبعين.

وتوفى علاى الدين على بن محيى الدين بن فضل الله بن مُجَلّىّ، بن دعجان بن خلف بن منصور بن نصيرٍ العمرى، كاتب السر، فى يوم الجمعة تاسعٍ شهر رمضان. وقد باشر كتابة السر نيفًا وثلاثين سنة، وخدم أحد عشر سلطانًا، وكتب الخط المنسوب، وقال الشعر الجيد.

وتوفى تقى الدين عمر بن نجم الدين محمد بن عمر بن أبى القاسم، بن عبد المنعم بن أبى الطيب الدمشقى ناظر الخزانة بها فى يوم الأربع.

ومات قُنُق العزى، الأمير.

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشى الهاشمى، بهاء الدين بن عقيل: من أئمة النحاة. من نسل عقيل بن أبى طالب. ومولده ووفاته فى القاهرة. كان بعض أسلافه يقيمون فى همذان أو آمد، ولعلهم انتقلوا من إحداهما إلى الأخرى واستقرت ذرية منهم فى بالس (بين حلب والرقة) وقدم أحدهم إلى مصر، فولد بها عبد الله، فعرفه مترجموه بالهمذانى (أو الآمدى) البالسى ثم المصرى - فله (شرح ألفية ابن مالك) فى النحو، متداول، وقد ترجم الألفية إلى الألمانية. انظر الدرر الكامنة ٢/٢٦٦ والبدر الطالع ١/٣٨٦ وحسن المحاضرة ١/٣٨٠ وشذرات الذهب ٦/٢١٤ والكتبخانة ٤/١١٠ والأعلام ٤/٩٦.

(٢) عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمرى المالكى، أبو محمد: فقيه، من العلماء بالحديث. أصله من تونس، ومولده ومنشوه فى المدينة. له «الدر المخلص من التقصى والملخص» فى الحديث. انظر الديباج المذهب، والدرر الكامنة ٢/٣٠٠ وهدية العارفين ١/٤٦٧ والأعلام ٤/١٢٦.

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن محمود المرداوى صاحب الحمارة.

وتوفى قاضى الحنفية بطرابلس بدر الدين محمد بن عبد الله بن الشبلى[١].

وتوفى جمال الدين محمد بن كمال الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد[٢] بن الشريشى البكرى الوايلى الدمشقى الشافعى.

وتوفى كمال الدين محمد بن جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبى، بالقاهرة.

وتوفى بدر الدين محمد، المعروف بابن الشجاع الحنفى، أحد نواب الحنفية، فى يوم الأحد رابع رمضان.

وتوفى تقى الدين محمد بن يوسف أحد نواب المالكية فى الحكم بالقاهرة، يوم الخامس من شوال.

وتوفى الفقية موسى الضرير المالكى.

ومات محتسب القاهرة محيى الدين محمد بن الصدر عمر، فى يوم الثلاثاء خامس عشرين رجب.

وتوفى ناظر الأحباس، فخر الدين أبو جعفر محمد بن عبد اللطيف بن الكُوَيك فى ثالث عشر رمضان.

ومات الأمير بيرم العزى الدوادار، بطالا بالشام.

ومات الأمير أروس البَشْتَكى، رأس نوبة الجمدارية.

ومات الأمير أرغون الأحمدى أحد الطبلخاناه.

(١) محمد بن عبد الله الشبلى الدمشقى، أبو عبد الله، بدر الدين بن تقى الدين: فاضل متفنن. من فقهاء الحنفية. ولد بدمشق، وكان أبوه «قيم الشبلية» فيها ورحل إلى القاهرة، وولى قضاء طرابلس الشام سنة ٧٥٥هـ واستمر فى القضاء إلى أن توفى بها. له «آكام المرجان فى أحكام الجان – ط» ورسالة فى «آداب الحمام». انظر الدرر الكامنة ٣/٤٨٧ ومجلة المجمع ١٨/٧٤ ومعجم المطبوعات ١١٠١ والفوائد البهية ١٧ بهامشة والأعلام ٦/٢٣٤.

(٢) محمد بن أحمد بن محمد، أبو بكر، جمال الدين البكرى الوائلى الشريشى: فقيه شافعى أصله من شريش ووفاته فى دمشق وتولى قضاء حمص، ثم الحكم فى دمشق، يوما واحدًا، ومرض ومات. له كتب منها «شرح المنهاج» أربعة أجزاء «وزوائد الحاوى الصغير على المنهاج» انظر القلائد الجوهرية ٩١ وشذرات الذهب ٦/٢٦٣ والدارس ١/١١٧ والدرر الكامنة ٣/٣٥١. والأعلام ٥/٣٢٨.

ومات الأمير أرغون القَشْتَمُر أحد الألوف، بطالا بالقدس.

وتوفى قطب الدين أبو عبد الله محمد بن أبى البقاء محمود بن هرمـاس، بـن مـامضى المعروف بالهرماس المقدسى.

* * *

سنة سبعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الأربعاء، وهو ثالث عشر مسرى من شهور قبط مصر، وفيه نودى بوفاء النيل ستة عشر ذراعا، ففتح الخليج على العادة.

وفى أول ربيع الأول: قدم الأمير منجك نائب الشام بتقدمة سنية، فخلع عليه وقبل تقدمته، ثم أعيد بعد أيام إلى نيابته، وأعيدد تاج الدين عبد الوهاب[1] بن السبكى إلى قضاء دمشق، عوضا عن سراج الدين عمر البلقينى.

وفى ليلة عشرينه: ولد للسلطان ولد سماه أحمد، فدقت البشائر ثلاثة أيام.

وفى يومه: ولى الأمير قَشْتَمُر المنصورى نيابة حلب عوضا، عن أسنبغا بن البوبكرى.

وقدم رسول متملك القسطنطينية، وصحبته بطريق الملكانية.

وفى يوم الإثنين ثامن ربيع الآخر: استقر الأمير الأَكُز الكشلاوى وزيرا عوضا عن علم الدين إبراهيم الحليق بن قزوينة، مضافا إلى الإستادارية. واستقر ابن قزونية فى نظر الخاص، عوضا عن الشمس المقسى، واستقر المقسى فى نظر الإصطبل، عوضا عن شمس الدين بن الموفق، وخلع عليهم.

وفيه قدم الأمير الملا حيار بن مهنا، فخلع عليه وأكرم.

وفى يوم السبت ثالث عشره: سار السلطان إلى ناحية طنان[2] للصيد، ومضى إلى الإسكندرية، فدخلها يوم الجمعة، رابع جماد الأولى، وقد زينت زينة عظيمة القدر، وترجل جميع الأمراء من باب رشيد إلى باب البحر فى ركابه، فرمى بالمجانيق بين يديه. ثم عاد من الباب الأخضر إلى دار السلطان، وجلس على التخت بها، ومُدَّ السماط،

---

(١) عبد الوهاب بن على عبد الكافى السبكى أبو نصر: قاضى القضاة، المؤرخ، الباحث ولد فى القاهرة، انتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها حتى توفى بها، نسبته إلى سبك من أعمال المنوفية. انتهى إليه قضاء القضاة فى الشام، وعزل وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر. وأتوا به مقيدًا مغلولاً من الشام إلى مصر. انظر جلاء العينين ١٦ والدرر الكامنة ٤٢٥/٢ وحسن المحاضرة ١٨٢/١ والأعلام ١٨٤/٤، ١٨٥.

(٢) طنان بالفتح من أعيان قرى مصر، قريبة من الفسطاط، ذات بساتين ضمن أعمال القليوبية. معجم البلدان ٥٣٩/٣.

فأكل الأمراء ثم رفع، فلما أذن العصر ركب السلطان ودخل إلى دار الطراز وصعد إلى القصر، ثم عاد إلى المخيم بباب رشيد من آخر النهار، وتوجه فى يوم الأحد إلى القاهرة، فصعد قلعة الجبل.

وفى سابع عشرينه: جُمع الأمراء وقضاة القضاة بالإيوان من القلعة، وعُقد لخوند سارة أخت السلطان على الأمير بشتاك رأس نوبة، بصداق جملته خمسة عشر ألف دينار، وأربعماية ألف درهم فضة، عنها نحو العشرين ألف دينار. وكان الذى تولى عقد النكاح بينهما قاضى القضاة سراج الدين عمر الهندى الحنفى، وأنكر عليه بعض الفقهاء عقد النكاح من أجل أن الزوج قد مسه الرِّق، فألف فى جواز ذلك كتابًا.

وفى ثامن عشرينه: قبض على الأمير الأكُز الوزير، وعوق بقاعة الصاحب من القلعة.

وخلع على شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر فى الوزارة ونظر الخاص، وخلع على الوزير علم الدين إبراهيم بن قزوينة، واستقر فى نظر الإصطبل، عوضا عن المقسى، وأخرج الأمير آقبغا عبد الله الدوادار منفيا. وخلع على الأمير آقتمر الحنبلى، واستقر فى نظر الخانكاه الناصرية بسرياقوس.

وفى رابع عشرين شهر رجب: قبض على أرغون العجمى الساقى - من المماليك السلطانية - ونفى إلى الشام من أجل أنه فقد للسلطان جواهر نفيسة القدر، فلم يعرف لها خبر، فأحضر بعض الفرنج منها حجرا رابعا - يعرف بوجه الفرس - إلى الأمير مَنْجَك نائب الشام فعرفه، وسأل الفرنجى عن سبب وصوله إليه، فذكر أن أرغون هذا باعه إياه، فبعث به إلى السلطان وطالعه بالخبر، فقبض على أرغون فلم يوجد معه من ثمن الحجر المذكور كبير شىء، فعفا السلطان عنه، ونفاه.

وفى يوم الإثنين أول شهر رمضان: أعيد ابن عرام إلى نيابة الإسكندرية عوضا عن طيدمُر البالسى، بحكم استعفائه.

وفى يوم الخميس رابعه: خلع على الصاحب علم الدين إبراهيم الحليق بن قزوينة إلى الوزارة، واستقر المقسى على نظر الخاص فقط، وأضيف إليه نظر أملاك خوند بركة أم السلطان، وأوقافها.

وفى ليلية الجمعة خامسه: هبت بالقاهرة وأعمالها رياح عاصفة، سقط منها نخيل كثيرة، وأعالى عدة من الدور، وغرقت سفن متعددة، فهلك تحت الردم جماعة من الناس، وكان أمرا مهولا عامة تلك الليلة.

وفى يوم السبت عشرينه: تنكر السلطان على الأمير أقتمر الحنبلى لكلام جرى بينه وبين الأمير أُلجاى، وأمر بنفيه إلى الشام، واستقر عوضه دوادار الأمير منكوتَمُر عبد الغنى بإمرة طبلخاناه، وخلع عليه فى يوم الإثنين ثانى عشرينه، وخلع فيه أيضًا على الأمير بهادر الجمالى، واستقر أستادار، وأنعم عليه بتقدمة ألف.

وفى أول شوال: قدم البريد من حلب بأن الأمير قَشْتَمُر نائب حلب أخذ سيس[١] من الأرمن، وعاد إلى حلب، فغلب الأرمن عليها، بعد عوده.

وفى أول شهر ذى القعدة: قبض الصاحب علم الدين إبراهيم بن قزوينة على كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، من أجل أنه بلغه أنه يسعى فى الوزارة.

وفى رابع عشره: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع وعشرين إصبعا.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: قدم الأمير بَيْدَمُر نايب الشام، صحبة الأمير ناصر الدين محمد بن قُمارى أمير شكار، وقد ركب البريد لإحضاره، فأمر به إلى الأمير علاى الدين على بن محمد بن كَلَفْت، فسجنه بقاعة الصاحب، وألزمه بحمل ثلاثمائة ألف دينار وعصره، فى يوم الأربعاء حادى عشرينه، فحمل منه مائة ألف دينار، وأخرج إلى دمشق ليؤدى بقية ما ألزم به، ثم ينفى إلى طرسوس[٢]. وكان قد استقر عوضه فى نيابة الشام الأمير منجك.

وفى هذا الشهر: خرج ببلاد الشام جراد مضر، وكثر بها الفأر فى البيادر[٣]، فتلفت الغلال، وفشا بها الوباء. وكثر الخوف ببلاد الساحل من الفرنج والعشير. ووصل إلى صيدا عدة من مراكب الفرنج فحاربوا المسلمين، ورجعوا خايبين.

وفى يوم الجمعة ثالث عشرينه: تجمعت الغوغاء من زعر العامة بأراضى اللوق[٤] خارج القاهرة للشلاق[٥]، فقتل بينهم واحد منهم، فركب والى القاهرة الشريف بَكْتَمُر، وأركب معه الأمير علاى الدين على بن كَلَفْت الحاجب، والأمير أقبغا

---

(١) سيس: بلد من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس كانت مقر مملكة أرمينة الصغرى. انظر معجم البلدان.

(٢) طرسوس: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨/٤، ٢٩، والروض المعطار ٣٨٨، ٣٨٩، وصبح الأعشى ١٣٣/٤.

(٣) البيادر بيدر الطعام أى: كومة، والبيدر موضع الطعام الذى يكوم فيه. القاموس المحيط.

(٤) اللوق كانت أراضى اللوق عندئذ بساتين ومزروعات وهى فى المنطقة التى أطلق عليها بعد ذلك باب اللوق. انظر باب المواعظ ١١٧/٢.

(٥) الشلق الضرب، شلقه أى: ضربه بسوط أو غيره. لسان العرب.

اليوسفى الحاجب، وقصد المشالقين، ففروا منهم، وبقى من هناك من النظارة، فضرب عدة منهم بالمقارع. فتعصبت العامة، ووقفوا تحت القلعة فى يوم الثلاثاء، وأصبحوا يوم الأربعاء ثامن عشرينه كذلك، وهم يستغيثون ويضجون بالشكوى من الوالى، فأجيبوا بأن السلطان يعزل عنكم هذا الوالى فأبوا إلا أن يسلمه إليهم هو والحاجبين. وكان الوالى قد ركب على عادته بكرة النهار يريد القلعة، فرجمته العامة حتى كاد يهلك فالتجأ منهم بالإصطبل، وظل نهاره فيه، والعامة وقوف تحت القلعة إلى قريب العصر، وكلما أمروا بأن يمضوا أبوا ولجوا، فركب إليهم الوالى فى جمع موفور من مماليك الأمير بَكْتَمُر المؤمنى، أمير آخور، ومن الأوجاقية، فثارت العامة ورجمتهم رجما متداركا حتى كسروهم كسرة قبيحة، فركبت المماليك السلطانية، والأوجاقية وحملوا على العامة، وقتلوا منهم جماعة، وقبضوا على خلائق منهم، وركب الأمير ألجاى اليوسفى، وقسم الخطط والحارات على الأمراء والمماليك، وأمرهم بوضع السيف فى الناس، فجرت خطوب شنيعة، قتل فيها خلائق ذهبت دماؤهم هدرا، وأودعت السجون منهم طوائف، وامتدت أيدى الأجناد إلى العامة، حتى أنه كان الجندى يدخل إلى حانوت البياع من المتعيشين ويذبحه ويمضى، وحكى بعضهم أنه قتل بيده فى هذه الواقعة من العامة سبعة عشر رجلا.

وكانت ليلة الخميس تاسع عشرينه: من ليالى السوء، وأصبح الناس وقد بلغ السلطان الخبر، فشق عليه وأنكره، وقال للأمير بكتمر المؤمنى «عجلت بالأضحية على الناس» وتوعده، فرجف فؤاده ونحب قلبه، وقام فلم يزل صاحب فراش حتى مات، وأمر السلطان بالإفراج عن المسجونين، ونودى بالأمان، وفتح الأسواق، ففتحت، وقد كان الناس قد أصبحوا على تخوف شديد لما مر بهم فى الليل.

وفيه خلع على الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى والى مصر، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن الشريف بكتمر.

واتفق فى هذا الشهر: أيضًا أن ناصر الدين محمد بن مسلم - كبير تجار مصر - سافر للقاء بضائع قدمت له من الهند بقوص[1]، فأشاع ولده فى الناس موت أبيه، وعمل عزاه، واجتمع بالسلطان وسأله أن يقوم عوض أبيه فى المتجر، ووعد بحمل خمسين ألف دينار، فخلع عليه، ونزل فأخذ فى حمل ما وعد به حتى أتى على مبلغ كبير منه. فبينما هو فى ذلك إذ قدم كتاب أبيه فى بعض حاجاته، فسر أهله بحياته،

(١) مدينة من أعظم مدائن الصعيد وهى على شاطئ النيل بنيت فى أيام شدات بن عديم. (نزهة الأمم فى العجائب والحكم) لابن إياس، وانظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

وبعثوا إليه بما كان من مولده، فبادر إلى المجىء واجتمع بأهل الدولة، وبالسلطان، فاعتذروا إليه بما كان من ولده ورسم له أن يعتد له بما حمل ولده فى نظير ما يرد له من البضائع، ويحاسب به مما عليه للديوان، وخلع عليه، فكان ذلك أيضًا من شنيع ما وقع.

واتفق أيضًا أن بنى كلاب[1] كثر فسادهم وقطعهم الطريق فيما بين حماة وحلب، وأخذوا بعض الحجاج، فخرج إليهم الأمير قَشْتَمُر نائب حلب بالعسكر، حتى أتوا تل السلطان[2] بظاهر حلب، فإذا عدة من مضارب عرب آل فضل، فاستاق العسكر جمالهم ومواشيهم ومالوا على بيوت العرب فنهبوها. فثارت العرب بهم وقاتلوهم، واستنجدوا من قَرُب منهم من بنى مهنا، وأتاهم الأمير حيار وولده نعير بجمع كبير، فكانت معركة شنيعة، قتل فيها الأمير قشتمر النايب وولده وعدة من عسكره، وانهزم باقيهم، فركب العرب أقفيتهم، فلم ينج منهم عريانا إلا من شاء الله، فكان ذلك وهنا فى الدولة، جره إليها طمع عساكرها.

وفى يوم الجمعة ثامن ذى الحجة: قدم الخبر بنزول أربع قطايع على الإسكندرية من الفرنج، وأنهم رموا على المدينة بمنجنيق، فخرج تلك الليلة ثلاثة وعشرون أميرا، منهم ثلاثة من الألوف وعشرة من الطبلخاناه وعشرة من أمراء العشرات، فقدم الخبر فى عشية السبت أن المغاربة، والتركمان نزلوا فى المراكب، وقاتلوا الفرنج، وقتلوا منهم نحو المائة، وغنموا منهم مركبا.

وفى خامس عشره: خرج على البريد الأمير قُطلوبغا الشعبانى ليسير بالأمير أشَقْتَمُر المارديني إلى حلب، وكتب معه تقليده بالنيابة، وحملت إليه الخلعة، وأن يقلد الأمير زامل إمرة العرب، عوضا عن حيار بن مهنا، فاستقر الأمير أشَقْتَمُر فى نيابة حلب، ووجد العرب قد شرقوا.

وفيه توجه الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير سرتقطاى فى الرسالة إلى أويس متملك بغداد.

واستقر جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن على بن عبد الملك المسلاتى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن سرى الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانى الأندلسى، واستقر الأمير بيبغا القوصونى كاشف القليوبية، والأمير محمد بك الشيخونى فى نيابة

---

(١) بنو كلاب، بطن من عامر بن صعصعة وكانت ديارهم فى جهات المدينة المنورة ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الشام.

(٢) تل السلطان: موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق. (معجم البلدان).

غزة، والشريف بكتمر فى ولاية قطيا، عوضا عن ابن الطشلاقى، والأمير بكتمر أستادار الطويل فى ولاية قوص، والأمير أسندمر الخضرى فى البحيرة، عوضا عن ابن معين، والأمير قُطلوبك السيفى فى ولاية مصر، وأنعم على الأمير محمد بن طُرغاى بإمرة طبلخاناه، واستقر أستادار، وارتجع عن الأمير أَسَنْدَمُر المظفرى تقدمته، وعوض طبلخاناة؛ لعجزه عن الخدمة من مرض، وأنعم على كل من الأمير بَتْشَاك العمرى، والأمير بهُادر الجمالى بإمرة ماية تقدمة ألف، وعلى كل من الأمير بيبغا القوصونى، وصُراى الإدريسى، وأحمد بن آقتمر عبد الغنى، وأحمد بن قنغلى، وطَقْتمُر الحسنى، وخليل بن قمارى، وأرغون شاه الأشرفى، وحسين بن الكورانى بإمرة طبلخاناه، وعلى كل من جلبان العلاى، ومحمد بن لاجين، وأسنبغا النظامى، ومحمد بن قطلوبغا المحمدى، وعمر بن أسن البوبكرى بإمرة عشرة.

وفى هذه السنة: حجت خوند بركة أم السلطان فى تجمل عظيم، ومعها الكوسات والعصايب السلطانية، وعدة جمال، تحمل الخضر المزروعة، وفى خدمتها الأمير بشتاك العمرى، والأمير بهادر الجمالى، ومائة من المماليك السلطانية.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير إبراهيم ابن الأمير صَرْغَتْمُش الناصرى، أحد العشرات، فى تاسع شوال، ودفن بمدرسة أبيه.

ومات الأديب الموالى أحمد بن محمد بن أحمد، المعروف بالفار طرنجى العالية.

ومات الأمير أرغون على بك الأزقى نائب غزة وأحد أمراء الألوف رأس نوبة فى أول جمادى الآخرة.

ومات تقى الدين حسن بن محمد بن فتيان، كاتب سر طرابلس.

ومات الأمير خليل بن على بن الأمير سلار النائب، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير الطواشى ناصر الدين شفيع، أحد العشرات، ونائب مقدم المماليك، فى ثامن شعبان.

ومات الأمير طُغاى الفخرى - أحد الطبلخاناه - غريقا بالنيل.

ومات قاضى الحنفية بدمشق، جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود، أحد فقهاء الحنفية الأعيان.

ومات شمس الدين محمد بن خلف بن كامل الغزى، أحد نواب الحكم بدمشق، وأعيان الفقهاء الشافعية، وله رحلة إلى القاهرة.

وتوفى ناصر الدين محمد بن تقى الدين عبد القاهر(١) بن الوزير الصاحب ضياء الدين أبى بكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن أحمد النشابى، أحد موقعى الدست، فى يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى الحجة، عن اثنتين وخمسين سنة.

ومات عماد الدين محمد بن موسى بن سليمان بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن على بن أحمد بن الشيرجى محتسب دمشق، وناظر الخزانة بها.

ومات بدر الدين محمد بن الجمال محمد بن الكمال أحمد بن محمد بن الشريشى الشافعى، برع فى الفقه واللغة، وقال الشعر.

ومات الأمير محمد بن الأمير طقبغا الماجارى صاووق، أحد الطبلخاناه.

ومات الأديب الشاعر شمس الدين محمد بن تقى الدين على الواسطى، فى شهر رجب.

ومات الأمير ألطنبغا المؤمنى الجوكندار، أحد العشرات، فى صفر.

ومات الأمير أقتمُر عبد الغنى الصغير - أحد العشرات - فى تاسع عشرين شهر رمضان.

ومات الأمير أزكا السيفى، أحد الطبلخاناه.

ومات متملك تونس(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى، فى العشرين من رجب، بعد ما ملك تسع عشرة سنة وشهرين، فقام بعده ابنه أبو البقاء خالد.

* * *

---

(١) محمد بن عبد القاهر بن أبى بكر النشابى، الأنصارى السلمى، ناصر الدين: أديب، له شعر: من كتاب الإنشاء السلطانى. كان أحد ملوك الدست فى دولة الملك الناصر. بينه وبين صلاح الدين الصفدى مساجلات شعرية، فى الألفاظ وغيرها ربما أثبتها فى كتابه «ألحان الواجع» انظر الوفيات ٢٧١/٣ - ٢٧٢ والدرر الكامنة ٢٢/٤ الأعلام ٢١٤/٦.

(٢) تونس: مدينة بإفريقية محدثة إسلامية، وهى فى سفح جبل وبها مبان عجيبة. انظر الروض المعطار ١٤٣، ١٤٤، والاستبصار ١٢٠، والبكرى ٣٧، وصبح الأعشى ١٠٢/٥.



سنة إحدى وسبعين وسبعمائة

فى أول المحرم: ورد قاصد الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير طاز، ومعه أربعة وعشرون من الفرنج، أسرهم من ناحية الطينة(١)، وكان مجردا بها.

وفى يوم الأحد ثامنه: ورد البريد بطلب الأمير حيار الأمان، وكان القاصد لذلك الأمير سيف الدين بهادر أستادار الأمير منجك نائب الشام، ومعيقل حاجب حيار، فأجيب إلى ذلك.

وفى يوم الخميس ثامن عشره: خُلع على كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، واستقر فى الوزارة عوضا عن علم الدين إبراهيم بن قزوينة باستعفائه، و لم يتعرض لابن قزوينة بسوء.

وفيه استقر عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبى العز بن صالح المعروف بابن الكشك الدمشقى فى قضاء الحنفية بدمشق، بعد وفاة جمال الدين أبى الثناء محمود بن سراج الدين أحمد بن مسعود، المعروف بابن السراج.

وفى يوم السبت رابع عشره: ركب السلطان إلى لقاء والدته عند قدومها من الحج، ونزل بركة الحجاج ثم مضى إلى البويب(٢). فلما قدمت فى يوم الإثنين سادس عشره عاد إلى قلعة الجبل.

وفى يوم السبت حادى عشرينه: خلع على الأمير بهادر الجمالى، واستقر أمير آخور، عوضا عن الأمير بَكْتَمُر المؤمنى بعد وفاته، وخلع على الأمير تَلكتَمُر بن بركة، أستادار، عوضا عن بهادر الجمالى، واستقر الأمير أرغون شاه الأشرفى أمير مجلس، عوضا عن تلكتمر، وأنعم على الأمير جُلْبَان العلاى بإمرة طبلخاناة.

وخرج البريد بطلب الأمير أَقْتَمُر الصاحبى الحنبلى من الشام، فقدم فى رابع عشر صفر.

---

(١) الطينة بليدة بين القرم وتنيس من أرض مصر. معجم البلدان ٣/٣٥.

(٢) البويب: تصغير الباب، ثقب بين جبلين وهو مدخل أهل الحجاز إلى مصر. معجم البلدان ١/٧٦٤.

وفيه استقر كمال الدين التنسى[١] المالكى فى قضاء الإسكندرية، عوضا عن كمال الدين الريغى.

وفى أول شهر ربيع الأول: قدم الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن إلياس القونوى الحنفى، فخرج الأمير منكلى بغا الشمسى الأتابك إلى لقائه، وأنزله فى بيت بالمارستان، فأتاه الناس من كل جهة. وكان منقطع القرين فى الورع والصدع بالحق.

وفى ثالث ربيع الآخر: استقر الأمير كنجكجى المنصورى فى نيابة حماة، عوضا عن أيدمر الشيخى.

وفى رابعه: خلع على الصاحب شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر فى الوزارة، عوضا عن كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، مضافا إلى نظر الخاص.

وفى ثانى جمادى الآخرة: أخرج الأمير محمد بن قمار أمير شكار منفيا، واستقر عوضه الأمير جمال الدين عبد الله بن بَكْتَمُر الحاجب أمير شكار، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن قيران الحسامى، المعروف بابن شرف الدين، واستقر أمير طبر[٢]، عوضا عن شرف الدين موسى بن ديدار بن قرمان عند استعفائه، وخلع على الأمير نصرات، واستقر حاجبا عوضا عن أسنبغا.

وفى ثالثه: استقر الأمير كنول رأس نوبة.

وفى يوم الخميس رابع عشرين رجب: استقر علاء الدين على بن محمد بن على ابن عبد الله بن أبى الفتح بن هاشم المقدسى فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضا عن شرف الدين أحمد بن شيخ الجبل بعد وفاته.

وفى تاسع عشرينه: رسم الأمير أسندَمُر حرفوش بالجلوس وقت الخدمة بالإيوان.

وفى ثامن عشر شعبان: استقر الشريف بكتمر بن على الحسينى حاجبا، عوضا عن أقبغا اليوسفى. واستقر الأمير أرغون شاه الأشرفى رأس نوبة، عوضا عن الأمير بَشْتَاك العمرى بعد وفاته، واستقر الأمير أرغون الأحمدى اللالا أمير مجلس، عوضا عن أرغون

---

(١) التنسى: نسبة إلى تنس: مدينة بقرب مليانة بينها وبين البحر ميلان، وهى مسورة حصينة وبعضها على جبل وقد أحاط به السور، وبعضها فى سهل الأرض، وهى قديمة أزلية، وشرب أهلها من عين بها، وداخلها قلعة صعبة المرتقى ينفرد بسكناها عامل تنس لمنعتها. معجم البلدان ٣٨/٢، والروض المعطار ١٣٨، والإدريسى ٥٧/٨٣، والاستبصار ١٣٣، والبكرى ٦٢.

(٢) طبر موضوعها أن يكون صاحبها حاملاً الطبر فى الموكب ويحكم على من دونه من الطبردارية وعادتها إمرة عشرة.

شاه، وأنعم على الأمير طينال الماردينى بتقدمة ألف، وعلى الأمير علم دار بتقدمة ألف، واستقر أستادارا، واستقر الأمير محمد بن سرتُقَطَاى نقيب الجيش، عوضا عن أرغون بن قيران. واستقر الأمير شرف الدين موسى بن الأزْكَشِى شاد الدواوين، عوضا عن شرف الدين موسى بن الدينارى، واستقر ابن الدينارى حاجبا، عوضا عن علاء الدين ابن كلفت، واستقر الأمير آقبغا بن مصطفى جاشنكيرا عوضا عن الأمير ألطنبغا العلاى فرفور، واستقر الأمير جركس الرسولى أستادارا ثانيا، عوضا عن محمد بن طرغاى، واستقر الأمير طغاى تمر العثمانى أمير جاندار، عوضا عن الأمير أسندمر حرفوش، وخلع على الجميع.

واستقر الأمير تلكتَمُر من بركة فى نيابة صفد، عوضا عن الأمير جنتمر أخى طاز.

وقدم البريد بغلاء الأسعار بدمشق، وتجاوزت الغرارة القمح مائتى درهم، وفشت بها الأوبئة.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرين شوال: توجه قاضى الحنابلة بدمشق علاء الدين على ابن محمد إلى محل ولايته.

وفى رابع ذى القعدة: استقر علاء الدين على بن الرصاص فى قضاء الحنفية بصفد، وخلع عليه، وتوجه إلى ولايته.

وفى يوم الخميس خامس عشرينه: خلع على الصاحب فخر الدين ماجد بن تاج الدين موسى بن أبى شاكر وأعيد إلى الوزارة، عوضا عن شمس الدين أبى الفرج المقسى، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن إياز الدوادارى، واستقر كاشف الوجه البحرى، واستقر علاى الدين السنانى فى ولاية الغربية، عوضا عن قطلوبك صهر المزوق، واستقر بهادر والى العرب فى ولاية البهنسا(١)، واستقر ركن الدين عمر بن المعين والى البحيرة عوضا عن أَسَنْدَمُر الخضرى.

وفى يوم الإثنين ثامن عشرينه: رسم بتسمير نصرانى، اتهم أنه سحر خوند ابنة الأمير طاز وزوجة السلطان، فماتت بسحره، فسمر ووسط وأحرق بالنار.

واستقر نجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن الكشك فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن أبيه، برغبته له عن ذلك، واستقر برهان الدين أبو سالم إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى فى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن تقى الدين الأنفى.

---

(١) البهنسا مدينة بمصر من الصعيد. انظر معجم البلدان ٥١٦/١، ٥١٧.

وفى يوم الخميس تاسع ذى الحجة: استقر زين الدين أبو بكر على بن عبد الملك المازونى فى قضاء المالكية بدمشق، بعد وفاة جمال الدين المسلاتى.

وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه: قدم البريد بوفاة التاج عبد الوهاب بن السبكى قاضى القضاة بدمشق، فاستقر عوضه كمال الدين أبو القاسم عمر بن الفخر عثمان ابن هبة الله المعرى قاضى حلب، واستقر فى قضاء حلب عوض المعرى قاضى طرابلس فخر الدين عثمان بن أحمد بن عثمان بن أحمد الزرعى.

وأعيد الأمير ألطنبغا الشمسى إلى ولاية القلعة، وأخرج الأمير نصرات إلى الإسكندرية، وعمل بها حاجبًا، وأنعم على كل من الأمير منكوتَمُر عبد الغنى والأمير يلبغا المجنون بتقدمة ألف، وعلى كل من الأمير يلبغا الناصرى، والأمير ألطنبغا الشمسى، والأمير قطلو أقتمر العثمانى، والأمير آل ملك الصرغتمشى، والأمير عبد الرحيم بن الأمير منكلى بغا الشمسى، والأمير يَاوَرجى القوصونى، والأمير تغرى برمش بن أبجاى، والأمير تلكتَمُر الجمالى بإمرة طبلخاناه، وعلى كل من محمد بن قرا ابن كُلَيته، ورجب بن طيبغا المحمدى، وعبد الله بن محمد بن طرغاى، وصراى تمر المحمدى، ومنكلى بغا البلدى الأحمدى، ويلبغا المحمدى، وبكتمر العلمى، ومحمد شاه ابن الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص، وطيدمر الذهبى أمير شكار، وبكتاش بن قطليجا.

وفيها ولد للسلطان ولد ذكر سماه رمضان، وزينت القاهرة لولادته، ودقت البشاير، وذلك فى شهر رمضان.

وكان أمير الحاج علاء الدين على بن كَلَفْت، فأقام بمكة لعمارة مأذنة باب الحزورة[١]، وعاد بالحاج الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى، مقدم المماليك.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

الوزير الصاحب علم الدين إبراهيم بن قزوينة، المعروف بالحليق، فى ليلة الثلاثاء سابع شهر رجب.

---

(١) حزورة بالفتح ثم السكون وفتح الواو. ويقول ياقوت: إن الحزورة كانت سوق مكة وقد دخلت المسجد لما زيد فيه وهو أحد أبواب المسجد الحرام. معجم البلدان جـ٣، والروض المعطار ١٩٤، ١٩٥، ومعجم ما استعجم ٤١١/٢، والبكرى ٧٤.

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق شرف الدين أحمد بن قاضى الحنابلة بدمشق شرف الدين أبى الفضائل الحسن بن الخطيب شرف الدين أبى بكر عبد الله بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى ثم الصالحى الدمشقى، المعروف بابن قاضى الجبل الحنبلى، علامة وقته فى كثرة النقل وفقه الحنابلة، فى يوم الثالث عشر من رجب.

وتوفى قاضى المالكية بحماة ودمشق أبو الوليد سرى الدين إسماعيل بن البدر محمد ابن محمد بن هانى اللخمى الأندلسى بالقاهرة، برع فى العربية واللغة والأدب، وشرح التلقين فى النحو لأبى البقاء، وحدث بالموطأ.

ومات الأمير أروس بغا الخليلى أحد الطبلخاناه فى آخر شهر رجب.

ومات الأمير أسندَمُر الكاملى زوج خوند القُرْدُمية وأحد أمراء الألوف.

ومات الأمير آسن الصرغتمشى أحد الطبلخاناه، منفيا بدمشق.

ومات الأمير أقبغا اليوسفى الحاجب، فى شعبان بمدينة منفلوط[1]، وقد توجه إلى لقاء هدية صاحب اليمن[2]، وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير ألطنبغا العلاى الجاشنكيرى فرفور، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير بكتمر المؤمنى أمير آخور فى يوم الثلاثاء سابع عشر المحرم.

ومات الأمير بكتمر الأحمدى أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير تِنَبك الأزقى أحد الطبلخاناه ورأس نوبة ثانيا. وكان من الأبطال.

ومات الأمير طيبغا المحمدى أحد أمراء الألوف، فى صفر.

ومات قاضى قضاة دمشق تاج الدين عبد الوهاب بن قاضى قضاة دمشق تقى الدين على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصارى السبكى، فى يوم الثلاثاء سابع ذى الحجة بدمشق، عن أربع وأربعين سنة.

---

(١) منفلوط بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل. انظر معجم البلدان ٥/٢١٤، ٢٧.

(٢) اليمن: البلد المعروف الذى كان لسبأ فسمى يمنا لأنه عن يمين الكعبة، والحجاز حجازا لأنه حاجز بينهما، وقيل سمى اليمن ليمنه والشام لشؤمه، وقيل سمى اليمن يمنا بتيمن بن قحطان. انظر معجم البلدان ٥/٤٤٧، ٤٤٨، والروض المعطار ٦١٩، ومعجم ما استعجم ٤/ ١٤٠١.

وتوفى قاضى القضاة الحنفية وعالمهم زين الدين عمر بن الكمال أبى عمر عبد الرحمن بن أبى بكر البسطامى، ليلة الجمعة خامس عشرين جمادى الآخر بالقاهرة، ومولده فى جمادى سنة أربع وتسعين وستمائة، ودفن بالقرافة عند جده لأمه قاضى القضاة شمس الدين محمد السروجى.

وتوفى زين الدين عبد الله بن القوصى، أحد نواب القضاة الشافعية، فى ليلة الخميس سابع عشر جمادى الآخر.

وتوفى قاضى المالكية بدمشق جمال الدين محمد بن الزين عبد الرحيم بن على بن عبد الملك المسلاتى بالقاهرة، فى يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة؛ ودفن بتربة الصوفية خارج باب النصر.

وتوفى قاضى العسكر بدر الدين محمد بن أبى الفتح محمد بن عبد اللطيف بن يحيى ابن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكى، بطريق القدس، أو قد توجه لزيارته.

وتوفى الفقيه النحوى شمس الدين محمد بن الحسن بن محمد المالقى[1] المغربى المالكى بدمشق، وله شرح التسهيل فى النحو.

ومات الأمير محمد بن الأمير تنكز نايب الشام، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير محمد بن الأمير طرغاى أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير محمد الترجمان، أحد الطبلخاناه.

ومات شمس الدين موسى بن التاج أبى إسحاق عبد الوهاب بن عبد الكريم ناظر الجيش وناظر الخاص، بعد ما عزل، ووزر وزارة دمشق غير مرة. وهو من أبناء السبعين، بظاهر دمشق.

ومات الأمير الأكز الكشلاوى، الوزير الأستادار، وهو منفى بحلب فى ربيع الأول.

* * *

---

(١) محمد بن الحسن بن محمد المالقى نزيل دمشق فقيه مالكى، من الشيوخ شيوخ العربية فى عصره. له [شرح التسهيل] فى النحو و«شرح مختصر ابن الحاجب القرعى». انظر بغية الوعاة ٣٥ والدرر الكامنة ٤٢٤/٣ وكشف الظنون ٤٠٧ والأعلام ٨٧/٦.

سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة

فى يوم الإثنين ثانى عشر المحرم: استقر سعد الدين ماجد بن التاج أبى إسحاق فى وزارة الشام.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره: سافر زين الدين أبو بكر بن على بن عبد الملك المازونى - قاضى المالكية بدمشق - إلى محل ولايته.

وفى حادى عشرينه: أخرج الأمير يعقوب شاه الخازندار منفيا إلى ملطية[1].

وفى أول صفر: قدمت رسل الفرنج لطلب الصلح، فحلفوا على ألا يغدروا ولا يخزنوا، وخلع عليهم، وسافروا ومعهم من يحلف ملكهم، وأخذت منهم رهائن بالقلعة.

وفى شهر ربيع الأول: عزل الأمير شهاب الدين أحمد بن قنغلى من ولاية الجيزة بسؤاله، وارتجعت عنه إمرة طبلخاناه، وأنعم على طيبغا العمرى الفقيه بإمرة عشرة. واستقر محمد بن قرطاى الموصلى نقيب الجيش، عوضا عن أرغون بن قيران، ثم أعيد أرغون واستدعى محمد بن قمارى من غزة، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، واستقر أمير شكار على عادته.

وفى يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر: ركب السلطان للصيد، وعبر القاهرة من باب زويلة، ونزل إلى القبة المنصورية[2]، فزار جده وجد أبيه، وركب فخرج من باب النصر، وتصيد، وعاد يريد التوجه إلى الوجه القبلى، فقدمت له أرباب الأدراك تقادم جليلة.

وفى ليلة الخميس الخامس من جمادى الأولى: ظهر بالسماء على القدس ودمشق وحلب، حمرة شديدة جدا كأنها الجمر، وصارت فى خلل النجوم، كالعمد البيض حتى سد ذلك الأفق طول ليلة الخميس حتى طلع الفجر، فارتاع الناس، واشتد خوفهم، وباتوا يستغفرون الله ويذكرورنه.

---

(١) ملطية بلدة من بلادة الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥، ١٩٣.

(٢) القبة المنصورية، نسبة إلى السلطان المنصور قلاوون بها قبر يضم المنصور قلاوون وابنه الملك الناصرى محمد والملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون. انظر المقريزى: المواعظ ٢/ ٢٨٠.

وفى آخره: خلع على الأمير سيف الدين طشتمر العلاى، واستقر دوادارا بإمرة طبلخاناه، نقل إليها من الجندية بعد وفاة منكوتمر عبد الغنى الدوادار.

وفيه عادت رسل الفرنج ومعهم عدة ممن أسروهم من المسلمين نحو المائة.

وكان الوقت خريفا، فكثرت الأمراض فى الناس بالقاهرة، والوجه البحرى، وتجاوز عدد الأموات بالقاهرة ثمانين فى كل يوم.

وفى أول جمادى الآخرة: استقر شرف الدين عبد المنعم بن سليمان بن داود البغدادى الحنبلى، فى إفتاء دار العدل وتدريس مدرسة أم السلطان بخط[1] التبانة، عوضا عن بدر الدين حسن النابلسى بعد وفاته.

وفيه بعث الفرنج من بقى من أسرى المسلمين ببلادهم، وتم الصلح، وفتحت كنيسة القمامة بالقدس.

وفى ثالث عشرين شهر رجب: سار ركب الحجاج الرجبية إلى مكة.

وفى سابع شعبان: استقر بدر الدين عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الأخناى فى إفتاء دار العدل، عوضا عن تاج الدين محمد بن بهاء الدين بعد وفاته بعقبة أيلة[2] صحبة الرجبية.

وفى تاسعه: استقر علم الدين صالح الإسنوى موقع الحكم، واستقر فى وكالة الخاص، عوضا عن ابن بهاء الدين، واستقر بدر الدين الأقفهسى شاهد الأمير ألجاى اليوسفى عوضه فى شهادة الجيش، واستقر محب الدين السمسطاى فى نظر المارستان عوض ابن بهاء الدين.

وفى يوم الإثنين رابع عشر شعبان: خلع على الصاحب شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر وكيل الخاص عوضا عن علم الدين صالح، مضافا لما بيده.

وفى أول شهر رمضان: خلع على الأمير علم دار، واستقر فى نيابة صفد عوضا عن تَلَكْتَمُر الفقيه من بركة، وقدم تَلَكْتَمُر واستقر أستادارا عوضا عن علم دار.

---

(١) مدرسة أم السلطان: تقع هذه المدرسة خارج باب زويلة من قلعة الجبل أنشأتها الست حليلة بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين سنة ٧٧١هـ وعملت بها درس للشافعية ودرسا للحنفية وعلى بابها حوض ماء للسبيل، ودفن بها ابنها الملك الأشرف بعد قتله. المقريزى المواعظ ج٢/٣٣٩.

(٢) عقبة أيله: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٥/٢٩٢، ٢٩٤، والروض المعطار ٧٠، ٧١، ورحلة الناصرى ٢٠١، ٢٠٢.

وفى عاشر شوال: خلع على الأمير أرغون شاه، واستقر رأس نوبة بعد موت الأمير بَشْتَاك.

وفى سابع عشر ذى القعدة: خلع على الأمير طَيْدَمُر البالسى، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن عرام، وأنعم على ابن عرام بإمرة طبلخاناه بالقاهرة.

وفى رابع عشرينه: خلع على بدر الدين بن السكرى، واستقر فى قضاء الحنفية بالإسكندرية بعد موت ابن الزبيبة، وخلع على محمد بن سرتُقْطَاى، واستقر نقيب الجيش، عوضا عن أرغون بن قيران.

وفيه خلع أبو البقاء، خالد بن إبراهيم[1] بن أبى بكر متملك تونس، بعد إقامته فى الملك سنة وتسعة أشهر تنقص يومين، وقام بعده ابن عمه أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم، فى يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

قاضى الحنفية بثغر الإسكندرية شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن عمر الصالحى، عرف بابن زُبيّبة - تصغير زبيبة - فى خامس عشر ربيع الأول وهو أول من ولى من قضاء الحنفية بالإسكندرية.

ومات الأمير أرغون بن قيران السلارى نقيب الجيش فى جمادى الأولى.

ومات الأمير أسندمر حرفوش العلاى الحاجب، بعد ما أخرج إلى الشام، وأنعم عليه بإمرة ألف فى دمشق.

ومات الأمير على الماردينى نائب الشام وديار مصر، فى يوم الثلاثاء سابع المحرم، وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير بَشْتَاك العمرى رأس نوبة.

ومات الأمير جرجى نائب حلب، وهو أمير كبير بدمشق، فى صفر.

---

(١) خالد بن أبى إسحاق إبراهيم بن أبى بكر المتوكل بن يحيى. أبو البقاء: من ملوك الحفصين بتونس وليها صبيا على أثر وفاة أبيه (سنة ٧٧٠هـ) واستمر عاما وتسعة أشهر، والأمر فوضى، وللحاشية الحكم فثار عليه والى قسطينة أحمد بن محمد بن أبى بكر واعتقله ووجهه فى البحر إلى قسطينة فغرق فى الطريق انظر الخلاصة التقية ٧٧ والأعلام ٢/٢٩٤.

ومات الأمير جرجى البالسى، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير جَرْقُطْلو المظفرى، أحد العشرات.

ومات بدر الدين حسن بن محمد بن صالح بن محمد[١] بن محمد بن عبد المحسن النابلسى، الفقيه الحنبلى، مفتى دار العدل، ومدرس الحنابلة بمدرسة أم السلطان، فى رابع عشر جمادى الآخرة، توفى بالقاهرة.

ومات شرف الدين سالم بن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء، فى يوم الخميس رابع عشر شوال، بالقاهرة.

ومات الشيخ عبد الرحيم جمال الدين أبو محمد[٢] بن الحسن بن على بن عمر الأموى الإسنوى الشافعى، فجأة، ليلة الأحد ثامن جمادى الأولى، وقد انتهت إليه رياسة العلم. وأكثر من التصانيف فى الفقه وغيره.

وتوفى قاضى الحنفية بالمدينة النبوية، نور الدين على بن الفقيه عز الدين يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود الزرندى.

وتوفى علاء الدين على بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى، المعروف بابن الظريف، الفقيه المالكى، موقع الحكم، وأحد نواب المالكية، والمقدم فى عمل المناسخات، فى ليلة الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى.

ومات سراج الدين عمر بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات، موقع الحكم، فى ليلة الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير قُطْلو أَقتَمُر الناصرى رأس نوبة، فى ثامن عشر جمادى الأولى.

ومات تاج الدين محمد بن بهاء الدين المالكى، المعروف بابن شاهد الجمال، مفتى دار العدل، وشاهد الجيش، وناظر المارستان، ووكيل الخاص، فى أول شعبان، بمنزلة العقبة.

---

(١) الحسن بن محمد بن صالح المجاور القرشى النابلسى فاضل باحث، سمع بنابلس ومصر ودمشق، وولى إفتاء دار العدل بالقاهرة، وصنف «البرق الوميض فى ثواب العيادة للمريض» وسمعة الأيدار ونزهة الأبصار» وتحريم الفقيه» و«أخبار المهدى». انظر السحب الوابلة - خ، والأعلام ٢١٦.

(٢) عبد الرحيم بن الحسن بن على الإسنوى الشافعى أبو محمد، جمال الدين: فقيه أصولى، من علماء ولد بإسناد وقدم القاهرة سنة ٧٢١هـ فانتهت إليه رياسة الشافعية وولى الحسبة ووكالة بيت المال، ثم اعتزل الحسبة. من كتبه «المبهمات على الروضة - خ» فقه، (الهداية إلى أوهام الكفاية - خ) و«الأشباه والنظائر». انظر بغية الوعاة ٣٠٤ والبدر الطالع ٣٥٢/١ وخطط مبارك ٦٣/٨.

وتوفى شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد الزركشى، أحد أعيان الفقهاء الحنابلة، فى ليلة السبت رابع عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير منكوتمر عبد الغنى الأشرفى الدودار، فى يوم الجمعة ثالث عشرين جمادى الأولى.

ومات الشيخ أبو الظاهر تقى الدين محمد بن محمد إمام أهل الميقات، فى يوم السبت حادى عشرين شهر رجب.

ومات الشيخ المجذوب المعتقد ذو الكرامات العجيبة، أبو زكريا يحيى بن على بن يحيى الصنافيرى الأعمى، فى يوم الأحد سابع عشرين شعبان، وحزر[1] الجمع الذين صلوا عليه بمصلى خولان من القاهرة، فكان ينيف على خمسين ألفا.

وتوفى زين الدين عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم، أحد قراء السبع، وشيخ خانكاه بكتمر بالقرافة، فى سابع عشرين ربيع الآخر، أخذ القراءات عن التقى الصايغ.

ومات الأمير آروس النظامى أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير أَزْدَمُر الصفوى الجوكندار.

وتوفى الطبيب الفاضل جمال الدين يوسف الشوبكى، فى تاسع عشر جمادى الأولى. والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) الحزر هو التقدير أو عد الشيء بالحدس. انظر (لسان العرب).



سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة

فى أول المحرم: استقر الأمير أيدمر الدوادار فى نيابة حلب، عوضا عن أَشَقْتَمُر الماردينى.

وفى صفر: طُلب شمس الدين محمد الركراكى المغربى من فقهاء المالكية إلى مجلس الأمير الكبير ألجاى، وادعى عليه بقوادح توجب إراقة دمه، فتعصب له قوم، وتعصب عليه آخرون.

وكثرت زيادة النيل، فنودى عليه فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر ربيع الأول، وهو خامس عشرين توت، أربعة أصابع لتتمة إصبعين من عشرين ذراعا، ثم زاد بعد ذلك عدة أيام، فلم يناد عليه، فإنه فاض حتى تقطعت الطرقات، وتأخرت الزراعة، ثم نقص قليلا، وثبت حتى مضى من هاتور عدة أيام، فاجتمع الناس بجامع عمرومن مدينة مصر، والجامع الأزهر بالقاهرة، ودعوا الله لهبوط النيل عدة مرار، فهبط وزرع الناس على العادة.

وركب السلطان للعب بالكرة فى الميدان الكبير بشاطئ النيل خمس سبوت متوالية ولم يتقدمه لذلك أحد، وإنما العادة أن يكون الركوب بعد وفاء النيل إلى الميدان فى ثلاثة سبوت متوالية.

وفى يوم الإثنين أول جمادى الأولى: ضرب عنق بعادة مشارف ديوان المواريث الحشرية، لقوادح أوجبت إراقة دمه شرعا.

وفى هذا الشهر: تنجز لقاضى القضاة سراج الدين عمر الهندى الحنفى مرسوما بأن يلبس الطرحة، ويستنيب عنه قضاة فى أعمال مصر قبليها وبحريها، ويفرد له مودعا لأموال يتامى الحنفية، كما يفعل قاضى القضاة الشافعى، فشغله الله عن إتمام ذلك بمرض نزل به، فلزم الفراش حتى مات.

وفيه أيضًا جرى بين قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء الشافعى، وبين قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم الأخناى المالكى، كلام فى مسألة، وكان أبو البقاء بحر علم لا يدركه الدلاء، والأخناى بضاعته فى العلم مزجاة، فأنجز الكلام إلى أن قال أبو البقاء: «لو كان مالك حيا لناظرته فى هذه المسألة». فعد الأخناى ذلك خروجا من

بهاء الدين وقال: «إيش أنت حتى تذكر مالكا؟، وا لله لو كان غيرك لفعلت به كذا» يعنى القتل، وهجره. فاتفق عن قريب عزل أبى البقاء، فطار البرهان كل مطار، وعد هو وأصحابه ذلك من كرامات الإمام، رحمه ا لله.

وفى يوم الإثنين ثامنه: كانت الخدمة السلطانية بدار العدل من القلعة، وحضر قضاة القضاة على العادة، ثم انقضت الخدمة، فمضى القضاة على عادتهم، وجلسوا بالجامع من القلعة، إذ أتاهم رجل من عند السلطان وأسر إلى أبى البقاء، ثم التفت إلى بقية القضاة وبلغهم عن السلطان، أنه قد عزل أبا البقاء، وأمره أن يلزم بيته، فانفضوا على ذلك، وخرج البريد بطلب خطيب القدس، برهان الدين إبراهيم[1] بن عبد الرحيم بن جماعة، فقدم فى يوم الأحد خامس جمادى الآخرة، ودخل على السلطان، فبالغ فى إكرامه وخلع عليه، وولاه قضاء القضاة، عوضا عن أبى البقاء، فنزل وبين يديه حاجبين من حجاب السلطان. و لم يتقدم لأحد من القضاة، قبله أن تركب معه الأمراء، وركب معه أيضًا الأعيان، فكان يوما مشهودا.

وكانت مدة عطلة الناس من ولاية قاضى القضاة سبعة وعشرين يوما، وقد وقع مثل ذلك فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون[2]، تعطلت القاهرة من بعض قضاة القضاة سبعة وعشرين يوما.

ووقع نظير ذلك فى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة فى الأيام الظاهرية خشقدم – يبقى ا لله عهده – عند عزله قاضى القضاة بدر الدين أبو السعادات محمد بن تاج الدين البلقينى الكنانى الشافعى، وطلب السلطان الشيخ أبى يحيى زكريا السبكى الأنصارى الشافعى ليوليه وظيفة القضاء، فاختفى عند طلبه، وشغر منصب القضاء سبعة وعشرين يوما، ثم ظهر بعد ذلك، وطلب إلى عند السلطان هو والشيخ كمال الدين محمد بن إمام الكاملية، وعرض عليهما وظيفة القضاء، وسألهما السلطان فى ذلك، فأصرا على عدم الدخول فى ذلك، وسعى جماعة فلم يجابوا إلى شىء، فاستشار السلطان الشيخ

---

(١) إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة الكنانى، أبو إسحاق برهان الدين، الحموى الأصل، المقدسى الشافعى: مفسر من القضاة عرفه صاحب الأنس الجليل بقاضى مصر والشام وخطيب الخطباء وشيخ الشيوخ، وكبير طائفة الفقهاء. ولد بمصر ونشأ بدمشق وسكن القدس وولى قضاء الديار المصرية مرارا (وتوفى شبه فجأة). انظر الأنس الجليل ٢/٤٥٢ والدرر الكامنة ١/٣٨ والشذرات ٦/٣١١ والأعلام ١/٤٦.

(٢) محمد بن قلاوون عبد ا لله الصالحى، أبو الفتح: من كبار ملوك الدولة القلاوونية كانت إقامته فى طفولته بدمشق، وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٣هـ، وهو صبى، وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤هـ مورد اللطافة ٤٤ وابن الوردى ٢/٣٣٠ والنجوم الزاهرة ٨/٤١، ١١٥ والأعلام ٧/١١.

أمين الدين يحيى بن الأقصرى[1] الحنفى فيمن يوليه، فأشار بولاية الشيخ ولى الدين أبى الفضل أحمد بن أحمد السيوطى الشافعى، أحد خلفاء الحكم العزيز، وذكر الشيخ أمين المذكور أنه أصلح الموجودين، فطلب ولى الدين المذكور، وخلع عليه، واستقر فى وظيفة القضاء، وسار سيرة حسنة بالنسبة إلى مستنيبه القاضى المنفصل، و لله الأمر من قبل ومن بعد.

وفى يوم الخميس رابع عشر شهر رجب: دار محمل الحاج على العادة فى كل سنة، فاستدعى صدر الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن علاء الدين على التركمانى قاضى العسكر، وخلع عليه، واستقر قاضى القضاة الحنفية، عوضا عن السراج عمر الهندى. ونزل والمحمل والقضاة وغيرهم وقوف بالرميلة تحت القلعة، كما هى العادة، فوقف معهم ثم مضى فى موكب المحمل حتى انقضى دورانه، فكان يوما مشهودا.

وفى يوم الإثنين ثامن عشرة: خلع على الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الصائغ[2] الحنفى، واستقر قاضى العسكر عوضا عن صدر الدين محمد التركمانى، وأضيف إليه أيضًا تدريس الحنفية بالجامع الطولونى، عوضا عن السراج الهندى، واستقر جلال الدين جار الله فى تدريس الحنفية بالمدرسة المنصورية، عوضا عن حميه السراج الهندى.

وفى شعبان: على الشيخ سراج الدين عمر[3] البلقينى، واستقر فى قضاء العسكر عوضا عن الشيخ بهاء الدين أحمد بن السبكى بعد موته، واستقر فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الإمام الشافعى - رحمه الله - من القرافة، وتدريس الشافعية

---

(١) يحيى بن محمد بن إبراهيم، أبو زكريا، أمين الدين الأقصرائى: فاضل من الحنفية. تركى الأصل من بلدة أقصر (آق سراى) مولده ووفاته بالقاهرة. أقرأ وأفتى وله مرويات منها أربعين حديثا عن أربعين شيخا. انظر الضوء اللامع ٢٤٠/١٠ - ٢٤٣ وفيه ١١- ١٨٥ والأعلام ١٦٨/٨.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن على، شمس الدين الحنفى الزمردى بن الصائغ: أديب، من العلماء، مصرى ولى آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل، ودرس بالجامع الطولونى. من كتبه التذكرة فى النحو، عدة مجلدات. انظر بغية الوعاة ٦٥ والدرر الكامنة ٤٩٩/٣ وشذرات الذهب ٢٤٨/٦ والفوائد البهية ١٧٥ والأعلام ١٩٣/٦.

(٣) عمر بن رسلان بن نصر بن صالح الكنانى العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص سراج الدين: مجتهد للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة من كتبه (التدريب- خ) فى الفقه ٥١/٧ انظر الأعلام ٤٦/٥.

بالمدرسة المنصورية بين القصرين من القاهرة، قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء. واستقر فى إفتاء دار العدل كمال الدين أبو البركات بن السبكى، وخلع عليه فى يوم الخميس ثالث عشره، واستقر الشيخ ضياء الدين عبيد الله بن سعد القرمى فى تدريس الشافعية بخانكاه شيخو، وحضر معه القضاة والأعيان، وعدة من الأمراء، منهم الأمير الكبير منكلى بغا الشمسى الأتابك والأمير أرغون اللالا، والأمير تلكتمر الفقيه أستادار السلطان، والأمير أرغون شاه رأس نوبة، والأمير طشتمر الدوادار، فى آخرين، ومد سماط عظيم بالخانكاه، فكان يوم مشهودا، ثم انفضوا بعد ما ألقى الدرس وأكلوا السماط.

وفى هذا الشهر: ألزم الأشراف بأن يتميزوا بعلامة خضراء فى عمائم الرجال وأزر النساء، فعملوا ذلك واستمر، وقال فى ذلك الأديب شمس الدين محمد بن أحمد بن جابر الأندلسى:

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة فى كريم وجوههم ... يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وقال الأديب المنشئ زين الدين طاهر بن حبيب الحلبى:

ألا قل لمن يبغى ظهور سيادة ... تملكها الزَّهْرُ الكرام بنو الزَّهرا

لئن نصبوا للفخر أعلام خُضرةٍ ... فكم رفعوا للمجد ألوية حُمرا

وفيها استقر شهاب الدين أحمد بن العماد محمد بن محمد بن المسلم بن علان القيسى فى كتابة السر بحلب، بعد وفاة علاء الدين على بن إبراهيم بن حسن بن تميم.

* * *

ومات فيها من الأعيان ممن له ذكر

الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن تقى الدين أبى الحسن على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصارى السبكى الشافعى، بمكة، ليلة الخميس سابع رجب.

ومات الأمير أيدَمُر الشيخى، أحد أمراء الألوف ونائب حماة، بعد ما أقام بحلب.

ومات قاضى القضاة سراج الدين عمر بن إسحاق[1] بن أحمد الغزنوى الهندى

---

(١) عمر بن إسحاق بن أحمد الهندى الغزنوى، سراج الدين، أبو حفص فقيه من كبار الأحناف له كتب منها «التوشيح» فى شرح الهداية فقه و«الغرة المنفية وترجيح مذهب أبى حنيفة - ط» انظر الفوائد البهية ١٤٨ والدرر الكامنة ١٢٤/٣ ومفتاح السعادة ٥٨/٢ وكشف الظنون ١١٩٨ والأعلام ٤٢/٥.

الحنفى، فى ليلة الخميس سابع رجب، الليلة التى مات بها ابن السبكى بمكة.

ومات كمال الدين أبو الغيث محمد بن تقى الدين عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر، المعروف بابن الصايغ، الأنصارى الدمشقى الشافعى، قاضى حمص، عن بضع وأربعين سنة.

ومات الأديب يحيى بن زكريا بن محمد بن يحيى بن الخباز العامرى الحموى، وهو من أبناء الثمانين، بدمشق.

ومات تقى الدين أبو بكر بن محمد العراقى، أحد فقهاء الحنابلة، فى ثامن عشرين جمادى الأولى.

ومات الفقير المعتقد عبد الله درويش، فى سابع عشر رجب.

ومات الأمير أسنبغا التَلَكسى أحد العشرات.

ومات الأديب الشاعر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عثمان بن شيحان، المعروف بابن المجد البكرى التيمى القرشى البغدادى، فى عاشر شهر رمضان بمنية بنى خصيب[1]. والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

(١) بمنية بنى خصيب مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٥/٢١٨.



سنة أربع وسبعين وسبعمائة

وفيها استقر الأمير قُرُطاى الكركى شاد العماير[1] فى كشف الوجه القبلى، واستقر شاد العماير عوضه أسنبغا البهادرى، واستقر محمد بن قيران الحسامى، فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن عثمان الشرفى، واستقر قُطلوبغا العزى أمير علم. واستقر قرابغا الأحمد أمير جاندار، واستقر تمراز الطازى حاجبا صغيرا، واستقر شهاب الدين أحمد بن شرف الدين موسى بن فياض بن عبد العزيز بن فياض المقدسى قاضى القضاة الحنابلة بحلب، عوضا عن أبيه برغبته له، واستقر شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر فى كتابة السر بحلب، عوضا عن ابن علان بعد وفاته.

وفيها فشت الطواعين ببلاد الشام مدة ستة أشهر.

وفيها استقر الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى فى نيابة غزة، عوضا عن طيدَمُر البالسى.

وفى يوم الإثنين جمادى الأولى: ضرب البرهان الأخناى قاضى القضاة المالكية عنق رجل؛ لوقوعه فيما أوجب ذلك.

وفى عشرينه: تقدم الأمير الكبير ألجاى اليوسفى بألا يجلس فى كل حانوت من حوانيت الشهود سوى أربعة، وأمر قضاة القضاة ألا يجلس كل قاض من الشهود إلا من كان على مذهبه، فانحصر الشهود من ذلك، ثم تنجزوا مرسوم السلطان بإعادتهم إلى ما كانوا عليه، فبطل ذلك.

وفى يوم الأحد أول جمادى الآخرة: قدم قود الأمير منجك نائب الشام وفيه أسدان، وضبع، وإبل، وثمانية وأربعون كلبا سلوقيا، وأربعون فرسًا، وخمسون بقجة قماش، وقطاران بخاتى[2] بقماشها الفاخر، وأربعة قط بخاتى بقماش دون قماش القطارين الأولين، وخمس جمال بخاتى، لكل واحد منها سنامان، وقماشها من حرير، وستة قطر جمال عراب، بقماشها، وأربعة وأربعون هجينا، وثلاثة قباقيب نساوية من ذهب، فيها

(١) العمائر: وموضعها أن يكون صاحبها متكلمًا والعمائر السلطانية مما يختار السلطان إحداثه أو تجديده من القصور، والمنازل والأسواق، وهى إمرة عشرة.

(٢) البخت: والبختية: دخيل فى العربية، أعجمى معرب، وهى الإبل الخراسانية، تنتج من بين عربية وفالج؛ وبعضهم يقول: إن البخت عربى. انظر لسان العرب.

اثنان مرصعان بالجوهر، قيمتها مائة وخمسون ألف درهم، عنها نحو ثمانية آلاف مثقال من الذهب، وعدة قناديل[١] من حرير مزركش، بتراكيب مرصعة من الجوهر من ملابس النساء، وعدة كنابيش[٢] زركش، وعرقيات[٣] زركش برسم الخيل وعدة عبى من حرير، وكثير من أحمال الحلاوات والفواكه والأشربة، والنخللات، فاستكثر ذلك.

وفيه أنعم على الأمير منكلى بغا الأحمدى بتقدمة ألف، وعلى سلطان شاه بإمرة طبلخاناه، واستقر الأمير يلبغا الناصرى الخازندار شاد الشراب خاناه، عوضا عن منكلى بغا الأحمدى، واستقر تلكتَمُر خازندار.

وفى ثانيه: عرضت مماليك الأمير الكبير الأتابك منكلى بُغا الشمسى على السلطان بعد موته، وهم مائتان وواحد، فجعلهم فى خدمة ولده أمير على.

وفيه ورد قود الأمير أَشَقْتَمُر المارديني نائب طرابلس، وهو خمسة وعشرون فرسا، وخمسة وعشرون بقجة قماش، ولكل من ولدى السلطان - أمير على وأمير حاجى - أربعة أفراس وأربع بقج، فأنعم عليه بنيابة حلب، عوضا عن الأمير عز الدين أزدَمُر الدوادار، ونقل أيدمر إلى نيابة طرابلس، واستقر الأمير ألجاى اليوسفى أتابك العساكر وناظر المارستان، عوضا عن الأمير منكلى بغا الشمسى، فسأل قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة فى التحدث عنه فى نظر المارستان فلم يقبل، فولى الصاحب كريم الدين شاكر بن إبراهيم بن غنام فى نيابة النظر عنه بالمارستان[٤]، كل ذلك والسلطان بسرحة البحيرة، على عادته فى كل سنة.

فلما قدم السلطان من السرحة، وقع فى ليلة الأحد تاسع عشرينه بالدور السلطانية من قلعة الجبل حريق عظيم تمادى عدة أيام، والخلائق فى إطفائه، حتى قيل إنه صاعقة سماوية، وضاق صدر السلطان بسببه.

وفى يوم الثلاثاء أول شهر رجب: عرض الشريف فخر الدين محمد بن على بن حسين - نقيب الأشراف - عامة الأشراف لتحدث الشريف بدر الدين حسن بن النسابة بأن النقيب أدخل فى الأشراف من ليس بشريف ثابت النسب، وقدح فيه بسبب ذلك، فرسم على النسابة حتى يثبت ما رمى به النقيب.

(١) جمع قندورة وهى نوع من الثياب أو القمصان.

(٢) كنابيش وكنافيش لفظ عامى مفرد كنفوش وهو تحريف كنبوش، ومعناه البرذعة تجعل تحت سرج الفرس.

(٣) عرقيات جمع عرقية وهى رداء للرأس طربوش يشبه فى شكله قمع السكر ويفهم من المتن أنه كانت تغطى بها رءوس الخيل.

(٤) وظيفة ناظر المارستان، وموضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه ناظر المارستان.

وفى ثالثه: استقر الأمير كَجَك أمير سلاح، عوضا عن الأمير أُلجاى اليوسفى.

وفيه خلع ما استجده السلطان عند قدومه كل سنة من سرحة البحيرة من الخلع على الأمراء الألوف، وهى أقبية حرير بفرو سمور، وأطواق سمور بزركش، وعلى أمراء الطبلخاناه والعشرات أقبية حرير بطرز زركش، منها ما تحته فرو قاقم، ومنها ما فروه سنجاب. واستجد فى هذه السنة خلعة للأمير سابق الدين مقدم المماليك، وهى قباء حرير أزرق بطرز زركش عريض، فخلع عليه ذلك، و لم يتقدم قبله لأحد من مقدمى المماليك مثل هذا.

واستقر الأمير أحمد بن جميل فى ولاية الغربية، والأمير علم دار المحمدى فى نيابة صفد، عوضا عن موسى بن أرقطاى.

وفى يوم الخميس ثانى شعبان: استقر الأمير صلاح الدين خليل بن عرام فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن شرف الدين موسى بن الأزكشى.

وفى هذا الشهر: قصد الأمير ألجاى أن يجدد بالمدرسة المنصورية بين القصرين من القاهرة منبرًا، ويقرر بها خطيبا لتقام بها الجمعة، فأفتاه سراج الدين عمر البلقينى من الشافعية، وشمس الدين محمد بن الصايغ من الحنفية بجواز ذلك، وأنكره من عداهما من الفقهاء لقرب المدرسة الصالحية - وبها خطبة للجمعة - بحيث يرى من المنصورية منبر الصالحية، وكثر الكلام فى ذلك، فعقد مجلس فى يوم السبت سادس عشرينه، اجتمع فيه القضاة والفقهاء بالمدرسة المنصورية لهذا، فجرى بينهم نزاع طويل، آل أمره إلى المنع من تجديد الخطبة، وانفضوا على أحن[1] فى نفوس من أفتى بالجواز على من منع فى الجواز.

---

(١) أحن: الإحنة: الحقد فى الصدر، وأحن عليه أحنا وإحنة وأحن (الفتح عن كراع) وقد آحنة، التهذيب: وقد أحنت إليه آحن أحنا وآحنته مؤاحنة من الإحنة، وربما قالوا حنة؛ قال الأزهرى: حنة ليس من كلام العرب، وأنكر الأصمعى والفراء حنة، وقال ابن الفرج: أحن عليه ووحن من الإحنة، ويقال: فى صدره على إحنة أى حقد، ولا تقل حنة، والجمع إحن وإحنات، وفى الحديث: وفى قلوبكم البغضاء والإحن، وأما ذوى الحنات، فهى جمع حنة، وهى لغة قليلة فى الإحنة، وقد جاءت فى بعض طرق حديث حارثة بن مضرب فى الحدود: ما بينى وبين العرب حنة، وفى الحديث: لا يجوز شهادة ذى الظنة والحنة، هو من العدواة؛ وفيه: إلا رحل بينه وبين أخيه حنة؛ وقد أحنت عليه، بالكسر؛ قال الأقبيل القينى:

تـــى ما يســو ظـن امـرئ بصـديقـه   صـدق بـلاغــات يـــجنه يقينـــها

فلا تستثرها سوف يبدو دفينها

يقول: لا تطلب من عدوك كشف ما فى قلبه لك فإنه سيظهر لك ما يخفيه قلبه على مر الزمان؛=

وفى يوم الخميس تاسع عشر شوال: خلع على الشريف عاصم، واستقر نقيب الأشراف، عوضا عن السيد فخر الدين، لما رمى به من أخذ الرشوة على إدخال من ليس بثابت النسب فى جملة الأشراف، وذلك بعناية الأمير الكبير أجاى بعاصم.

وفى الثلاثاء سادس عشر ذى القعدة: ركب السلطان من قلعة الجبل إلى رباط الآثار النبوية[1]، خارج مدينة مصر للزيارة، ثم توجه لعيادة أمه بالروضة، فأقام عندها على شاطئ النيل حتى عاد إلى القلعة فى يوم الخميس ثامن عشره.

وفيه استقر الأمير أرغون العزى شاد الدواوين، عوضا عن شرف الدين موسى بن الدينارى، واستقر أبو بكر القرمانى فى ولاية الغربية، عوضا عن أحمد بن جميل، واستقر فخر الدين عثمان الشرفى والى الجيزة.

وفى يوم الإثنين عشرين ذى الحجة: أعيد الشريف فخر الدين إلى نقابة الأشراف، وعزل الشريف عاصم الحسينى، واستقر الصاحب كريم الدين شاكر بن إبراهيم بن غنام فى الوزارة، عوضا عن فخر الدين ماجد بن موسى بن أبى شاكر، وخلع عليه، واستقر علم الدين عبد الله بن الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام فى نظر البيوت، عوضا عن أبيه.

وفى ثالث عشرينه: خلع على الوزير كريم الدين بن الرويهب، واستقر فى نظر الدولة، فرسم له الصاحب كريم الدين بن غنام أن يجلس مقابله بشباك قاعة الصاحب من القلعة إجلالاً له، فإنه جلس بالشباك المذكور وهو وزير، فصارا يجلسان معا به.

وفيه خلع على جمال الدين عبد الرحيم بن الوراق الحنفى مؤدب ولدى السلطان، واستقر فى نظر الخزانة الكبرى[2]، وخلع على تاج الدين النشو المالكى، واستقر فى استيفاء الصحبة[3].

=وقيل: قبل قوله:

ذا كان فى صدر ابن عمك إحنة ذا صفحة المعروف ولستك جانبًا
فخذ صفوها لا يختلط بك طينها

والمؤاحنة: المعاداة؛ قال ابن برى: ويقال آحنته مؤاحنة. انظر لسان العرب ٣٥.

(١) يقع ربط الآثار النبوية خارج مصر بالقرب من بركة الحبش، وهو مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق، وقيل له رباط الآثار؛ لأن فيه خشب يقال إن ذلك من آثار الرسول ﷺ وأن ابن الأشرف شعبان قرر فيه درسا للفقهاء الشافعية. خطط المقريزى ٤٢٩/٢.

(٢) يقصد بالخزانة الكبرى السلطانية وكانت بقلعة الجبل، والنظر فيها كان من الوظائف الجليلة. المواعظ ٢٢٧/٢.

(٣) استيفاء الصحبة وظيفة جليلة القدر وصاحبها ليحدث فى جميع المملكة مصرًا وشامًا ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان. صبح الأعشى ٢٩/٤.

وفى سابع عشرينه: أخرج الأمير محمد بن أياز الدوادارى نقيب الجيش منفيًا إلى الشام.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الصارم إبراهيم بن خليل بن شعبان الرمحدار فى ذى القعدة.

وتوفى كاتب السر بحلب، شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن المسلم بن علاء القبيسى.

وتوفى من فقهاء الحنابلة بالقاهرة الشهاب أحمد العباسى سبط فتح الدين القلانسى المحدث، فى حادى عشرين جمادى الأولى.

ومات من فقهاء الشافعية الشهاب أحمد بن عبد الوارث البكرى، فى سابع عشرين رمضان.

ومات الأمير أرغون ططر الناصرى رأس نوبة، بعد ما نفى بحماة فى المحرم.

وتوفى خطيب حلب، شهاب الدين أحمد بن محمد بن جمعة بن أبى بكر الأنصارى الحلبى، الفقيه الشافعى عن ست وسبعين سنة بحلب، وله رحلة إلى القاهرة.

وتوفى الشيخ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن الخطيب شهاب الدين عمر(١) بن كثير بن ضو بن كثير القرشى الشافعى، الإمام المفسر المحدث، الواعظ الفقيه، فى يوم الخميس سادس عشر شعبان، بدمشق، عن أربع وسبعين سنة.

وتوفى بدر الدين حسن بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبى طالب بن على، مستوفى ديوان الجيش، يقال إنه من لخم، فى يوم العشرين من جمادى الأولى. كانت له مروءة غزيرة ومكارم مشهورة.

وتوفى الشيخ ولى الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم الملوى الدمياجى الشافعى ذو الفنون بالقاهرة، فى ليلة الخميس خامس عشرين ربيع الأول، عن بضع وستين سنة، وحزر الجمع فى جنازته بثلاثين ألف رجل.

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشى والبصرى ثم الدمشقى، أبو الفداء، عماد الدين حافظ مؤرخ فقيه. ولد وقرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ ورحل فى طلب العلم، وتوفى بدمشق.

وتوفى الشيخ العارف المُسَلك بهاء الدين محمد الكازرونى، فى ليلة الأحد خامس ذى الحج، بزاويته التى يقال لها المشتهى بالروضة[١]، أخذ عن أحمد الحريرى خادم ياقوت الحبشى خادم أبى العباس المرسى، عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى، وصحبه زمانا.

وتوفى تقى الدين محمد بن الجمال رافع بن هجرس[٢] بن محمد بن شافع السلامى المصرى، الفقيه الشافعى المحدث، عن سبعين سنة بدمشق، يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى.

ومات الأديب البارع الفقيه شمس الدين محمد بن محمد[٣] بن عبد الكريم بن رضوان الموصلى، بطرابلس، فى جمادى الآخرة، عن خمس وسبعين سنة.

وتوفى ناظر الجيش بحلب، بدر الدين محمد بن محمد بن الشهاب محمود بن سليمان الحلبى، بها، عن خمس وسبعين سنة.

ومات الأمير منكلى بغا الشمسى الأتابك، فى جمادى الأولى.

ومات الأمير موسى بن الأمير أرقطاى نائب صفد.

ومات الشيخ يحيى بن الرهونى المالكى، فى ليلة الأربعاء، ثالث ذى القعدة.

ومات الأمير أَلْطُنبغا الماردينى أحد العشرات.

ومات الفقير المعتقد عبد الله بن عمر بن سليمان المغربى، المعروف بالسبطير، بالجامع الأزهر، فى ثانى عشرين صفر.

ومات ناصر الدين محمد الزفتاوى، المعروف بسباسب، رئيس المؤذنين وقد اختص بالسلطان، فى عاشر شهر رجب.

وتوفيت خوند بركة أم السلطان، فى يوم الثلاثاء آخر ذى القعدة، وهى التى بنت

---

(١) زاوية المشتهى بالروضة، هذا الرباط بروضة مصر يطل على النيل. المواعظ ج٤٢٨/٢.

(٢) محمد بن رافع بن هجرس بن محمد السلامى العميدى أبو المعالى، تقى الدين مؤرخ، فقيه، من حفاظ الحديث حورانى الأصل. ولد فى مصر، وانتقل به أبوه إلى دمشق سنة ٧١٤هـ وتوفى والده، فأخذ يتردد بين مصر والشام، واستقر فى دمشق سنة ٧٣٩هـ وتوفى بها. من تصانيفه «المعجم» فى أربع مجلدات. انظر الدرر الكامنة ٤٣٩/٣ وشذرات الذهب ٢٣٤/٦ والكتبخانة ١٧٥/٥ والأعلام ١٢٤/٦.

(٣) محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلى يتسمى الدين، ابن الموصلى أديب، عالم بالفقه فى بعلبك وتعلم بها وبدمشق وحماة، وتوفى بطرابلس. من كتبه «بهجة المجالس وررونق المجالس» خمس مجلدات. انظر الدرر الكامنة ٢٤٣/٤ وفهرس الفهارس ٢٨٦/١ والأعلام ٤٠/٧.

المدرسة المعروفة بمدرسة أم السلطان، بخط التبانة، قريبا من قلعة الجبل، وبنت الربع المعروف بربع أم السلطان[١]، وقيسارية الجلود[٢] التى تحت الربع المذكور، بخط الركن المخلق، وكانا فى جملة أوقاف مدرستها هذه حتى أخذهما الأمير جمال الدين يوسف الأستادار فيما أخذ من الأوقاف والأملاك، وهما الآن وقف على مدرسته التى أنشأها بخط رحبة باب العيد؛ ومن غريب الاتفاق أن الأديب شهاب الدين أحمد السعدى قال فى موتها:

فى مستهل العشر من ذى الحجـ ـة كانت صبيحة موت أم الأشرف
فالله يرحمها، ويعظم أجره يكون عاشورا موت اليوسفى

يعنى الأمير أُلجاى اليوسفى زوجها، فكان كذلك، ومات يوم عاشوراء، كما سيأتى إن شاء الله تعالى.. أنشدنى البيتين المذكورين صاحبنا صارم الدين إبراهيم[٣] ابن دقماق، قال: «أنشدنيهما الأديب شهاب الدين أحمد الأعرج السعدى».

ومات ملك المغرب صاحب فاس، عبد العزيز[٤] بن السلطان أبى الحسن[٥] على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، ليلة الثانى والعشرين من ربيع الآخر، وأقيم بعده ابنه السعيد محمد بن عبد العزيز أبى الحسن.

* * *

---

(١) ربع أم السلطان أنشأته خوند أم السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد قلاوون بعلو قيسارية الجلود بخط الركن المخلق وهذا الربع كان يسكنه العامة ويشتمل على عدة طباق. انظر المواعظ والاعتبار ٢/٧٩.

(٢) قيسارية الجلود بخط الركن المخلق، أنشأتها خوند أم الملك الأشرف شعبان بن حسين بخط الركن المخلق يباع بها الجلود ويعلوها ربع حليل لكن للعامة. انظر المواعظ ٢/٧٩.

(٣) إبراهيم بن محمد بن أيدمر دقماق القاهرى صارم الدين: مؤرخ الديار المصرية فى وقته كتب مائتى سفر فى التاريخ، من تأليفه ومنقوله وكان معروفًا بالإنصاف فى تواريخه، موصوفا بحسن العشرة والميل إلى الفكاهة والبعد عن الوقيعة فى الناس، ومن تصانيفه (نظم الجمان – خ) فى طبقات الحنفية. انظر الدرر الكامنة ١/١٤٥ والفهرس التمهيدى ٣٨٠، ٤٤٢ وآداب اللغة ٣/١٧٤ والأعلام ١/٦٤.

(٤) عبد العزيز بن على بن عثمان المرينى، أبو فاس من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. قال السلاوى: هو الذى أنعش دولة بنى مرين بعد تلاشيها. كان فيما قبل توليه بفاس الجديدة، فى المعتقل، بأمر الوزير عمر بن عبد الله القودودى، وكان هذا الوزير قد استبد بدولة آل مرين يعزل ملكًا ويولى آخر محتفظًا لنفسه بالسلطة. انظر الاستقصا ٢/١٢٩ – ١٣٢ وجذوه الاقتباس ٢٦٨ والحلل الموشية ١٣٥ والأعلام ٤/٢٢.

(٥) محمد بن عبد العزيز بن أبى الحسن على بن عثمان المرينيى أبو زيان، السلطان السعيد بالله: من ملوك بنى مرين فى المغرب. بويع له بعد وفاة أبيه سنة ٧٧٤هـ وهو طفل فى نحو الخامسة من عمره، وكفل الوزير أبو بكر بن غازى بن الكاس، وأقبلت وفود الأمصار على فاس الجديدة تبايعه كالعادة. انظر الاستقصا ٢/١٣٣ والحلل الموشية ١٣٥ وجذوة الاقتباس ١٣٠.

سنة خمس وسبعين وسبعمائة

فى أول المحرم: خلع على الأمير علاء الدين على بن كَلَفت، واستقر حاجبا.

وكانت عادة الأمير ألجاى أنه يسكن الغور من القلعة، ويدخل إلى الأشرفية فى كل يوم اثنين ويوم الخميس، وإليه أمور الدولة كلها، فلما ماتت زوجته خوند بركة أم السلطان انحطت منزلته، وتنكر ما بينه وبين السلطان، بسبب تركتها، وبلغه عن السلطان ما يكره، فامتنع فى ليلة الثلاثاء سادسه من الطلوع للمبيت بالقلعة على عادته، واعتذر للسلطان عن ذلك، وأخذ فى الاستعداد للحرب، وفرق السلاح فى مماليكه، فألبس السلطان أيضًا مماليكه، وأمر بدق الكوسات حربيا، فدقت بعد العشاء من ليلة الأربعاء. فركب الأمراء بالسلاح إلى القلعة، وباتوا مع السلطان على حذر، حتى طلع نهار يوم الأربعاء، برز الأمير ألجاى من إصطبله فى جمع موفور من مماليكه وأتباعه، شاكين فى السلاح،حتى وقفوا تحت القلعة، وبعث ليمنع الأمراء أن يخرجوا من بيوتهم، فنزلت إليه المماليك السلطانية من باب السلسلة، وقد لقيتهم أطلاب الأمراء، واقتتلوا مع ألجاى قتالا شديدا، كانت فيه إحدى عشرة وقعة، قتل فيها من الفريقين، وجرح كثير منهم، فانهزم ألجاى يريد جهة الصليبية، فلقيه طلب الأمير طَشْتَمُر الدوادار، ومال معه عدة أطلاب على ألجاى، فمر على وجهه نحو باب القرافة، والطلب فى أثره، حتى أتى بركة الحبش(١)، ومر على الجبل المقطم، حتى خرج من جانب الجبل الأحمر خارج القاهرة، ونزل قريبا من قبة النصر، وقد ضرب له مخيماه، واجتمع عليه عدة من أصحابه، وبات ليلة الخميس، فبعث السلطان يرغبه فى الطاعة، فذكر أنه مملوك السلطان، ولم يخرج عن طاعته، وإنما يريد بعض الأمراء الخاصكية، أن يسلمهم إليه أو يبرزوا لمحاربته، فمن انتصر كان هو المشار إليه، وإلا فإنه لا يموت إلا على ظهر فرسه، فبعث إليه ثانيا، يخوفه عاقبة البغى، ويعرض عليه أن يتخير من البلاد الشامية ما شاء، فلم يوافق، وترددت الرسل بينهما مرارا، وبعث إليه بتشريف نيابة حماة، فقال: «لا أتوجه لذلك إلا ومعى جميع مماليكى، وقماشى، وكل ما أملكه». فلم يرض السلطان بذلك، واستدعى بالأمير عز الدين أَيْنَبَك - وكان فى جملة ألجاى - فأتاه طايعا، والتزم أن

---

(١) بركة الحبش وكانت تعرف ببركة المغافر وهى من أشهر برك مصر، تقع فى ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها بين الجبل والنيل، وكانت من الموات فاستطابها قرة بن شريك العنيسى أمير مصر وأحياها وغرسها. انظر المواعظ ٢/١٥١.

يستميل من مع ألجاى من اليلبغاوية، وهم مائة مملوك، فوعده السلطان بإمرة طبلخاناه، وانصرف إلى تربة أستاذه الأمير يلبغا واختفى بها بقية نهاره، فلما أقبل الليل، بعث غلامه إلى اليلبغاوية، فما زال بهم حتى أتوه زمرا زمرا إلى التربة، فصعد بهم جميعا إلى السلطان، فرتبهم فى خدمة ولده أمير على، وتبعهم أكثر من كان مع ألجاى من الأمراء والمماليك، بحيث لم يطلع الفجر إلا ومعه دون الخمسمائة فارس. فتوج إلى قتاله الأمير أرغون شاه، فى عدة وافرة، وخلائق من العامة. ومضى أيضا الأمير منكلى بغا البلدى من طريق أخرى فى جمع موفور وكثير من العامة. وسار الأمير ناصر الدين محمد بن شرف الدين، ومعه طائفة من المقاتلة، وطوائف من أهل الحسينية، وغيرهم من طريق ثالثة، فعندما رأى ألجاى أوائل القوم، تأخر عن موضعه قليلا قليلا، حتى صار الأمير أرغون فى مكانه من قبة النصر، وانضم إليه الأمراء، ومن معهم، وبعث طائفة منهم فلقيت ألجاى وقاتلته، فانكسر منهم، وأخذ فى الفرار، فركب القوم قفاه، وقد تأخر عنه من بقى معه، حتى وصل إلى الخرقانية[1] من القليوبية فى ثلاثة فرسان، وابن شرف الدين فى طلبه، فوقف على شاطئ النيل ظاهر قليوب، واقتحمه بفرسه فغرقا فى النيل، واستدعى ابن شرف الدين بالغطاسين فأخرجوه ووضعوه على بر ناحية شبرا، وحملوه فى تابوت إلى القاهرة، فى بكرة يوم الجمعة يوم تاسوعاء، فدفن بمدرسته[2] من سويقة العزى[3] قريبا من القلعة، وكان الأمير أرغون قد عاد لما انهزم ألجاى وغرق، وعرف السلطان، فصعد إلى القلعة، وبقيت العساكر واقفة تحت القلعة يوم الخميس.

وقبض السلطان على الأمير طقتمر الحسنى، والأمير صراى العلاى، وسلطان شاه بن قرا الحاجب، ونفاهم. وقبض على الأمير علاء الدين على بن كَلَفت، وألزمه بحمل مال، وقبض على الأمير بيبغا القوصوني، والأمير خليل بن قمارى، ثم أفرج عنهما بشفاعة الأمير طشتمر الدوادار.

وفيه نودى من وجد مملوكا من الألجيهية[4]، وأحضره فله خلعة، وحذر من أخفاهم، فظهر السلطان منهم بعدة.

---

(١) الخزقانية، هى من القرى القديمة وردت فى نزهة المشتاق بين باسوس وبين شلقان وهى قرية عامرة بها مزارع وضياع وبساتين كثيرة، وهى من أعمال القليوبية. قاموس الجغرافى ج١ قسم٢/صـ٥٤.

(٢) مدرسة ألجاى تقع خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل، كان موضعها وما حولها مقبرة. انظر المواعظ ٢/٣٩٩.

(٣) سويقة العزى كانت تقع خارج باب زويلة قريبا من قلعة الجبل، نسبة إلى الأمير عز الدين أيبك العزى نقيب الجيوش. انظر المواعظ ٢/١٠٦ - ١٠٧.

(٤) الألجيهية: نسبة إلى ألجاى، أى مماليك ألجاى.

فلما دفن ألجاى، نزع الأمراء سلاحهم، وهنأوا السلطان بسلامته، وظفره بعدوه، ونودى بالأمان، وكتب إلى الأقطار بخبر هذه الواقعة.

وفيه خرج على البريد الأمير بورى الأحمدى الخازن دار، لإحضار الأمير أيدمر الدوادار.

وفى يوم السبت عاشره: خلع على الأمير يعقوب شاه، واستقر نائب طرابلس، عوضا عن الأمير أيدمر.

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: استقر الأمير أرغون شاه، أميرا كبيرا، ورسم له أن يجلس بالإيوان فى وقت الخدمة، واستقر الأمير صرغتمش الأشرفى، أمير سلاح، ورسم له أيضًا أن يجلس وقت الخدمة، واستقر الأمير أرغون الأحمدى اللالا أميرا كبيرا أيضًا، ورسم له أن يجلس وقت الخدمة بجانب الأمير أيدمر الشمسى، واستقر الأمير قطلوبغا الشعبانى رأس نوبة ثانيا، وأنعم عليه بإمرة مائة بتقدمة ألف، واستقر الطواشى مختار الحسامى، مقدم الرفرف[1] فى تقدمة المماليك، عوضا عن سابق الدين مثقال الأنوكى، وأمر سابق الدين أن يلزم بيته، واستقر الأمير أيدمر من صديق رأس نوبة رابعا، وخلع على الجميع، واستدعى بأولاد ألجاى وأسكنا بالقلعة، ورتب لهم كفايتهم، ووقعت الحوطة على جميع مخلف ألجاى، فكان شيئًا كثيرا، ورتبت مماليكه فى خدمة ولدى السلطان، وقبض على محمد شاه دوادار ألجاى، وعلى أقبغا البجمقدار خازن داره، وعلى مباشرى ديوانه وألزامه، وألزموا بمال كبير، فحملوا بعض ما ألزموا به، وخلى عنهم.

وفيه استقر كَجَك من أَرْطَق شاه فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن عرام، واستقر كمال الدين الربغى فى قضاء الإسكندرية، عوضا عن الكمال بن التنسى، واستقر الأمير فخر الدين عثمان الشرفى أستادار ابن صبح فى ولاية القاهرة، عوضا عن الأمير بَكتَمُر السيفى، وقبض على بَكتَمُر، وصودر، واستقر الأمير شرف الدين موسى بن الدينارى فى ولاية الجيزة، عوضا عن عثمان الشرفى، وخلع عليهم.

وفيه أنعم على كل من الأمير أقتمر الصاحبى الحنبلى والأمير تمر باى الحسنى، والأمير أحمد بن يلبغا، وإينال اليوسفى، وبلوط الصَرغَتْمُشى، وأحمد بن الأمير بُهادر الجمالى، وألجنبغا المحمدى، وحاجى بك بن شادى، والطواشى مختار الحسامى بإمرة طبلخاناة، وعلى كل من طشتمر الصالحى، وألطنبغا عبد الملك بإمرة عشرة.

---

(١) الرفرف: من جملة دور القلعة، عمره الملك الأشرف خليل بن قلاوون وجعله عليًا لأنه كان يشرف على الجيزة كلها وعقد عليها قبة على عمد. انظر المواعظ ٢/٢١٣ - ٢١٤.

وفى ثانى عشرينه: استقر الأمير قطلوبغا المنصورى فى نيابة صفد، عوضا عن علمدار المحمدى، واستقر الأمير تلكتمر من بركة، حاجبا ثانيا، عوضا عن المنصورى.

وفى رابع صفر: قدم الأمير أيدمر الدوادار من طرابلس، فخلع عليه، واستقر أتابك العساكر، عوضا عن ألجاى اليوسفى، واستقر تمراز الطازى فى نيابة حمص، عوضا عن آقبغا عبد الله، وأنعم على كل من آقبغا المذكور - وقد قدم من حمص - ويلبغا الناصرى اليلبغاوى، بإمرة طبلخاناه.

وفى سابع عشره: استقر الأمير أسنبغا البهادرى نقيب الجيش، واستقر عوضه فى شد العماير قطلوبغا الكوكاى.

وفى يوم الخميس حادى عشرينه: خلع على الأمير أقتمر عبد الغنى، حاجب الحجاب، واستقر نايب السلطان.

وفى هذا الشهر: اجتمع قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، والشيخ سراج الدين عمر البلقينى، بالسلطان، وعرفاه ما فى ضمان المغانى من المفاسد، والقبايح، وما فى مكس القراريط من المظالم - وهو ما يؤخذ من الدور إذا بيعت - فسمح بإبطالهما، وكتب بذلك مرسومين إلى الوجه القبلى والوجه البحرى، بعد ما قرءا على منابر القاهرة ومصر، فبطل والحمد لله ضمان هاتين الجهتين، وكان يتحصل منهما مال عظيم جدا، وزال بزواله منكر شنيع.

وفى آخره: نفى الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، والأمير علاء الدين على بن كَلَفت، ومحمد شاه - دوادار ألجاى - وأقبغا البجمدار، فساروا إلى الشام، ونفى الأمير بَكْتَمُر السيفى إلى طرسوس.

وفيه استقر الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى فى ولاية قوص، وأضيف إليه الكشف أيضًا.

وفى هذه السنة: توقف ماء النيل عن الزيادة فى أوانها حتى كان النوروز، و لم يبلغ ستة عشر ذراعا، وتأخر منها ثمانية أصابع، فنودى فى يوم النوروز - وهو يوم الإثنين تاسع شهر ربيع الأول - بزيادة إصبعين، ونودى من الغد يوم الثلاثاء بزيادة إصبعين، ونودى فى يوم الأربعاء بزيادة إصبعين، وتأخر من ذراع الوفاء إصبعان، فلم يزد بعد ذلك شيئًا، ثم نقص فى يوم الجمعة ثالث عشره، فقلق الناس لذلك ، وتزايد قلقهم إلى يوم الثلاثاء سابع عشره، خرج القضاة والفقهاء وغيرهم إلى جامع عمرو بمصر، وضجوا

بالدعاء إلى الله فى إجراء النيل، ثم فتح الخليج من آخر النهار، وقد بقى من الوفاء خمسة أصابع، فهبط الماء من يومه ولم يعد.

وفى تاسع عشره: قدم الأمير حيار بن مهنا، فخلع عليه، واستقر فى إمرة العرب على عادته، ولم يؤاخذ بما كان من قتله الأمير قشتمر، وعفى عنه.

وفى يوم الجمعة عشرينه: خرج القضاة والناس إلى رباط الآثار النبوية، خارج مدينة مصر، وغسلوها فى النيل بالمقياس، وقرأوا هناك القرآن الكريم، وتضرعوا إلى الله تعالى فى إجراء النيل، ورد ما نقص، ثم عادوا، فنزل حتى جفت الخلجان من الماء، فارتفع السعر، وبيع الإردب من القمح بستة وثلاثين درهما سوى كلفه، وشرهت الأنفس، وتكالب الناس على طلب القوت، وغلب على الناس اليأس، فنودى يوم الأحد ثانى عشرينه فى الناس بالتوبة والإقلاع عن المعاصى، وصيام ثلاثة أيام، فصام من صام الإثنين، والثلاثاء، والأربعاء.

وخرج الناس فى بكرة يوم الخميس سادس عشرينه إلى قبة النصر - خارج القاهرة - وهم حفاة بثياب مهنتهم، ومعهم أطفالهم، وكتب ممن خرج يومئذ، وقد نصب هناك منبر، ونزل الأمير أقتمر عبد الغنى النائب، فى عدة من الأمراء، فخطب ابن القَسْطِلانى خطيب جامع عمرو خطبة الاستسقاء، وصلى صلاة الاستسقاء، وكشف رأسه عند الدعاء، وحول رداءه، فكشف الناس جميعا رءوسهم، وضجوا بالدعاء إلى الله تعالى، وارتفعت أصواتهم بالاستغاثة وهملت أعينهم بالبكاء، فكان مشهدا عظيما، فلم يسقوا، وعادوا خائبين، فعز وجود الغلال.

وفيه تجمعت العامة تحت القلعة، وسألوا عزل ابن عرب عن الحسبة، وكانوا قد توعدوه، فاختفى، ولم يركب فى هذا اليوم، ولا خرج إلى الاستسقاء.

وفيه نفى كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، ناظر الدولة إلى طرابلس، واستقر فى نظر الدولة عوضه تاج الدين النشو المالكى، واستقر الطواشى سابق الدين مثقال الأنوكى، فى تقدمة المماليك على عادته، وأعيد مختار كما كان مقدم الرفوف، وخلع على الجميع.

وفى يوم الخميس عاشر شهر ربيع الآخر: استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الحاج آل ملك فى نيابة غزة، عوضا عن طشبغا المظفرى، وأنعم على كل من الأمير الطازى، والأمير سودُن جركس المنجكى، بإمرة مائة، وارتجع عن طينال الماردينى تقدمته، وعوض إمرة طبلخاناه، وأنعم على الأمير جركتمر الخاصكى بطبلخاناه.

وفى يوم الجمعة حادى عشره: خلع على بهاء الدين محمد بن المفسر، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن علاى الدين على بن عرب، باستعفائه منها.

وفى ليلة السبت ثانى عشره: أرعدت السماء وأبرقت، وسحت بأمطار غزيرة، عمت كثيرا من أراضى مصر، بحيث زرع بعضها لريها من هذه المطرة البرسيم، فسر الناس بذلك، وانحل سعر القمح خمسة دراهم الأردب، وكان قد بلغ أربعين درهما.

وفى آخره: خلع على بهاء الدين بن المفسر محتسب القاهرة، واستقر فى وكالة بيت المال، ونظر كسوة الكعبة، عوضا عن ابن عرب، مضافا إلى الحسبة، وأخذ سعر الغلال يرتفع.

وفى خامس عشر جمادى الأولى - وهو سابع هاتور -: زاد النيل اثنى عشر إصبعا، وفى الغد، وبعد الغد ثمانية أصابع، ثم نقص، ولم يعهد مثل ذلك.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: ركب الأمير منكلى بغا البلدى، إلى بيت الأمير أقتمر عبد الغنى النائب، ليبلغه عن السلطان رسالة، فلما دخل عليه أمر بإمساكه، وأخرجه من باب سر داره، منفيا إلى الشام، فانفض من كان معه من المماليك، ولم يتحرك أحد منهم بحركة، ثم رسم له بنيابة مدينة الكرك، فتوجه إليها.

وبلغ سعر الأردب القمح إلى خمسين درهما، والأردب من الشعير والفول إلى خمسة وعشرين درهما، والحملة الدقيق - وهى ثلاثمائة رطل - إلى أربعة وثمانين درهما.

وقدم الأمير بَيْدَمُر، ومعه تقادم جليلة، فأكرم وخلع عليه، فى يوم الخميس أول جمادى الآخرة، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أشقتمر، وركب السلطان - وهو معه - فعدى النيل إلى الجيزة، وهو بتشريف النيابة، ثم عاد وتوجه إلى حلب، واستقر الأمير أشقتمر فى نيابة صفد، عوضا عن قطلوبغا المنصورى، واستقر المنصورى فى نيابة غزة، عوضا عن الأمير أحمد بن آل ملك، واستقر ابن آل ملك فى نظر القدس، والخليل.

وفى ثامنه: خلع على علاى الدين على بن عرب وأعيد إلى وكالة بيت المال ونظر الكسوة، عوضا عن ابن المفسر.

وفى خامس عشره: خلع على الطواشى جوهر الصلاحى - مقدم القصر - واستقر نائب مقدم المماليك، عوضا عن مختار الدمنهورى، وخلع على مختار المذكور، ويعرف بشاذروان، واستقر مقدم مماليك ولدى السلطان، وأنعم عليه بإمرة عشرة.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: خلع على تاج الدين النشو المالكى، واستقر فى الوزارة، عوضا عن كريم الدين شاكر بن غنام، وخلع على ابن غنام، واستقر فى نظر البيوت ونظر المارستان، ونظر دار الطراز، وأنعم على ناصر الدين محمد بن آقبغا آص بتقدمة ألف، عوضا عن منكلى بغا البلدى، واستقر أستادار السلطان، وأنعم على الأمير ألطنبغا العثمانى طَطَق بتقدمة ألف، واستقر أمير سلاح، عوضا عن طيدمر البالسى.

وفيه قدم شرف الدين حسين الفارقى وزير صاحب اليمن بكتابه وصحبته أمير آخوره ناصر الدين محمد، ومعهما هدية سنية.

وخلع على الأمير طُغَاى تَمُر دوادار الأمير يلبغا، واستقر دوادارا ثانيا بإمرة طبلخاناه، وخلع على الأمير قُرطاى الكركى، واستقر فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن الأمير آل ملك الصرغتمشى.

وفيه شنقت المرأة الخناقة وزوجها جمعة الخناق، وكانا فى تربة من ترب القاهرة، فيدوران بالقاهرة ومصر وظواهرهما، ويأخذان من أطفال الناس وأولادهم من قدروا عليه، ويخنقاه لأخذ ما عليه من الثياب الجميلة، ففقد الناس عدة أولاد، واشتد حزنهم عليهم، وكثر ذلك فى الناس حتى ذعروا منه، ففضح الله جمعة هذا وامرأته، وقبض عليهما، وعوقبا، وأخذ ما وجد عندهما من حلى الأولاد وثيابهم، ثم شنقا، وكان يوما مجموع له الناس بالقاهرة، خارج باب النصر منها.

وتقدم مرسوم السلطان بإقامة الأمير جَاوَرْجى القوصونى، والأمير آقبغا بن مصطفى، والأمير آسنبغا القوصونى، والأمير قرابغا الأحمدى، والأمير نصرات أخى بكتمر الساقى، فى ثغر الإسكندرية، فساروا.

وفى يوم الخميس عشرين شهر رجب: خلع على الأمير قُطْلوبغا الكوكاى واستقر استادارا، عوضا عن الأمير نصرات، واستقر الأمير أسنبغا البهادرى شاد العماير على عادته، واستقر الأمير آل ملك الصرغتمشى نقيب الجيش، وخلع على برهان الدين إبراهيم بن بهاء الدين بن الحِلىّ ناظر بيت المال، واستقر فى نظر المارستان مضافا لما بيده.

وفى سابع عشر شعبان: خلع على الأمير أرغون الأحمدى اللالا، واستقر نائب الإسكندرية، عوضا عن الأمير كَجَك، واستقر كجك فى نيابة غزة.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: خلع على بهاء الدين أبى البقاء، واستقر فى قضاء

دمشق، عوضا عن كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعرى، واستقر المعرى فى قضاء حلب، عوضا عن فخر الدين عثمان بن أحمد بن عثمان الزرعى.

واستقر قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة فى تدريس الشافعى، عوضا عن أبى البقاء. وخلع عليه فى يوم الأحد سلخه، وحضر الدرس به، فكان يوما جليلا جمعه.

واستقر شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن محى الدين يحيى بن فضل الله العمرى فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن شيخنا فتح الدين أبى بكر بن الشهيد، واستقر الأمير ككبغا البيبغاوى فى نيابة قلعة جعبر.

وفيه قدم الأمير آسَنْقُر.

وأهل شهر رمضان بيوم الإثنين:

وفيه استجد السلطان عنده بالقصر من قلعة الجبل قراءة كتاب صحيح البخارى فى كل يوم من أيام شهر رمضان، بحضرة جماعة القضاة ومشايخ العلم، تبركا بقراءته، لما نزل بالناس من الغلاء، فاستمر ذلك، وتناوب قراءته شهاب الدين أحمد بن العريانى، وزين الدين عبد الرحيم العراقى، لمعرفتهما علم الحديث، فكان كل واحد يقرأ يوما.

وفى يوم الإثنين حادى عشرينه: خلع على الأمير أَشَقْتَمُر، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير بَيْدَمُر الخوارزمى، واستقر بيدمر فى نيابة الشام، عوضا عن الأمير منجك، وركب الأمير يلبغا الناصرى البريد لإحضار الأمير منجك ومملوكه جَرَكْتَمُر المنجكى، وصهره أروس المحمودى، وخلع على الأمير آقتمر عبد الغنى النايب، واستقر فى نيابة طرابلس، عوضا عن الأمير يعقوب شاه، واستقر يعقوب شاه حاجب الحجاب بدمشق، وخلع على الأمير طيدمر البالسى، واستقر فى نيابة الكرك، عوضا عن الأمير منكلى بغا البلدى، واستقر البلدى فى نيابة صفد، واستدعى الأمير أحمد بن الحاج آل ملك من القدس، فلما قدم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وأنعم على الأمير جركتمر الأشرفى الخاصكى بتقدمة ألف، وعلى الأمير آقتمر الحنبلى بتقدمة ألف، واستقر رأس نوبة ثانيا، وارتجع عن الأمير آقبغا من مصطفى إقطاعه.

وفى خامس شوال: خلع على الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام، وأعيد إلى نظر المارستان، عوضا عن ابن الخلى.

وفى خامس عشره: استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن آل ملك حاجبا ثالثا.

وفى يوم الإثنين ثالث ذى الحجة: قدم الأمير مَنْجَك بأولاده ومملوكه الأمير جَرَكْتمر المنجكى وصهره الأمير آروس المحمودى، فنزل بسرياقوس، وخرج إليه جميع أرباب الدولة من الوزير وقضاة القضاة والأمراء، بحيث لم يتأخر عنه سوى السلطان وولديه فقط، ثم ساروا جميعا بين يديه حتى طلع القلعة، فلم يعهد لأمير موكب مثل موكبه. فمشى الأمراء من باب السر بين يديه وهو راكب بمفرده، وفيهم الأمير أيتمر الدوادار - أتابك العساكر - والأمير أرغون شاه، والأمير صَرْغَتْمُش، فلما دخل على السلطان ابتهج بقدومه، وبالغ فى إكرامه، وخلع عليه خلعة نيابة السلطنة، وفوض إليه نظر الأحباس والأوقاف، وحسن إليه التحدث فى الخاص والوزارة، وأن يخرج من إقطاعات الحلقة ما عبرته ستمائة دينار فما دونها، ويعزل من أرباب الدولة وأصحاب المناصب من شاء، ويولى منهم شاء، وأن يقرر فى سائر أعمال المملكة من أراد، ويخرج إمريات الطبلخاناه والعشرات من البلاد الشامية ممن أحب، وينعم بها على من يريد، وقرئ تقليده بالنيابة فى الإيوان المعروف بدار العدل من القلعة بحضرة السلطان، والأمراء وسائر أرباب الدولة. وفيه أن السلطان قد أقامه مقام نفسه فى كل شىء بيده، وفوض له ما فوض إليه الخليفة من سائر أمور المملكة، ثم خرج فجلس بدركاه باب القلة[1] من القلعة، وجلس الوزير بين يديه، وقعد موقعو الدست لإمضاء ما يرسم به، ورفعت إليه القصص من ديوان الجيش وغيره، فنظر فى الأمور نظر مستبد بها.

وفى سادسه: خلع على بَكْتَمُر العلمى حاجب الإسكندرية، واستقر نقيب الجيش، وأنعم على بيبغا السابقى الخاصكى بإمرة طبلخاناه، وعلى الأمير بيبغا القوصونى بإمرة طبلخاناه.

وفى هذا الشهور: فشت الأوبئة بثغر الإسكندرية وغيرها من بلاد الوجه البحرى.

ومات الأمير أرغون اللالا نايب الإسكندرية، فاستقر عوضه الأمير قطلوبغا الشعبانى، واستقر محمد بن قرابغا - أحد العشرات - فى ولاية أطفيح[2] على إمرته.

وفى رابع عشرينه: خلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر حاجبا ثانيا أمير مائة مقدم ألف، وأنعم على الأمير بلاط السيفى بإمرة طبلخاناه، وعلى كل من مغلطاى الجمالى، وكبك الصرغتمشى بإمرة عشرة.

---

(١) باب القلة أحد أبواب القلعة يدخل منه إلى دهاليز فسيحة ويوجد هذا الباب بصدر دركاه جليلة يجلس بها الأمراء. انظر صبح الأعشى ج٣/٣٧٠.

(٢) ولاية أطفيح بلدة بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان ١/٢١٨.

ومات صدر الدين محمد بن السكر قاضى الحنفية، بثغر الإسكندرية، فلم يستقر أحد عوضه.

وفيه تزايد سعر الغلة، فبيع الخبز أربعة أرطال بدرهم، بعد ما كان خمسة أرطال.

وفى ثالث عشر ذى الحجة: قبض على رجل مغربى كان يقف فى الليل تحت القلعة، ويصيح «اقتلوا سلطانكم ترخص أسعاركم ويجرى نيلكم». فضربه والى القاهرة بالمقارع وتركه لحاله.

وفى رابع عشره: أنعم على الطواشى مختار شاذروان الدمنهورى بإمرة، واستقر نقيب المماليك، عوضا عن محمد بن قرطاى الموصلى باستعفائه منها وقدم الأمير خليل ابن قوصون باستدعاء.

وقد الخبر بأن دجلة(١) فاضت حتى علا ماؤها على سور بغداد، وأغرقها، فتهدم بها نحو الستين ألف دار، وعبرت المراكب من دجلة إلى الأزقة والأسواق، وأن الريح هبت بسنجار، فأحرقت أوراق الأشجار، وهلك بها كثير من الناس، وأمطرت ثعابين بمدينة شيزر(٢)، وأن مدينة حلب أصابها سيل عظيم، خرب به نحو الأربعماية دار.

وفيه استقر جلال الدين جار الله فى تدريس الحنفية بالمدرسة الصرغتمشية، بعد وفاة أرشد الدين محمود.

وفيها خلع على صاحب فاس وبلاد المغرب السعيد محمد(٣) بن عبد العزيز أبى الحسن، فى ذى الحجة، وملك بعده السلطان أبو العباس أحمد بن أبى سالم(٤) إبراهيم ابن أبى الحسن.

* * *

---

(١) دجلة نهر بغداد لا تدخله الألف واللام. انظر معجم البلدان ٢/٤٤٠.

(٢) شيزر سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٣، والروض المعطار ٣٥٢.

(٣) محمد بن عبد العزيز أبى الحسن على بن عثمان المرينى أبو زيان، السلطان السعيد بالله: من ملوك بنى مرين فى المغرب بويع له بعد وفاة أبيه سنة ٧٧٤هـ وهو طفل فى نحو الخامسة من عمره، وكفله الوزير أبى بكر بن غازى بن الكأس، وأقبلت وفود الأمصار على فاس الجديد تبايعه كالعادة وصدرت الأحكام باسمه مدة سنة وثمانية أشهر و١٤ يوم. وله كتاب [أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام.

(٤) أحمد بن إبراهيم بن على، أبو العباس بن أبى سالم المرينى، السلطان المستنصر بالله من ملوك الدولة المرينية بالمغرب كان مبعدًا إلى طنجة. ولما بويع ابن عمه السعيد بالله (محمد بن عبد العزيز) بفاس، غرناطة الفتى بالله ابن الأحمر وبعض بنى مرين، قتول على فاس. انظر الاستقصا ٢/١٣٣ - ١٤١، مراكش ٢/٦ وروضة التشرين ٣٤.

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

قاضى حلب، وقاضى المدينة النبوية، وأحد خلفاء الحكم بالقاهرة: بدر الدين إبراهيم ابن صدر الدين أبى البركات أحمد بن مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن ابن الخشاب المخزومى الشافعى، وهو عائد من المدينة النبوية قريبا من عينونة[١]، ودفن بجزيرة سقر فى صفر.

ومات الأمير أرغون اللالا الأحمدى نائب الإسكندرية، فى خامس عشر ذى القعدة.

ومات الأمير أسندمر الجوبانى، وكان خيرًا يقبله القضاة.

ومات آقبغا بن مصطفى أحد الطبلخاناه، وهو مجرد بالإسكندرية، فى ثالث عشر ذى القعدة.

ومات الأمير آل ملك الصرغتمشى الكاشف بالوجه البحرى، ونقيب الجيش، فى تاسع شوال.

ومات الأمير تَلَكْتَمُر الجمالى أحد الطبلخاناه بمنزلة قاقون[٢] من طريق الشام، فى ذى الحجة.

ومات الأمير تمرقيا العمرى أحد الطبلخاناه.

ومات الحاج صبيح الخازن، النوبى الجنس، فى حادى عشر المحرم، وقد انتشر ذكره وعظم قدره، بحيث كان له من الحرمة ما لأعيان الأمراء، وترك دنيا عريضة ونعما جليلة، وكان خازن الشراب خاناه السلطانية.

ومات الأمير طيبغا الفقيه العمرى، أحد العشرات.

ومات مُهتار الطشتخاناه السلطانية، شهاب الدين أحمد بن كُسَيْرات، فى ثانى عشر المحرم، كان وافر الحرمة عريض الجاه، لم يزل من عهد الناصر محمد فى خدمة الملوك، فعز جانبه وكثرت نعمته.

وتوفى قاضى المدينة النبوية تاج الدين محمد بن الكركى الشافعى، وهو ينوب عن القضاة بالقاهرة، فى سادس عشرين شعبان.

ومات قاضى الحنفية بالإسكندرية صدر الدين محمد بن السكرى، فى أول ذى الحجة.

---

(١) عينونة: قرية من بيت المقدس وقيل من دون القلزم فى طرق الشام (معجم البلدان).

(٢) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة (معجم البلدان).

وتوفى الشيخ أرشد الدين محمود بن قُطْلوشاه السيرامى، أحد أعيان الحنفية مدرس المدرسة الصَرْغَتمِشيَّة، فى يوم الثامن والعشرين من جمادى الآخر.

وتوفى سعد الدين ماجد بن التاج أبى إسحاق عبد الوهاب بن عبد الكريم، عن نيف وستين سنة، بمصر.

وتوفى نور الدين على بن الحسن بن على الإسنائى، أخو الشيخ جمال الدين عبد الرحيم، فى ثامن عشر رجب.

وتوفى شمس الدين شاكر، المعروف بابن البقرى، ناظر الذخيرة، صاحب المدرسة البقرية[1] بالقاهرة، فى ثالث عشر شوال، وكان مشكورا فى أقباط مصر.

وتوفى سراج الدين عمر بن محمد السعودى شيخ خانكاه بَكْتَمُر الساقى، فى سابع عشرين ذى الحجة.

وتوفى صلاح الدين بن مسعود المقرئ المالكى، أحد أصحاب التقى الصانع، فى ثالث عشرين ذى الحجة.

ومات الأمير بيبغا حارس طير أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير تغرى برمش بن الأمير ألجاى اليوسفى، أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات الأمير أسن قُطلو الإبراهيمى.

ومات الأمير أرسلان خُجا اليلبغاوى - أحد الطبلخاناه - قتيلا، فى واقعة الأمير أُلجاى، فى المحرم.

وتوفى الأمير أروس المحمودى الأستادار أحد الألوف، وزوج ابنة الأمير مَنجك النائب، فى ثانى ذى القعدة.

وتوفى الأمير ألطنبغا الماردينى فى ثانى جمادى الآخر.

وتوفى الأمير آقبغا العمرى البالسى، أخو طيبغا الطويل، من أمراء الطبلخاناه، وهو منفى بالشام.

وتوفى الأمير آقبغا الناصرى، نايب الكرك ونايب قلعة بهسنا[2]، وبها مات.

---

(١) المدرسة البقرية تقع فى الزقاق الذى تجاه باب الجامع الحاكمى، بناها الرئيس شمس الدين شاكر بن غزيل المعروف بابن البقرى، أحد مسالمة القبط وناظر الذخيرة وأيام الملك الناصر الحسن. المواعظ ٢/٣٩١.

(٢) قلعة بهنسا بغرب مرعش وسميساط، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان.

وتوفى الأمير الكبير الأتابك أُلجاى اليوسفى، أحد مماليك الناصرى حسن. ترقى حتى صار حاجب الحجاب، ثم عزل فى تاسع رجب سنة ثلاث وستين واستقر أمير جاندار، إلى أن كانت فتنة الأمير أَسنَدُمر والأجلاب، تولى حربه وقاتله قتالا عظيما، كانت بينهما فيه ست عشرة وقعة، فلما انتصر أَسنَدُمر قبض على ألجاى، وسجنه بالإسكندرية إلى أن زالت أيام أسندمر أفرج عنه وعمل أمير سلاح، ثم صار الأتابك وإليه أمور الدولة كلها، حتى مات فى يوم عاشوراء، كما تقدم ذكره.

* * *



سنة ست وسبعين سبعمائة

فى أول المحرم: اتفق أمر غريب، قد وقع مثله فيما تقدم، وهو أن الأمير شرف الدين عيسى بن باب جَك - والى الأشمونين[1] - كان له ابنة، فلما أن تم لها من العمر خمس عشرة سنة، استد فرجها، وتدلى لها ذكر وأنثيان، واحتملت كما تحتلم الرجال، واشتهر ذلك بالحسينية - حيث سكنه - وبالقاهرة، حتى بلغ منجك، فاستدعى بها، ووقف على حقيقة خبرها، فأمر بنزع ثياب النسوان عنها، وألبسها ثياب الرجال من الأجناد، وسماها محمدا، وجعله من حملة مشاة خدمته، وأنعم عليه بإقطاع، فشاهده كل أحد.

وفى ثامنه: أخذ قاع النيل، فجاء أربعة أذرع واثنى عشر إصبعا.

وفى أول شهر ربيع الأول: شرع السلطان فى التجهيز إلى الحج، وتقدم إلى الأمراء بتجهيز أمورهم أيضًا.

وفى تاسعه: كان وفاء ماء النيل ستة عشر ذراعا، ويوافقه رابع عشرين مسرى، ففتح الخليج على العادة، واستمرت الزيادة حتى بلغت سبعة عشر ذراعا وخمسة أصابع، وثبت أوان ثباته، ثم انحط وقت الحاجة إلى هبوطه، فعم النفع والحمد لله به، إلا أن الأسعار تزايدت، فبلغ القمحماية درهم الأردب، والشعير ستين درهما الأردب، والفول خمسين درهما الأردب.

وفى أول شهر ربيع الآخر: ركب السلطان من قلعة الجبل إلى الميدان الكبير الناصرى بشاطئ النيل، للعب بالكرة على العادة فى كل سنة، وركب ولده أمير على قدامه بين يديه، وجعل على رأسه شطفة[2] كما يجعل على رأس السلطان، وعين جماعة من الأمراء للمشى فى ركابه، وخلع عليهم أقبية حرير بطرز زركش، وأركبهم الخيول المسومة بالسروج الذهب، وكنابيش زركش، وألبس أكابر مماليكه ومقدم مماليكه الطواشى شاذروان أيضًا الأقبية الحرير بالطرز.

وفيه أنعم على الأمير علاء الدين على بن كَلَفْت بإمرة طبلخاناه، وعلى الأمير ناصر

---

(١) الأشمونين كورة من كور الصغير. انظر معجم البلدان ١/ ٢٠٠.

(٢) شطفة: عصابة يرتديها السلطان على رأسه لها ذؤابة تتدلى خلف الرأس.

الدين محمد بن محمد بن الأمير تنكز نايب الشام بإمرة عشرة، وخلع على الشريف بكتمر بن على الحسينى، واستقر فى ولاية منفلوط، وعلى الأمير محمد بن بهادر، واستقر فى ولاية البهنسى، وأنعم على الأمير طشتمر الصالحى بإمرة طبلخاناه، وخلع على الأمير أحمد بن أرغون الأحمدى بإمرة عشرة.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرين جمادى الأولى: خلع على شمس الدين محمد بن أحمد ابن عبد الملك الدميرى المالكى، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن بهاء الدين محمد ابن المفسر، فأمطرت ليلة الثلاثاء مطراعظيما.

وفى يوم الأربعاء: وضع المحتسب الخبز على رءوس عدة من الحمالين، وشق به القاهرة إلى القلعة وصنوج الخليلية تزفه، والطبول تضرب، ونودى عليه كل ثلاثة أرطال إلا ربع رطل بدرهم، وكان كل رطلين وثلث بدرهم، فسر الناس بذلك، إلا أن الخبز عز وجوده، وفقد من الأسواق خمسة أيام، والناس تتزاحم على أخذه من الأفران، واشتد شره النفوس، وكان يخامرها اليأس، فنودى بتكثير الخبز، وأن يباع بغير تسعير، فتزايدت الأسعار فى ساير الغلال بعد تناقصها، حتى بلغ فى أوائل جمادى الآخرة الأردب القمح مائة وعشرة دراهم، والأردب الشعير ستين درهما، والأردب الفول خمسة وخمسين درهما، والقدح الأرز بدرهمين، والقدح من العدس والحمص بدرهم وربع، وارتفع الزيت والشيرج، وأبيع الرطل من حب الرمان بعشرة دراهم ونصف، والرطل من لحم الضأن بدرهمين، ومن لحم البقر بدرهم وثلث، وقلت البهايم من الخيل والبغال والجمال والحمير والأبقار والأغنام لفنائها جوعا، وبيع الزوج الأوز بعشرين درهما، وكل دجاجة بأربعة دراهم.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل وعبر القاهرة من باب زويلة، وخرج من باب النصر للسرحة على العادة فى كل سنة.

وفى نصف جمادى الآخر: هذا ابتدأ الوباء فى الناس فى القاهرة ومصر، وكثر موت الفقراء والمساكين بالجوع، فكنت أسمع الفقير يصرخ بأعلى صوته: «لله، لبابة قدر شحمة أذنى، أشمها وخذوها» فلا يزال كذلك حتى يموت. هذا، وقد توقفت أحوال الناس من قلة المكاسب؛ لشدة الغلاء، وعدم وجود ما يقتات به، وشح الأغنياء وقَلَّت رحمتهم، ومع ذلك فلم يزداد أجر العمال من البناة والفعلة والحمالين ونحوهم من أرباب الصنايع شيئًا، بل استقر على ما كانت عليه قبل الغلاء، فمن كان يكتسب فى اليوم درهما يقوم بحاله ويفضل له منه شىء، صار الدرهم لا يجدى شيئًا، فمات

ومات أمثاله من الأجراء والعمال والصناع والفلاحين والسؤال من الفقراء.

وفى يوم الجمعة ثالث شهر رجب: عدى السلطان النيل من بر الجيزة، عابدا من السرحة، فزار الآثار النبوية، وصلى الجمعة بجامع عمرو بمدينة مصر، وركب إلى القلعة.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: قبض على الوزير الصاحب تاج الدين النشو المالكى، وخلع على الصاحب كريم الدين شاكر بن الغنام، وأعيد إلى الوزارة، وتسلم المالكى، واستخلص منه ثمانين ألف مثقال من الذهب، وهدم داره بمدينة مصر إلى الأرض، وأخرجه على حمار منفيا إلى الشام.

وفيه خلع على الأمير قرطاى الكركى، واستقر شاد العماير بإمرة عشرة، واستقر الأمير بَكْتَمُر العلمى فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن قرطاى، واستقر محمد بن قرابغا الأناقى فى نقابة الجيش، عوضا عن بكتمر، واستقر الأمير فخر الدين عثمان الشرفى كاشفًا بالوجه القبلى من حدود الجيزة إلى أسوان(١).

وفى شهرى رجب وشعبان: اشتد الغلاء، فبلغ الأردب القمحماية وخمسة وعشرين درهما، والإردب الشعير تسعين درهما، والأردب الفول ثمانين درهما، والبطة الدقيق زنة خمسين رطلا بأربعة وثلاثين درهما وشفع الموت فى الفقراء من شدة البرد والجوع والعرى، وهم يستغيثون فلا يغاثون، وأكل أكثر الناس خبز الفول والنخال، عجزا عن خبز القمح، وبلغ الخبز الأسود كل رطل ونصف بدرهم، وكثر خطف الفقراء له، ما قدروا عليه من أيدى الناس، ورمى طين بالسجن لعمارة حايط به، فأكله المسجونون من شدة جوعهم، وعز وجود الدواب لموتها جوعا.

وفى رابع عشرين شعبان: انتدب الأمير منجك نايب السلطان لتفرقة الفقراء على الأمراء وغيرهم، فجمع أهل الحاجة والمسكنة، وبعث إلى كل أمير من أمراء الألوف ماية فقير، وإلى من عدا أمراء الأولوف على قدر حاله، وفرق على الدواوين والتجار وأرباب الأموال كل واحد عددا من الفقراء ثم نودى فى القاهرة ومصر بألا يتصدق أحد على حرفوش، وأى حرفوش شحذ صلب، فآوى كل أحد فقراءه فى مكان، وقام لهم من الغذاء بما يمد رمقهم على قدر همته وسماح نفسه، ومنعهم من التطواف لسؤال الناس، فخفت تلك الشناعات التى كانت بين الناس، إلا أن الموات عظم، حتى كان يموت فى كل يوم من الطرحاء على الطرقات ما يزيد على خمسمائة نفر، ويطلق من

---

(١) أسوان: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، والإدريسى ٢١، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٣/٤٠.

ديوان المواريث ما ينيف على مائتى نفس، وتزايد فى شهر رمضان مرض الناس وموتهم، ونفدت الأقوات، واشتد الأمر، فبلغت عدة من يرد اسمه للديوان فى كل يوم خمسمائة، وبلغت عدة الطرحاء زيادة على خمسمائة طريح، فقام بمواراة الطرحاء الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير آقبغا آص، والأمير سودن الشيخونى، وغيرهما، وكان من أتى بميت طريح أعطوه درهما، فأتاهم الناس بالأموات، فقاموا بتغسيلهم وتكفينهم ودفنهم أحسن قيام، بعد ما شاهد الناس الكلاب تأكل الموتى من الطرحاء.

فلما فنى معظم الفقراء، وخلت دور كثيرة خارج القاهرة ومصر لموت أهلها، فشت الأمراض من أخريات شهر رمضان فى الأغنياء، ووقع الموت فيهم، فازداد سعر الأدوية، وبلغ الفروج خمسة وأربعين درهما، ثم فقدت الفراريج حتى خرج البريد فى الأعمال بطلبها للسلطان، وبلغت الحبة الواحدة من السفرجل خمسين درهما، والحبة من الرمان الحامض عشرة دراهم، والرمانة الواحدة من الحلو بستة عشر درهما، والبطيخة الواحدة من البطيخ الصيفى تسعين درهما، وكل رطل منه بثلاثة دراهم، واشتد الأمر فى شوال إلى الغاية.

وفى خامس عشر شوال: قدمت أم سالم الدكرى أمير التركمان بنواحى الأبلستين[1]، ومعها أحمد بن همز التركمانى أحد الأبطال، وكان قد أقام دهرا يقطع الطريق على قوافل العراق يأخذ أموالهم ويقتل رجالهم، وأعيا النواب بالمماليك أمره، وهدروا دمه، فتشتت شمله، وضاقت عليه تلك البلاد، حتى اضطره الحال إلى الدخول فى الطاعة، وقدم بأم سالم لتشفع فيه، فقبل السلطان شفاعتها، وأنعم عليه بإقطاع، وجعله من جملة من مقدمى المماليك، وأنعم على أم سالم وردها إلى بلادها مكرمة.

وفيه استقر الأمير أحمد الطرخانى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن الأمير شرف الدين يحيى بن قرمان.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه: استقر فى قضاء الحنابلة بدمشق شمس الدين محمد ابن تقى الدين عبد الله بن محمد بن عبد الله المقدسى، المعروف بابن تقى المرداوى، عوضا عن علاء الدين على بن محمد بن على العسقلانى.

وفى أول ذى القعدة: وصلت تراويج القمح الجديد، فانحل السعر، حتى أبيع الأردب بستين درهما بعد مائة وثلاثين، وأبيع الأردب الشعير بعشرين درهما، والأردب الفول بدون العشرين درهما، وأبيع الخبز أربعة أرطال بدرهم، ثم تناقصت

---

(١) أبلستين: بالفتح ثم الضم، مدينة مشهورة من بلاد الروم. (انظر معجم البلدان).

الأسعار، واتفق أنه أبيع فى بعض الأيام الأردب القمح بماية وعشرين درهما، ثم أبيع فى أثناء النهار بتسعين، ثم أبيع بستين، ثم أبيع من آخر النهار بثلاثين درهما.

وفى الخميس ثالثه: أنعم على الأمير يبيغا السابقى الخاصكى بتقدمة ألف.

وفى تاسع عشره: سقط الطائر بالبشارة بفتح سيس بعث به الأمير بيدمر نائب الشام، ثم قدم من الغد البريد من النواب بذلك، فدقت البشائر بقلعة الجبل ثلاثة أيام، وحمل إلى الأمير أَشَقْتَمُر نائب حلب تشريف جليل، وذلك أنه توجه بعساكر حلب إليها فنازلها، وحصر التكفور[1] متملكها مدة شهرين حتى طلب الأمان، من فناء أزودتهم، وعجزهم عن العسكر، فتسلم الأمير أَشَقْتَمُر قلعتها، وأعلن فى مدينة سيس بكلمة التوحيد، ورتب بها عسكرا، وأخذ التكفور وأمراءه، من أجناد وعاد إلى حلب، وجهزهم إلى القاهرة، فبعث السلطان الأمير يعقوب شاه لنيابة سيس، وأزال الله منها دولة الأرمن عباد الصليب، وقال الأدباء فى ذلك شعرا كثيرا، ذكرنا بعضه فى ترجمة الأمير أشقتمر من تاريخنا الكبير المقفا.

واستقر الأمير صرغتمش الخاصكى فى نظر المارستان، بعد وفاة الأمير أيدمر الدوادار.

وفيه عين قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، لقضاء الحنفية بديار مصر، بعد وفاة صدر الدين محمد بن التركمانى شرف الدين أحمد بن على بن محمد بن محمد أبى العز الدمشقى، فسار البريد لإحضاره.

وقدم البريد بغلاء الأسعار بحلب، حتى أبيع المكوك القمح بمائة وخمسين درهما، وأن الشيخ أويس بن الشيخ حسن متملك بغداد مات، واستقر فى السلطنة بعده ابنه حسين بن أويس بن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن إيلكين.

واستقر فى قضاء القضاة بحلب فخر الدين عثمان بن أحمد بن أحمد بن عثمان الزرعى الشافعى، عوضا عن كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعرى، واستقر سرى الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانى الأندلسى فى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى الشاذلى، واستقر الطواشى ياقوت الشيخى زمام الدور فى تقدمة المماليك، بعد وفاة الأمير سابق الدين مثقال الآنوكى، واستقر الطواشى سابق الدين مثقال الجمالى الساقى شاد الحوش زمام الدور،

---

(١) التكفور: لقب أطلق على ملوك أرمينيا الصغرى، متملكى سيس.

وخلع عليهما. واستقر الأمير منكلى بغا البلدى فى نيابة طرابلس[١]، عوضا عن الأمير أَقْتَمُر عبد الغنى، واستقر آقتمر عبد الغنى فى نيابة صفد[٢]، وخرج البريد بإحضار يعقوب شاه نايب سيس، واستقر عوضه الأمير آقبغا عبد الله.

وفى آخره: فشت الأمراض فى الناس بالطاعون، وقل وجود الأموات الطرحاء، وأبيع الأردب الشعير من عشرين درهما إلى ستة وعشرين درهما.

وفى رابع ذى الحجة: قطع الدميرى المحتسب سعر الخبز ثمانية أرطال بدرهم، وقد كان خمسة أرطال وثلث بدرهم، فامتنع الطحانون أن يشتروا القمح إلا بثمانية عشر درهما، فأبى تجار الغلال الجلابة بيع القمح بهذا، وعادوا بمراكب الغلال من حيث أتوا، فعز وجود القمح وبلغ أربعة وثلاثين درهما الأردب، وتعذر وجود الخبز فى الأسواق عدة أيام، وأبيع أقل من ستة أرطال بدرهم.

وفى يوم الإثنين خامسه: قدم الأمير يعقوب شاه على البريد من سيس، فخلع عليه واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن قطلوبغا الشعبانى.

وفى يوم النحر: تناقص الوباء.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره: قدم الشيخ شرف الدين أحمد بن منصور الحنفى من دمشق، فنزل بمدرسة السلطان حسن. ثم استدعى فى يوم الخميس خامس عشره إلى القلعة، فأجلس بباب القصر، ثم أمر أن يجلس على باب خزانة الخاص بجوار القصر، فجلس حتى خرج الأمراء من الخدمة بالقصر، وفيهم الأمير طشتمر الدوادار، فسلم عليه وسار به إلى منزله، وباسطه، وأطعمه معه من غذائه. وكان عنده الشيخ سراج الدين عمر البلقينى، والشيخ ضياء الدين القرم، فتجابذوا[٣] أطراف البحث فى فنون العلم. ثم أمره الأمير طشتمر أن يستمر حيث نزل إلى أن يطلبه السلطان، فمضى وقد عاق القوم أمره.

وتحدث الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص فى ولاية الجلال رسولا بن أحمد بن

---

(١) طرابلس: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢٥،٢٦، والروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، ونزهة المشتاق ١١٧.

(٢) صفد مدينة فى صيال عاملة مطلة على حمص بالشام. انظر معجم البلدان ٣/٤١٢.

(٣) جبذ جبذا: لغة فى جذب، وفى الحديث: فجبذنى رجل من خلفى، وظنه أبو عبيد مقلوبا عنه؛ قال ابن سيدة: وليس ذلك بشىء، وقال ابن جنى ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، وذلك أنهما جميعًا يتصرفان تصرفا واحدًا، تقول: جذب يجذب يجذب جذبًا انظر لسان العرب ٥٣٤.

يوسف التبانى الرومى - مدرس الحنفية بمدرسة الأمير ألجاى-قضاء الحنفية. فاستدعاه السلطان وعرض عليه ولاية قضاء القضاة، فامتنع من قبوله، واعتذر بأن العجم ليس لها معرفة باصطلاح أهل مصر، فقبل السلطان عذره، وصرفه مكرما. فتحدث بعض الأمراء فى ولاية مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم، وكاد أمره يتم، ثم بطل. فتحدث بعض أهل الدولة لنجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبى العز، المعروف بابن الكشك، فى ولايته، فأجيب إلى ذلك وخرج البريد يطلبه من دمشق.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: قبض على الصاحب كريم الدين شاكر بن الغنام، وعلى حواشيه، وعلى مقدم الدولة الحاج سيف وشريكه عبيد البازدار، وعلى الأمير شرف الدين حمزة شاد الدواوين، وأبطل الوزارة، وأمر فأغلق شباك الوزارة بقاعة الصاحب من قلعة الجبل، فخلع على الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى أطلسين، واستقر مشير الدولة بإمرة طبلخاناه، ورسم له أن يحمل الدواة والمرملة كما هى عادة الوزراء، وخلع على سعد الدين بن الريشة، وعلى أمين الدين أمين، واستقرا فى نظر الدولة، ورسم لهما أن يجلسا من وراء شباك الوزارة وهو مغلق. وخلع على كريم الدين صهر النشو وعلى فخر الدين بن علم الطويل، واستقرا فى استيفاء الدولة.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: أفرج عن المقدم سيف، ونوابه، وخلع عليه، فإنه التزم أن يستخرج للسلطان ستمائة ألف من مال السلطان، وأفرج أيضًا عن كريم الدين شاكر ابن غنام، على مال التزم به، فنزل على حمار، حتى باع أثاثه وخيوله.

وفى يوم الجمعة ثالث عشرينه: عزل قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة نفسه من القضاء، من أجل أنه منع بعض موقعى الحكم من التوقيع، فألح عليه بعض أهل الدولة فى الإذن له، فغضب من الاعتراض عليه، وأغلق بابه، واعتزل عن الحكم هو ونوابه، فشق ذلك على السلطان، وبعث إليه بالأمير ناصر الدين محمد آقبغا آص يسأله فى العودة إلى الحكم، فنزل إليه فى يوم السبت، وسأله عن السلطان، وتضرع إليه وترفق، فأبى من العود إلى الولاية. ورجع الأمير إلى السلطان، فأرسل إليه بالأمير بهادر الجمالى، أميرآخور، آخر النهار، فألح فى مسألته وأكثر من الترقق له، فلم يقبل منه، وصمم على الامتناع. فلما أيس منه قال له: «مولانا السلطان يسلم عليك، وقد حلف إن لم تقبل عنه الولاية، ولم تركب إليه، ليركبن إليك، حتى يأتيك فى هذه الليلة إلى منزلك، حتى تقبل عنه ولاية القضاء»، وحلف له الأمير بهادر بالطلاق، أنه سمع السلطان، وهو يحلف بالطلاق على هذا. فلم يجد القاضى عند ذلك بدا من أن قال:

«أنا أجتمع بالسلطان»، ثم ركب بثياب جلوسه، وصعد إلى القلعة، فعرض عليه السلطان العود إلى ولاية القضاء، ولاطفه. فأجاب بعد جهد: «إنى أستخير ا لله تعالى هذه الليلة، ثم يكون ما يقدره ا لله». فرضى منه السلطان بذلك، وقام عنه وأجل الأمراء من يسعد بتقبيل يده، حتى أتى منزله. وركب من الغد يوم الأحد خامس عشرينه إلى القلعة، واشترط على السلطان شروطا كثيرة، التزم له بها حتى قبل الولاية. ولبس التشريف الصوف، ونزل عليه من المهابة ما يكاد يشق الصدور، فكان يوما مشهودا.

وفى هذا الشهر: استقر جلال الدين جار ا لله فى تدريس الحنفية بالجامع الطولونى، بعد وفاة ابن التركمانى. واستقر الأمير قارا بن مهنا، فى إمرة العرب، بعد موت أخيه حيار بن مهنا.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه: ركب السلطان إلى عيادة الأمير منجك فى مرضه، فقدم له عشرة مماليك، وعشرة بقج قماش، وعدة من الخيل، فقبل ذلك، ثم أنعم به عليه، و لم يرزأه منه شيئا، وقد فرش له عدة شقاق من حرير مشى عليها بفرسه فى داره، ثم عاد إلى القلعة.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

خلائق لا يحصيها إلا خالقها، فمن الأعيان:

الأمير أسنبغا القوصونى اللالا أحد الطبلخاناه، وهو مجرد بالإسكندرية، فى ثالث عشر المحرم.

ومات الأمير أسنبغا البهاورى شاد العماير، ونقيب الجيش، فى آخر شهر رجب.

ومات شهاب الدين أحمد، عرف بطبيق، ابن الفقيه بدر الدين حسن، أحد فقهاء الحنفية، فى رابع ذى القعدة.

ومات شهاب الدين أحمد بن السقا أحد فضلاء الميقاتية، فى تاسع عشر شوال.

ومات شهاب الدين أحمد بن براغيث، فى خامس عشرين شوال.

ومات قاضى الحنفية بدمشق، شرف الدين أحمد بن شهاب الدين حسين بن سليمان بن فزارة الكفرى، بعد أن كف بصره، عن خمس وثمانين سنة.

ومات قاضى الشافعية بحلب وطرابلس، شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف بن أيوب الحموى، عن بضع وسبعين سنة، بحماة.

ومات الإمام النحوى شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد[1] بن محمد بن على العنابى الدمشقى، عن بضع وستين سنة بدمشق. أخذ النحو بالقاهرة عن أبى حيان، وشرح كتاب سيبويه.

ومات الأديب البارع شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد، المعروف[2] بابن أبى حجلة التلمسانى الحنفى، شيخ صهريج منجك[3]، فى يوم الخميس أول ذى الحجة بالقاهرة، عن إحدى وخمسين سنة.

ومات الإمام المحدث شهاب الدين أحمد بن الزيلعى شيخ الإقراء بخانكاه شيخو، فى يوم الأربعاء سابع ذى الحجة.

ومات الأمير ألطنبغا النظامى الجوكندار.

ومات سلطان بغداد وتوريز القان أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن أيلكان، عن نيف وثلاثين سنة، منها فى السلطنة تسع عشرة سنة، وكان قد اعتزل قبل موته، وأقام عوضه فى المملكة ابنه الشيخ حسين لمنام رآه نعيت إليه نفسه، وعين له يوم موته، فتخلى عن الملك، وأقبل يتعبد، فمات كما ذكر له فى نومه.

ومات الأمير أيدمر الدوادار الآنوكى الناصرى، أتابك العساكر، فى يوم الأربعاء سادس عشر ذى القعدة، وكان مهابًا، سيوسًا، حازمًا، يبدأ الناس بالسلام، ويتبع الأحكام الشرعية.

وتوفى شيخ خانكاه سعيد السعداء بدر الدين حسين بن قاضى دمشق، علاء الدين على بن إسماعيل بن يوسف القونوى الشافعى، فى يوم السبت، سادس عشر شعبان، وهو ينوب فى الحكم عن قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، ويدرس فى المدرسة الشريفية.

ومات الأمير حيار بن مهنا بن عيسى[4] بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن

---

(١) أحمد بن محمد بن محمد بن على الدين العنانى أديب نحوى شافعى من تلاميذ أبى حيان انتقل إلى دمشق، فاشتهر وتوفى بها وله: «نزهة الأبصار فى أوزان الأشعار – ج» والوافى فى معرفة القوافى – خ). انظر الدرر الكامنة ٢٩٨/١ وشذرات الذهب ٢٤٠/٦ والأعلام ٢٢٥/١.

(٢) أحمد بن يحيى بن أبى بكر التلمسانى أبو العباس شهاب الدين بن أبى حجلة: عالم بالأدب، شاعر، من أهل تلمسان. سكن دمشق، وولى مشيخة الصوفية بصهريج منجك بظاهر القاهرة ومات فيها بالطاعون وله «مقامات» وكتاب «ديوان الصبابة – ط» انظر الدرر الكامنة ٣٢٩/١ وتعريف الخلق ٤٢/٢ وآداب اللغة ١٢٣/٣ وفهرس دار الكتب ١٠٥/٣، ١٣٥ والأعلام ٢٦٩/١.

(٣) صهريج منجك فى ظاهر القاهرة.

(٤) حيار بن مهنا عيسى من آل فضل، من طيئ: أمير بادية الشام. آلت إليه الإمارة بعد موت أخيه فياض سنة ٧٦٢هـ وكان مواليًا لسلاطين مصر والشام وتابعًا لهم فنقض طاعتهم سنة ٧٦٥هـ وابتعد فى القفر يعبث وينهب. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والدرر الكامنة ١٧١/٢ والأعلام ٢٨٩/٢.

فضل بن ربيعة، أمير آل فضل بنواحى سَلَمية[١]، عن بضع وستين سنة.

ومات الأمير سلطان شاه بن قرا الحاجب من أمراء الطبلخاناه.

وتوفى الشيخ جمال الدين عبد الله بن محمد بن أحمد الحسينى النيسابورى[٢] الشافعى، وهو من أبناء التسعين بحلب، بعد ما أقام بالقاهرة زمانا، وبرع فى العربية والأصول.

وتوفى قاضى القضاة الحنابلة بدمشق علاء الدين على بن محمد بن على بن عبد الله ابن أبى الفتح العسقلانى المصرى، أحد أعلام الحنابلة، فى ثامن عشر شوال بدمشق.

ومات قاضى حلب، علاء الدين على بن الفخر عثمان بن أحمد بن عمرو بن محمد الزرعى الشافعى، عن خمس وثمانين سنة بدمشق، وقد باشر بها وكالة بيت المال وكتابة الإنشاء.

ومات الأمير قرقماس الصَرْغَتْمُشى، أحد العشرات.

ومات الأمير كَبَكَ الصَرْغَتْمُشى، أحد أمراء الطبلخاناه.

وتوفى قاضى العسكر مفتى دار العدل، أحد الفقهاء الحنفية، وشيخ العربية والأدب، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن على بن الصايغ الحنفى، فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شعبان.

وتوفى قاضى القضاة صدر الدين محمد بن قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة علاء الدين على بن فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردينى، المعروف بابن التركمانى الحنفى، فى ليلة الجمعة رابع ذى القعدة، عن نحو أربعين سنة، بمنزله من ناحية كوم الريش، خارج القاهرة، وقد أقام فى قضاء الحنفية ثلاث سنين وأشهر، وأوصى أن يكتب على قبره من شعره:

إن الفقير الذى أضحى بحفرته ... نزيل رب كثير العفو ستار

يوصيك بالأهل والأولاد تحفظهم ... فهم عيال على معروفك السارى

---

(١) سلمية: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٣٢٠، ونزهة المشتاق ٥٦. اليعقوبى ٣٢٤، والكرخى ٤٦.

(٢) عبد الله بن محمد بن أحمد الحسينى النيسابورى، جمال الدين وينعت بالشريف: عالم بالعربية وأصول الفقه. ولى التدريس بحلب، وأقام بدمشق مدة، وبالقاهرة مثلها له شرح المنار فى الأصول و(شرح التسهيل) فى النحو. انظر مفتاح السعادة ١٤٩/١ والدرر الكامنة ٢٨٦/٢ وشذرات الذهب ٢٤٢/٦ والأعلام ١٢٦/٤.

وتوفى مفتى الشام جمال الدين محمد بن الحسن بن محمد بن عمار، المعروف بابن قاضى الزبدانى الحارثى الدمشقى، عن سبع وثمانين سنة.

وتوفى أمين الدين محمد بن قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن على بن أحمد بن على بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الحق الحنفى، بدمشق، عن بضع وستين سنة.

وتوفى المحدث شمس الدين محمد بن الأنصارى المعروف بابن العلاف، عن نحو مائة سنة.

وتوفى رئيس التجار ناصر الدين محمد بن مسلم فى يوم الجمعة ثانى عشر شوال، وإليه ينسب المدرسة المسلمية بمصر.

ومات الأمير منجك اليوسفى نائب السلطنة، فى يوم الخميس تاسع عشرين ذى الحجة، ودفن من الغد بخانكاته تحت القلعة.

وتوفى الوزير الصاحب ناظر الخاص فخر الدين ماجد، ويدعى عبد الله، بن تاج الدين موسى بن علم الدين أبى شاكر بن سعيد الدولة، فى يوم الجمعة عاشر ذى القعدة، وأبوه حى.

ومات الأمير موسى بن أيدمر الخطيرى، أحد أمراء العشرات.

ومات الأمير الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى مقدم المماليك، وأحد أمراء الطبلخاناه، فى يوم الجمعة سابع عشر ذى القعدة، وإليه تنسب المدرسة السابقية بالقاهرة.

وتوفى المسند زين الدين عبد الرحمن بن على بن محمد بن هارون، بن محمد بن هارون، المعروف بابن القارئ التغلبى، فى نصف ذى القعدة، حدث بصحيح عن الشهاب أحمد بن إسحاق بن المؤيد[1] الأبرقوهى[2]، وهو آخر من حدث عنه، وله مشيخة، حدث بها أيضًا.

وتوفى أحد فقهاء المالكية ناصر الدين محمد الهارونى أبو جابر بمصر، فى يوم الأربعاء سادس شعبان.

---

(١) أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد، أبو المعالى شهاب الدين، الأبرقوهى: عالم بالحديث والقرآن من أهل أبرقوه (بأصبهان) ولد بها، ونشأ فى همذان وعاش بمصر وتوفى بمكة. كان مسند وقته. له (معجم شيوخه خ) مرتب على الحروف، منه نسخة ناقصة الأول. انظر شذرات الذهب ٦:٤ وتاريخ علماء بغداد ٢٠ والمخطوطات المصورة ٢٥٢/٢ والفهرس التمهيدى.

(٢) أبرقوه بفتح أوله وثانيه بلد بفارس من أعمال شيراز. (انظر معجم البلدان).

وتوفى كمال الدين أبو البركات السبكى الشافعى مدرس الحديث بالشيخونية[1]، ومفتي دار العدل، فى يوم الإثنين ثانى عشرين شوال.

وتوفى شيخ كتاب المنسوب عز الدين أيبك بن عبد الله التركى، عتيق طرغاى الجاشنكير الناصرى فى يوم الأحد بالقاهرة، وكتب على الفخر السنباطى، وجاد، وتصدر للكتابة بالجامع الأزهر دهرا، فكتب الناس عليه وانتفع به جماعة، وكان خيرا دينا.

ومات الأمير يلبغا الناصرى، أحد مقدمى الألوف، فى ليلة الجمعة آخر ذى الحجة.

ومات الشيخ مجد الدين محمد بن الشيخ مجد الدين أبى بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلونى الشافعى، فى سابع شوال.

ومات ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الكتنانى، أحد فضلاء الميقاتية، فى يوم الثلاثاء خامس عشرين رمضان.

ومات شرف الدين محمد بن الشيخ ناصر الدين أبى جابر المالكى، أحد نواب المالكية بمصر، فى سادس عشر شوال.

ومات شمس الدين محمد بن ثعلب المالكى، مدرس المدرسة القمحية[2] بمصر، فى تاسع شوال.

ومات شرف الدين حسن بن صدر الدين بن قاضى القضاة تقى الدين أحمد المقدسى الحنبلى، أحد كتاب الإنشاء ومدرس الحنابلة بالجامع الحاكمى[3]، فى يوم الأربعاء سادس عشر ذى القعدة.

ومات الأمير بيبغا العلاى الدوادار، وهو منفى بطرابلس.

وتوفى صلاح الدين يوسف بن محمد، عرف بابن المغربى، رئيس الأطباء، فى يوم

---

(١) المدرسة الحديثية بالشيخونية أنشأها الأمير سيف الدين شيخو الناصرى رأس نوبة الأمراء سنة ٧٥٦هـ وكان مكانها بسويقة منهم فيما بين الصلبية والرميلة تحت قلعة الجبل. انظر النجوم الزاهرة ٢٦٩/١٠.

(٢) المدرسة القمحية: بناها السلطانى صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٦٦هـ وخصصها لفقهاء المالكية ووقف عليها ضيعة بالفيوم. انظر المواعظ ٣٦٤/٢.

(٣) الجامع الحاكمى – أول من أسسه الخليفة العزيز با لله الفاطمى، ثم أعمله ابنه الحاكم فنسب إليه. انظر (خطط المقريزى ٢٧٧/٢).

الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة، عن سن عال، وإليه ينسب جامع ابن المغربى[1] بشاطئ الخليج الناصرى بجانب بركة قرموط[2].

* * *

(١) جامع ابن المغربى: يطل هذا الجامع على الخليج الناصرى، أنشأه صلاح الدين يوسف بن المغربى وبنى بجانبه قبة دفن فيها. انظر المواعظ ٢/٣٢٨.

(٢) بركة قرموط: هذه البركة فيما بين اللوق والقس، كانت من جملة بستان ابن ثعلب. وقرموط هذا هو أمين الدين قرموط متولى الخزانة السلطانية. انظر المواعظ ٢/١٦٤.



سنة سبع وسبعين وسبعمائة

فى ثالث المحرم: خلع على نجم الدين بن الشهيد موقع الدَستْ، واستقر كاتب السر بسيس.

وفى يوم الأحد تاسعه: ختن السلطان ولديه أمير على وأمير حاجى، وعملت الأفراح مدة سبعة أيام ليلا ونهارا.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره: قدم قاضى الحنفية بدمشق نجم الدين أبو العباس أحمد، ابن قاضى دمشق عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبى العز بن صالح بن أبى العز وهيب بن عطا بن جبير بن وهيب الأذرعى الدمشقى، المعروف بابن أبى العز، ودخل على الأمير طشتمر الدوادار، والأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص، ومحب الدين محمد ناظر الجيش، وقاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، ونزل بصهريج منجك تحت القلعة، وأقبل الأعيان للسلام عليه.

وفيه قدم قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم الأخناى المالكى من الحج وسلم على السلطان، فخلع عليه وأكرمه.

وفى آخره: استدعى نجم الدين بن أبى العز إلى القلعة، وفوض إليه السلطان قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، وخلع عليه، وقرر عوضه فى قضاء الحنفية بدمشق ابن عمه صدر الدين على بن على[1] بن محمد بن محمد بن أبى العز صالح بن أبى العز، فنزل قاضى القضاة نجم الدين فى موكب جليل إلى المدرسة الصالحية بين القصرين على العادة.

وفى رابع عشرينه: أنعم على الأمير طَيْبُغا الجمالى الصفوى بإمرة طبلخاناه، وخلع على شرف الدين بن منصور، واستقر فى قضاء العسكر، عوضا عن ابن الصايغ.

وفيه قدم النشو الملكى الوزير من الشام باستدعاء، ولزم بيته، وأنعم على الأمير سراى تمر الخاصكى بتقدمة ألف.

---

(١) على بن على بن محمد بن أبى العز، الحنفى الدمشقى: فقيه كان قاضى القضاة بدمشق ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق، وامتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيب الدمشقى، وله كتب منها (التنبيه على مشكلات الهداية – خ). انظر الدرر الكامنة ٨٧/٣ والكتبخانة ٢٨/٣ وهدية العارفين ٧٢٦/١ والأعلام ٣١٣/٤.

وفى نصف صفر: ابتدأ السلطان بعمارة مدرسة بالصوة تجاه الطبلخاناه من قلعة الجبل، وشرع فى هدم بيت الأمير سُنقر الجمالى؛ ليضيفه إليها.

وفى هذا الشهر: وجد فى قصر الحجازية(١) من القاهرة - حيث كان باب الزمرد أحد أبواب القصر الفاطمى - تجاه رحبة باب العيد، عمودان عظيمان إلى الغاية تحت ردم، فرسم بسحبهما إلى عمارة السلطان، فأعيا العتالون أمرهما وعجزوا عن شحطهما(٢) لكبرهما، فانتدب ابن عايد رايس الخلافة، وإليه أمر الحراقة السلطانية لذلك، وعمل حركات هندسية، فانجرا مع تلك الحركات بطول شارع القاهرة إلى تحت القلعة حيث العمارة، فى عدة أيام، كان للعامة فيها اجتماعات بطبولهم وزمورهم، وقالوا من نزهاتهم فى جر العامود غناء تداولته ألسنتهم عدة سنين، واقترحوا بالإسكندرية قماشا سموه جر العامود، للبس النساء، من الحرير. فلما وصل العمودان إلى العمارة انكسر أكبرهما نصفين.

وفى خامس شهر ربيع الأول: خلع على الأمير تمرباى التمرتاشى، واستقر فى نيابة الكرك، عوضا عن طَيدَمُر البالسى.

وفى سادسه: قبض على الأمير تمرباى أمير مجلس، والأمير كزَل وسجنا.

وفى يوم الإثنين ثامن عشرينه: خلع على الصاحب تاج الدين النشو المالكى وأعيد إلى الوزارة بعد إبطالها، وخلع على أمين الدين أمين، واستقر فى نظر الدولة بمفرده، وعزل الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى من الإشارة.

وفى يوم الإثنين سادس عشرين شهر ربيع الآخر: خلع على الأمير آقتمر الصاحبى الحنبلى، واستقر نائب السلطان، عوضا عن الأمير سيف الدين منجك بحكم وفاته، فخرج وجلس بدار النيابة من قلعة الجبل على العادة، وأمضى الأمور وحكم بين المتخاصمين.

وفيه استقر ولى الدين أبو محمد عبد الله بن أبى البقاء فى قضاء القضاة بدمشق بعد موت أبيه، وحمل إليه التقليد والخلعة على البريد.

---

(١) قصر الحجازية كان يعرف أولا بقصر الزمرد أيام الخلفاء الفاطميين، ثم عرف بعد بقصر قوصون إلى أن اشترته خوند تتر الحجازية. انظر المواعظ ٢/٧١.

(٢) الشحط والشحط: البعد؛ وقيل: البعد فى كل الحالات، يثقل ويخفف؛ قال النابغة:

كل قرينة ومقر إلف ... فارقة إلى الشحط القرين

وأنشد الأزهرى:

الشحط قطاع رجاء من رجا ... شحط الدار تشحط شحطًا وشحطًا

وشحوطًا: بعدت، الجوهرى: شحط المزار أى بعد، وأشحطته أبعدته. انظر لسان العرب ٢٢٠٧.

وفى هذا الشهر: ارتفع سعر اللحم، فأبيع الرطل من لحم الضأن بدرهم ونصف، والرطل من لحم البقر بدرهم وثمن.

وفى سابع عشر شهر جمادى الأولى: قدم الأمير قُطلوبغا المنصورى من الشام، باستدعاء.

وفى يوم الخميس خامس جمادى الآخرة: خرج قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن أبى العز من القاهرة عائدا إلى دمشق، من غير أن يعلم به أحد، شبه الفأر، وذلك أنه لم تعجبه القاهرة ولا أهلها، فكان إذا دخل عليه أحد وجلس، قال نقيب الحكم «بسم الله» يشير إليه أن قم فينفض من فى مجلسه، وأكثر من التضجر والقلق، ومازال يسأل فى الإعفاء، وأن يستقر ابن عمه صدر الدين عوضا عنه، حتى أجيب، فاغتنم ذلك وسافر.

وفى نصفه: قبض على الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام، وأدخل قاعة الصاحب على مال يحمله، ثم أفرج عنه بعد ثلاثة أيام، فاختفى، و لم يقدر عليه، فأوقع الملكى الحوطة على داره، وقبض على أتباعه ومعارفه، وصادرهم، ونودى عليه بالقاهرة ومصر، وهدد من أخفاه، وجاء المالكى ليهدم داره، بالقرب من الجامع الأزهر فلم يتهيأ له ذلك، فإنه وجد بها محرابا، فصارت مدرسة إلى اليوم.

وفى يوم الأربعاء رابع شهر رجب: قدم صدر الدين على بن على بن محمد بن محمد أبى العز الحنفى من دمشق باستدعاء، فخلع عليه من الغد يوم الخميس خامسه، واستقر فى قضاء الحنفية بدمشق.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: خلع على بدر الدين عبد الوهاب بن كمال الدين أحمد بن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر الأخناى، واستقر فى قضاء القضاة المالكية بالقاهرة، بعد وفاة البرهان إبراهيم الأخناى، وخلع على الأمير قطلوبغا المنصورى، واستقر حاجب الحجاب، وسافر ركب الحجاج الرجبية على العادة

وفى أول شعبان: قدم الأمير آشقتمر نائب حلب بهدية جليلة، قدمها للسلطان، فقبلها.

وخلع على ابن عرام، وأعيد إلى نيابة الإسكندرية، عوضا عن جَركتَمُر المنجكى بعد وفاته، وعلى الطواشى مختار شاذروان الدمنهورى، واستقر مقدم المماليك بعد وفاة افتخار الدين ياقوت الشيخى، وعلى الطواشى ظهير الدين مختار الحسامى مقدم القصر، واستقر مقدم الأسياد ولدى السلطان بإمرة عشرة، عوضا عن مختار شاذروان.

وقدمت رسل صاحب اصطنبول بهدية فيها صهرج عمل بحركات هندسية، فإذا مضت ساعة من الليل والنهار خرجت تماثيل بنى آدم، وضربت بصنوج فى أيديها، وأنواع من آلات الملاهى معها، وإذا مضت درجة سقطت بندقة.

وفى خامس عشره: سافر الأمير أشقتمر على نيابة حلب بعد ما خلع عليه، وقدم صاحب سنجار بعد ما سلمها لنواب السلطان، فخلع عليه وأكرم، وخرج الأمير أرغون العثمانى لإحضار الأمير بيدمر نائب الشام.

وفى خامس عشرينه خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن على بن الطواشى، واستقر فى توقيع الدست، عوضا عن ناصر الدين محمد بن القرشى بعد وفاته، وخلع على علم الدين يحيى كاتب الأمير شرف الدين موسى بن الدينارى بعد ما أسلم، واستقر فى نظر الخزانة الكبرى، عوضا عن القرشى، وخلع على شمس الدين محمد الدميرى المحتسب، واستقر فى نظر الأحباس، عوضا عن القاضى القرشى.

وفى تاسع عشرينه: خلع على الأمير طيبغا الصفوى، واستقر لالا إخوة السلطان، وعلى الأمير ناصر الدين محمد بن قرطاى الكركى، واستقر فى ولاية قوص، عوضا عن ركن الدين عمر بن المعين.

وفى تاسع شهر رمضان: خلع على شرف الدين أحمد بن على[1]، ابن منصور، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن صدر الدين على بن أبى العز، وسافر ابن أبى العز إلى دمشق، وخلع على مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم التركمانى الحنفى، واستقر فى قضاء العسكر، عوضا عن شرف الدين أحمد بن منصور.

وفى تاسع عشرينه: قدم الأمير بيدمر نائب الشام، ومعه هدية للسلطان لم يعهد مثلها للنائب قبله، منها مائتان وخمسون فرسا، وأهدى لجميع الأمراء والأعيان عدة هدايا، ونزل بالميدان الكبير على النيل، حتى سافر فى ثالث عشر شوال بعد ما خلع عليه.

وفى ليلة السبت ثالث عشرينه: طلق السلطان نساءه الثلاث، وهن خوند صاحبة القاعة ابنة عمه السلطان حسن، وابنة الأمير تنكزبغا، وابنة الأمير طغاى تمر النظامى.

---

(١) أحمد بن على بن منصور بن ناصر، أبو العباس، شرف الدين بن منصور الحنفى: قاضى درس وأفتى، مولده ووفاته فى دمشق. ولى قضاءها، فطلبه السلطان الملك الأشرف فولاه القضاء بمصر سنة ٧٧٧هـ فباشره أقل من عام وعاد إلى دمشق ودفن هناك وله «التحرير» اختصر به «المختار». انظر الدرر الكامنة ١/٢٢١ والشذرات ٦/٢٧٣ وكشف الظنون ١٦٢٢ ورفع الإصر ١/٨٩ - ٩١ والأعلام ١/١٧٦، ١٧٧.

وقدم ابن عرام نائب الإسكندرية باستدعاء، وقدم طيدمر البالسى من القدس باستدعاء، وظهر الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام من اختفائه، فخلع عليه، واستقر فى نظر البيوت.

وفى يوم الأحد ثانى عشرين ذى القعدة: عزل الملكى من الوزارة، وخلع من الغد يوم الإثنين ثالث عشرينه على أمين الدين أمين، واستقر فى نظر الدولة، بغير وزير، فانفرد الصاحب شمس الدين أبو الفرج المقسى ناظر الخاص بالتدبير، وخلع عليه، واستقر مشير الدولة، وخلع على أمين الدين جعيص، واستقر مستوفى الدولة.

وقدم البريد بغلاء الأسعار بدمشق، وأن الغرارة القمح بلغت نحو خمسمائة درهم، وأبيع الخبز بحلب كل رطل حلبى بستة دراهم، والمكوك القمح بثلاثمائة درهم ونيف، وأكلت الميتات والكلاب والقطاط، ومات خلق كثير من المساكين، وانكشف عدة من الأغنياء، وعم الغلاء ببلاد الشام كلها، حتى أكلت القطاط وبيعت الأولاد بحلب وأعمالها.

وفيه استناب قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، صهره سرى الدين محمد ابن قاضى المالكية جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن على المسلاتى فى الحكم بالقاهرة، بعد ما انتقل عن مذهب مالك إلى مذهب الشافعى، واستقر البرهان أبو سالم إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى، فى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن ناصر الدين أبى عبد الله محمد بن سرى الدين أبى الوليد إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانى الأندلسى، واستقر بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مزهر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن فضل الله بعد وفاته.

وكان أمير الحاج فى هذه السنة الأمير بورى الخاصكى، فخرج على الحاج بطريق المدينة النبوية قطاع الطريق، وقتلوا منهم طائفة.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى الهذبانى الأخناى المالكى، فى ليلة الثلاثاء ثانى شهر رجب، وكانت مدة ولايته قضاء خمس عشرة سنة.

وتوفى ناظر بيت المال برهان الدين إبراهيم بن بهاء الدين الحلى، فى يوم الأربعاء خامس المحرم.

وتوفى الفقير المجذوب المعتمد أحمد بن عبد الله، ويسمى مسعود، بخط المريس فيما بين القاهرة ومصر، يوم الخميس تاسع شهر رمضان، كان أسود اللون، ويؤثر عنه كرامات، وربما غاب عقله مدة ثم حضر.

وتوفى كاتب السر بدمشق شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علاء الدين على بن محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى، وقد أناف على الثلاثين.

ومات الأمير أرغون المحمدى الآنوكى، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير سيف الدين أسنبغا بن بكتمر البوبكرى، أحد أمراء الألوف، فى يوم الأربعاء خامس المحرم، وإليه تنسب المدرسة البوبكرية[١] بالقاهرة.

ومات الأمير جركتمر المنجكى أمير مجلس، وقد ولى قلعة المسلمين[٢] حتى مات بها.

ومات الأمير طقبغا العمرى، أحد الطبلخاناه.

وتوفى الشيخ عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن أبى عبد الله يحيى بن إبراهيم بن سعيد بن طلحة بن موسى بن إسحاق، بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبان بن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، فى يوم الأحد ثالث جمادى الأولى، بخلوته من سطح جامع الحاكم، وكانت له جنازة عظيمة جدا، ومولده سنة أربع وتسعين وستمائة. كان فقيها شافعيا صاحب فنون، قدم من مكة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة إلى القاهرة، وأخذ الفقه عن التقى السبكى والعلاء القونوى، والنحو عن أبى حيان، والأصفهانى، وعاد إلى مكة بعد سبع سنين، ثم قدم منها بعد سنتين إلى البلاد الشامية، سمع من جماعة كالبرهان بن سباع، وابن عبد الدايم، ثم استوطن القاهرة، ودرس الحديث بالمدرسة المنصورية، وباشر عدة وظائف تنزه عنها، وانقطع للعبادة بسطح الجامع الحاكمى حتى مات، وليس له نظير فى حفظه ودينه.

وتوفى كمال الدين أبو حفص عمر بن التقى إبراهيم بن عبد الله بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمى الحلبى، الفقيه الشافعى المحدث بحلب، وقدم إلى القاهرة.

---

(١) المدرسة البوبكرية: تقع هذه المدرسة بجوار درب العباس قريبا من حارة الوزيرية بالقاهرة، وقفها الأمير أسنبغا على الفقهاء الحنفية سنة ٧٧٢هـ. انظر المقريزى.

(٢) قلعة المسلمون: يقصد بهذه القلعة قلعة الروم وهى غربى الفرات مقابل البسيرة بينها وبين سميساط. (انظر معجم البلدان).

وتوفى زين الدين عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن أمين الدولة، الحنبلى الحلبى، عن بضع وستين سنة، بحلب، وقدم إلى القاهرة.

ومات الشريف عجلان بن[١] رميثة بن أبى نمى محمد بن أبى سعد على بن الحسن ابن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان بن عبد الله بن موسى الجور بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب، عليهم السلام، بعد ما ولى إمارة مكة شريكا لأخيه ثقبة، ثم انفرد بالإمارة بعد موت أخيه، حتى رغب عنها لولده أحمد بن عجلان، واعتزل حتى مات فى ليلة الإثنين حادى عشر جمادى الأولى.

وتوفى قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد بن سديد الدين أبى محمد عبد البر ابن القاضى صدر الدين أبى زكريا يحيى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام ابن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان الأنصارى السبكى الشافعى، فى يوم الخميس ثانى عشرين شهر ربيع الآخر بدمشق، ومولده سنة سبع وسبعمائة.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن خطيب بيروت الدمشقى الشافعى، فى شوال بدمشق، ومولده سنة إحدى وسبعمائة، قدم القاهرة وسكنها مدة، ودرس بالشافعى، وولى قضاء المدينة النبوية.

وتوفى كمال الدين محمد بن زين الدين أبى القاسم عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الحلبى بالقاهرة، عن أربع وسبعين سنة، وهو أخو شيخنا زين الدين طاهر.

وتوفى تقى الدين محمد بن كمال الدين الشهاب محمود، أحد موقعى الدست بالقاهرة عن أربع وسبعين سنة.

وتوفى الشيخ محمد بن شرف عادى - بعين مهملة[٢] - الكلائى الشافعى الفرضى النحوى المقرئ، فى يوم الثلاثاء تاسع شهر رجب، بالمدرسة القطبية[٣] من القاهرة، ودرس الفرائض زمانا، وصنف فيها، ومَهُر به جماعة.

---

(١) عجلان بن رميثة. معجم الأعلام جـ٤.

(٢) محمد بن شرف عادى القرشى الزبيرى، شمس الدين الكلائى: فرضى، من فقهاء الشافعية. له «القواعد الكبرى - خ» فى الفرائض على المذاهب الأربعة و(الجامع الصقيد فى النحو - خ). انظر الدرر الكامنة ٤٥٢/٣ وفهرست الكتبخانة ٣١٣/٣ و٣١٥ وإيضاح المكنون ٢٤٣/٢ والأعلام ١٥٧/٦.

(٣) هناك مدرستين بهذا الاسم: الأولى فى خط سويقة الصاحب بداخل درب الحريرى، والثانية فى أول حارة زويلة. انظر المواعظ ٣٦٨/٢ وأظن أن المقصود هنا المدرسة الأولى.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير قيران الحسامى، أحد الطبلخاناه.

وتوفى صلاح الدين محمد بن صوره، مدرس المعزية، بمدينة مصر، وأحد نواب الحكم الشافعية، فى ليلة الثلاثاء سابع عشرين ربيع الآخر.

وتوفى قاضى الإسكندرية كمال الدين التنسى المالكى، أحد فقهاء المالكية، فى يوم الإثنين عاشر المحرم بالقاهرة.

وتوفى ناصر الدين محمد بن القرشى موقع الدست، وناظر الأحباس، وناظر الخزانة الكبرى، فى يوم الإثنين حادى عشرين شعبان.

وتوفى التاجر ناصر الدين محمد بن سلام الإسكندرى بها، فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رجب.

وتوفى الشريف نجم الدين حمزة بن على بن محمد بن أبى بكر بن عمر، أحد نواب المالكية، وهو عائد من الحج بمنزلة رابغ[1] فى ذى الحجة.

وتوفى موقع الحكم علم الدين صالح بن أحمد بن عبد الله الإسنوى فى ليلة الثلاثاء ثانى عشر جمادى الأولى، وقد انتهت إليه رياسة جليلة، ورزق حظا وافرا من الأمراء وغيرهم بغير علم،وفيه قيل وقد ولى إعادة:

ومعيد لو كتبت له حروفا	وقلت أعد على تلك الحروف
لقصر فى إعادته عليها	فكيف يعيد فى العلم الشريف

وتوفى تاج الدين أبو غالب الكلبشاوى الأسلمى ناظر الذخيرة، فى نصف شوال، وإليه تنسب المدرسة المعروفة بمدرسة أبى غالب تجاه باب الخوخة من ظاهر القاهرة، وكان مشكورا فى مسالمة الكتاب.

وتوفى الأمير خليل بن الأمير أرغون الكاملى، فى ثانى عشرين رجب.

وتوفى شيخ الكتاب المجودين بالقاهرة، شهاب الدين غازى بن قطلوبغا التركى، فى يوم الثلاثاء تاسع رجب، وقد تصدى لتعليم الناس كتابه المنسوب دهرا طويلا، وتخرج به جماعة، وكتب على محتسب مصر شمس الدين محمد بن أبى رقيبة، وكتب ابن أبى رقيبة على ابن العفيف.

وتوفى شمس الدين محمد بن سالم بن عبد الرحمن الجبلى الدمشقى الحنبلى الأعمى،

---

(١) رابغ واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة. انظر معجم البلدان.

والد شيخنا صلاح الدين محمد بن الأعمى، فى يوم السبت سادس عشرين شعبان، وقد درس الفقه بمدرسة حسن وغيرها.

وتوفى نور الدين على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد بن أحمد الكنانى العسقلانى، الشهير بابن حجر. والد أخينا فى الله الحافظ شهاب الدين أبى الفضل قاضى القضاة أحمد بن حجر الشافعى، فى يوم الأربعاء عاشر شهر رجب، وكان تاجرا بمدينة مصر، تفقه للشافعى وحفظ كتاب الحاوى، وأخذ الفقه عن البهاء محمد بن عقيل، وقال الشعر، وكثر فضله وأفضاله، ومن شعره يشير إلى صناعة أبيه فإنه كان يبيع البز[1] بالإسكندرية.

إسكندرية كم ذا ... يسمو قماشك عزا
فطمت نفسى عنها ... فلست أطلب بزا

وتوفى الطواشى افتخار الدين ياقوت الشيخى مقدم المماليك.

وتوفيت خوند ابنة الأمير منكلى بغا الشمسى، زوجة السلطان.

* * *

---

(١) البز: الثياب، وقيل: ضرب من الثياب، وقيل: البز من الثياب أمتعة البزاز، وقيل: البز متاع البيت من الثياب خاصة؛ قال:

حسن بيت أهرًا وبزا ... كأنما لز بصخر لزا

والبزاز: بائع البز وحرفته البزازة؛ وقوله أنشده ابن الأعرابى:

شمطاء أعلى بزها مطرح

يعنى أنها سمنت فسقط وبرها، وذلك لأن الوبر لها كالثياب انظر المعجم الوسيط.



المحتويات